

يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري
المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ابن سكرة الهاشمي

أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد

شاعر متسع الباع ، في أنواع الإبداع . فائق في قول الملح والظرف ، أحد الفحول الأفراد ، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد[١] . وكان يقال ببغداد : إن زماناً جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخيٌّ جداً . وما أشبههما إلا بجرير والفرزدق في عصريهما ، فيقال : إن ديوان ابن سكرة يربى على خمسين ألف بيت ، منها في قينة سوداء يقال لها خمرة أكثر من عشرة آلاف بيت ، وكانت عرضة نوادره وملحه ، كطيلسان بن حرب ، وهن أبي حكيمة ، وحمار طباب ، وضرطة وهب .

وحكى أبو طاهر ميمون بن سهل الواسطي أن ابن سكرة حلف بطلاق امرأته ـ وهي ابنة عمه ـ أنه لا يخلي بياض يوم من سواد شعره في هجاء خمرة ، ولما شعرت امرأته بالقصة كانت كل يوم إذا انفتل[٢] زوجها من صلاة الصبح تجيئه بالدواة والقرطاس وتلزم مصلاه لزوم الغريم غير الكريم ، فلا تفارقه ما لم يقرض ولو بيتاً في ذكرها وهجائها ، وقد أخرجت من عيون ملحه ما يجمع الحجول والغرر[٣] ، ويمتع السمع والبصر .

* * *

---

(١) جار : أي جرى معه ما أراد .

(٢) انفتل : عاد إلى منزله بعد الانتهاء .

(٣) الحجول والغرر : أي الناصع الجميل من شعره .

الغزل والنسيب

قال في غلام بيده غصن لوز قد نور[1] [من الخفيف] :

غصــنُ بانٍ بدا وفــي اليد منه غصــنٌ فيـه لؤلـؤٌ منظـومُ
فتحيَّرتُ بين غصــنين في ذا قمــرٌ طالــعٌ وفـي ذا نجوم

وقال [من الخفيف] :

وغــزالٍ لـولا تميمــة شعرٍ ذكَّرتـه لقلــت بعـض الجواري[2]
شــاربٌ أشــربَ الصبابــةَ قلبي وعــذارٌ خلعــت فيـه عذاري[3]

وقال [من الوافر] :

ويومٍ لا يقــاس إليـه يومٌ يـلــوحُ ضياؤه مـن غير نارِ
أقمنـا فيه للــذَّاتِ سوقاً نبيع العقــلَ فيهــا بالعقار[4]

وقال [من الخفيف] :

من عذيري من شادنٍ لا يراني وهــو روحــي أهــلاً لردّ السلامِ ؟
أنــا مـن خــدِّه وعينيـه والثغــر ومـن ريقـه البعيـد المـرامِ
بين وردٍ ونـرجـسٍ وتلالـي أقحـــوانٍ وبـابلـيٍّ مــدام

وقال [من السريع] :

الغصـــن منســوبٌ إلــى قـدِّه والــورد منثـورٌ علـى خدِّهِ
بــدرٌ يودُّ البــدر فـي حسنه بأنَّـه يُعـزى إلـى عبـده[5]

---

(١) نوّر : أزهر .

(٢) التميمة : خرزة أو نحوها تعلّق في العنق دفعاً للعين وهنا « الضفيرة » .

(٣) الصبابة : الوجد والحب ، والعذار : الخدّ .

(٤) العقار : الخمرة .

(٥) يعزى : ينسب .

سألته في صحوةٍ قبلةً فردّني والموت في ردّه
حتى إذا السّكر لوى رأسه قبّلته ألفاً بلا حمده

وقال في غلام يهواه وهو سميه [من الوافر] :

إذا باسمي دعيتُ حننت شوقاً وذكّرني به الداعي حبيبي
فليت كما اتفقنا بالأسامي وألفتها اتفقنا بالقلوبِ

وقال [من الخفيف] :

الليالي تسوء ثم تسرُّ وصروف الزمان ما تستقرُّ
غير أني عن الحوادث راضٍ بعد سخطٍ والعيش حلوٌ ومرُّ
كنت صبّاً بواحد ثم ثنّيت فلي بالجميع وصلٌ وهجرُ
من كمثلي وعن يميني شمسٌ تتجلّى وعن شمالي بدرُ
ذا على خدّه من المسك سطرٌ وعلى طرف ذا من الغنج سطر
بتُّ يجري عليَّ من ريق هذين وكأسي شهدٌ ومسكٌ وخمرُ
ليَ مِنْ ريق ذا ومقلة هذا مَعَ كأسي سكرٌ وسكرٌ وسكرُ

وقال [من المنسرح] :

حذار من وصل من بليت بهِ فقد لقيت الرّدى بجفوتهِ[1]
دنوت منه كيما أقبّله فلم تدعني نيرانُ وجنته

وقال [من البسيط] :

قالوا التحى وستسلو عنه قلتُ لهُمْ هل يحسن الروض ما لم يطلع الزَّهَرْ
هل التحى طرفه الساجي فأهجره أم هل تزحزح عن ألحاظه الحوَرُ[2]

---

(١) الوصل : اللقاء ، والردى : الموت .

(٢) الساجي : الساكن . والحور : شدّة بياض العين وشدّة سوادها .

وقال [من المنسرح] :

يا ضاحكاً يستهلُّ مضحكَهُ عن بردٍ واضحٍ وعن شنب[1]
أعطيتني قبلةً رشفت بها الـشّهد مشوباً بعبرة العنبِ
كأنّني إذ لثمتُ فاك بها لثمت تفاحةً من الذّهب

وقال [من المتقارب] :

فديتُ مِنَ الناس مَنْ لحظه بلا خنجرٍ كاد أنْ يجرحا
كتمت هواه زمان الصّبا وصرَّحت بالحبِّ لمّا التحى
وقيل محا الشعر لما بدا محاسنه منه واستقبحا
فقلت لهم ما محا حسنه ولكنّ صبريَ عنه محا
بنفسي عذارٌ بدا طالعاً على ناضر الورد ما أملحا
فصيَّر في رزةٍ أصبعي وأوثق كفِّي تحت الرّحى[2]

وقال [من الوافر] :

أشبِّهُهُ وحاشيةٌ لديه ثقالاً كلّهمْ رخمٌ وبومُ[3]
ببدر التمِّ إشراقاً وحسناً وقد سترت محاسنه الغيوم
عهدت البدر تكنفه نجومٌ وذا بدرٌ تطيف به رجوم[4]

وقال [من مخلع البسيط] :

عابوا وقالوا تسلَّ عنه فقلتُ هذا أوان حبي
إنّ الذي عبتموه منهُ هو الذي يشتهيه قلبي

---

(١) الشنب : صفاء الأسنان وابيضاضها .
(٢) الرزة : حديدة يدخل فيها القفل ، والرّحى : الطاحون .
(٣) الرخم : طائر من الجوارح يشبه النسر .
(٤) الرجوم : شهب تظهر في السماء وكأنها نجوم تتساقط .

وكلّما عبتموه عندي زاد جنوني به وعجبي

وقال [من السريع] :

أحببت بدراً ما له مشبهٌ في الحسن لولا أنَّه جافي
أحورُ في مقلته حجّةٌ للعين والشين مع القاف
وفي ارتجاج الردف داعٍ إلى نونٍ وياءٍ قبل ما كاف[1]
سألته الوصل فلم يحتشمْ وقال قدِّم نقدك الوافي

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا سيدي ومؤمّلي قد شفَّني شوقي إليكا[2]
دمعي عليك موردٌ فكأنَّهُ من وجنتيكا

وقال في غلام أعرج [من الكامل] :

قالوا بليتَ بأعرجٍ فأجبتهم العيب يحدث في غصون البانِ
ماذا عليَّ إذا استجدت شمائلاً وروادفاً تغني عن الكثبان[3]
إنّي أحبُّ جلوسه وأريده للنوم لا للجري في الميدان
في كلِّ عضوٍ منه حسنٌ كاملٌ ما ضرَّني أنْ زلَّت القدمان

وله [من الخفيف] :

ليس شرب المدام للمستهامِ مُذهباً ما به من الأسقام
كُلَّما دبَّتِ المدامة في الأعضاء دبَّ اشتياقه في العظام

وقال في غلام رش عليه ماء الورد [من الخفيف] :

ليت شعري عن ماء وردك هذا هو من وجنتيكَ أمْ شفتيكا

---

(١) الردف : المؤخّرة .
(٢) شفّني : أمرضني وأنحلني .
(٣) الكثبان : الرمل المرتفع .

رقَّ حسناً وطاب عرفاً فقد د لَّ بأوصافه الظّراف عليكا[1]

وقال [من الخفيف] :

بات سكران لا يحيرُ جواباً عن كلامي وبتُّ ألثم فاهُ[2]
وأتاني إبليس يأمر بالسو ء فما كان ذاك لا وهواه
شيمة الظّرف أن أصون حبيبي عن قبيحٍ يراه أو لا يراه
أيُّ فرقٍ بين الحبيب إذا نيـ ـك ولم يحتشمْ وبين سواه

وقال [من المنسرح] :

في وجه إنسانةٍ كلفتُ بها أربعةٌ ما اجتمعن في أحد[3]
الخدُّ وردٌ ، والصدغ غاليةٌ والرِّيق خمرٌ ، والثغر من برد[4]
لكلٍّ جزءٍ من حسنها بدعٌ تودع قلبي بدائع الكمد[5]

وقال [من الرمل] :

يا نظيرَ البدر في صورته وشبيهَ الغصن في قامتِهِ
والذي ينتسب الورد إلى روضةٍ تضحك في وجنتِهِ
ما ترى في عاشقٍ مكتئبٍ دمعه وقفٌ على مقلته
واقفٌ بالباب يشكو ما به فمتى تنظر في قِصَّته

وقال [من الخفيف] :

بأبي الأسمر الذي فزتُ منه بهلالٍ يبين للناظرينا
قد سقانا فما شفانا مداماً وشربنا من ريقه فروينا

---

(١) العرف : الرائحة الطيبة .
(٢) لا يحير جواباً : لا يدري .
(٣) كلفت : همت وعشقت .
(٤) الغالية : أخلاطٌ من الطيب .
(٥) الكمد : الحزن .

وقال [من المتقارب] :

غزالُ فؤادي إليه صبَا وهشٌ ولولاه لم يهششِ
أجِلْ نظراً في نقا خدّه وفي خدِّيَ الأصفر الأنمش[1]
تجد صحن خديه تفاحةً وخدِّي من أجله مشمشي

وقال [من الخفيف] :

خُذْ من الدهر ما صفا لك منه ودعِ الفكر في بنات الطريقِ
أيُّ شيءٍ يكون أطيب من كأ س رحيقٍ شيبتْ بريق عشيق[2]

وقال [من المجتث] :

تظنُّ أنّيَ أسلو كلاّ وربُّ البُنيَّه
الآن تيَّمَ قلبي باللحية السجيَّه[3]
الخدُّ خمرة فضلٍ على الخدود النقيَّه
فيه بقية حسنٍ لم تبقِ منِّي بقيَّه

وله [من مجزوء الخفيف] :

أنا والله تالفٌ آيسٌ من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامتْ قيامتي

وقال [من المنسرح] :

وشادن ما رأيت غرَّته الغراءَ إلاَّ شككت في القمرِ
قد قلت لما رأيت صورته تبارك الله خالق الصّور

---

(١) الأنمش : من النمش ، وهي بقع صفار في الجلد تخالف لونه .
(٢) شيبت : مزجت .
(٣) السبجية : السوداء ، والسبج خرز أسود .

وقال في غلام زطي زامر [من السريع] :

ظبيٌ من الزِّطِّ تعلّقته ... فصار معشوقي ومولايَ
أحسن والإحسان لم يجمعا ... في حسنٍ إلاًّ لبلوايَ
إذا نأت روحيَ عن جسمها ... ردّ ليّ النأي بالناي

وقال في غلام يعرف بابن برغوث من مشاهير الملاح [من الوافر] :

بليت ولا أقول بمنْ لأنِّي ... متى ما قلت من هو يعشقوهُ
حبيبٌ قد نفا عنّي رقادي ... فإن غمّضتُ أيقظني أبوه

وقال [من المديد] :

مستهامٌ ضاق مذهبُهُ ... في هوى من عزَّ مطلبُهُ[1]
كلُّ أمري في الهوى عجبٌ ... وخلاصي منه أعجبُهُ
لي حبيبٌ كلُّه حسنٌ ... فعيون الناس تنهبه
صيغ من ماءٍ ولي نظرٌ ... ليس يُروى حين يشربه
ضاع من عيني فمقلَتُها ... في بحار الدمع تطلبه
منعتني من مقبَّلهِ ... حين أدنو منهُ عقربهُ[2]
واستدارت فهي تحرسه ... من فمي بخلاً وترقُبُهُ

وقال [من البسيط] :

أهلاً وسهلاً بمن زارتْ بلا عدةٍ ... تحت الظلام ولم تحذر من الحرسِ
تستَّرت بالدُّجى عَمْداً فما استترتْ ... وناب إشراقها ليلاً عن القبسِ
ولو طواها الدُّجى عنَّا لأظهرها ... برق الثنايا وعطر النحر والنفس

---

(١) مذهبه : طريقه وحيلته .

(٢) العقرب : حشرة معروفة لسعها شديد الألم « ويشبه الصدغ بها » .

المجون وما يجري مجراه

قال [من السريع] :

قد قلتُ لما مرّ بي معرضاً كالبدر تحت الغسق الداجي[1]
يهتزُّ في حشيتِهِ مُتعَباً من كفلٍ كالموج رجراج[2]
ويلي على حلٍّ سراويله فإنّه شدٌّ على عاج

وقال في غلام تركي شرب معه [من مجزوء الرمل] :

أيُّها التركيُّ ما عندك للصبِّ النحيلِ
هل إلى ما يستر القرُ طق عنّي من سبيل ؟
أشتهي ذاك وأخشى صولة اللَّيث الثقيلِ

وقال [من المجتث] :

يا ليلةً ليس فيها إلى الفقاح سبيلُ[3]
طالت على ذي اهتياجٍ له قمدٌ طويل[4]
مسكْرجٌ تتوالى دموعه وتسيل[5]
رقاده في الدياجي حتى ينيك قليل
موترٌ مستقيمٌ عليه رأسٌ ثقيل
أنزلته خان سوءٍ عنه يطيب الرحيل

---

(١) معرضاً : صاداً غير مكترث ، والغسق : الظلام .
(٢) الكفل : الردف ، ورجراج : متحرّك متموّج .
(٣) القرطق : كجندُب ، لبسٌ ، معرّب كرته وقرطقته : ألبسته .
(٤) الفقاح : جمع فقحة ، وهي حلقة الدبّر .
(٥) القمد : الطويل الضخم العنق .
(٦) مسكرجٌ : من صفات القضيب « والسكرجة » الإناء الصغير .

وقال [من المجتث] :

قــل للكويتــب عنّــي ... بــأيٍّ أيــرٍ تنيـكُ ؟

والأيــر منــك صغيــرٌ ... نضــوٌ ضعيـفٌ ركيـك[1]

شــارِكْ بأيــرك أيــري ... ونـكْ فنعــم الشريـك

وقال [من الكامل] :

إنّــي بليت بشــادنٍ غنجٍ ... حســن الشمائــل وافــرُ الكفلِ

يبغــى الدراهــم وهــي معوزةٌ ... عنــدي فحبلــي غير متصلِ

مستعجــم الألفــاظ أجهــل ما ... يبــدي ويجهــل فهمــه غزلي

وإذا مدحــت فليس يفهمه ... والفــارسية ليس مــن عملي

فبحــقٍّ ما بينــي وبينــك من ... ودٍّ بلا زيغٍ ولا ميل[2]

امنــنْ علــيَّ بقربــه فعسى ... أحيا بزورتــه ويسمــح لي

الجــود منــك سجيّةٌ أبداً ... والمــدح والتقــريظ من قبلي

وقال [من الطويل] :

إذا لم يكن للأير بخــتٌ تعذّرت ... عليه جهــات النيك من كلٍّ ناحيهْ

حرمــت الغــزال الواسطــي لشقوتي ... فدمعــة أيري فوق خصييه جاريه

وفــاز به كل البــرايا ، وربّما ... غدت عقدي في خدعة المرد واهيه[3]

أقــول لأيري وهــو يرقــب فتكةً ... به خيْــتَ يا أيري وغالتــك داهيه[4]

عزاءً فقــد خاس الرجــال بسيدي ... علــيٍّ ولاذوا بالدعــيٍّ معاويه[5]

---

(١) نضوٌ : الضعيف المهزول .

(٢) الزيغ : الابتعاد .

(٣) عقدي : حيلي وألاعيبي ، وطُرقي واهية : ضعيفة .

(٤) غالتك داهيه : أصابتك مصيبةٌ قضت عليك .

(٥) خاس : أخلف وغدر ، وفسد .

وقال [من الكامل] :

لما رأت كلفي بها وصبابتي … وتأمّلت شمطاً يلوح بعارضي[1]
قالت أكلت جناك ثم أتيتنا … بمدوَّدٍ من تمر عمرك حامضِ
أفحين نام الأير منك وصلتنا … تبغي النكاح بغير أيرٍ ناهض
لا تعرضنَّ لمهرةٍ إن لم تُرَضْ … كلَّ الرضى كسرت ضلوع الرائِض

وقال [من الطويل] :

وجاهلةٍ هبَّت سفاهاً تلومني … وما عندها من لذَّة القصف ما عندي[2]
توبِّخني بالشيب والشيب مرشدٌ … لعمري ولكن لست أنشط للرشد
فقلت لها كفّي ملامك إنّني … بطيءٌ عن العذَّال في زمن الورد

وقال [من السريع] :

وبات في السطح معي واحدٌ … من أكرم الناس ذوي الفضل
أفسو فيفسو وهو لي مسعدٌ … كأنّما أملي له ويستملي

وقال [من المنسرح] :

عشقت للحين قينةً عطفتْ … قلبي بالحسن كلَّ منعطفِ
ورمت نيكاً لها فكيف به … لولا سفاهي والبدع من حرفي
قلت ارفقي بالشريف فابتسمتْ … عن لؤلؤٍ ما اعتزى إلى صدفِ[3]
عجباً وأبدت كالقعب غضّ له … أيري على بيضه من الأسفِ[4]
وصفَّقت فوقه تحسّرني … وهو كثيف المجسّ كالهدفِ

---

(١) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده .
(٢) القصف : الخلاعة والمجون .
(٣) اعتزى : نمي ونسب .
(٤) القعب : النقرة « يريد بضع المرأة » .

حتـى إذا ما رنـا له ذكري ... وطـال حتـى عـلا علـى كتفي
قالـت بحقـي عليك تطمـع أن ... تولـج في ذا بالشعـر والشرف
تالله لا نكتنـي بقافيـةٍ ... ولا بفخـرٍ فانسـلْ أو ففِ
وأسبلـت ثوبها عليه فلم ... أملك سلـواً ولـجَّ بي كلفي
فعجـت عنهـا والأير ينشدني ... بيتـاً ويبـكي بأدمع ذرف[1]
قال لي الشـوق قف لتلثمه ... فمـن حذار الـرقيب لم أقف

وقال [من مجزوء الوافر] :

أيا من كلُّـهُ قمرٌ ... وكـلٌّ لحاظـه حَوَرُ
لقـد طالـت عداتـك لي ... وأيامـي بهـا قصـر
متى في البـرج تحصـل كي ... تزيـف ويهـدر الذكـر[2]
وتنشـر بيننا قبـلٌ ... يطيـر لنـارهـا شـرر

وقال [من المتقارب] :

وسـوداء بورك في بضعها ... ولا نال بؤسـاً فمـا أضيقا[3]
نزوت عليهـا ولا علـم لي ... بأن لهـا كعثـناً محرقا[4]
وكدت من الحـرِّ أن أشتوي ... ومـن شدّة الضيق أن أختنقا
وألفيت من جسدينـا معـاً ... لمبصـرنـا شبحـا أبلقـا
فإن أخدشـتْ قرطسـتْ بالمنى ... وإن تمّمـت ولـدتْ عقعقـا[5]

---

(١) عجت : ملت عنها .
(٢) تزيف : تتبختر، والذكر : عضو التناسل .
(٣) البضع : الفرج .
(٤) الكعثن : « الفرج » .
(٥) قرطست : أصابت الغرض ، وعقعق : طائر كالغراب ذو لونين أبيض وأسود .

وقال [من المتقارب] :

لخمـرةَ عنـدي حديثٌ يطول   رأتنـي أبـول فكـادت تبـولُ
فلمـا نهضـت أتـاني الكتاب   وجـاء الهـدايا ووافـى الرسول
وقالـت تقـوَّل بنـا يا فتى   فقلـت وأنعـظت لـم لا أقـول[1]

وقال [من السريع] :

وأجـر غلمانـي في واسطٍ   جوعٌ ، وكانـوا لا يرامونا
جـادوا بمـا كنـت ضنينـاً به   فاتّسعـوا ممّـا يناكونـا
لـو أنّ رزقـي مثـلُ أدبارِهـمْ   كنـت من الإثـراء قارونا[2]

* * *

ملح من أهاجيه لخمرة

قال [من البسيط] :

غشّـت خميرة يوم العـرس حاجبها   بريقهـا وأتتنـي وهـي مختضبهْ
فقلـت للـزوج لا تغـررك حُمرتها   فإنّهـا القفـل موضـوعٌ علـى خرِبهْ

وقال [من السريع] :

يا سائلـي عن ليلـةٍ لي مضتْ   وطيبهـا عنـد أبـي الجيشِ
وكيف غنَّـت خمـرةٌ لا تسلْ   غنَّـت فأغنتنـا عن الخيش[3]
كفٌّ علـى الطبـل لإيقاعـها   وكفُّهـا الأخـرى على الفيش[4]
وربّمـا مرت لهـا فسوةٌ   من فمهـا عفَّـتْ على العيش

(١) أنعظ الذكر : أي قام وانتصب .
(٢) قارون : أحد الكفرة الأغنياء في زمن موسى عليه السلام وردت قصته في القرآن الكريم .
(٣) الخيش : ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ .
(٤) الفيش : رأس الذكر .

وقال [من السريع] :

ربّ عجوزٍ مستعينيه سلقيةِ اللون سلوقيه
عاجيَّة الشعر إذا استضحكتْ أبدت ثنايا آبنوسيه
ذات حرّ عنبلُهُ بأرزٌ كمرقبٍ في وسط بريِّه[1]
وشعرةٍ بالقمل منظومةٍ كالودع في عقصةٍ كرديّه
يفترُّ ذاك الصدغ عن بظرها كقنفذٍ عضَّ على ريّه[2]
مُسِنَّةٌ تصبو إلى أمردٍ فهي على العاهة لوطيّه[3]

وقال [من الوافر] :

عجبت لخمرة البخراء أنّى أقامت مع مؤاجرها زمانا[4]
وليس لأيره طولٌ ولكنْ ينيكُ به فيردفه لسانا[5]
لحاه الله كيف يدس فيها لساناً ربّما درس القرانا

وقال [من السريع] :

هل لك يا خمرة في تجرةٍ مربحةٍ ما مثلها تجره
صيري إلى البصرة واسترزقي ربَّك بالنكهة في البصره
فلو عرضت الريق في سوقها لابتيعت التفلة بالبدره[6]
تزكو بها النخل وتحمر في غير أوان الحمرة البسره[7]

---

(١) الحرّ : الفرج .
(٢) ريّه : يعني على شفته حيث يبدأ الارتواء .
(٣) لوطية : من اللواط وهو الاتيان من دُبر .
(٤) البخراء : أي أن رائحة فمها كريهة .
(٥) يردفه : يضمّ إليه .
(٦) البدرة : كيس توضع فيه كميّة من الدراهم.
(٧) البُسْر : ثمر النخل الذي لوّن ولم ينضج .

وقال [من المنسرح] :

لا تسمعوا خمرة فقد هرمتْ وانكسرتْ تلكم القواريرُ
رثٌّ غناها ورثٌّ كعثنها والخلق المسترثُّ مهجور[1]
وكلُّ بازٍ يمسُّهُ هرمٌ تخرى على رأسه العصافير

وقال [من الطويل] :

وقد كنت قبل الشيب أعشق خمرةً وتفرطُ في عشقي وتضرطُ من حبي
إلى أن عفا حرّها ودبَّب منعظي وصارت قفا نبك وصرت ألا هبِّي[2]

وقال [من البسيط] :

حسبي سواك وبسّي من وصالك لي شغلتُ عنك بمن أهواه فاشتغلي[3]
لا تعذليني على ما كان من مللٍ من ذا يراك فلا يصبو إلى الملل
هرمت حتى تناسيت اللحون معاً وصرت مفرغةَ الألحاظ والمقل
إنْ كنت أبصرت أسى منك في بصري فلا بلغت الذي أهواه من أملي
البحر أنت وأيري ليس من سمكٍ وليس بيني وبين البحر من عمل

وحصل معها في دعوة فغنّت . فقال ابن سكرة [من السريع] :

ذنبي عظيمٌ ما أرى يُغفرُ في وصل من نكهتها مبعر[4]
فالحمد لله على حكمه هذا دليلٌ أنّني مدبر
قد قلت لما لاح لي ثغرها ولاح منه الخزف الأخضر
وانتشر السوسن من صدغها وثار منها نفس أبخر

---

(١) رثّ : بلي ، والكعثن : الفرج .
(٢) عفا : امحى ، ودبّب منعظي : أي ضعف الذكر منّي .
(٣) بسّي : ابتعدي وتنحّي .
(٤) المبعر : المخرج .

وشفَّ قلبي نتن آباطها يا معشر الناس قفوا فانظروا[1]

* * *

ما أخرج من سائر أهاجيه

قال [من مخلع البسيط] :

تهت علينا ولست فينا ولي عهدٍ ولا خليفه
فتِهْ وزد ما عليَّ جارٍ يقطع عنّي ولا وظيفه[2]
ولا تقل ليس فيَّ عيبٌ قد تقذف الحرّة العفيفه
الشعر نارٌ بلا دخانٍ وللقوافي رقىً لطيفهُ[3]
كم من ثقيل المحل سامٍ هوت به أحرفٌ خفيفه
لو هجى المسك وهو أهلٌ لكلٍّ مدحٍ لصار جيفه

وقال [من البسيط] :

أمَّا الصيام فشيءٌ لست أعدمهُ مدى الزمان وإن بيَّتُ إفطارا
أغشى أناساً فأغشى في منازلهمْ جوعاً عليَّ ولا أغشى لهم نارا
قد ألجموا القمل أن ترزأ دماءهمُ وألجموا في الكوى الجرذان والفارا[4]

قال [من الوافر] :

وهنوا بالصيام فقلت مهلاً فإنّي طول دهري في صيام
وهلْ فطرٌ لمن يمسي ويضحي يؤمِّل فضلَ أقواتِ اللئام

---

(١) النتن : الرائحة الكريهة والآباط : جمع إبط .
(٢) ما عليّ جارٍ : أي رزقٌ أو مالٌ شهري .
(٣) الرُّقى : النفث .
(٤) الكوى : الخرق في الحائط .

وقال [من السريع] :

أكره أن أدنو إلى داركم ... لأنَّني أخشى على نفسي
ضرسي طحونٌ وعلى خبزكم ... من أكل مثلي آية الكرسي
وهو الذي أقعدني عنكُمُ ... فكيف آتي ومعي ضرسي ؟

وقال [من الوافر] :

عليلٌ لا يعاد من الخساسة ... له نفس تحيد عن النفاسهْ(١)
دخلت أعوده فازورّ عنّي ... كأنّي جئته لأدقّ راسه(٢)

وقال [من السريع] :

قام إلى كلبٍ له مثله ... فلم يزل يعلوه بالسيفِ
فقلت ما ذنب أخيك الذي ... يقنع من زادك بالطيفِ
فقال لي لا عفوَ عن ذنبه ... حاف علينا أيَّما حيف(٣)
صانعه الضيف بعظمٍ له ... فنحن في ريبٍ من الضيف

وقال [من الكامل] :

كلُّ العجائب قد سمعت وما أرى ... أنّي سمعت لشاعرٍ قرنان
قرن يحكُّ به السماء ومثله ... ذنبٌ يزور الحوت في الأزمان
وإذا تحدّث أحدثت لهواتُهُ ... فترى الأنوف تلوذ بالأردان(٤)
وترى أخادعه تعطُّ كأرنبٍ ... عكفت عليه مناسر العقبان(٥)

---

(١) الخساسة : الضعة ، والنفاسة : من النفيس وهو الثمين الغالي .
(٢) ازورّ : أشاح مغضباً .
(٣) الحيف : الانتقاص والظلم .
(٤) أحدثت : من الحدث وهو الريح والغائط من الانسان ، والأردان : أطراف الأكمام .
(٥) تعطّ : تتثنّى ، وعطّ الثوب : شقّه .

وقال [من السريع] :

لا قدّسَتْ أرضٌ أقمنـا بهـا قريبـةٌ من طبرستـان
ليسـت خراسـان ولكنّهـا تقـرب من أرض خراسان
لا سقيت جرجـان من وابلٍ قطـراً ولا ساكـن جرجان
قومٌ إذا حلَّ غريبٌ بهمْ مات من الشـوق إلـى البان[1]

وقال [من السريع] :

لا وصـل الـروح إلى تربةٍ تضمّنـت روح أبي روح
والضـرطُ والفسـو على قبره أولـى من التـأبين والنوح

وقال [من الخفيف] :

يا جوّ أمـرد يا حليف البلاده لك في الفسـق عادةٌ أي عاده[2]
أنـت لا تعـرف الصـلاة فقـل لي لم تأنّقـت في شرا سجّاده

وقال [من الكامل] :

يا شاعـراً جمَّـت مصائـب دبره وتكاثفـتْ لوداقـه أوجاعُهُ[3]
طلـب التطبُّـع في القـريض بجهده فجـرت طبيعتـه وقـام طباعُهُ[4]

وقال [من البسيط] :

علامـة النحس والخـذلان والشوم إغـراض وجهـك عن صقـرٍ إلـى بوم
كراغـبٍ في بنـات الزنـج من أفنٍ وزاهـدٍ في بنـات التـرك والروم[5]

---

(١) ألبان : شجر لين ورقه طويل ، أبيض الزهر، وبان : بعد ، وانفصل .

(٢) كذا وقع صدر هذا البيت .

(٣) جمَّت : كثرت .

(٤) القريض : الشعر .

(٥) الأفن : الحمق والجهل .

وقال [من المتقارب] :

تجشّأتُ في وجه بوابه ليعرف شبعي فلا أمنعُ
وقلت له إنّ بي تخمةً فهل من دواءٍ لها ينفع ؟
فقال لقد غرّني معشرٌ بهذا الحديث الذي أسمع
فلما نذرت بهم صاحبي ولاحت موائده أوجعوا
فراحوا بطاناً ذوي كظّةٍ وأقبلت من أجلهم أصفع[1]

وقال [من الوافر] :

يطيل المكث في الإصطبل حتّى يرى أير الحمار إذا آسبطرّا[2]
فيمرسه ويكثرُ قولَ طوبى لغمدٍ ضمّ هذا النصل شهرا[3]

وقال [من الوافر] :

لنا شيخ يصلّي من قعودٍ وينكح حين ينكح من قيامِ
صموت فمٍ أخو عيٍّ ولكنْ له دبرٌ يطفّل بالكلام[4]

وقال لكاتب وعده كاغداً فلم ينجز [من المنسرح] :

كددتني أن سألتك الورقا فكيف حالي إن قاسمتك الورقا[5]
يا كاتباً برزت كتابته فصار فيها مقدّماً لبقا
أسلم في مكتب المروءة والظرف وكسب العلا فما حذقا

---

(١) البطان : كثرة الأكل : والكظّة : امتلاء البطن حتى لا يطيق التنفُّس .
(٢) اسبطرّا : ظهر وانتصب .
(٣) يمرسه : يعركه بيديه أو يلوكه .
(٤) العيّ : صعوبة النطق : يطفّل : يتدبّر .
(٥) كددتني : أتعبتني وبخلت عليّ والورق الأول يقرأ بفتح الواو والراء جميعاً وهو ما يكتب فيه والورق الثاني يقرأ بفتح الواو وكسر الراء وهو الفضة .

حتـى إذا أسـلمـوه فـي مكتـب الـلـؤم جرى كيـف شـاء وانطلقـا

* * *

ما أخرج من خمرياته ، وما يتصل بها من الأوصاف

قال [من البسيط] :

إشـربْ فلليوم فضـلٌ لو علمـتَ به بادرتَ باللهـو واستعجلـت بالطربِ
ورد الخـدود وورد الـروض قد جمعا والغيم مبتسـمٌ والشـمس في الحجب
لا تحبس الـكأس واشربهـا مشعشعةً حتـى تمـوت بهـا موتـاً بلا سبب

وقال ، وقد شرب في الغمر بواسط[من مجزوء الرمل] :

ليلتـي فـي الغمـر دهـري أو يقضّـي العمـر عمـري
مـرّ لي في العمـر يومٌ لا أجـازيـه بشكـر
بيـن غزلان النصـارى أمـزج الـريـق بخمـر

وقال ، وقد شرب عند الأمير أحمد بن ورقاء [من مجزوء الخفيف] :

لـلأمير الجليـل لا حـطّ مـن نبـل قدرهِ
قـهوةٌ أشبـهـت سجـا يـاه فـي كـلِّ أمـرهِ
ذات صفـوٍ كـودّهِ ونـسيـمٍ كنشـرهِ
قـد حصـلنـا بمجلسٍ فيـه ريحـان ذكـرهِ
فشـربـنـا بـحـمـده وانتـقـلـنـا بشـكـرهِ
وسـمـعـنـا غـرائـبـاً مـن أفـانيـن شـعـرهِ
فـكأنّا فـي الخلـد نـر تـع فـي طـيـب زهـرهِ

وقال [من مجزوء الكامل] :

قـم يـا غزال مـن الكرى روحـي فـداؤك مـن غـزالِ

هـذا الصـبـوح وأنـت وهـذه بكـر الحجـالِ
لا تـخدعـن عـن الـشّمـو ل يـشـوبـهـا مـاء الـشـمـالِ

وقال سامحه الله تعالى [من الخفيف] :

قد بدا الصبـح مؤذنـاً بسفور وفـرى الفجـر حلَّـةَ الديجورِ[1]
فـاسـقنـي قهـوةً تتـرجـم بـالـرِّقــة عـن دمع عاشـقٍ مهجـور

وقال [من المنسرح] :

يا ساهـر الطـرف قد بدا السَّحَرُ وجمّشتنـا بنشـرهـا الزَّهَـرُ[2]
ورقَّ جلبـابُ ليلنـا ودعـا إلـى الصـبـوح الصبـاح والقمرُ
فمـا ترى في اصطبـاح صافيةٍ بكرٍ حناهـا فـي الحانـة الكبر
رقَّـتْ فراقـتْ وفـات ملمسها ولـم يفتنـا النسيم والنظـر
فهـي لمـن شمّ ريحهـا أثرٌ وهـي لمـن رام لمسهـا خبر
ترى الثـريا والغـرب يجذبها والبـدر يهـوى والفجـر ينفجر
كفٌّ عروسٍ لاحـت خواتمها أو عقـدَ درٍّ في الجـو ينتثر
في روضـةٍ راضهـا الـربيع ومـا قصّـر في وشـي بردهـا المطر[3]
حيث نأى النـاي بالعقـول وقد أبلـغ فـي نيل وتـره الوتر

وقال ، وكتب بها إلى يحيى بن فهيد يستهديه نبيذاً [من المجتث] :

رسالـة مـن مكـدٍّ وشـاعـرٍ وشـريـفِ
إلـى فتـىً مستبدٍّ بكـلّ فعـلٍ ظريـف
إليـك يحيى اشتكائي صحـوي بيومٍ طريـف

---

(1) السفور : الوضوح ، وفرى : شقّ .
(2) جمّش : داعب .
(3) راضها : حلّ بها وقادها .

ولست مضمر نسكٍ كلاً ولا بعفيف
ولو أسام بديني لبعته برغيف[1]
موت الوزير دعاني إلى التماس طفيف
ولم أزل وهو حيٌ في كلِّ خصبٍ وريف
وأنت منه اعتياضي يا ذا المحلِّ المنيف[2]
أجل وكهفي وغوثي على الزّمان العنيف
وفي النبيذ سلوٌ عن الغرام المطيف
فامنن عليَّ بضخمٍ من الدنان كثيف
مستودعٍ ذات لونٍ ومطعمٍ حرّيف[3]
كأنَّها وهم حسٍ أتى بحدسٍ لطيف
فقد تبدَّد شملي وأنت للتأليف

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا من ثناه وذكره بين الورى مسكٌ وعنبرْ
إني كتبت وزائري ظبيٌ مليحُ الدلِّ أحورْ[4]
متمنِّعٌ في الصحو يسمح بالبضاعة حين يسكر
وأرى تعذُّر أمره في الكفِّ إنْ سِكْرٌ تعذَّر
فامننْ عليَّ بقهوةٍ أنف الحبيب بها يُعفَّر
فأنال منه أنا المنى وتحوز أنت ثناً وتؤجر

وقال [من مجزوء الكامل] :

إن كنتَ تنشط للمديح وللثناء عليك منِّي

---

(١) أسام : من السوم وهو المفاصلة عند البيع والشراء .
(٢) المنيف : الشامخ المشرف .
(٣) الحرّيف : الحاد الطعم ، الذي يلذع الفم واللسان .
(٤) الدلّ : الجرأة في تلطف ، الغنج .

فابعث إليّ مع الرسو ل إذا أتاك بملء دنٍّ
ومتى رضيت بأن أُقطَّع أو أهجَّن أو أزنّي[1]
فاصرف رسولي خائباً وادفع بقبحك حسن ظنّي

وقال [من مجزوء الرمل] :

يا فتى الجصّاص قد أعـ ـدمتني الإحسان دفعهْ
ولزمت الشحّ بالرا ح فما تسخو بجرعه
قد أتى العيد وصحوي فيه يا مولاي بدعه
أملي فيك قريبٌ ليس فيه ليَ منِعه
شربةٌ من خمرك الصا في ومن ندّك قطعه[2]
ينبذ الحبُّ فيستنفده الشعر برقعه

وقال [من المجتث] :

لنا على النار قِدرٌ بخاتم النار بكرُ
وعندنا من بقايا صبيحة العيد خمر
وقد دعونا غلاماً كالغصن أعلاه بدر
فاطلعْ علينا وساعدْ أو لا فما لك عذر

وقال [من مخلع البسيط] :

على الأثافي لنا قدورُ ساكنةُ النَّبض لا تفور[3]
قامتْ على سوقها لأكلٍ ونحن من حولها ندورُ
وعندنا من شراب عمروٍ دنٌّ رحيبُ الحشى كبيرُ

---

(١) أهجّن : أعاب .
(٢) الندّ : عود طيب الرائحة يُتبخَّر به .
(٣) الأثافي : الحجارة التي توضع عليها القدر ، واحدتها أثفية « الموقد » .

لمـــا فضضنـــاه فاح منه نسيم مســكٍ ولاح نور
فــكن لنـــا مسعـــداً وبادر يكْمُــلْ بك الحســن والسرور
واغنـــم من الدهـــر صفـــو يومٍ فهـــو بتـــكديـره جديـر

وقال يستهدي نبيذاً في ذكرة[1] [من الطويل] :

وزنجيةٍ لم تعـرف الزنـج طفلةٍ خميصـة بطـنٍ مسَّهـا عنـدك العطشْ
فجاءتـك تستسقـي من الخمـر ريَّها فترجـع كالحبلـى من النسـوة الحبشْ
فكم من هزيلٍ مثلهـا في ضمورها عنيت به حتـى تضلّـع وانتعشْ

وقال [من المجتث] :

للـورد عنـدي محلٌّ لأنَّــه لا يمــلُّ
كــلُّ السرياحيــن جنـدٌ وهــو الأميــر الأجــلُّ
إن غاب عزّوا وباهوا حتـى إذا عـاد ذلّوا

وقال من قصيدة[2] [من الوافر] :

ويومٍ لا يقــاس إليه يومٌ يلــوح ضياؤه من غير نار
أقمنـــا فيه للـــذات سوقاً نبيع العقــل فيـه بالعقار

* * *

الشكوى والتفجع

وقال [من الوافر] :

أرى حلــلاً وديباجــاً حساناً فألحظهــا بطـرفِ المستريـبِ[3]

---

(١) الذكرة : الكتاب .

(٢) تقدم ذكر هذين البيتين « انظر ص ٤ من هذا الجزء » .

(٣) الطرف : العين ، والمستريب : الشاك .

وأعـرف قصّتـي وأردُّ طرفـي وفـي قلبـي أحـرُّ من اللهيبِ
جنـى نسبـي علـيَّ وصـدَّ رزقي وأثـكلنـي مـن الـدنيا نصيبي
فوا أسفاً علـى كسـتيج قس ويا لهفـاً علـى قوس الصليب[1]

وقال [من مجزوء الخفيف] :

قـد أتـى العيد لا أتـى فلقـد أنهـج المهـج[2]
ليـس فيـه لهاشمـيٍّ سـرورٌ ولا فـرج
إنّـه عيـد أهـل قـمّ وقاشـان والكـرج[3]
يتـلاقـى بياضهـم بقلـوبٍ مـن السبـج[4]

وقال يتأسف على أيام المهلبي الوزير[من الكامل] :

يـا صاحبيَّ قفـا أبثُكما مـا قد منيت به من النُّوبِ
وافـى الـربيع وقـد ألفـت به درر السقـاة بدائـر النخب
في روضـةٍ صبـغ الـربيع بها ورد الخـدود بعصفـر العنب[5]
وإذا الغـلام أدار في يده صفـراء بعـد المـزج كالذهب
حمـراء يضحـك فوق مفرقها ثغـر الحبـاب كثغـر ذي شنب[6]
أسجـدت فوق الخـدِّ منـهُ فمي شكراً لمـا أوليت من طرب[7]
هذا حديثٌ كان لي ومضى كالأمس ولّـى ثمَّ لم يثب[8]

---

(١) الكستيج : خيط غليظ يشدّه الذمّي فوق ثيابه تحت الزنّار .
(٢) انهج المهج : أبلاها .
(٣) قم وقاشان والكرج : أسماء بلاد في إيران .
(٤) السبج : الخرز الأسود .
(٥) العصفر : نبات يصبغ به وصبغه أصفر .
(٦) الشنب : عذوبة ورقّة في الأسنان .
(٧) أسجدت : طأطأت وانحنيت .
(٨) لم يثب : يعود من جديد .

أيام كنت من المهالب في ربعٍ أغنّ ومرتعٍ خصب
فبمن أعوذ اليوم من كمدٍ لا أستقلُّ به من الكرب
والورد قد وافى بنضرته والنفس تطلب غاية الطلب
طلَّقتُ لذاتي الثلاث فما بيني وبين اللهو من سببِ
فإذا بصرت بوردةٍ قنعتْ نفسي بها وقضت مدى أربي
فعلى السرور وكلِّ فائدةٍ بعد الوزير سلام محتسب

وقال [من الطويل] :

مضى ملكٌ عمَّ البرية جوده رءوفٌ وإن راع الأسود شفيق[1]
سكرت بنعماهُ وجود وزيره فقالت لي الأيام سوف تفيق

وقال [من البسيط] :

لا عذَّب الله ميتاً كان ينعشني فقد لقيت بضرِّي مثلَ ما لاقى
طواه موتٌ طوى منِّي مكارمه فذقت من بعده بالموت ما ذاقا

وقال لبعض الوزراء [من المنسرح] :

يا سيدي أنت إنَّ لي خبراً أجرى لساني وصلّب الحدقهْ[2]
هاك حديثي فإن نشطت له فاسمعْ وإلا فخرِّق الورقهْ
مستأنسٌ زارني وحسبك بال ـببغاء ضيفاً ذا فقحةٍ شبقه[3]
باكرني جائعاً فهتَّكني ومصّ منّي دمي ولا علقه
وهو على البخت ناقةٌ فمتى قدّمت ثوراً بفرثه شرقه[4]
لم يبق في روح برمّتي رمقاً أتى على اللحم واحتسى المرقه

---

(١) راع : أخاف .
(٢) الحدقه : سواد العين .
(٣) الفقحة الشبقة : النقحة : حلقة الدّبر والشبقة : من الشّبق ، أي حبّ الجنس .
(٤) البخت : الحظ . والفرث : ما يكون في الكرش .

وعـاث في سفرتـي كمشبلـةٍ غرثـى بتلك الأنامـل اللبقـه[1]
قلعاً وبلعـاً بـلا مراقبةٍ لله فـي عيلتـي ولا شفقه
قـل للـرئيس الـذي أناملـه مبسـوطـةٌ بالنـوال منخرقه[2]
حلّـت لي الميتـة التـي حُرمتْ فكيف تنبـو نفسـي عن الصّدقه

وقال [من البسيط] :

يـا سيداً ظـلَّ فـرداً في سيـادتـه يخشى ويرجى لدفع الحادث الجللِ
الشـوق يُنهضني والعدم[3] يُقعدني فمـن شنـاك به ما بي من الخللِ[4]

وقال [من السريع] :

جملـة أمـري أنَّنـي مفلسٌ وليـس للمفلـس إخـوانُ
وكلُّ ذي عيشٍ بلا درهمٍ فعيشـه ظلـمٌ وعـدوان

وقال [من مجزوء الرمل] :

قيـل مـا أعـددتَ للبر د فقـد جـاء بشـدّهْ
قلـتُ درَّاعـةُ عريٍ تحتهـا جُبَّـةُ رعْدِهْ

وقال [من البسيط] :

وجاهـلٍ قال لي : لا بدَّ من فرجٍ فقلـت للغيظ : لم لا بدَّ من فرجٍ ؟
فقـال من بعـد حينٍ قلـت يا عجباً من يضمـن العمـر لي يا بارد الحجج
لو كان ما قلـتَ حقّـاً لم أكن رجلاً مُقسِّـمُ العمـر في الروحـات والدّلج

---

(١) المشبلة : المسبعة . وغرثى : جائعة .
(٢) منخرقه : متكرّمة متلطّفة .
(٣) الجلل : العظيم .
(٤) العدم : الفقر : شناك : أبغضك .

أسعى لأدرك حظّاً لو حظيت به ... ما كنت أول محظوظٍ من الهمج

ذنبي إلى الدّهر أنّي أبطحيٌّ أبٍ ... ولست أُعزى إلى قمٍّ ولا كرج[١]

وقال [من البسيط] :

أمسى يسائل عن حالي ليخبرها ... وكيف أمسيت في أهلي وفي بلدي

فقلت حالي بحالٍ من رثاثتها ... وعلّةُ الحال تُنسي علَّةَ الجسدِ

* * *

المدائح وما يقترن بها

قال من قصيدة في الفرج [من السريع] :

وقائلٍ لمْ غبتَ عن لحظِهِ ... وأنت من أصغر غلمانه

فقلت ما أجهل فخري بمنْ ... تسمو به سادات أزمانه

هيبته تمنع من قربه ... وحبُّه يغري بغشيانه[٢]

وقد تبلَّدتُ فهل حيلةٌ ... تبسط أنسي عند لقيانه

وقال لابن لوزة ، وقد أهدى إليه دواة [من البسيط] :

أخٍ مزجت بروحي روحه جرى ... منّي كمجرى دمي في الجسم أفديه

ثم اتفقنا على ألقاب سالفنا ... فصرت في كلٍّ حالٍ ما أضاهيه

أهدى إليَّ دواةً لو كتبت بها ... دهري أياديه لم تنفدْ أياديه

وقال في أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى [من الوافر] :

لقد أمسكت من عمر بن يحيى ... بحبلٍ لا أخاف له انبتاتا[٣]

---

(١) أعزى : أنسب .

(٢) غشيانه : إتيانه وقصده .

(٣) انبتاتاً : انقطاعاً .

حباني في الحياة ورمَّ حالي وأوصى بي أبا حسنٍ وماتا[1]
فكنت مجاوراً للبحر منه فلمّا مات جاورت الفراتا

وقال يهني بالعيد [من الوافر] :

عماد الدين قابلك السعود وعشتَ كما تريد لمن تريدُ
وأظهرك الإلّه على الأعادي ومات بدائه فيك الحسود
أتاك العيد مقتبلاً جديداً وجدُّك فيه مقتبلٌ سعيد[2]
يُهنّي الناس بالأعياد فينا وأنت لنا برغم العيد عيدُ

وقال [من الخفيف] :

ولعمر الإلّه لولا أياديك لماتت خواطر الشعراءِ
عشت تطوي الأعياد طيَّ الأعادي في سرورٍ ونعمةٍ ورخاءِ

* * *

سائر الملح والنوادر

قال [من الوافر] :

أقرَّ اللهُ عينكِ يا جفوني فقد أعتقت من رقِّ السُّهاد
ويا عيني لك البشرى فنامي وتهنيك السلامة يا فؤادي
نزعت عن الهوى وبرئت منه إليك وكنت دهري في جهاد[3]

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا شاعراً نمتار من أفكاره الفقر الدِّقاقا[4]

---

(١) رمّ حاله : أصلحه وأقامه .
(٢) الجدّ : الحظّ .
(٣) نزعت عن الهوى : تخليت وفارقت .
(٤) نمتار : نشتري ونستخلص ، والفقر : القطع من القصائد .

شعـــرٌ لـو أنّ الشـهـد قيـــس بـه وجـدنـاه زعاقـا[1]

وقال يصف رمكة شقراء[2] [من المنسرح] :

شقــراء إلاّ حجــولٌ مؤخرها فهــي مدامٌ ورسغُهــا الزَّبد
تعــطيك مجهودهــا فراهتها في السير فالحضـر عندهـا وتد[3]

وقال [من مجزوء الرمل] :

قلــت للنّـزلـة حُلّي وانــزلــي غيـر لهاتـي
واتــركـي حلقـي بحقـي فهـو دهليـز حياتـي

وقال في غلام له كبر فأخرجه [من مجزوء الرمل] :

مـا تركنـاه وفيــه لمحــبٍّ مــن طباخ
هــدر الــطير ومـن عا داتنـا أكــل الفراخ

وقال [من السريع] :

وهامــةٍ نيطــت بهــا لحيةٌ يظلــم من قد قاسهــا باللّحى
قـد نصـل الخضـب إلــى نصفها فهــي كمثــل النمــل إذ أجنحا[4]

وقال [من المتقارب] :

فإن كنــت من هاشــمٍ في الذّرى فقــد ينبــت الشــوك وســط الأقاحي

وقال [من الطويل] :

هو البحــر إلا أنّــه عذب موردٍ ومـن عجــبٍ أنّ العذوبــة في البحر

---

(١) الزعاق : الماء المرّ الغليظ الذي لا يطاق شربه .
(٢) الرمكة : المهرة أو الفرس .
(٣) الحضر والاحضار : ارتفاع الفرس عند العدو .
(٤) الخضب : من الخضاب وهو الصباغ ، ونصل أي ذهب قسمٌ منه .

وقال [من الكامل] :

الجــوعُ يطــرد بالــرغيف اليابس ... فعــلام تكثُــرُ حسرتــي ووساوسي
والمــوت أنصف حين عدَّل قسمةً ... بيــن الخليفــة والفقير البائس

وقال [من السريع] :

كنــتُ فقيراً ثم أغنيتني ... وعــدتُ في الفقــر من الراس
كمثــل من بخّــره أهله ... وهــو علــى مجمــره فاسي[1]

وله [من السريع] :

أمــا ترى الروضــة قد نوَّرت ... وظاهــر الروضــة قد أعشبا
كأنّمــا الأرض سمــاءٌ لنا ... نقــطف منهــا كوكبــاً كوكبا

وقال [من المنسرح] :

أطعمنــي في خروفــكم خرَفي ... فجئــت مستعجــلاً ولــم أقفِ
غــدوت أرجــو طرافــه فغدتْ ... في طرفٍ والسِّمــاك في طرفِ

وقال [من الوافر] :

لقــد بان الشبــاب وكان غضاً ... لــه ثمــرٌ وأوراقٌ تـظلُّك[2]
وكان البعض منــك فمــات فاعلمْ ... متــى ما مات بعضــك مات كلُّكْ

أخذه من قول الخريمي [من الوافر] :

إذا ما مات بعضــك فابــك بعضاً ... فبعض الشــيء من بعضٍ قريبُ

---

(١) المجمر : ما يوضع فيه الجمر مع البخّور .

(٢) بان : مضى وذوى .

وقال في الزهد يخاطب نفسه [من الطويل] :

محمـدُ ، ما أعـددت للقبـر والبلى وللملـكين الـواقفين علـى القبر ؟
وأنـت مصـرٌّ لا تراجـع توبةً ولا ترعـوي عمَّـا يذمُّ من الأمر
تبيت علـى خمـرٍ تعاقـر دنَّها وتصبـح مخمـوراً مريضـاً من الخمر
سيأتيك يومٌ لا تحـاول دفعه فقـدِّمْ له زاداً إلـى البعـث والحشر

* * *

الباب السابع

٢ ـ نذكر فيه محاسن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج وغرائبه

هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسجف[١] ، ولا يبني رجل قوله إلا على سخف . فإنه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر . وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يرده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة . وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بلغات الخلديين والمكدين وأهل الشطارة[٢] . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل كما قال إبراهيم بن المهدي لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم . ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل . ولكنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه[٣] . ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك

---

(١) السجف : الستار .

(٢) مشوبة : ممزوجة ، والمكدين : الذين يستعطون الناس .

(٣) الرفث والقذع : أي فحشه وإساءته .

والأمراء ، والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله[1] ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام ، والأعمال المجدية التي ينقلب منها إلى خير حال ، وكان طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر ، تحكّم الصبي على أهله ، ويعيش في أكنافهم عيشة راضية ، ويستثمر نعمة صافية ضافية . وديوان شعره أسير في الآفاق من الأمثال ، وأسرى من الخيال . وقد أخرجت من ملحه الخالية من الفحش المفرط ، الحالية بأحسن المقرط ، ونوادره التي تسر النفس ، وتعيد الأنس .

ما يستغرق وصف ابن الرومي [من الكامل] :

شرك العقول ونزهةٌ ما مثلها ... للمطمئنٍّ وعقله المستوفز[2]
إن طال لم يمللْ وإن هي أوجزت ... ودَّ المحدث أنها لم توجز

فمن ذلك وصفه لشعره ولسخفه كقوله [من المجتث] :

فإنَّ شعري ظريفٌ ... من بابة الظّرفاء
ألذُّ معنىً وأشهى ... من استماع الغناء

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قرمٌ إذا أنشدته ... شعري البديع تهلَّلا[3]
فحسبت أن أبا عبا ... دة يمدح المتوكلا

---

(١) السفاتج : هي أن تعطي رجلاً مالاً فيعطيك وثيقة تستردُّ بها مالك من عميلٍ له في بلدٍ آخر أنت قاصده « من السفتجة » .

(٢) شرك العقول : نظمها وحبكها . والمستوفز : المتيقظ الوافر .

(٣) القرم : السيد القوي .

وقوله [من المجتث] :

إن عاب ثعلب شعري   أو عاب خفة روحي[1]
خريت في باب أفعلت   من كتاب الفصيح

وقال [من السريع] :

يا سيدي هذي القوافي التي   وجوها مثل الدنانير
خفيفةٌ من نضجِها هشَّةٌ   كأنَّها خبز الأبازير

ومن أخرى يصف فيها نفسه [من الخفيف] :

حدَثُ السِّنِّ لم يزلْ يتلهَّى   علمه بالمشايخ الكبراء[2]
خاطرٌ يصفع الفرزدق في الشعر   ونحوٌ ينيك أمَّ الكسائي
غير أنّي أصبحت أضيع في القو   م من البدر في ليالي الشتاء

ومن جملتها :

رجلٌ يدّعي النُّبوة في السخف   ومن ذا يشكُّ في الأنبياء
جاء بالمعجزات يدعو إليها   فأجيبوا يا معشر السخفاء

وقال [من مخلع البسيط] :

بالله يا أحمد بن عمروٍ   تعرف الناس مثل شعري
شعرٌ يفيض الكنيف منه   من جانبي خاطري ونحري[3]
نسيمه منتن المعاني   كأنَّه فلتة بجحر
لو جدّ شعري رأيت فيه   كواكب الليل كيف تسري

(١) ثعلب : أحد النحاة المشهورين .
(٢) حدث السنّ : صغيره .
(٣) الكنيف : المرحاض .

وإنما هزله مجونٌ يمشي به في المعاش أمري

وقال من قصيدة [من المجتث] :

ألست تعلم أنّي في غيبتي وحضوري
ما زلت فيك بمدحي أنيك أم جرير

ومن أخرى [من الخفيف] :

ويدٌ تخرج العرائس في مد حك بين الأقلام والأدراج
فاستمعها منّي ألذّ وأشهى من سماع الأرمال والأهزاج
بمعانٍ بخورها لك طيبٌ وفساها في لحية الزَّجَّاج[1]
حلقت في الطوال ذقن جريرٍ والأراجيز لحية العجّاج

وكتب إليه بعض الرؤساء [من مجزوء الرمل] :

يا أبا عبد الإله بك أصبحت أباهي
غير أن السخف في شعرك قد جاز التناهي
ولقد أعطيت من ذا ك ملاحات الملاهي
أقدمِ الآن على القو ل ولا تصغِ لناهي

فأجابه [من مجزوء الرمل] :

سيدي شكرك عندي مثل شكري لإلهي
سيدي سخفي الذي قد صار يأتي بالدواهي
أنت تدري أنه يد فع عن مالي وجاهي
ليت من عاداك عندي وهو ساهي الذقن لاهي

(١) الزّجاج : أحد النحويين .

فتـــرى لحيتـه فـــي استـــــي إلـــى الصـدغ كمـا هــي[١]

وقال [من الوافر] :

وشعـــري سخفـــه لا بدَّ منهُ ... فقـــد طبنـــا وزال الاحتشامُ
وهـــل دارٌ تكون بلا كنيفٍ ... فيمـــكن عاقـــلاً فيهـــا المقام

وقال [من الوافر] :

ترانـــي ساكنـــاً حانـــوت عطرٍ ... فإن أنشـــدت ثار لك الكنيفُ

وقال [من مجزوء الكامل] :

شـــعري الـــذي أصـــبحت فيه ... فضيحـــةً بيـــن المـلا
لا يســـتجيب لخاطـــري ... إلاّ إذا دخـل الخـلا[٢]

ومن أخرى [من الطويل] :

ألا أيُّهـــا الأستـــاذ دعـــوة شاعرٍ ... طريقتـــه فـي الشعـــر لا تتبهرج
إذا أنـــت وظَّفـــت القوافـــي فخيرها ... وإن قلَّ ما يرجـــو ومـــا يتروّج
ومـــن كان يحـــوي العطـــر دكان شعره ... فإنـــي كنَّـــاسٌ وشعـــري له مخرج[٣]

وقال من قصيدة في بعض الوزراء خالية من السخف [من المتقارب] :

وهـــذي القصيدة مثـــل العروس ... موشّحـــةٌ بالمعـــاني المـلاح
بـــلا نفحـــة من فســـا عارضٍ ... ولا وزن خردلـــةٍ من سلاح
فلـــو أنّهـــا جُعلـــت خطبةٌ ... لكانـــت تحـــلُّ عقـــود النّكاح
بعثـــت بهـــا عنبـــراً في الشتاء ... وفي الصيف كافور خرطٍ رياحي[٤]

---

(١) الإِست : فتحة المؤخّرة .
(٢) الخلا : أي المرحاض .
(٣) الكِناس : بيت الغزال في الشّجر .
(٤) الخِرط : اللبن المتعقّد ومعه ماء أصفر من داء .

فما مسحت خفشلنج الخصى ولا حنكت بلعوق الفقاح[١]
وشعري لا بدَّ من سخفه ولا بدّ للدار من مستراح[٢]

ولما غلب على شعره هذا الفن من ذكر المقاذر ، وما ينضاف إليها ، سئل يوماً ابن سكرة عن قيمة ديوان شعره ، فقال « قيمته بربخ »[٣] أي لكثرة ما يشتمل عليه مما يقع فيه ، وبلغني أن كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين ديناراً إلى سبعين ، وأنا كاسر فصلاً على ذكر ما أشرت إليه ، والحديث شجون .

* * *

قطعة من نوادره في ذلك

كتب إلى أبي أحمد بن ثوابة ، وقد شرب دواء مسهلاً [من الخفيف] :

يا أبا أحمد بنفسي أفديك وأهلي من سائر الأسواء
كيف كان انحطاط جعسك في طا عة شرب الدواء يوم الدواء[٤]
كيف أمسى سبال مبعرك النذ ل عريقاً في المرّة الصفراء
يا أبا أحمد ونصحك عندي واجبٌ في الإخاء فاحفظ إخائي
ربّ ريحٍ يوم الدواء دبورٌ شوّشت في عصاعص الأغبياء[٥]
قدّروها فساً وقد كمن الجعس لهم في مهب ذاك الفساء
فإذا الفرش في خليج سلاحٍ ذائبٌ في قوام جسم الماء
فاتق الله أن تغرّك ريحٌ عصفت في جوانب الأحشاء

---

(١) خفشلنج : « يريد المنيّ » ، ولعوق انعقاح : يريد الغائط .
(٢) المستراح : المرحاض .
(٣) البربخ : منفذ الماء ومجراه ، والبالوعة من الخزف .
(٤) الجعس : اسم الموضع الذي يقع فيه الجعموس وهو القصير الدميم .
(٥) الدبور : الريح الغربية والعصاعص : جمع عُصْص : عظم الذنب أو المؤخرة في الإنسان .

لا تنفّسْ خناق سرمك عنه أو تخلّي سبيله في الخلاء[1]
والغذاء الغذاء فاحذر بأن تفسو فوق الفراش بعد الغذاء
احترس إنها نصيحة شيخٍ حنّكته تجارب الآراء

وأهدى إليه صديق له نبيذاً وكتب له [من السريع] :

مدامةٌ تمريّةٌ صافيه تلبس من يشربها العافيه
زففتها طوعاً إلى شاعرٍ ما وقفت قطُّ له قافيه

فصادف وصول النبيذ خلفة عرضت له فكتب إليه [من السريع] :

مولاي قد أحسستُ لما أتى شعرك بالعافية الشافيه
لكنّني في صورةٍ للخرا جملتها مقنعةٌ كافيه
قد كتبت سطراً على عصعصي هذا لسلطان الخرا ضافيه

وقال يهجو [من مجزوء الكامل] :

ولقد عهدتك تشتهي قربي وتستدعي حضوري
وأرى الجفا بعد الوفا مثل الفسا بعد البخور
يا خرية العدس الصحيح النيء والخبز الفطير
في جوف منحلِّ الطبيعة والقوى شيخٍ كبير
يخرى فيخرج سرمه شبرين من وجع الزحير[2]
يا فسوةً بعد العشا بالبيض واللبن الكثير
وفطائرٍ عجنت بلا الملح الجريش ولا الخمير
يا ضرطةَ الشيخ المبجّل بين حسادٍ حضور

---

(١) السُرم : عنق المخرج .
(٢) الزحير : مرض يستطلق معه البطن فيخرج منه دم ومخاط مع ألم .

يا ريح سرقين البغا ل يداف في بول الحمير[1]
يا نتن رائحة الطبيخ إذا تغيَّر في القدور
يا عشَّ بيض القمل فرَّ خ في السوالف والشعور
يا بول صبيان الفطا م ويا خراهم في الحجور
يا بغض تدخين الجشا في الصوم من تخم السحور[2]
يا حرَّ قولنج البطو ن وبرد أعصاب الظهور
يا ذلَّة المظلوم أصبح وهو معدومُ النصير
يا سوء عاقبة التعقّد عند تمشية الأمور
يا كلَّ شيءٍ متعبٍ متعقّدٍ صعبٍ عسير
يا حيرة الشيخ الأصمِّ وحسرة الحدث الضرير
يا قعدةً في دجلةٍ والريح تلعب بالجسور
يا قرحةَ السِّلِ التي هدَّتْ شراسيف الصدور[3]
يا أربعاءُ لا تدو ر به محاقات الشهور[4]
يا هدَّة الحيطان تنقض بالمعاول والمرور
يا قرحةً في ناظرٍ غلطوا عليها بالذرور[5]
فتسلَّخت مع ما يليها في الجفون من البثور
يا خيبةَ الأمل الذي أمسى يُعلَّل بالغرور
يا غلمة المتخدرا ت وراء أبواب القصور
يا ملتقى سعف الأيو ر على عراجين البظور
يا وحشة الموتى إذا صاروا إلى ظلم القبور

---

(١) سرقين البغال : زبلُها . ويداف : يخلط .
(٢) الجشا : الصوت الذي يخرج من الفم عند الشبع وامتلاء المعدة .
(٣) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو طرف الضلع اللّين المشرف على البطن .
(٤) المحاقات : الأوقات التي يكون فيها القمر محتجباً .
(٥) الذرور : ما يذرُّ في العين من دواء يابس .

يا ضجرة المحموم بالـــغدوات من ماء الشعير
يا شؤم إقبال الشتا ء أضرّ بالشيخ الفقير
يا دولة الحزن التي خسفت بأيّام السرور
يا ضجّة الصخب المصدّ ع ذي التنازع والشرور
يا عثرة القلم المرشّش بين أثناء السطور
يا ليلة العريان غـــبَّ عشية اليوم المطير[1]
يا نومةً في شمس آ ب على التراب بلا حصير
يا فجأة المكروه في الـــيوم العبوس القمطرير[2]
يا نهشة الكلب العقو ر ونكهة الليث الهصور[3]
يا عيش عانٍ موثقٍ في القيد مغلولٍ أسير[4]
يا حدَّة الرمد الذي لا يستفيق من القطور
يا حيرة العطشان وقت الظهر في وسط الهجير
من لي بأن تلقاك خيلُ بني كلابَ بلا خفير
وأرى بعيني لحمك الـمطبوخ في نار السعير
في الأرض ما بين السبا ع وفي السما بين النسور

وقال في المهلبي الوزير [من الخفيف] :

قيل إنَّ الوزير قد قال شعراً يجمع الجهل شملُهُ ويعمُّهْ
ثم أخفاه فهو كالهرِّ يخرا في زوايا البيوت ثم يطمُّهْ
ليتني كنت حاضراً حين يرويه فأفسو في راحتي وأشمُّهْ

---

(١) غبَّ : بعْدَ وعِقْب .
(٢) القمطرير : الشديد .
(٣) العقور : الذي يعضّ .
(٤) العاني : الفقير الموجع .

وقال [من المتقارب] :

وذي همّـةٍ في حضيض الكنيف ... وقـرنين فـي فلك المشتري
دخلـت عليه انتصـاف النهار ... علـى غفلـةٍ حين لم يشعر
وبين يديه رغيفـان مع ... سكرجـة كـان فيهـا مري[1]
فلمّـا قعـدت فسا فسوةً ... فلـم تخـطِ عصفتهـا منخـري
وأقبـل يضـرط في إثرها ... فقلـت أقـوم وإلاّ خري

وقال في شيخ بني بعجوز [من مخلع البسيط] :

أفصـحْ ودعنـي من الرموز ... قد دخـل الشيخ بالعجوز
مـن لي بهـا حين ضاجعته ... في ذلك الموضـع الحريز
فكنـت أخـرا علـى زليخا ... وهـي إلـى جانـب العزيز

وقال وقد ركب إلى قوم فوجد بعضهم نائماً وبعضهم شارب دواء [مـن مجـزوء الرجز] :

قـد أصبحـوا كمـا ترى ... ما بين نومٍ وخرا
قـومٌ برئـت منهـمُ ... لأنَّهـم منـي بـرا
مـا إنْ أرى مثـلاً لهمْ ... ولا أرى أنـي أرى

وقال وقد عاتب إنساناً على زلة فجاء بأكبر منها [من مجزوء الخفيف] :

لـي صديـقٌ جنـى علـيَّ ... مـراراً فـأكـثـرا
ثـم لمّـا عتبته ... غسـل البـول بالخـرا

وقال [من مجزوء الرجز] :

فقـدت بختـي إنَّـهُ ... مـا زال بختـاً قـذرا

---

(١) السكرجة : الإناء الصغير يؤكل فيه الشيء .

لـو كـان شيئـاً ناطقاً لكـان شيخـاً أبخـرا
مـن حيث ما درتُ بـه لطَّخ وجهـي بالخـرا

وقال [من السريع] :

يقـول قومٌ أبصرونـي وقدْ تلفـتُ مـا بينهـم سِكْرا
قم بالحـق الظهـر ولـو ركعةً فالنـاس قد صلّـوا بنـا العصرا
فقلـت ما أحسـن ما قلتُمُ أقـوم حتـى ألحـقَ الظهرا
أقـوم والركعـة مـن عنـدَ من نعـم وإن قمـت فمـن يقرا
قالـوا فلا تسـكر فلسنـا نرى لعاقـلٍ في سكـره عذرا
والله لولا السـكر يا سادتي ما ذقـت مطبوخـاً ولا خمرا
قالـوا فهـذا السـكر ما حدُّهُ فقلـت حدُّ السـكر أن أخرا

وقال [من المنسرح] :

قومـي تنحـّي فلسـتِ من شاني قومـي اذهبـي لا يراك شيطاني
لا كان دهـرٌ عليك حصّلني ولا زمـانٌ إليـك ألجاني
قعـدت تفسين فوق طنفستي مـا بين راحـي وبيـن ريحاني
فمـا عدمنـا مـن الـكنيف إذا حضـرتِ إلاّ بنـات وردان[1]

سمعت ميمون بن سهل الواسطي يقول : حضرت مجلس الصاحب ليلة بجرجان في جماعة من الفقهاء والمتكلمين كالعادة كانت عنده في أكثر ليالي الأسبوع ، فلما امتد المجلس وخالط النعاس بعض الأعين وجد الصاحب رائحة تأذى بها وتأفف منها، فأنشد هذه الأبيات المتقدمة :

* قومي تنحي فلست من شاني *

---

(١) بنات وردان : دواب .

وجاء الفراشون بالندّ فتلافوا تلك الفرطة ، وتقوَّض المجلس .

وقال في شهر رمضان وقد جاء في آب [من مخلع البسيط] :

شهرٌ أراه يلجُّ مع منْ ... يغتاظ من طوله ويدردْ[1]
فالبول قد جفَّ من حماه ... في الجوف والجعس قد تقدَّدْ[2]

وكان ضمن فرائض الصدقات بسقي الفرات ، واستخلف على نواحي فم النيل. خليفة فكتب إليه [من السريع] :

الحمد لله وشكراً له ... والله أهل الحمد والشكر
يا أيها الذئب الذي اخترته ... خليفة ينظر في أمري
أوصيك بالأغنام شراً وهل ... يوصي أبو جعدة بالشرِّ[3]
امش إليها مشية الليث أو ... فاحملْ عليها حملة البر
ولا تدع في النيل من إثرها ... إلا بقايا الصوف والبعر
أنظر إلى السكباج من شمِّها ... أو مرَّ مجتازاً على القدر[4]
فاقبض على لحيته واحترزْ ... من حيلةٍ في أمرها تجري
أريد أن تحصي طاقاتها ... وكلَّ ما فيها من الشعر
اعمل بها لي عملاً جامعاً ... مستظهراً فيه كما تدري
واحذر إذا وفَّيتها في غدٍ ... أن ينقص الكيل عن الحزر[5]
حتى إذا جئتك سلَّمتها ... بذلك الإحصا إلى جحري
أوصيك في القوم بهذا الذي ... عقدته في السرِّ والجهر

---

(١) يدرد : يغتاظ ويحرد .

(٢) الجعس : القصير الدميم « يعني قضيبه » .

(٣) أبو جعدة : من كنى الذئب .

(٤) السكباج : مرق يتخذ من اللحم والخلّ .

(٥) الحزر : التقدير والتخمين .

وكيف لا أوصي بهذا وقد بليت منهم ببني البظر
واضطرني جور زماني إلى معيشةٍ تزري على الحرّ
والدّهر قد صارت به هيضةٌ فنحن غرقى في خرا الدهر[1]

وقال في ابن سكرة [من مجزوء الخفيف] :

سلحةٌ بعد قرقره من سلاح المزوّره[2]
باتت الليل كلّه جوف بطني مخمّره
ثم رامت تخلُّصاً فاغتدت ذات طرطره
ثم سارت كأسهمٍ عن قسيٍّ موتّره
فأصابت بوثبةٍ جوف ذقن ابن سكره

وقال لأبي الفضل الشيرازي لما تقلد الوزارة، وعرض بأبي الفرج بن فسابخس [من مخلع البسيط] :

سعدك للحاسدين نحسٌ وهمْ ظلامٌ وأنت شمس
ارفقْ عليهم فلن يعودوا إليك حتى يعود أمس
فأنت تحت الظلام تسعى وذاك تحت اللحاف يفسو

وكان يوماً جالساً بجنب الدست في دار أبي الفرج فسابخس ، فعرضت له حاجة إلى الخلاء فبادر ورجع ، فسئل عن مبادرته فقال [من مجزوء الرجز] :

يا سائلي عن خبري زاحَمَ جوفي قذري
فكدت أن أخرى على دست الرئيس الطبري
فقمت أعدو حافياً وقد تغشّى بصري
حتّى خريتَ خريةً مثل الخبيص الجزري

---

(١) الهيضة : انطلاق البطن .
(٢) المزوّره : المؤخّرة .

كأنّهـا مـن عُظْمهـا روثـة كـرشٍ بقـري

وقال [من المجتث] :

أبـا الحسين بن نصر أبشـر بعـزٍّ ونصـر
فأنـت في الصـدر أحلى من المنـى جوف صدري
وليت لحيةَ من لا يهـواك في جوف حجري
مـن أين مثلـيَ حرٌّ أو سفلـةٌ غيرُ حرٍّ
خـراي عنـد القوافـي وذقـن غيـري بشعـري
ومـن تـكـلّـف فـي الـشـعـر نـظـم سـبـحـةِ درٍّ[1]
نظمـت مـن مثـل طبعي الـخـسيس سـبـحـة بـعـر
وجملـة القـول أنّـي إحـدى عجـائب دهـري
قـد درّ ضرعـي علـى ما تـرى فللّـه درّي[2]

وقال في إنسان طبري مات بالقولنج [من مجزوء الرجز] :

يـا غصّـةَ المـوت افغري فـاك لروح الطبـري[3]
حتّـى تمجيهـا علـى علاّتهـا فـي سقرِ
يـا أيُّهـا الشـاوي الذي أفلـح لو كان خري
لمثـل ذا اليوم يقا ل من خري فقـد بُري

وقال يستميح شراباً [من الوافر] :

ألا يا إخوتـي وذوي ودادي دعـاءُ فتـىً إجابتـه مناهُ
زيادة دجلـةٍ والـورد غضٌّ قد استولـى علـى قلبـي هواهُ

---

(١) السبحة : عقد من الخرز أوغيره يحمل في اليد للتسلية أو للتسبيح « المسبحة » .
(٢) درّ ضرعي : الدرّ : خروج اللبن ، والضرع : في الحيوانات حيث يجتمع الدرّ « الثدي » .
(٣) افغري : افتحي .

فهـذي ليس يفتنني سواها   وهـذا ليس يسبيني سواه
أمـا فيكم فتـىً يرثي لصحوي   فيسقيني المشـوم ولـو خراه[1]

وقال [من السريع] :

يا عيني السفلى لحى سادتي   قد شهـدت بالـزُّور فاستعبري
أبكي عليهـا كلّما سرحت   في استي بدمـعٍ سلسٍ أصفر

واتخذ دعوة كبيرة في أيام عز الدولة ، ودعا إليها أقواماً شتى من رجال الدولة وقال [من مجزوء الرجز] :

قـل للأمير المرتجى   مـن جاءني فقـد نجا
ومـن أبى فذقنه   في عصعصي قـد لجًّا
يسبـح في بحـر خرا   إذا جـرى تموّجا
وهـا هنـا حكمٌ إذا   كوى لحـاهـم أنضجا
مـن لم يجـيء فذقنه   في است الذي استدعي فجا
فقـل لمـن لجـج في   جوابـه أو مجمجـا[2]
سبـالك المحفـوف قـد   حرّك منّي مخرجا[3]
مـؤزّراً بالجعس فـي   حـافـاتـه مصهـرجـا
فيـه خراً معتّـقٌ   كالبـنّ حيـن كرّجا[4]
تـدفعـه مقعـدتـي   بعـد العشـا ملهوجـا[5]
مـن قبـل أن تطبخه   طبيعتي فينضجـا

---

(١) المشوم : الشراب .
(٢) لجّج : تردّد في الكلام ، ومجمج الحديث : لم يبيّنه .
(٣) سبالك : الشارب « ما فوق الشفة العليا من الشعر » .
(٤) كرّجا : فسُل وعلته خضرة .
(٥) ملهوجا : مخلوطاً ، أو لم ينضج .

مـــن كلٍّ من سرمـــي إلى لحيتــه قـــد التجا
عاشـــرت باستـــي ذقنه فامتــزجـــا وازدوجـــا
وصـــعـــــدا ونـــزلا ودخـــــلا وخرجـــا
ولـــن تـــرى أحســـن من ذقـــنٍ تــواخـــى شرجا[١]

وقال من أخرى [من السريع] :

أنظـــر لهـــرون وقـــد جاءني يطمـــع أن يبتزّنـــي ضيعتي
جذبـــت قوس استـــي في وجهه فقرطســـتْ لحيتــه ضرطتي[٢]

ومن أخرى في قائد من الأتراك أراد أخذ داره [من الخفيف] :

إن أطفـــالـي الـــذين تراهم حول ناري في الليل مثـــل الفَراش
أتـــرى ما شممـــت ريح فساهم حين باكرتنـــي وهـــم في الفِراش
وجعيساتهـــم خـــلال الزوايـــا مثـــل ذرق الفـــراخ في الأعشاش[٣]
لا ترمهـــم واقبـــلْ نصيحـــة رأيي لك واحـــذر مغبَّـــة الغُشَّاش

وقال من أبيات وقد دخل على رجل اسمه عمرو والمـزين يحفـى شاربـه [مـن الخفيف] :

قد لعمـــري فارت طبيعـــة حجري منـــذ أحفـــى المقـــراض شارب عمر
كلمـــا قصَّ شعـــرةً صرَّ منها عصعصـــي النـــذل أو تفرقـــع ظهري

وقال من قصيدة في الوزير وقد أراده على الخروج معه لقتال أهل البطيحة [من المنسرح] :

يا سائلـــي عن بكاي حين رأى دمـــوع عينـــي تسابـــق المطرا

---

(١) الشرج : مخرج الغائط .
(٢) قرطست : أصابت .
(٣) ذرق الفراخ : سلحها .

ساعة قيل الوزير منحدرٌ أسرع دمعي وفاض منحدرا
وقلت يا نفس تصبرين وهلْ يعيش بعد الفراق من صبرا
شاورته والهوى يفتِّنه والرأي رأيُ الصواب قد حضرا
أهوى انحداري والحزم يكرهه وتارك الحزم يركب الغررا[1]
لأنّني عاقلٌ ويعجبني لزوم بيتي وأكره السفرا
الخيش نصف النهار يعجبني والماء بالثلج بارداً خصرا[2]
والشرب في روشني أقول به كما أرى الماء منه والقمرا[3]
ولا أقود الخيل العتاق بلى أسوق بين الأزقّة البقرا
من كلِّ جاموسةٍ لعنبلها رأس بقرنيه يفلق الحجرا[4]
قد نفخ الشّحم جوفها فغدا كأنَّهُ بطن ناقةٍ عشرا[5]
لما أتتني بالليل مقبلةً وثوبها بالخرا قد ائتزرا
تركض مثل الحصان نافرةً ومن يردُّ الحصان إن نفرا ؟
مدّ ذراعي في سرمها لبباً وسدّ أيري في سرمها شعرا[6]
أحسن في الحرب من صفوفكم غداً قعودي أصفف الطُّررا
وأنتف الشعر من جبين حرٍّ لطفت في نتفه وما شعرا
أو مبعرٍ جعسه يطالعني من كوّة الباب كلّما زحرا[7]
هيهات أن أحضر القتال وأن ترى بعينيك فيه ليَ أثرا
بل الذي لا يزال يعجبني الدبيب بالليل خائفاً حذرا

---

(١) الغررا : الجهل .
(٢) الخيش : الشراب البارد ، والخصر : البارد .
(٣) الروشن : الكوّة .
(٤) العنبل : البظر الطويل .
(٥) العُشراء : الحامل من النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر .
(٦) اللّبب : ما يشدّ من سيور السرج في صدر الداية ليمنع تأخر السّرج أو الرّحل .
(٧) زحرا : أخرج صوته أو نفسه مع أنين .

أنـا إلـى تلك وهـي نائمةٌ   وذا إلـى ذاك بعـد ما سكرا
وضجّـة النيك كلّمـا ضرطتْ   واحـدةٌ تحت واحـدٍ نخرا
وقـول بعض المميّزين وقـد   شمَّ فسانـا بأنفـه سحرا
في جعس هذا فطـورةٌ وأرى   أنّ خرا تلك بعـد ما اختمرا
الـدفُّ يوم الصبـوح دبدبتي   وبوقـي النـايُ كلّمـا زمرا
وخريتـي كلمـا رميت بها   مقتـل ذقـنٍ خضـبتها بخرا
هذا اعتقـادي وهـكذا أبداً   أرى لنفسـي فأنـت كيف ترى

وقال [من المجتث] :

إذا تغنّـى سليـمٌ   عـاق المسرَّة عنّـي
وافـى بـذقـن سخيـف الـ   ـمغنـي وجئـت ببـطني
فلحيـة التيـس منه   وسـلحة الفيـل سنّـي

* * *

ملح مما يتمثل به من أحوال السلف

قال من قصيدة في أبي الفضل الشيرازي [من مخلع البسيط] :

النـاس يفـدونـك اضطراراً   منهـم وأفـديك باختيـاري
وبعضهـم فـي جوار بعضٍ   وأنـت حتـى أمـوت جاري
فـعـشْ لخبـزي وعش لـمـائـي   وعش لـداري وأهـل داري
يـا مـن بـإحسانـه بلغـت السـ   ـمـاء فـي الـعـزّ والـيـسار
فـاليوم قارون في غناه   عبـدي وكسـرى ركاب داري

وقال [من السريع] :

يا من يدي من خيره فارغهْ   ملّيت لبس النعمـة السابغه[1]

---

(١) السابغة : الوافية الفضفاضة ويقال : درعٌ سابغة .

قــد هشمــتْ رأســي بأحجارها ألفــاظـك الهاشــمـة الدامغه
فيا أبــا قابــوس في ملكه رفقــاً أبيت اللعــن بالنابغه

وقال [من السريع] :

إنّـك إنســانٌ له موقعٌ من ناظـري في جوف إنسانه[١]
فكيف تخشــى هجــو من مدحه فيك يـرى أوّل ديوانه
ومــن له في شعــره مذهبٌ ذكرك فيـه نَوْرُ بستانه
تمضـي لياليـه وأيامُـهُ وسـرُّه فيـك كإعلانـه
ولســت ممــن يخلــط الكفــر في شكــر أياديـك بإيمانـه
قلْ للــذي جهّــز في السعــي بي بضــاعـةٌ عـادت بخسرانـه
لا تغتــرْ أنّــك من فارسٍ في معــدن الملك وأوطانه
لو حدثّــتْ كســرى بذا نفسه صفعتــه في وسْــطِ إيوانـه

وقال في بختيار [من المنسرح] :

فديت وجــه الأمير من قمرٍ يجلــو القــذى نوره عن البصر
فديت من وجهــه يشككني في أنّــه من سلالــة البشـر
إن زليخــا لو أبصرتْــكَ لما ملّــتْ إلــى الحشــر لذّة النظرِ
ولــم تقسْ يوسفــاً إليك كما نجــم السُّهــى لا يقــاس بالقمرِ
وكان يا سيدي قبــاك إذا هربــت منهــا ينقــدُّ من دُبُرِ[٢]
بل وحياتــي لو كنــت يوسفها لم تك من تهمــة العــزيز بري
لأنني عالــمٌ بأنّــك لــو شممــت ريّـا نسيمهــا العطر
سبقتهــا وانــزبقـت تتبعها ما بين تلك البيوت والحجر[٣]

---

(١) إنسان العين : البؤبؤ .
(٢) قباك : ثوبك .
(٣) انزبقت : دخلت .

ولـم تزل بالـكدين تقصرها ... من قبـل وقـت العشـا إلـى السحر[1]
وقـد علمنـا بأنّ سيدنـا ال ... أمير ممَّـن يقـول بالبظر
ولـم تكن تلك تشتـكي أبداً ... ما كان من يوسفٍ من الحذر
طبعـك كالمـاء في سهولته ... لكنْ أبـو الزبرقـان من حجر
إنّ الملـوك الشبـاب ما خلقوا ... إلاّ صلاب الفياش والكمر[2]

وقال [من السريع] :

إنَّ بنـي برمـك لو شاهدوا ... فعلـك بالغـائـب والشاهـدِ
ما اعتـرف الفضـل بيحيى أباً ... ولا انتمـى يحيى إلـى خالدِ

وقال [من المنسرح] :

وكاتـبٍ بارعٍ بلاغتُهُ ... تجلـو علينـا كلام سحبانِ
وخطُّـه والكتـاب في يده ... ينثـر درّاً أمـام مرجان
لـو كان عنـد المأمـون جوهره ... أهـداه أو بعضـه لبوران[3]

وقال في رجل سقطت امرأته من السطح فماتت [من الطويل] :

عفـا الله عنهـا إنّهـا يوم ودّعت ... أجـلُّ فقيدٍ في التـراب مغيّبِ
ولـو أنّهـا اعتلّـتْ لكان مصابُها ... أخفَّ علـى قلـب الحـزين المعذبِ
ولـكنْ رأت في الأرض أفعـى مجدلاً ... على قدر غرمـول الحمـار المشغّب[4]
فظنّتـه أيراً والظنـون كواذبٌ ... إذا أخبـرت عن عام ما في المغيَّبِ
وأهـوت إليه من يفـاعٍ ودونه ... ثمانـون باعـاً في علـوٍّ مصوّب[5]

---

(١) الكدين : من الكِدن ، الشحمُ واللحم ، والكدَن : ثوب للخدر ومركب للنساء .
(٢) الفياش : الذكور . والكمر : العقدة التي في الذّكر .
(٣) بوران : زوجة المأمون وابنة الحسن بن سهل وزيره .
(٤) غرمول الحمار : ذكـره .
(٥) اليفاع : التلّ وما ارتفع من الأرض .

فصـارت حديثـاً شاع بين مصدّقٍ تحقّقـه علمـاً وبين مكذّبِ
سعـى الطمـع المـردي إليهـا بحتفها ومـن يمتثـل أمـر المطامـع يعطب
فأعظـم يا هذا لك الله ربُّها وربُّـك أجر الثّـكلِ في شاة أشعب

قيل لأشعب : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، شاة كانـت لي على سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل قت[1] ، فأهوت إليه واثبة ، فسقطت من السطح فاندقت عنقها .

وسأل الهنكري مغني سيف الدولة ابن حجاج أن يصنع شعراً يغني به بين يدي صاحبه فقال [من المتقارب] :

أميري يا من ندى كفُّه يزيد على العـارض الممطرِ
أرى يومنـا يوم كأسٍ تدو ر من يد ذي دعـجٍ أحور[2]
وأبيض يحـدوك سكر الغرام علـى لثم شاربـه الأخضر
بحمـرة وجنته تستدلُّ علـى أنـه من بنـي الأصفر[3]
وأنّـك مـن دونـه قـد ضربـت هـامة ذي لبـدةٍ قسـور
وشعـر ابـن حجّـاج يا سيدي يغنّـي به عبـدك الهنكري
غنـاءٌ وشعـرٌ لنـا يجمعا ن مـا بين زلـزل والبحتري

وقال [من البسيط] :

غداً أراه علـى عبـل الشـوى مرحٍ والخيل من حوله مثـل الحصـى عددا
في خلعـةٍ لو رآهـا يوم يلبسها نمـرود قبّـل وجـه الأرض أو سجدا

(١) القت : الفصفصة اليابسة ، أو القتات وهو نوع من النبات .
(٢) الدعج في العين : سعتها مع اشتداد سوادها وبياضها .
(٣) بني الأصفر : الروم .

وقال [من المنسرح] :

يا من إذا ما اختللتُ أيَّدني ومن إذا ما ضعفت قوّاني
ابق لي اليوم ضعف ما بقَّيتْ أمس نسورِ الحكيم لقمان

وقال [من السريع] :

يا درَّة الملك ويا غرَّةً في وجه هذا الزمنِ الأدهمِ[1]
تراب نعليك على ناظري أعزُّ من عيسى على مريم

وقال [من السريع] :

فتى له عزمٌ إذا كلَّتِ السيوف مثل المرهفِ الصارمِ
وراحةٌ لو صفعت حاتماً تعلَّم الجود قفا حاتمِ

ومن أخرى [من المنسرح] :

هذا حديثي تنمي عجائبه بكثرة القال فيه والقيل
أعجزني دفنه فشاع كما أعجز قابيل دفن هابيل[2]

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

وأبرصٍ من بني الزواني ملمَّعٍ أبلق اليدين[3]
قلت وقد لجَّ بي أذاه وزاد ما بينه وبيني
يا معشر الشيعة الحقوني قد ظفر الشمر بالحسين

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

كلٌّ خفيف الرجلين ثقلُ خفَّة رجليه بالحديدِ

---

(١) الأدهم : الأسود .

(٢) قابيل وهابيل : إبنا آدم عليه السلام .

(٣) الأبلق : ما كان في لونه سواد وبياض .

أُذِقْــهُ من غبٍّ ما جناه ما ذاق يحيى من الرشيد

ومن أخرى [من السريع] :

واستــوف عمــر الدهــر في نعمةٍ دون مداهــا موقف الحشر
مصيبــةُ الحاســد في مكثها مصيبــة الخنســاء في صخر

ومن أخرى [من البسيط] :

يا من يعادي الهــوى جهــلاً بموقعه ولا يزال يعــادي المــرء ما جهلا
أمــا رأيت الهــوى استولــى بفتنته علــى النبيين واستغــوى بهــا الرسلا
فإن شككت فســلْ زيداً بقصته وأورياء يقــولا الحــق إن سئلا[1]
لم بتَّ هذا طلاقــاً حبــل زوجته وذاك في رقعــة التابــوت لم قتلا

ومن أخرى [من السريع] :

مولاي يا من كلُّ شيءٍ سوى نظيره فــي الحســنِ موجودُ
إن كنــت أذنبــت بجهلــي فقد أذنــبَ واســتغفــر داود

ومن أخرى [من الرمل] :

ملكٌ لو لم يكن من ملكه غير دارٍ وُشِّحــتْ بالنّعمِ
لو رمــى شدّاد فيهــا طرفهُ زهّدتــه بعدهــا فــي إرمِ

وله ، وقد خرج هارباً من غرمائه [من المنسرح] :

هربــتُ من موطنــي إلــى بلدٍ قد صفّــر الجــوع فيه منقاري
يقــول قومٌ فرَّ الخسيس ولو كان فتــىً كان غير فرّار
لا عيب لا عيب في الفــرار فقدْ فرّ نبــيُّ الهــدى إلــى الغار

---

(1) يزعم القصاصون أن أوريا جندي من جند داود عليه السلام ، وأن داود فتن بامرأته ، وأنه طلبها لنفسه ، واحتال لذلك فبعثه في قتالٍ ليموت فيه .

ملح من سائر أمثاله في الجد والهزل
الواقعة في فنون نوادره

قال [من مجزوء الرجز] :

جميع ما لي صَدَقَهْ لأكسرنَّ فستقه
فبسّ كم تهذين يا سنديةً مطلَّقه[1]
لا بدّ للسندان أن يصبر تحت المطرقه
وفيشتي لا بدّ أن أسبكها في البوتقه
لا بد أن أطعن بالـ ـمردي صميم الدرقه
وأن أمرّ الميل في جوف سواد الحدقه
تريد مني أترك اللـ ـحم وأحسو المرقه !
ليس الثريد بابتي بسّي من الملبّقه[2]
أريد من لحم است من أعشقها مدقّقه
أح!ب أن لا تشفقي عدمت هذي الشفقه
وكلُّ شاةٍ في غدٍ برجلها معلّقه
لا بدّ من أن يقع الـ زرفين جوف الحلقه[3]

وقال [من المنسرح] :

أخشى على حسبتي العدو وفي الـ ـناس لمثلي أصادقٌ وعدي
هرٌّ يراني وفي فمي غددٌ والهرُّ بالطبع يألف الغَدَدا
وإن تغافلت عنه غافصني واستلب الكرش من يدي وغدا[4]

---

(١) بسّ : صوت للزجر .
(٢) الثريد : طعام من خبزٍ مفتّت مبلولٌ بمرق ، وبابتي : الغاية والشرط والصنف .
(٣) الزرفين : حلقةٌ للباب .
(٤) غافصني : فاجأني على حين غرّة .

وقال [من السريع] :

قد وقع الصلح على غلتي فاقتسموها كارةً كاره[1]
لا يدبر البقّال إلاّ إذا تصالح السّنور والفاره

وقال ، وقد سأل صديق عن حاله والعمال يصادرونه [من الرمل] :

أيُّها السائل عن حا لي أنا المضروب زيدُ
وأنا المحبوس لكنْ ليس في رجليَ قيدُ

وقال [من المجتث] :

وقائلٍ هو رأس الـ ـعمال بين الناس
والرأس يصلح إن لم ينفعك للروّاس
هذا هو الحقُّ والحقُّ ما به من باس

وقال [من السريع] :

فقرٌ وذلٌّ وخمولٌ معاً أحسنت يا جامع سفيان[2]

وقال [من المنسرح] :

الحمد لله إنَّ لي أملاً أنا إلى الخصِّ منه أستند[3]

وقال [من الكامل] :

إن كنت تحتقر العتاب تكبُّراً فالفيل يعمل فيه قرصُ البرغش[4]

---

(١) الكارة : حمل معلوم الوزن والمقدار من الطعام .
(٢) جامع سفيان : مثل يضرب لكثرة الاحاطة .
(٣) الخصّ : العناية والفضل ، والخُصّ بالضم : البيت من القصب .
(٤) البرغش : البعوض .

وقال [من المتقارب] :

وما الشيء للمرء يحتاله ولكنّه للفتى يرزقُه

وقال [من الوافر] :

دعوت نداك من ظمئي إليه فعنّاني بقيعتك السرابُ[1]
سرابٌ لاح يلمع في سباخٍ فلا ماءٌ لديه ولا شراب[2]
وليس الليث من جوعٍ بغادٍ على جيفٍ تحيط بها كلاب

وقال [من الخفيف] :

مستحيل المعنى يصلّى إلى الحشر ويخرى في جانب المحراب

* * *

أنصاف أبيات له وأبيات في الأمثال

قال [من الطويل] :

* وربَّ كلامٍ تستثار به الحربُ *

وقال [من السريع] :

* حتّى متى ترقص في زورقي ؟ *

وقال [من الكامل] :

* خودٌ تزفُّ إلى ضريرٍ مقعدِ *

---

(١) عنّاني بقيعتك السراب : أي أتعبني الأمل الكاذب .
(٢) السِّباخ : من الأرض : ما لم يفلح ولم يعْمَر لملوحته .

وقال [من الكامل] :

* أصبحت أخلقُ منك بالزِّبدِ *

وقال [من المنسرح] :

* تفور من نصف خوصةٍ قِدْري *

وقال [من الرجز] :

* فقلتُ من يفسو على الكنيف *

وقال [من الوافر] :

عجبت من الزمان وأيّ شيءٍ عجيبٍ لا أراه من الزمانِ
أتأخذ قوت جرذانٍ عجافٍ فتجعله لأوعالٍ سمانِ[1]

وقال [من الوافر] :

وقد غمزوا مع العيدان عودي ليختبروا الصحيح من المريب[2]
فلان الخروع الخوّار منّا وبان تكرُّم النبع الصليب[3]

وقال في بوابٍ أعور حجبه عن رئيس [من السريع] :

سمعت فيمن مات أو من بقي بمقبلٍ بوابه أعورُ
واللّوزة المرة يا سيدي يفسد في الطعم بها السُّكر

وقال [من المنسرح] :

ولي شفيعٌ إليك شرّفني إيجابه لي وزاد في قدري

---

(١) عجاف : هزال .

(٢) غمزوا : جسّوا وعصروا .

(٣) النبع : شجرٌ تصنع منه القسي ، والصليب : الذي لا يسهل كسره .

نبَّهــت منــه لحاجتــي عمراً ولــم أعــوّل فيهــا علــى عمرو

يريد قول بشار [من المتقارب] :

إذا أيقظتــك حروب العدا فنبِّــه لهــا عمــراً ثم نمْ

وللآخر [من البسيط] :

المســتجير بعمــروٍ عنــد كُربتهِ كالمســتجير من الرمضــاء بالنار[1]

وقال [من الوافر] :

عذرتُ الأســد أن صَليت بناري مخاطــرةً فمــا بال الكلاب
وأزواج الحرائــر لم يجابوا لديَّ فكيف أزواج القحاب ؟

وقال ـ وقد قال له بعض الرؤساء : ما أشبهك في الإبرام إلا بابن أبي رافع ـ [من السريع] :

ضربــت في الإبــرام يا سيدي لي مثــلاً بابــن أبــي رافع[2]
فقلــت في ذلك : لا تعجبوا من متخــمٍ يفســو علــى جائع

وقال [من البسيط] :

إنّــي بليت بأقــوامٍ مواعدُهم تزيدنــي فوق ما ألقــاه من محنٍ[3]
ومــن يذقْ لسعــة الأفعى وإن سلمتْ منهــا حشاشتــه يفــزعْ من الرسن

* * *

(١) الرمضاء : الحرّ الشديد .

(٢) الابرام : العقد .

(٣) الحشاشة : الروح والنفس .

الشكوى ووصف سوء الحال

قال في ابن العميد [من الوافر] :

فداؤك نفس عبدٍ أنت مولى ... له يرجوك يا خير الموالي
حديثي منذ عهدك بي طويلٌ ... فهل لك في الأحاديث الطوال
وجملة ما يعبّره مقالي ... حصول استي على حرّ المقالي
وأنّي بين قومٍ ليس فيهمْ ... فتىً ينهى إلى الملك اختلالي
فلحمي ليس تطبخه قدوري ... وحوتي ليس تقليه المقالي
ومائي قد خلتْ منه جبابي ... وخبزي قد خلت منه سلالي
وكيسي الفارغُ المطروح خلفي ... بعيدُ العهد بالقطع الحلال
أفكّرُ في مقامي وهو صعبٌ ... وأصعب منه عن وطني ارتحالي
فبي مرضان مختلفان حالي الـ ... ـعليلة منهما تمسي بحال
إذا عالجت هذا جفّ كبدي ... وإن عالجت ذاك ربا طحالي[1]

وكان يكتب في حداثته لرئيس ، فتأخر عنه ، فكتب يسأله عن حاله في تأخره فكتب إليه [من السريع] :

سألت يا مولاي عن قصّتي ... وما اقتضى بالرسم إخلالي[2]
ليست بجسمي علةٌ تشتكي ... وإنّما العلَّة في حالي
وذاك داءٌ لم تزل ضامناً ... من سقمه برئي وإبلالي[3]

وقال [من المتقارب] :

خليلي قد اتّسعت محنتي ... عليَّ وضاقت بها حيلتي

---

(١) ربا : انتفخ وازداد .
(٢) الرسم : الإيضاح والتبيان ، والإخلال : عدم الوفاء بالعهد .
(٣) إبلالي : شفائي .

عذرتَ عذاريَ في شيبه ... وما لمت أن شمطت لمتي
إلى كم يخاسسني دائماً ... زماني المقبح في عشرتي
تحيَّفني ظالماً غاشماً ... وكدَّر بعد الصفا عيشتي
وكنتُ تماسكتُ فيما مضى ... فقد خانني الدهر في مسكتي
إلى منزلٍ لا يواري إذا ... تحصّلت فيه سوى سوأتي
مقيماً أروح إلى منزلٍ ... كقبري وما حضرتْ ميتتي
إذا ما ألمَّ صديقي بهِ ... على رغبةٍ منه في زورتي
فرشت له فيه بسط الحديـ ... ـث من باب بيتي إلى صفّتي[1]
ومعدته في خلال الكلا ... م تشكو خواها إلى معدتي[2]
وقدْ فتّ في عضدي ما به ... ولكنْ عليه غلبت علّتي
وأغدو غدواً ملياً بأنْ ... يزيد به الله في شقوتي
فأيّةُ دارٍ تيمّمتها ... تيمّم بوابها حجتي
وإن أنا زاحمتُ حتّى أموت ... دخلتُ وقد خرجتْ مهجتي
فيرفعني الناس عند الوصول ... إليهم وقد سقطت عمّتي[3]
وإن نهضوا بعد للانصرا ... ف أسرعت في إثرهم نهضتي
وإن قدَّموا خيلهم للركوب ... خرجت فقدّمت لي ركبتي
وفي جمل الناس غلمانهم ... وليس سوائي في جملتي
ولا لي غلامٌ فأدعو به ... سوى من أبوه أخو عمَّتي
ركنت مليحاً أروق العيو ... ن أيضاً فقد قبِّحت خلقتي
يعرق خدي جفاف الهزال ... وحاف الشناج على وجنتي[4]

(١) الصفة : الاستراحة أمام البيت .
(٢) الخواء : الفراغ والجوع .
(٣) العمّة : أي العمامة توضع على الرأس .
(٤) الشناج : تقبض الجلد .

وقوّسني الهمُّ حتى انطويت فصرتُ كأنّي أبو جدّتي
وكان المزيِّنُ فيما مضى تكسِرُ أمشاطَهُ طرَّتي[1]
وكنت برأسٍ كلون الغداف فقد صرت أصلع من فيشتي[2]
ويا ربّ بيضاء رود الشبا ب كانت تحنُّ إلى وصلتي[3]
فصارت تصدُّ إذا أبصرتْ مشيبي وتغضب من صلعتي
على أنَّني قلت يوماً لها وقد أمضت العزم في هجرتي
دعي عنك ما فوقه عمّتي فإن جمالي ورا تكّتي[4]
هنالك أيرٌ يسرُّ العيون طويلٌ عريضٌ على دقّتي

ومنها :

سوى أنّ قلبي قد صرفتـ ـه في شغله بالأسى عطلتي
وكانت بتكريت لي غلّةٌ فغلّت بأجمعها غلتي
أغاروا على سمسمي غارةً تعدّت فأنضت إلى حنطتي
فلا أزال في نقمةٍ كلٌّ من أزال بحيلته نعمتي

وقال [من الخفيف] :

قد قنعنا فهات خبزاً بلحمٍ أنا من شدّة الخوى في السِّياقِ
فرجي أن أشمَّ رائحة اللحـ ـم ولو كان من فسا مرّاقِ

وقال [من السريع] :

ما حال من يأوي إلى منزلٍ أرفقُ منهُ المسجد الجامعُ

---

(١) الطرّة : الشعر أو مقدمه الذي فوق الجبين .
(٢) الغداف : الغراب والشعر الأسود الطويل على سبيل الاستعارة .
(٣) رود الشباب : أي الشابة الحسناء .
(٤) التكّة : رباط السراويل .

لا يرتـوى العطشـان فيه ، ولا يلحـق مـا يقتاتـه الجائع
وسوقـهُ كاسـدةٌ بينكـم لا مشتـرٍ فيهـا ولا بائـعُ

وقال [من الخفيف] :

أتعشّـى بغير خبـزٍ ، وهذا خبـري منـذ مدّةٍ في غدائي
فأنـا اليوم من ملائـكة الدّو لة وحـدي أحيا بغير غذاء
آيةٌ لم تكنْ لموسـى بن عمرا ن ولا غيره مـن الأنبياء

* * *

نبذ من لطائف نوادره في أنواع الكدية

قال [من المجتث] :

هـذا وأيام أكلـي عنـد الملـوك الكبـارِ
مـا كنـت أفـطر إلا علـى كبـود القمـاري
مشـويـةٌ وقـلايـا فاليوم سنّـور داري
إذا أرادت تعشّـى تنغّصـتْ لـي بفـار

وقال بواسط ، وقد باع ثيابه [من المجتث] :

يا سادتـي قول ميتٍ في مثـل صورة حيٍّ
لـم يبـق في الخـرج شيءٌ أتـأذنـون بـشـيٍّ ؟

وقال ، وقد تولى أقطاعاً وخرج إليها فوجدها خربة [من السريع] :

سيدي عبـدك في الزيتِ فرَّ من المـوتِ إلـى الموت
حالـي وأقطاعـي خرابٌ فقدْ فررت من بيتـي إلـى بيتي

وقال [من البسيط] :

مـا لي أرى بيت ما لي حلَّهُ زحلُ ... وحسبـه من بعيدٍ أن يرى زحلا[١]
فمـا ترى لا رأيت السـوء في رجلٍ ... قد شبَّ تحت خطوب الدّهـر واكتهلا

وقال ، وقد رأى كلاب عز الدولة بختيار تطعم لحوم الجدا [من الوافر] :

رأيتُ كلابَ مولانـا وقوفاً ... ورابضـةً علـى ظهـر الطّريق
فمـن وردٍ له ذنـبٌ طويلٌ ... يعقّفـه وملهـوبٌ خلوقي[٢]
تغـذّى بالجـدا فوددت أني ... وحـقّ الله خركوشٌ سلوقي
فيا مولاي رافقنـي بكلبٍ ... لآكل كلَّ يومٍ مع رفيقي
أرى القصّـاب قد أضحـى عدوّي ... لشؤم البخت والملحـي صديقي[٣]
فلـو أنّـي افتصـدت لمـا وجدتم ... سوى الحلتيت داخـل باسليقي[٤]
جفانـي اللحـم وهـو شقيق روحي ... فمـن يعـدي علـى ذاك الشقيق
كأنّ اللحـم في صوم النصارى ... توهّمنـي ابـن عمٍّ الجاثليق
وأحسـن ما رآه النـاس لحمٌ ... جرايتـه تضـاف إلـى الدقيق

وله في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا سيِّد النـاس عشـت في نعمٍ ... تأوي إليهـا ممـالكُ العجمِ
بديهتـي في الخصـام حاضرها ... أشهـر في الفيلقين مـن علم
والخـطّ خطـي كمـا تراه ولا الـ ... زهـرة بين القرطـاس والقلم
هذا وخبـزيَ حافٍ بلا مرقٍ ... فكيف لو ذقـت ثردة الدسم[٥]

---

(١) الزَّحْل : التعب أو الجفاء والبعد وزُحل : أحد الكواكب السيارة .
(٢) المهلوب : المنتوف .
(٣) الملحي : اللائم .
(٤) الحلتيت : الصمغ . والباسليق : وريد يمتدّ في الذّراع .
(٥) اثردة الدسم : من الثريد وهو الخبز المقتت الممزوج بالمرق .

ما لـي وللحـم إنّ شهوتـهُ قـد تركتنـي لحمـاً علـى وضم[1]
ومـا لحلقـي والخبـز يجرحه بالملـح يشـكو حزونـة اللّقم[2]

وله في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا من رأى البـدر حسـن صورته فبـان في البـدر موضـعُ الحسدِ
نحـن سنـانيرُ أهـل دولتكم فأنصفونـا من صاحـب الغدد
والله لولاك لم تبـت مرق اللـ ـحـم تروي شحومـه ثردي
ولـم يحـوّر لي الـدقيق ولا كانـت تحـوز المسلقـات يدي

وكتب لبعض الوزراء ، وقد أراد عمارة مسناة داره [من السريع] :

خفّـي فمـا أنـت بمعذوره ولا علـى نصحـك مشكوره
أذاك كم يصـدع قلبـي به وإنّمـا قلبـي قـاروره
فـي كلّ شيءٍ أنـت يا هذه مغمومـةٌ بي غير مسروره
حتـى مسنّاتـي التـي أصبحت وهـي خرابٌ غيـر معموره
أيّتهـا المـرأة لا تقلقي من قبـل أن تستعملـي الصوره
لـي سيدٌ أضحـت عناياته علـى مسنّـاتـي مـوفـوره[3]
ناهدتـه فيهـا علـى أنّها تجعـل بالصـاروج كـافـوره[4]
منّـي أنـا لا شيء ومـن سيدي الـ ـآجـر والصـنّـاع والنُّـوره[5]

وكتب إلى بعض الرؤساء يلتمس منه عمامة [من مخلع البسيط] :

يا من له معجـزات جودٍ توجـب عنـدي له الإمامه

---

(١) الوضم : الطاولة التي يضع اللّحام عليها قطع اللحم .
(٢) الحزونة : الصعوبة .
(٣) المسناة : أحباس للمياه .
(٤) الصاروج : النورة وأخلاطها .
(٥) النُّورة : حجر الكلس .

مـا لي إذا ما الشمـال هبَّتْ قامـت علـى رأسـيَ القيامه
ودمّيت في القفـا عيونٌ بالطـول في موضـع الحجامه
أظـنُّ هذا من أجـل أنّي في البـرد أمشـي بلا عمامه

وقـال لبختيار حين عاود الحضـرة بعـد هزيمـة الأتـراك والحجـاج معـه [مـن المنسرح] :

الحمـد لله جاءت النعمُ وانصرفـت مع مجيئهـا النقمُ
واطلـع البـدر بعـد غيبته فانكشفـت عن وجوهنـا الظلم
فـأيُّ شيءٍ تريد تعمـل بي فإنّـي منـك لسـت أحتشم ؟!
أريد ممـا آفتتحتـه عملاً يثـرد في دغبـاجـه اللقم[1]

وقال لسهل بن بشر يعرض بطلب مركوب [من الخفيف] :

يا ابـن بشـرٍ يا سيدي يا ابـن بشرٍ يا معينـي علـى ملمّـات دهري
حلـق الله ذقـن من يتشنّا ك وألقـاه في غيابـة حجر[2]
أيُّ شيءٍ تريد تعمـل بي اليو م فهـذا أنـا وأنـت وشعري ؟!
أنـا في واسـطٍ أروح وأغدو بين مَدٍّ من الظنـون وجزر
تارةً يسنـح الغنـى لي فأرجو ه ، وطـوراً أرى دلائـل فقري
راجـلاً أعزبـاً فرجلـي وأيري بين بطـنٍ قد أعوزانـي وظهر
غـيـر أنّي أرى عـمـيـرة بـاللـيـل يمشي بجلدها بعض أمـري
وكعـابي التي يـرضّهـا المشـي على من أحيلها ليت شعري[3]
أنـت تدري وحسـب عبـدك فيما يرتجـي منـك قولُـهُ أنـت تدري

---

(1) الدغباج : النعيم والأكل .
(2) يتشنّاك : يبغضك ، وغيابة حجر : قعر سجن .
(3) يرضّضها : أي يترك بها رضوض وأوجاع .

وكتب إلى ابن قرة يقتضي مركوباً وعد به وهو على جناح السفر [من السريع] :

يا سيدي دعوة ذي رحلةٍ مقصّرٍ في الجري مسبوقِ
والقوم قد صحَّ بهم عزمهمْ وضربوا بالطبل والبوق
وضمَّروا للسير أفراسهم وفرسي الأشهب في زيقي[1]
بل لي كميتٌ ما رئي مثله يا سيدي قطُّ لمخلوق
كأنّني في متنه راكبٌ داليةً في رأس زرنوق[2]
ما في فضلٌ لا ولا فيه لي لأنني وهو على الريق

وقال يتنجز رداء شرب [من الخفيف] :

ويحك اسكت فضحتني يا راسي أنت بالضدّ من رءوس الناس
أنت والله فارغ القحف إلاً من كنوز الخباط والإفلاس[3]
بسّك اقطعْ ففي ضماني الرّداء الـ ـشرب الأميريّ عن أبي العباس[4]
أبيض الغزل فيه خطٌّ سوادٍ مثل خطّ الرئيس في القرطاس

وقال يتنجز دراهم [من المنسرح] :

يا قمراً في تمامه طلعا هذا رسولي إليك قد رجعا
في غاية الحسن والدماثة والـ ـنعمة والظرف والجمال معاً
عن طيب معناه في لطافته كأنّه في الكنيف قد وقعا
وهو يحب الصرار يفتقها ويشتهي أن يجمِّش القطعا[5]
فاحسمْ بختم القرطاس مقطعه وامنعْ يديه عليه أنْ تقعا

---

(١) الزّيق : ما أحاط بالعنق من رباط .

(٢) الزنوق : منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر .

(٣) الخباط : الزكام ، أو مرض كالجنون .

(٤) كذا ورد هذا البيت .

(٥) الصرار : جمع صُرّة، ما تجمع فيه الدراهم أو غيرها وتشدّ .

وارده من همةٍ بختمكهُ كأنّه بالفلوس قد صفعا

وقال يتنجز شعيراً لدابته [من المنسرح] :

كميتيَ اصهل واضرط فقال نعم بالسمع يا سيدي وبالطاعه
نعم ولكن أين الشعير ترى فقلت هو ذا يجيهم الساعه
قال فممّن فقلتُ من رجلٍ قد صار في الجود حاتم الباعه

وقال وقد بعثه إليه [من مجزوء الخفيف] :

كال لي ابن المعدل بالقفيز المعدّلِ[1]
من شعيرٍ بلا ترا بٍ نقيٍّ مغربل
ما أرى مثله فلا نٌ قضيماً لدلدل[2]

وقال يطلب خيشا [من السريع] :

يا أحرص الناس على مبعرٍ يدقُّ مستنجاه بالفيش
حتّى متى تتركني في لظى حرٍّ حزيران بلا خيش

وقال يستعين بأبي قرة على تطهير ابنه [من السريع] :

يا سيدي دعوةُ من لم تزلْ تعديه بالجود على دهرِهِ
إنّ ليَ ابناً أمسِ خلّفتهُ في منزلي كالفرخ في وكره
يبكي إذا ما عنَّ ذكري له وفي فؤادي النار من ذكره
والعزم بي قد جدّ يا سيدي في شهرنا الأدنى على طهره
فقوِّني إنّي ضعيفُ القوى على الذي أنويه في أمره
فأنت سترُ الله في وجه من أصبح ذاك الطفل في ستره

---

(١) القفيز : المكيال .

(٢) دلدل : بغلة شهباء كانت للنبيّ ﷺ .

وقال لبعض بني حمدان [من السريع] :

فتىً يُغير المدح في داره ... على صناديقٍ وأكياس
ذقت ندى راحته مرّةً ... فطعمه في جوف أضراسي

وقال لرجل دعاه إلى عرس ثم بداله [من المنسرح] :

يا وقح الوجه جيّدَ الحدقه ... خست بوعدي وكنت غير ثقَهْ(١)
أين نصيبي من الطعام وما ... طمعت في لعقةٍ من المرقه
أشفقت مني وكان يقنعني ... عندك ما ليس يوجب الشّفقه
قطعة لحمٍ في وزن خردلةٍ ... على رغيفٍ كأنّه ورقه(٢)

وقال يطلب مشروباً [من مخلع البسيط] :

يا سيدي عشت لي وبعدي ... وأرضُ نعليك صحن خدِّي
عندك يا سيدي نبيذٌ ... وليس لي منه رطل دردي(٣)
تروى وأظمأ وذاك بين الـ ... أحرار ضربٌ من التّعدِّي
وقد تناهى أمري إلى أن ... بكّرت من منزلي أكدي(٤)

وقال في مثل ذلك [من المنسرح] :

أبا الحسين الزمان ذو دولٍ ... أسبابها عند علّة العللِ
والعيش كالصّاب في مرارته ... طوراً، وطوراً أحلى من العسلِ(٥)
ودار هذي الحياة مذ بنيت ... لم تخل من ساكنٍ ومنتقلِ

---

(١) خست بالوعد : لم تفِ به .
(٢) الخردلة : حبّة صغيرة سوداء تستعمل في التوابل وفي الطب .
(٣) الدُّردي : من الزيت ونحوه : ما يبقى راسباً في أسفل الإناء من الكدر .
(٤) أكدي : أطلب واستعطي .
(٥) الصاب : نبات شديد المرورة .

والنّاس في طيبهم ونتنِهِمْ ضدّان مثل التُّفاح والبصل
وهم مليحٌ وآخرٌ وحِشٌ ما بين رامشةٍ إلى جعل[1]
فوجه هذا للسّيف وحشته ووجه ذاك المليح للقبل
وليس هذا وقت الخطاب على جرايةٍ تقتضي ولا عمل
الوقت وقت الأرطال تعملها ما بين ثاني الثقيل والرمل
وقحبةٍ تبلع القضيب ولا يعجبها غيره من الحمل
فابعث بقفصيةٍ تحدّثنا عن حرب صفين أو عن الجمل[2]
غزيرة الورد إن بي ظمأً لا يرتوي من صبابة الوشل[3]
ولا تجادل أخاك معتذراً فلست ممّن يقول بالجدل

وقال في مثل ذلك [من الخفيف] :

يا نديمي قد خلوت بحرٍّ ليس منه ثقلٌ على ملكيْهِ
اسقنيها وحدي سروراً ببدرٍ يعلم الله كيف شوقي إليهِ
يا ابن يحيى الذي أموت وأحيا في موالاته وبين يديه
منك هذا النبيذ والخبز واللحم الذي يشرب النبيذ عليه

وقال في مثل ذلك [من الخفيف] :

استمع شرح قصةٍ أنا منها بين وصلٍ ممّن أحبُّ وهجرِ
ليَ وعدٌ على غزالٍ غريرٍ ينجز الوعد كل غرَّةِ شهر[4]
ومغنٍّ يحيط بالحال علماً فهو يأتي ولا يقول بحذر
وعليك انتهاء سكرهما اليو م إلى غاية المراد وسكري

---

(١) الرامشة : الطاقة من الريحان ونحوه ، والجعل : الدميم الأسود .
(٢) القفصيّة : إناء يجعل فيه الخمر .
(٣) الوشل : الماء القليل .
(٤) غرّة شهر : مطلعه .

فأرحنـــي من الهمـــوم براحٍ تصـــدر الهـــم عن موارد صدري[١]
وابـــقِ حيـــاً يضـــاف قســـطٌ إلـــى عمـــرك طـــول الحيـــاة مـــن كـــلٍّ عمر

* * *

ما أخرج من خمرياته وما ينضاف إليها

قال [من الوافر] :

وليس العيش إلاّ شرب راحٍ إلـــيَّ بشربهـــا الساقـــي يشيرُ
وكأسٍ يعـــدل الساقـــون فيها ولـــكنْ حكم سورتهـــا يجورُ
وشـــدو صغيرةٍ كالخشف يحدي بصـــوتِ غنائهـــا الرّطـــل الكبير

ومن أخرى [من الخفيف] :

آسقنـــي بالكبـــار إمّـــا بطاسٍ أو بكأسٍ محـــرورةٍ أو بجام[٢]
لا تكلنـــي إلـــى الصغـــار التـــي تحكـــي قواريـــر جونـــة الحجّـــام[٣]
وتقلّـــدْ ديوان عشرتـــي اليو م بـــلا مشـــرفٍ وغير زمام

ومن أخرى [من المنسرح] :

الشـــرب لا الحـــرب عادتـــي ومعي ستـــة رهـــطٍ جنـــدٌ صناديدُ
الـــدنُّ والرّطـــل والمشمَّـــة والنّـ ـقـــل وطبـــلُ التـــكريع والعودُ[٤]

---

(١) الراح : الخمر ، وتصدر الهم : تبعده .
(٢) الجام : الإناء الكبير .
(٣) القوارير : إناء مستطيل من زجاج يجعل فيه الشراب والطيب .
والجونة : سلّة صغيرة مستديرة مغطّاة بالجلد تكون مع العطارين ويوضع فيها الطيب .
(٤) النُّقل : ما يؤكل على الشراب من فاكهة أو فستق وما إلى ذلك .

ومن أخرى [من مجزوء الخفيف] :

سيـدي ما أظنُّهُ بعـد يدري بمـا جرى
مـا درى أنَّ عبدَهْ فلســه قـد تقشّرا
عنـد قومٍ معروفهم فيَّ قد صار منكرا
كنـتُ كالمسـك مرةً بالدنـانيـر أشتـري
فأنـا اليوم بعـد ما صرت شيخـاً كمـا ترى
عبـدُ من عنـده نبيـ ـذٌ إذا كان أحمرا
خمـرةٌ دنُّهـا يضـ ـمـن مسـكاً وعنبـرا[1]
كم فمٍ ذاقهـا فطا ب وقـد كان أبخرا[2]
وغـلامٍ بكأسـهـا راح يسـعـى وبكَّرا
هـو فينا بريحهـا عبقٌ قـد تعطَّرا
ظـلّ يفسـو وعندنـا أنّـه قـد تبخـرا

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

أيلـول والعيـد واعتـدال الـهـواء فـي اللّيـل والنهـارِ
وشهـر شوال فـي تكافي سـاعـات أيامه القصـار
أربـعـةٌ تقـتـضـيـك ديـن الـسّـمـاع والـلهـو والـعـقـار
فـاشربْ لهـا بـالكبيـر إنّ الـكـبيـر لـلسـادة الـكـبـار

ومن أخرى [من البسيط] :

والكأسُ تسلبني عقلي ، وأهـون ما لهـوتُ عن ذكره عقلـي إذا سلبا
حمـراء يمسـي بناني وهـو فوق يدي منهـا بمثـل شعـاع الشمس مختضبا

---

(۱) الدنّ : الزق أو وعاء الخمرة .

(۲) الأبخر : ذو الرائحة الكريهة .

ابتعتها غير مغبون ولو طلب الخمار روحي بها أعطيت ما طلبا
وأربح الناس عندي في تجارته محصلٌ يشتري بالفضة الذهبا

ومن أخرى [من الكامل] :

يا صاحبيَّ استيقظا من رقدةٍ تزري عقل اللبيب الأكيسِ
هذي المجرَّة والنجوم كأنَّها نهرٌ تدفَّق في حديقة نرجس
وأرى الصبا قد غسَّلت بنسيمها فعلام شربي الراح غير مغلّس[1]
قوما اسقياني قهوةً رومية مذ عهد قيصر دنُّها لم يُمسس
صرفاً تضيف إذا تسلّط حكمها موتُ العقول إلى حياة الأنفس[2]

ومن أخرى [من الخفيف] :

من شروط الصبوحِ في المهرجانِ خفَّةُ الشغل مع خلوِّ المكانِ
وحضور الطعام قبل طلوع الشمس مذ أمس بارد الألوان
والعروس التي تزفُّ إلى الأر طال في ثوب صبغها الأرجواني
رسموا طين دنِّها وهو رطبٌ باسم كسرى كسرى أنو شروان
وترى سوسن الكؤوس عليها كسوةً من شقائق النعمان
ثم خفق الطبول بين الأغاني واصطكاك الأوتار في العيدان
والسماع الذي يملّ على الأسماع ما تشتهي بلا ترجمان
كلُّ صوتٍ من اقتراحات إسحا ق التي زيَّنت كتاب الأغاني
لا أعد الصبوح إلاَّ غبوقاً إن جعلت الصبوح بعد الأذان[3]
يا خليليَّ قد عطشت وفي الخمرة ريٌّ للحائم العطشان

---

(١) غير مغلّسة : أي غير قديمة العهد .
(٢) صرفاً : صافية غير ممزوجة .
(٣) الصبوح والغبوق : شرب الخمرة صباحاً ومساءً .

فاسقياني محض التي نطق الوحـي بتحريمها من القرآن
والتي ليس للتأوُّل فيها مذهبٌ غير طاعة الشيطان
واعدلا بي عن التي هدَّت النا ر قواها وحنَّقت بالدخان
إنَّني خشيةً من النار أخشى كلَّ شيءٍ يُمسُّ بالنيران[1]
لا تخافا عليَّ دقَّة كشحي لاتكال الرجال بالقفزان[2]
فاسقياني بين الدِّنان إلى أنْ ترياني كبعض تلك الدنان
مقعداً بعد خفَّتي في نهوضي أخرساً بعد كثرة الهذيان
سكرةٌ بعد سكرةٍ تثبت اسمي في المفاليج أو مع العميان
اسقياني في المهرجان ولو كا ن لخمسٍ بقين من رمضان
اسقياني فقد رأيت بعيني في قرار الجحيم أين مكاني
أنا حودابة وذهني صديدٌ تحت خصي فرعون أو هامان[3]
كلُّ شيءٍ قدَّمته لي فيه رأس مالٍ يأوي إلى الخسران
غير حبِّي أهل الحواميم والحشر وطه وسورة الرحمن[4]
خمسةٌ حبُّهم إذا اشتدَّ خوفي ثقتي عند خالقي وأماني
قد تيقَّنت أنَّهم ينقلوني من يدي مالكٍ إلى رضوان
بهمُ قد أمنت خوف معادي وبهذا الوزير خوف زماني
يا أبا طاهرٍ ولولاك ما كا ن لبدر السماء في الأرض ثاني
لك يا سيدي دعا الفطر والأضحى ويوم النيروز والمهرجان

ومن أخرى في بختيار يهنئه بالأضحى [من السريع] :

قد صخَّب البمُّ مع الزيرِ فقم قليلاً غير مأمور

(١) خشية النار : خوفها .

(٢) الكشح : ما بين الخاصرة والصرّة ووسط الظهر من الحسم . والقفزان : جمع قفيز وهو المكيال .

(٣) حودابة : أي العنيد .

(٤) أهل الحواميم : أهل الكساء « الرسول وآل بيته » .

قــم هاتهــا أصفــى إذا رقرقتْ في الــكاس من دمعــةٍ مهجور

مــن يدٍ عذراء لهــا وجنةٌ تحــار فيهــا أعينُ الحور

تحــدثــت فانتــشــر الــدرُّ من مشمَّــةِ النّــرجس والخيري[1]

وعنبــرت أنفاسهــا نكهــةً تبسّــم عــن نفحــة كافور

الليل والعشــر يقــولان لي مذ أمس قولاً غير مستور

أمسلــمٌ قلــت نعــم ظاهري وباطنــي في الخمــر نسطوري[2]

مــن أجــل هذا أنــا مذْ جئتما ما بيــن سكرانٍ ومخمور

فاسعــد بيوم العيد واجلس له في خلــوةٍ جلســة مســرور

وضــحٍّ فيــه بالدنــان التــي تخــرُّ بيــن البــمِّ والزير

مــن كلِّ دنٍّ دمُّ أوداجهِ أحــلُّ من لحــم الخنازير

واستحضــر العــود ووجّــه بــه حتــى نصــلّي بالطنابيرِ[3]

الركعــة الأولــى سريجية وركعــة التســليم مــاخــوري[4]

وهــي صلاة العيد لا يستوي تجــوّزي فيهــا وتقصيــري

والله لو كنــت لهــا حاضراً لحيَّر العــالــم تكبيــري

فاشــربْ علــى ملكٍ تملّيته موشّــحٍ بالعــزِّ منصــور

فــي قدحٍ أزرقَ أو ساذجٍ أبيض مثــل الثلــج بلّور

واستجــل مع ذاك وذا أوجهاً صبيحــةً مثــل الدّنانير

كأنّمــا عينــك ما بينهُمْ تدور فــي زهــرة منثور

ومن أخرى في أبي الفتح بن العميد ، وكان قد هجر النبيذ بعد القبض على

---

(١) الخيري : زهر المنثور الأصفر .

(٢) نسطوري : من النّساطرة طائفة من النصارى .

(٣) الطنابير : من الطنبور آلة موسيقية .

(٤) سريجية : نسبة إلى سريج أحد المغنّين . وماخوري : من الماخور : وهو بيت الرّيبة .

بختيار . وكان ابن بقية الوزير قد شرب وابن الحجاج إذ ذاك يتولى الحسبة ببغداد [من الكامل] :

حقّي على الأستاذ قد وجبا فإليه قد أصبحت منتسبا
مولاي ترك الشرب ينكره من كان في بغداد محتسِبا
إن كان من غمٍّ الأمير فلمْ وزيره بالأمس قد شربا
إنّ الملوك إذا هُمُ اقتتلوا أصبحتُ فيهم كلبَ من غلبا
فلذاك أسكر غير مكترثٍ وألفُّ مع خيشوميَ الذّنبا
يا سادتي قد جاءنا رجبٌ فتفضّلوا واستقبلوا رجبا
بمدامةٍ لولا أبوتها ما كنت قطُّ أشرِّفُ العنبا
حمراءَ مثل النار موقدةٍ لم تلق لا ناراً ولا حطبا
من قال إن المسك يشبهها ريحاً فلا والله ما كذبا

ومن أخرى في بعض الوزراء [من السريع] :

فُديتَ بي يا سيدي وحدي وعشت ألفي سنة بعدي
قد رحل النرجس فاشربْ على محاسن المنثور والورد
من لي بها عندك مشمولةً قد أصبحت معدومةً عندي
يمزجها لي رشأٌ أغيدٌ بريقةٍ أحلى من الشهد[1]
نهاية الحرِّ مجسٌ استه وريقه في غاية البرد[2]
جنى من البستان لي وردةً أحسن من إنجازه وعدي
وقال والوردة في كفِّهِ مع قدحٍ أذكى من الندٍّ
اشرب هنيئاً لك يا عاشقي ريقي من كفّي على خدّي

---

(۱) الرشأ : الغزال .
(۲) مجسٌّ استه : أي وضع اليد عليها .

ومن أخرى [من المنسرح] :

يا من حقوق النيروز تلزمُهُ رسمك يوم النيروز مشهورُ
فاسكر من الليل واصطبح سحراً غداً تراني وأنت مخمور
واستنطق الزير إنّني رجلٌ يعجبني ما يقوله الزير[1]

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

قمْ فاسقني الراح أو تراني مبلبلُ العقل واللسانِ
إذا تكلّمت لم يُفسَّرْ قوليَ إلاّ بترجمان

وله يهنىء نصرانياً بفصحه [من السريع] :

أوجعْ دماغ القرع بالسلقِ اليوم يوم القطع والبلقِ[2]
اليوم يوم الراح يا سيدي فاشرب من الراح كما تسقي
كلْ سيدي واشرب ونك إنّما الـ ـحياة بين الشرب والفسق
وافطر من الصوم على فقحةٍ زبدتها في طرف الزقٍّ[3]
وابقَ سليماً ودعِ الموت لا يجنو على الخلق ولا يبقي

* * *

ما أخرج من خرافاته في مجونه ومفاحشاته

قال [من الوافر] :

سرى متعرِّضاً طيف الخيال فسوَّف لا محالة بالمحال[4]

---

(١) الزير : وتر العود .
(٢) البلق : الفتح ، بلق الباب فتحه .
(٣) الفقحة : الحسنة الخلق ، أو حلقة المؤخّرة .
(٤) سوّف : أخلّ وماطل .

ولكنّـي انتبهـت فكان حزني على ما فاتنـي أسـوأ لحالي
ومـا خلـق النسـاء البظـر إلاّ وبـالاً حيث كنَّ علـى الرجال
عذيري في الزنـا من كلِّ تيسٍ عتيقٍ قد تمـرّد في الضلال
يحسِّن لي الحـلال فنحن طـول الـــنهـار إذا اجتمعنـا في جـدال
وليس سوى الزنـا همّـي ورأيي فبيكار الخصى نيك العيال
وفـي النيك الحـرام خزعبلاتٌ قليلاً ما تراهـا في الحـلال
وسـرمٌ مرَّ مجتـازاً بأيري كمـا صلّـى العشـا والـدرب خالي
فقـال له إلـى كم تزدريني وتـكشـف بالقبيح إلـيَّ بالي
ولـم تختـار وصـل الحـرِّ دونـي وتكـرهني وتعـرض عـن وُصـالي
ألـم تـر أنَّ شكـل البـدر شكـلي وأنَّ الـحـرّ مـعـكـوس الـهـلالِ
تـأمَّـلَ تـكّـتي فـوقي وأيـن الـــوهـاد مـن الـروابي والـتّـلال
فنـكّس رأسـه أيري طويلاً وفـكّر في الجـواب عن السؤال
وفـكّر ثم قال له إذا لمْ توفّـق للصـواب فمـا احتيالي
أبـا الـدرّاق ما للحـرِّ ذنبٌ إذا فكرت في عذري ولالي
ولكنّـي رأيت الحرَّ فينا يسـام الخسف حالاً بعـد حال[1]
فيقطـع أنفـه طفـلاً وينشو كبيراً وهـو منتـوف السِّبال
ويلـكم شدقـه في كلِّ وقتٍ بغير خصومـةٍ وبـلا قتـال
وأنـت فسـيّء الأخـلاق جداً كمـا تدري قليلُ الإحتمال
بأوّل خاطـرٍ من غير فكرٍ تشـرّس من لقيت ولا تبالي
ومدخلـةٍ لهـا ردفٌ سمينٌ وخصـرٌ كالهـلال من الهزال
يـؤذّن فـي استهـا أيـري أذان الـضّـحـى ويقيـم فـي وقـت الـزّوال
وتعصف ريح عصعصهـا شمالاً وهـل ريحٌ أرقّ من الشمالي

---

(١) يسام الخسف : يصيبه النقصان والاجحاف .

وقد بادلتها فمبالُها لي بمشّورة استها ولها قذالي[1]
كما لابن العميد جميع شكري ودنيا ابن العميد جميعها لي

ومن أخرى [من السريع] :

فحميةُ السّرم ولكنّها البظراء شيرازية المفرق
قالت لأيري بعد ما صبّ في دواتها أكثر من دورق[2]
أوحشت عشّ استي فقل لي متى تؤنسه يا عنق اللّقلق
فقال هيهات وهل يرجع اللصُّ إذا فرّ من المطبق

ومن أخرى في حسبته [من السريع] :

يا معشر الناس اسمعوا دعوةً دخَّالةً بالنصح خرّاجه
من منكمُ طار على حسبتي قطعت بالدّرة أوداجه[3]
لأنّه أقرنُ ليستْ له بعديَ في زوجته حاجه
كأنّ أيري في آستها زمجٌ يطلب بين الشوك درّاجه[4]

ومن أخرى [من السريع] :

جاريةٌ أرض نبات استها رقيقةُ التربة خوّاره
تسيح في جانب مفساتها عين خرا بالعرض خرّاره
كأنّ لي منها على عاتقي كراع شاة فوق قنّاره[5]

---

(١) القذال : يعني ذكره .
(٢) الدروق : مكيال للشراب .
(٣) الحسبة : منصب كان يتولاّه مسؤول عن مراقبة الأسعار .
(٤) الزَّمج : الغضب ، وزمج على القوم دخل بغير إذن منهم .
(٥) القناره : القنور : الضخم الرأس ، والطويل .

ومن أخرى [من المنسرح] :

وقينـةٍ كلٌّ مـن يعاشرها مغتبـطٌ بالسـمـاع مسـرورُ
مبـرودة الـرّيق بعـد هجعتها وجوفهـا في الفـراش محرور
كأن تنّورهـا الشـديد حمى بقـرب عهـد الشبـاب مسجور[1]
تشـمُّ ريح استهـا الزنـاة كما تشـمُّ ريح اللحـم السنانير
فجوفهـا قربـةٌ وفـي حرّها خنـدق بول وبظرهـا سور

ومن أخرى [من السريع] :

ولـم أزل وهـي إلـى جانبي كظبيـةٍ عفـراءَ وحشيَّـهْ
أنـبٌّ مثـل التيس فوق استها وهـي بحـال النيـك تيسيّه

ومن أخرى [من الوافر] :

صمـدت لهـا وجنـح الليل داجٍ بأخـطـف للطـريدة من عقابِ
وأولـع بالمباعـر مـن قرادٍ وأوقـع فـي المقـاذر من ذباب

ومن أخرى [من الوافر] :

فتـاةٌ ما عرفنـا قطُّ منها بحمـد الله إلاّ كلَّ خيرِ
فمـا تهـوى سوى أيار شهرا وليس إمامهـا غيـر الزبير

ومن أخرى [من السريع] :

قالـوا رأينـاك بمـا فيك من هشـاشـة الفـطنـة والكيـسِ
تحبـو إلـى باب آستهـا مثـل ما يحبـو ابـن عامين إلـى الدّيس[2]
فأيُّ شيءٍ كان قلـت الذي يكون بيـن العنـز والتيس

---

(١) مسجور : موقد .

(٢) الدّيس : الغابة المتلبّدة « أو الوطء والجِماع » .

وقال [من مخلع البسيط] :

يا سادتي ما استرقَّ ديني شيءٌ كمثل الحرِّ السمينِ
لمّا أراه يزول عقلي عنّي ويعتادني جنوني
وأشتهي أنْ أغوص فيه من مشط رجلي إلى جبيني
وكلّما شلتُ منه رأسي رزقت قوماً يغوّصوني
أغيب شهراً فلا تراني العيون والناس يطلبوني
حتى إذا كان بعد شهرٍ دلَّ على موضعي أنيني
فديته كالعروس يجلى في دست وردٍ وياسمين
جبينه الصّلت من حديدٍ وشدقه الرخو من عجين
وخير ما يقتنيه أيري صلابةٌ بُطِّنت بلين

وله [من مجزوء الرجز] :

يا صاح فاشرب واسقني من الشراب العكبري[1]
مع أمردٍ عصعصهُ يجيد بلع الكمر
أو قينةٍ طنبورها الـ محفوف صلب الوتر
حوريةٌ قد شربت بالرطل ماء الكوثر
من الجنان وجهها وسرمها من سقر[2]
لها حرٌ كأنَّه وجه غلام خزري[3]
ذو شعرةٍ أطرافها شبه رءوس الإبر
أصيح في نيكي لها تقدَّمي تأخّري

(١) العكبري : من العكبر : شيء يجيء به النحل على أفخاذها وأعضادها فتجعله في الشهد مكان العسل .
(٢) سقر : جهنّم .
(٣) الخزر : جماعة من التتار .

أحسنـــت لي هم، هكذا مُـدِّي وشـدِّي واعصـري
العيش مـا أطيب ذا يــا مهجتي يا بصـري
لمثــل ذا الـوقـت انتفي أو احلقـي أو نـوّري

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

صـــبيةٌ بظــرهــا بجنبي يبيت مثــل الصبــيٍّ المخضَّبْ
مفعـول بـاب استهـا بـأيـري الـــــــــفــاعـل فـوق الفراش ينصبْ
وسرمهـــا كان أمس غرّاً لـم يتفقّـه ولا تأدّبْ
فــاليوم قد صار منــذُ قاسي أمــور أهــل الزِّنــا وجرَّبْ
إذا رأى الأير من بعيدٍ بوَّق في وجهــه ودبدبْ

ومن أخرى [من البسيط] :

تبــول من شدق مهــزولٍ به عجفٌ وقــد تفقّــا عليه بظرهـــا سمنا[1]
ترغــي وتزبــد شدقــاه إذا اختلفا كأنّــه شدق مفلــوجٍ حســى لبنا[2]

ومن أخرى [من الخفيف] :

ذات حمٍ يسقــي الفراغـــات صرفاً من عصير الخصـــي بغير مزاج
بات دكشـــاب فيشتـــي في خراها يخلــط الدوغبــاج بالزيرباج[3]

وقال [من مجزوء الرجز] :

لــو أنَّ سرمـــاً كان في يديــه ملــكُ اليمـــن

---

(١) تفقا : تشقّق .
(٢) حسى : شرب .
(٣) الدكشاب : رأس الـذّكر ، والـدوغباج والـزيربـاج : لغة فـارسية . الـدوغباج : تعني : المنيّ والمخيطي ، والزيرباج : المختّر الذي في أمعائها .

لـكان أولـى منـه بي قطعـةُ بظـرٍ عفـن

وقال [من مخلع البسيط] :

عمـرك الله يا ابـن عمرو ٍ عمـر ثلاثين ألف نسر
وجهـك عنـد الصبـاح شمسي وأنـت عنـد المسـاء بدري
مولاي ذا اليوم يوم سعدٍ أشـرف عنـدي من ألف شهر
نذرت فيـه إذا التقينا سكراً إلـى الليل بعـد سكر
مع قينـةٍ لا تريد غيري فهـي تجينـي بغيـر حـذر
أيري علـى أنَّـه طويـلٌ أقصـر من بظرهـا بشبـر
لصـوف شعـر استهـا مـدادٌ يعجنـه بولهـا بحبـر
فأيّ شيءٍ تقـول هو ذا أقـوم حتـى أفـي بنذري

وقال [من مجزوء الكامل] :

ضرطـتْ ونحـن بعكبرا فتشـوَّشـتْ سفـن الغـروبِ
وفسـت علـى ريحِ الشما ل فألحقتهـا بالجنـوبِ
ومسـحـتُ مبقلةَ استها فوجـدتها ألفـي جريـب
جـاءت إلـيَّ وجوفُها يغلـي ولا قدرُ الزبيـب
فسلقـت بيضـي في آستهـا وشـويت في حرِهـا عسيبي[1]

ومن أخرى [من المنسرح] :

وكـم حديثٍ كأنَّـه سمرٌ قد مرّ لي في الزّنـا مع السمر
وافـرة الـرّدف فهـو يثقلها لطيفـةُ الكشـح نضـوة الخصر[2]
طعـم خراهـا مع طعـم فيشلتي يشبـه طعـم اللِّبـا مـع التمر

(١) العسيب : عظم الذنب « ويعني به قضيبه » .
(٢) نضوة الخصر : هزيلته .

لو لم أشبّبْ بشعر عانتها ما طاب للناس كلهُمْ شعري[1]
قيل لأيري وقد رأوه ولا الهارب بعد الحصول في الأسر
يشتدُّ بعد العشا إلى حرّها عدواً بلا حشمةٍ ولا فكَر
ما لك هوذا تطير قال لهم أطير مستعجلاً إلى وكري
ولي خصىً لو خرجت أعرضه اشتراه منّي بروحه درّي
ايري عليه كأنّه وتدٌ قد علقت فيه دبَّة البزر[2]

ومن أخرى [من مجزوء الكامل] :

يا ويحكم واللحم يعرض والبزاة على الكنادر[3]
قوموا بنا نحشو البظو ر بفيشنا حشو المساور
نبدا بكرّاعاتهم ونعود نعثر بالزوامر
ثم الحوافظ إنهنّ عجائزٌ شمطٌ عواهر
أحراحهم بيض العنا فق واللّحى سود المباعر[4]
كشيوخ أصحاب الحديث إذا تمشّوا بالمحابر

ومن أخرى [من السريع] :

أنا ابن حجاج إليه أبي يُنمي وقلبي من بني عذره
لم يخل جسمي في الهوى من ضنىً قطُّ ولا عيني من عبره
حبائبٌ مثل حصى عكبرا والرقبا مثل نوى البصره
حامضة البول ولكنْ لها مستنعَظٌ أحلى من التمره[5]

---

(١) العانة : الشعر الذي ينبت حول الفرج .
(٢) دبّة البزر : ظرفٌ للبزْر والزّيت .
(٣) الكنادر : مجثم البازي .
(٤) الأحراح : جمع حر ، والعنافق : شعرات صغار بين الشفة السفلى والذقن .
(٥) المستنعظ : يعني به « بضع المرأة » .

لها حرٌّ درّتـه جرّةٌ ومبعـرُ روثتـه صخره
فما تلاحظنـا سوى مرّةٍ حتـى أتـى الشيخ أبـو مرّه[1]

* * *

نبذ من ملحه القصار من أخباره

كان قد دعـا مغنية ، فلمـا دارت الـكؤوس تسـاكرت عليه وتناومـت وهـو جالس ، فقال [من مجزوء الرمل] :

غـطّتِ البـظـراء لمّـا عاينـت مفتـاح ديـري
ورجـت منّـيَ خيـراً قلـت لا ترجيـن خيري
اقعـدي عنـدي وهذا فافعليـه عنـد غيـري
أنـت في دعـوة أذني لسـت في دعـوة أيري

وحصلت عنده مغنية كان يتعاشق لها . ونام ابن حجـاج ، فتفرقـع ظهـره فغضبت وانصرفت ، فقال [من السريع] :

قـد غضبـت ستـي وقـد أنكرت قرقعـةً تظهـر في ظهري
وليس لي ذنـبُ ولكنّني أضـرط بالليل ولا أدري
فليت شعـري وهـي غضبانةٌ من حجرهـا أضـرط أم حجري

وأنا أستظرف كنايته بالفرقعة عن الضراط .

ودعا مغنية ، فخلا بها ، فهجمت عليه صديقه له ، فتضاربتـا وتجارحتـا وطال بينهما الشر . فقال [من الخفيف] :

رحـم الله من أتانـي بموسى فتقصّـى بحـدّه جبَّ أيري[2].

(1) أبو مرّة : هو إبليس ، وكنّى بمجيئه على حصول ما يغضب الله .
(2) جبّ : قطع .

كلُّ يومٍ أغضــي له عن جنايا ت كأنّ الحــديث فيهــا لغيري
ولعمــري كم من صبــاحٍ بشرٍ كان لولاه قد جرى لي بخير

ووردت عليه رقعة صديقين له يدعوانه للشرب وابنه قد جدر وملح فكتب إليهما [من المنسرح] :

يــا سيدي النبيذ موجود وبــابُ شرب النبيذ مسدودُ
قدْ مَلُــح ابنــي فكيفَ يشــربُ مَنْ أمســى ولحــم ابنــه تمكسود[1]

وعرض له صداع ،فانفرد إخوانه بالشرب مع مغنية كان قد اشترطها، فكتب إليهم [من الوافر] :

حصلــت أنــا الشقــيُّ علــى الصداع وأنتــم بالتمتُّــع والسُّمــاعِ
خلوتــمْ بالتــي قلبــي إليها شديدُ الشــوق مشهــور النّزاعِ[2]
فتــاةٌ أصبــح الإجمــاع فيها يقــرّ بأنّهــا شرطُ الجمــاعِ[3]

وحصل مع رجل يكنى أبـا الحسين في دار رجـل بخيل ، فالتمس أبـو الحسين العشاء بعد الغداء ، فقال ابن حجاج [من مخلع البسيط] :

يا سيدي يا أبــا الحسين أنــت رفيعٌ بنقطتيــنِ
يا كلــب الضّــرس ما يداوي ضرســك إلاّ بكلبتيــن
ويلك قل لي جننــت حتّى نلتمــس الخبــز مرّتيــن
فــي دار من خبــزه عليه ألف رقيبٍ بألف عين

وحضر في دعوة ، وأخر الطعام ، فقال [من الكامل] :

يا صاحــبَ البيت الذي أضيافــه ماتــوا جميعــا

(١) كذا ، ولم يتجه لي عجزه .
(٢) النزاع : الميل .
(٣) شرط الجماع : أي صالحة للمعاشرة .

حصَّلتنا حتى نمو تَ بدائنا عطشاً وجوعا
ما لي أرى فلك الرغيف لديك مشترفاً رفيعا[1]
كالبدر لا نرجو إلى وقت المساء له طلوعا

ونظر إليه يذهب ويجيء في داره ، فقال [من السريع] :

يا ذاهباً في داره جائيا بغير معنىً وبلا فائده
قد جُنَّ أضيافك من جوعهمْ فاقرأ عليهم سورة المائده

وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية وليها ، فكتب إليه [من الوافر] :

أيا من وجهه قمرٌ منيرٌ يضيءُ لنا وراحته السحابُ
إذا حضر الحساب أعدت ذكري وتنساني إذا حضر الشّراب
أجبني بالقناني والمثاني ووجهك إنّه نِعمْ الجواب
وكِلني في الحساب إلى إلٰهٍ يسامحني إذا وضع الحسابُ[2]

وركب إلى بعض الرؤساء يهنئه بعيد النحر ، فلم يصادفه ، فكتب إليه [من الوافر] :

أيا من وجهه كالشمس توفي فيمحق نورَهُ بدرُ التمام
لعيد النّحر أيامٌ قصارٌ تلمُّ بنا اجتيازاً كلَّ عامِ
أُمرنا كلّنا بالنيك فيها وأكل الطيبات وبالمدام
فقيل لنا اشربوا وكلوا ونيكوا حلالاً أو على وجه الحرام
وما قيل اقطعوها بالتهاني وتكرار التحايا والسلام

---

(١) المشترف : أي المشرف العالي .
(٢) كلني : دعني ووكِّل بي .

فيا طوبى لمن صلُّوا قعوداً ... وناكوا في الكواشلِ من قيام[1]
وقد بكَّرتُ أمسِ على كميتٍ ... يقصّر خطوه طول المقام[2]
جريح الجنب من ضغطِ الحزام ... قريحِ الفكٍّ من مضغ اللجام
فإن أنا لم أعدْ فالله أولى ... بعذري ثم أنت بلا كلام

ووردت رقعة رجل على بعض الرؤساء وهو جالس يعرض عليه جارية ربّاها ويصف حسنها . فأمره بالإجابة فقال [من السريع] :

يا ذا الذي جاء بِحرٍّ له ... في السرِّ يهديه إلى أيري
عليَّ شغلٌ بالمهمِّ الذي ... تراه فاطلب نايكاً غيري

وكان له صديق ولذلك الصديق ابن يكنى أبا جعفر ، وكان مستهتراً بالقحاب فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج ، فقال [من السريع] :

إيَّاك والعفة إيَّاكا ... إيَّاك أن تفسد معناكا
أنت بخيرٍ يا أبا جعفرٍ ... ما دمت صلبَ الأير نيَّاكا
فنِكْ ولو أمّك واصفع ولو ... أباك إن لامك في ذاكا

وكان الوزير أبو الفضل والوزير أبو الفرج قد خلوا في الديوان لعقوبة أصحاب المهلبي عقب موته ، وأمرا ان تلوث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من الباب ، وقد كان المهلبي فعل مثل هذا ، فحضر ابن الحجاج فحجب وخاف النفط فانصرف فقال [من مخلع البسيط] :

الصفح بالنفط في الثيابِ ... ما لم يكن قطُّ في حسابي
ليس يقوم الوصول عندي ... مقام خيطين من ثيابي
يا ربّ من كان سنَّ هذا ... فزده ضعفاً من العذاب

---

(١) الكواشل : الفياشل الضخمة ، وكاش جاريتَه : جامعها .
(٢) الكميت : من الخيل الذي بين الأسود والأحمر .

في قعر حمراء ليس فيها غير بني البظر والقحاب
تفعل في لحمه المهرّي ما يفعل الجمر بالكباب
فالقرد عندي يجلُّ عمَّنْ يسنُّ هذا على الكلاب

ووردت عليه رقعة خصم له بما يسوءه فكتب على ظهرها أبياتاً منها [من الكامل] :

إنّي جعلت إجابتي في ظهرها عمداً ليمكن فضُّها في المجلس[1]
كانت كنيفاً فائضاً فزرعت في ظهر الكنيف حديقةً من نرجس

وكان ابن شيراز قد صارع السبع فقتله ، ثم عاد لمثله ، فكتب إليه ابن حجاج [من مخلع البسيط] :

يا من إلى مجده انقطاعي ومن به أخصبت رباعي
قد زاد خوفي عليك جدّاً وعظّم الأمر في ارتياعي
في كلِّ يومٍ سبعٌ جديدٌ ينفر من ذكره استماعي
تغدو إليه بلا احتشامٍ ولا انقباضٍ ولا امتناع
وليس قتل السّباع ممّا يدرك بالختل والخداع[2]
فلا تطر بعدها لسبعٍ مراسه غير مستطاع
إن صراع السباع عندي حاشاك ضربٌ من الصّداع
آعدلْ إلى الكأس والندامى والأكل والشُّرب والسِّماع
وأمردٍ جامعْ لشرط العناق والبوس والجماع
بلى أجع لي السباع واطرح خصمي في بركة السباع
فإنَّ عيشي في أنْ أراه بين سباع الرُّبى الجياع

(١) فضُّها : فتحها .
(٢) الختل : الخداع والتستُّر .

وكان سأل بعض الرؤساء أن يتكلم في أمر كان له فوعده ثم أمسك وسكت فقال [من السريع] :

يا صنماً يعبده شعري بلا ثوابٍ وبلا أجر
إن لم تكن دبّاً فخاطبهم بلفظة تسمع في أمري
انطق بنفسٍ قبل أن يحسبوا أنّك من طين وآجرٍّ(١)

وقال وقد عرضت له علة صعبة، ثم صلح بعد اليأس ، فكتب إلى بختيار [من مخلع البسيط] :

يا سيدي عشت في نعيمٍ حلو الجنى دائمِ المسرَّهْ
عبدك يشكو إليك حمّى قد سبكته الصفراء نقره
حمّى لتنورها وقودٌ يزيد في اليوم ألف سجره(٢)
قد حفرت تربةً لصيدي فكدت منها أصير صبره
علّة سوءٍ كانت تريني نفسي فوق الفراش حسره
طالعني الموت من زوايا برسامها ألف ألف مرّه(٣)
قد نصب الفخَّ لي ولكنْ أفلتُّ من فخِّهِ بشعره

وقوله [من السريع] :

يا سيّدي دعوةُ من قلبُهُ من خوفِ ما مرّ به يخفُقُ
قد نصب الفخَّ لصيدي أبو يحيى ولكن أفلت العقعق(٤)

وقلده الوزير ناحية ، فخرج إليها يوم الخميس ، وتبعه كتاب الصرف يوم

---

(١) الآجر : القرميد .
(٢) سجره : من سجر النار أي زادها وقوداً.
(٣) البرسام : علّة يهذى فيها .
(٤) العقعق : طائرٌ كالغراب ذو لونين أسود وأبيض طويل الذنب .

الأحد ، فقال [من مجزوء الكامل] :

يا مَنْ إذا نظر الهلا ل إلى محاسنه سجدْ
وإذا رأته الشمس كا دت أن تموتَ من الحسد
يوم الخميس بعثتني وصرفتني يوم الأحد
والناس قد غنّوا عليّ كما رجعت إلى البلد
ما قام عمروٌ في الولا ية ساعةً حتى قعد

وقال في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا مالك الصدر ما خلوت من الـ إيراد ما عشت فيه والصّدر[1]
قلّدتني ليلةً وباكرني كتاب صرفي المشوم في السّحر[2]
فقد بختي فكيف درت به دوّر لي جانب استه وخري

وقال ، وقد حجبه بواب لبعض الرؤساء مرات فكتب إليه [من السريع] :

قولا لمن إحسانه لم يزل شفاء علاتي وأوصابي[3]
بي علّةٌ تقطع أسبابها من راحة الصّحة أسبابي
أخفيت ما بي اليوم منها فما تطلّع الناس على ما بي
وليس يشفيني سوى نهشةٍ من قطعةٍ من كبد بوّاب
تبيت فيها وهي مشبوبة بالنار أضراسي وأنيابي[4]
فامنن بأن تذبحَ لي واحداً بالنعل في دوّارة الباب
فنقطةٌ من دمٍّ أوداجه أنفع لي من رطل جلاّب

* * *

(١) الايراد : ورود الماء للارتواء ، والصدور : العودة عنه بعد الارتواء .
(٢) المشوم : أي المشؤوم الملعون .
(٣) الأوصاب : الأمراض .
(٤) مشبوبة : متّقدة .

ملح من نوادره في ذكر الصفع

قال [من السريع] :

يا سخن العين التي لم تزل تعيش في الناس بلا عقلِ
إن لم تزن نفسك مستأنفاً والخوف بين القول والفعل
حلَّ بيافوخك منّي الذي يحلُّ يوم العيد بالطبل
لا تجهل اليوم على من له معرفةٌ بالعقل والجهل
فتىً وإن زلّت به نعلهُ أصفع خلق الله بالنّعل

وقال [من الرمل] :

هاربٌ منّي وقد خاف العمى بقفا للنعل بادي المقتلِ
وبكفّي شمشكٌ منتعلٌ والقفا حبر الشمشك المنعل[1]

وقال [من المنسرح] :

في البيت لي درَّةٌ يحدِّث عنْ أفعالها الموغلون في الشارع
تأكل لحم القفا السمين كما يأكل رز البهطة الجائع[2]

وقال [من الخفيف] :

ربَّ مستصفعٍ نسخت بنعلي بين أجفانه شروط القوافي
كلُّ نهب الطلى مباح حمى الرأ س حريب الآذان والأكتاف[3]
فاتق الله في غطاريف أذنيك وأعصاب أخدعيك الضعاف[4]

---

(١) الشمشك : نوعٌ من الأحذية .

(٢) البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسَّمن معرَّب من الهنديّة .

(٣) الطلى: الخمر ، والحريب : المسلوب .

(٤) الغطاريف : الغطرفة : الخيلاء والعبث ، والأخدع : عرق في العنق .

وقال [من السريع] :

قل لابن حسنون وما زال من تعجرفٍ يصغو ويستعفي
أما ترى رخٌ يدي جائلاً وشاه أذنيك على الكشف[1]

وقال [من المنسرح] :

قد وقع المنع والحجاب معاً فكلٌّ من رام بابَكُمْ صفُعا
وافيته طامعاً لأدخله ولم أكن قط أحمد الطمعا
فواثبوني جهلاً بمرتبتي في حيث أشكو الصّداع والصّلعا
لا تطلبوا بعدها مواصلتي فإنّ حبل الوصال قد قُطِعا

وقال وقد صرف عن عمل كان إليه [من المنسرح] :

قال وأجفان مقلتيه تكِفْ وجسمه ظاهر السقام دنِف
أعمالنا هذه التي كثر الـ إرجاف فيها بنا فليس تقف[2]
قد صرفونا عنها فقلت لهم نعم وصادف عين واو نون ألفْ

وقال [من مخلع البسيط] :

قلت وقد جاء حرّ شاذا لأي معنى قد جاء هذا
قالوا لصفع العِباد حتّى يجعل أقفاءهم جذاذا[3]
فقمت وابناي يتبعاني ننسل من بينهم لواذا[4]

* * *

---

(١) الرخ والشاه : من أدوات الشطرنج .
(٢) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .
(٣) الجُذاذ : المقطّع المكسر .
(٤) لواذاً : إحتماءً .

نبذ من ذكر سرقاته

من ذلك قوله [من المنسرح] :

شيخٌ فتــىً والشبّــاب أكثرهم قـد علــم الله غير فتيان

من قول كثير [من البسيط] :

يا عزُّ هل لك في شيخٍ فتــىً أبداً وقـــد يكون شبــابٌ غير فتيان

وقوله [من الوافر] :

وأولاد الحرائــر لم يجابوا لديَّ فكيف أولاد القحابِ

من قول دعبل [من الكامل] :

إنــي لأهجــو من يجــود بماله أتظنّنـــي أدع اللئيم الواضعا

وقوله [من الوافر] :

علــى أنّــي أظنُّــك سوف تنجو بعرضـك من يدي منجــى الذئابِ

من قول أبي الزيات [من المتقارب] :

نجا بــك لؤمــك منجى الذئاب حمتـه مقــاذره أن ينالا

وقوله [من الوافر] :

وأحســن ما رأينــا قطُّ راحاً إذا كانــت مطيَّة كأس راحِ

من قول أبي تمام [من الكامل] :

راحٌ إذا الــرّاح كنَّ مطيَّها كانــت مطــايا الشــوق في الأحشاء

وقوله [من الوافر] :

سُتِــرتُ بظلِّــهِ من ريبِ دهري فعــزٌ علــى النوائــب أن تراني

من قول أبي نواس [من الطويل] :

تستَّرت من دهري بظلٍّ جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

وقوله [من الكامل] :

أمشي بقلبي، لا برجلي ، إنَّما تمشي بحسب هوى القلوب الأرجلُ

من قول اللجلاج [من الطويل] :

وما زرتكم عمداً ولكنَّ ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوي به الرجلُ

وقوله [من الوافر] :

وخمَّارٍ أعدَّ الكأس ظئراً لطارقه فلم يرضعه غيلا[1]

أوفِّيهِ خلاص التبر وزناً فيسبكه ويعطينيه كيلا

من قول ابن المعتز [من المتقارب] :

وخمّارةٍ من بنات المجوس ترى الزقَّ في بيتها شائلا[2]

وزنّا لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلا

وقوله [من الوافر] :

فتاةٌ كالمهاة تروق عيني مشاهدها وتفتُنُ من رآها

تكاد تردُّ للمجبوب أيراً وتحدث للفتى العنّين باها[3]

من قول جحظة [من مجزوء الكامل] :

لو مرّ بالأعمى لأبصر أو بعنّين لأنعظ[4]

---

(١) الظئر : المرضع غير الأم . والغيل : اللبن الذي ترضعه المرأة وهي حامل.

(٢) الشائل : أي الذي ارتفعت قوائمه عند الملء أو النفخ ، يريد هنا ان الزق ممتلىء .

(٣) المجبوب : المقطوع الذكر. والعنّين : العاجز جنسياً. وباهاً : نكاحاً .

(٤) أنعظ : انتصب وقام .

نبذ مما تكرر من معانيه

قال [من السريع] :

وفــي فمــي سكرةٌ حلوةٌ قـد نغَّصتهــا لـوزةٌ مرَّه

وله [من السريع] :

واللّــوزة المــرَّةُ يا سيدي يفســد في الطعــم بهــا السُكر

وله [من السريع] :

كأنَّــه وهــو إلــى جنبها سكرةً مـع لوزةٍ مرّه

وله [من المنسرح] :

نبّهــت منـه لحاجتــي عمراً ولــم أعــوّل منــه على عمرو

وله [من المنسرح] :

فمـا استجــارت بعمــرو مظلمةٌ بل حين جاءتــك أنــت يا عمر
فالشّعــر قد صار فيهــا وأتى مع ذا بتفصيل ذلك الخبر

وله في عكس المعنى [من السريع] :

ولــم تنبِّـه عمــراً حاجتي بل وقعــتْ منــك علـى عمرو

وله [من المنسرح] :

خيـر الستــور التـي نعلّقها ستــر خصــىً مسبــلٍ علــى حجر
والقــدر إن لم يكنْ لهــا طبقٌ لم يتهــرَّ العصيبُ في القدر[1]

---

(١) العصيب : الصلب الكثير العصب من اللحم .

وله [من المنسرح] :

ولـم تر العين قطُّ أحسـن مِنْ ستـر خصـىً مسبـلٍ علـى حجر

وله [من الخفيف]:

كـتبت رقـعـةً إلـيَّ وقـد عـبّـت بسـطرٍ مقـرمطٍ خـلف سـطر
يا فتـى سـترُ باب سرمـي خصاهُ هات قل لي متـى تعلـقْ بستري

وله [من الوافر] :

أحـنُّ إذا رأيت الحـرّ ليلاً بجنبـي وهـو منتـوفٌ نظيفُ
ولا آبـاه إن هو جاء يوماً وفـي رأس الكلاجـق منـه ليف[1]

وله [من مخلع البسيط] :

فـاستـأذنيـهِ غـداً وعـودي إلـيَّ منتـوفـةً نظيفـه
فقـد تبيَّنت فـوق رأس الـحـرّ ذي الـزوزك لـيفـه[2]

وله [من المنسرح] :

بيضـاءُ وهـجُ استهـا يفـور حمى وريقهـا العـذب باردٌ خصـرُ

وله [من السريع] :

بريقـةٌ كالثّلـج مبرودةٌ ومبعـرٌ كالنّـار محـرورُ[3]

وله [من السريع] :

نهـاية الحـر مجسّ آستها وريقهـا في غايـة البرد

---

(١) الكلاجق : ما يحيط بالفرج .
(٢) الزوزك : القصير « البظر » .
(٣) البريقة : البيضاء المتلألئة أو الحسناء من النساء .

وله [من مخلع البسيط] :

للبــزد في ريقــه كزازٌ وللحمـى في آســته حريقُ

وله [من مخلع البسيط] :

يا زوج من ريقهــا حميمٌ وريـق مفســائها صقيعُ[1]

وله [من الخفيف] :

وغــلامٌ شظّــى بكرفس مفسا ه قديمــاً أسنَّــةُ الأقــلام[2]

وله [من الخفيف] :

لا ترى كرفســا علــى باب مفسا ه يشــظّي بصــوفه الأقلامــا

وله [من الخفيف] :

ودواة اســتهــا بصــوفٍ ولا اللّيــــفُ يُشَــظّــي أســنّــة الأقــلام

وله [من الرمل] :

كلّمــا استمــددت من سرمها شعَّــب ستّــي قلمــي الكرفسُ

وله [من السريع] :

فــديت من لقّبنــي مثلما لقّبتــه والحــق لا يغضبُ
إن قلــت يا عرقــوب أطمعتني قال فلــم نفســك يا أشعبُ

وله [من السريع] :

وعدتنــي وعــداً وحاشــاك أنْ تروغ منــه روغـة الذيبِ[3]

---

(١) الحميم : المستعر ، والحار .
(٢) شظّى : قطّع وشقّق،|والكرفس : القـطن. وتكرفس الرجل : انضم ودخل بعضه في بعض .
(٣) تروغ : تتهرّب .

مـا كنـت إذ أطمعتنـي أشعباً فيه ولا أنـت بعرقوب[1]

* * *

ما جاء له في التضمين

قال ، وقد كان غاب عن الحضرة مع الوزير ثم عاد فلما قرب توقف عن الدخول [من الوافر] :

أيا مولاي دعـوة مستغيثٍ قد التهبـتْ جوانحـه بنارِ
أغثنـا بالـرحيل غداً فإنّا من الشـوق المبـرّح في حصارِ
وأبـرحْ ما يكون الشـوق يوماً إذا دنـت الـدّيار من الدّيار

وقال [من] [البسيط] :

قد قلت لمـا غدا مدحي فمـا شكروا وراح ذمّـي فمـا بالـوا ولا شعروا
علـيَّ تحـت القوافـي من معادنها ومـا علـيَّ إذا لم تفهـمِ البقر

وقال [من الوافر] :

ولـم أطـرب إلـى عذراء رودٍ بهـا عن وصـل عاشقهـا نفارُ
ولا غـرثى الـوشـاح كـأنّ ورد الـحيـاء بـوجنـتيـهـا الجلّـنار[2]
بنفسـي كلُّ مهضـومٍ حشاها إذا ظلمـت فليس لهـا انتصارُ
ولكنّـي طربـت إلـى خليلٍ سمحـت ببذلـه ولـي الخيار
فلمّـا أن مضـى في حفـظ من لا يضيّعـه وشـطَّ بـه المزارُ
ندمـت ندامـة الكسعـي لمّا غدت منـه مطلقـةً نـوارُ
فعينـي ما تجفُّ لهـا دموعٌ وقلبـي ما يقـرُّ لـه قرار

---

(١) أشعب : رجلٌ مشهور بحبّ الطعام ،وعرقوب : هو ابن صخر ، أو ابن معبد بن أسد من العمالقة ، أكذب أهل زمانه ، وأصبح يضرب به المثل في عدم الوفاء بالمواعيد فيقال : كمواعيد عرقوب .

(٢) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

وقال [من الخفيف] :

سيدي إن أقمت بعدك بالصعد فقلبي عليَّ غير مقيمِ
غير أنّي أقول بالرغم منّي فلعلّي أكفُّ بأس همومي
من يكن يكره الفراق فإنّي أشتهيه لوقفةِ التّسليم

وله يخاطب ابن بقية ، وقد حجب عنه وهو على الشراب [من مخلع البسيط] :

بحقّ رأس الأمير مثلي يظمأ في دولة الأميرِ
فما لكم تشربون دوني ولست في جملة الحضورِ
قد قلت لما حجبتموني فاشتدّ من بابكم نفوري
إن دام هجرانكُمْ على ذا طويتُ من بينكم حصيري

وقال [من الخفيف] :

صاح أيري ورمحه فوق خصييه ولا رمح ضمرةَ بن هلال
قرّبا مربط النعامة منّي لقّحت حرب وائلٍ عن حيال
ثم أهوى بطعنةٍ بات منها سرم ستّي ذاك الشقيُّ بحالِ
فتولّى يقول وهو طعينٌ دمه مع خراه مثل البزال[1]
لم أكن من جناتها علم الله وإنّي بحرِّها اليوم صالي

وقال [من الخفيف] :

أسفر الصبح فاسقياني وقد كا ن من اللّيل وجهه في نقابِ
وانظر اليوم كيف قد ضحك الـ ـزّهر إلى الروض من بكاءِ السَّحاب
إنّ صحوي وماء دجلة يجري تحت غيمٍ يصوبُ غير صواب[2]

---

(١) البزال : يقال بزل الإناء شقّه أو ثقبه .
(٢) يصوب : يمطر .

اتـركـانـي ومـن يـعـيِّرُ بـالـشـيـب وينعي إليَّ عـهـد الشباب
فبياض البـازيِّ أصـدق حسناً إن تأملـت مـن سواد الغراب

وقال في ابن العميد يودعه ويصف الفرس ويذمه [من الخفيف] :

أيُّها السيِّد الذي طاب في المجـد فـروعـاً كـريـمـةً وأصـولا
لـو مشـى بي الشّيخ الفـرق لسـابقتـك سيـراً إلـى الـوداع ذميـلا[1]
فـتـجـاوزت خـانـقـين وخـلّفـت ورائـي عـلى الـطريـق جلولا
لكن الشيخ كـان جـذعـاً من الخيـل طـريّا فصـار جـذعـاً طـويـلا[2]
كـلّمـا سار سـال دمـع مـآقـيـه ومـن حقٍّ دمـعـه أن يـسـيـلا
مستغيثـاً يصيح تحتـي ضراطاً مزوجـاً في طريقـه وصهيـلا
أبصـر القـتّ وهـو يجـري فغنّى بعـد ما كاد عقلـه أن يزولا[3]
أزجـر العين أن تبـكي الطلولا إنّ في القلـب من كليبٍ غليلا

وقال يصف ضعف فرسه [من البسيط] :

يسومنـي المشي مضطراً وليس له الـمسكين بالمشي شبراً واحـداً جلدُ
ما كلَّف الله نفسـاً فوق طاقتها ولا تجـود يدٌ إلاّ بمـا تجدُ

وقال ، وقد حجب مع جماعة من الكتاب [من الكامل] :

قد قلـت لمـا أن رجعـت مولِّياً ومعـي مدابيرٌ من الكتَّابِ
نحـن الـذين لهـم يقـال وكلّنا فلّ العصـا وطـريـدة الحجاب
قومٌ إذا قصـدوا الملـوك لمطلبٍ نُتفـت شواربهـم علـى الأبواب

---

(١) الذميل : السير السريع اللّين .
(٢) الجذع : من الحيوانات : صغيرها .
(٣) القتّ : نوع من النبات ، أو حبّ بريّ يؤكل أحياناً بعد دقّه وطبخه .

وقال [من المنسرح] :

يا ربربُ اعبرْ بنا إلى ملكٍ ... تَوَّجَهُ الله بالمهاباتِ
يقول للريح كلّما عصفتْ ... هل لك يا ريح في مباراتي

وقال [من مجزوء الكامل] :

قالت وقد كشف الودا ... ع قناع حزنٍ قد عَلَنْ
وأذلَّ بالجزع الفرا ... ق قوى عزاءٍ ممتهن
يا من مُحنت بفقده ... حوشيتُ فيك من المحن
خلّفتني والحزن بعـ ... ـدك يا قريني في قرن[1]
فإذا صبرت ضرورةً ... صبر الوقيذ على الوسن[2]
فترى يطيق الصّبر عنك أو السّلو أبو الحسن
طفلٌ نشا وفؤاده ... بك يا أباه مرتهن
كالفرخ يضعف قلبه ... عن أنْ يودّع بالحزن
فأجبتها وهي التي اسـ ... ـتولت عليَّ بلا ثمن
طلبُ المعاش مفرِّقٌ ... بين الأحبَّة والوطن
يا ربّ فازددْ سالماً ... سكناً يحنُّ إلى سكن

وكتب إلى رئيس يستهديه مشروباً وهو مع بعض أصدقائه وعندهم مغنية فلم يفعل [من البسيط] :

يا سيدي جودك المشهور ما فعلا ... أبيع بالرخص يا هذا أم ابتذلا ؟
واسوأتا من أناسٍ ظلت أطمعهم ... أنّ الذي التمسوه منك قد حصلا
حتى إذا عاد من أرسلته بيدٍ ... صفرٍ وما كان عندي أنّه وصلا

---

(١) القرن : الشّرك أو الأغلال .

(٢) الوقيذ : الشديد المرض المشرف على الفناء .

قالـوا لقينتهـم غنـيّ عليه لنا صوتـاً ضربنـا له في شعـره مثلا
ما زلـت أسمـع كم من واثـقٍ خجلٍ حتـى بليت فكنـت الواثـق الخجلا

* * *

ما أخرج له في التخلص

قال في أبي تغلب ، وقد توجه من الموصل إلى بغداد [من الخفيف] :

افضُضِ الـدنَّ واسقنـي يا نديمي اسـقنـي مـن رحيقـه المختومِ
اسقني الـخمـرة الـتي نـزلـت فيـــــهـا على القـوم آيـة الـتحـريـم
اسـقنـيـهـا فـإنّـنـي أنـا والـقـــــسُّ جميعـاً نبـولهـا في الجحيم
اسـقنيهـا ولا تكلنـي إلـى النقـــل عليهـا ولا إلـى المشمـوم[1]
بادر الصبـح بالصبيحـة وجهاً فابنـة الـكرم شرط كلِّ كريم
ثم قـلْ للشمـال من أيـن يـا ريـــــح تـحمّلت روح هـذا النـسيـم
أتـرى الخضـر مرَّ لي فيك أم جز ت برضـوان فـي جنـان النعيم
أم تقـدّمـت والأميـر أبـو تغلـبَ قـد صحَّ عزمـه فـي القـدوم

وقال في فتح قلعة أردمشت من قصيدة [من الوافر] :

سقانـي كأسـه سحـراً بوقتٍ وكـان صبوحنـا في يومِ سبت
غلامٌ أعجمـيٌّ فيـه ظرفٌ وحـذقٌ بالتلـطّف والتأتي
سقاني دو وسـا وازددت منها علـى سكري وصبحنـي بهفت[2]
فلمـا نمـت قام وقـال برّوا لمـن حولـي خوى خانـي بجفت[3]

---

(١) تكلني : تدعني وتتركني . والنقل : ما يؤكل مع الشراب ، والمشموم : من فاكهة وفستق وغيره .
(٢) دو وسا وهفت : من الأعداد الفارسية أي إثنين وثلاثة وثمانية .
(٣) جفت : إجتفت المال : اجترفه أجمع .

وفـي باب آستـه زغـبٌ لطافٌ ... ملاحٌ مثـل ورد الـزاد رخت[1]
ولـكن كان لا يقـوى لشؤمي ... وخذلانـي بـه سواد بختي
فشدّقـت الصّـبيَّ فدتـه نفسي ... بدوديكي وتيمـردم درست
وكان من استـه كالبنـت بكراً ... مخـدّرة الخـرا ففتحـت بنتي
كمـا فتحـتْ وحـدّ السيف يدمي ... من الأعنـاق قلعـة اردمشت

وقال في مدح صاعد [من مجزوء الخفيف] :

ومهـاةٍ غريـرةٍ ... غضّـة الحسـن ناهـدِ
فتنتنـي بِمـعصـمٍ ... وبـكـفٍّ وسـاعـدِ
وبثغـرٍ منضّـدٍ ... شنـبِ الـرّيـق بارد[2]
ونـسـيـمٍ كـأنّـه اشـ ... ـتقَّ من نشرِ صـاعـد[3]
فهـو طيباً كذكره ... فـي الثنـا والمحـامـد
همـةٌ في العـلا اقتدت ... بالسّـهـى والفـراقـد
ونـدىً بخلـت بـه ... كـفٌّ يحيى بـن خالـد

وقال [من مجزوء الرجز] :

كأنّمـا بـاب استهـا ... شكلـة كـافٍ مطلقـه
بيـن سطـور كاتـبٍ ... حـروفـه محقّقـه
يصـكُّ لـي بين يدي ... سيّدنـا فـي ورقـه
باللحـم والخبـز الذي ... روحـي بـه معلّقـه
يا من به قد فتحت ... أبـواب رزقـي المغلقـه

---

(١) رخت : الرَّخّ : نباتٌ هشّ .
(٢) الشنب : البارد .
(٣) النشر : العبق الطيب .

وقِّعْ لمن علَّمه جودك حذق العقعقه[1]

* * *

هذه نبذ من ملح ملحه الرائقة ، وما يتصل بها

قال [من الوافر] :

حلفتُ لقد بلغت مدى المعالي وأنت على تجاوزه قديرُ
فبحرك درّ لجته ثمينٌ وغيثك ماء مزْنته طهورُ

وقال لبعض الرؤساء في يوم كان المطر يجيء فيه ساعة ثم ينجلي الغيم ، وتطلع الشمس ثم يعود [من الكامل] :

يا سيدي تفديك مهجة خادمٍ لك يستقلُّ لك الفداء بنفسهِ
يفديك مَنْ جلّيت أوّل كربةٍ عنه ومن أدركت آخر نفسهِ
انظر إلى اليوم الذي أشبهته لو كان جنسك ناشئاً من جنسهِ
يحكي نداك بغيثه فإذا انجلى فكأنَّ وجهك ما انجلى من شمسهِ
لكنْ فضلت عليه أنّك دائماً تبقى وهذا اليوم تابع أمسه

وقال [من المتقارب] :

هو الشيخ لما صفا جوهر الـ ـفضائل منه ولم يكدرِ
أضاف الزمان إليه ابنه كما اقترن البدر بالمشتري

وقال لرئيس اختلف ابنه إلى الكتاب [من السريع] :

يا عارضاً يروي الثّرى غيثه ومنهلاً يشفي الصّدى موردُهْ[2]

---

(١) العقعقه : التصويت : والعقعق طائرٌ كالغراب .
(٢) العارض : الغيم الممطر .

أقعدت في الكتاب من لم يكنْ يضرُّه أنَّك لا تقعدُهْ
أنت أبوه فهو يُنمي إلى كتابةٍ يوجبها محتدُهْ[1]
إن شئت علَّمْتهُ وإن شئت لا لا بدّ أن تحكي أباه يدُهْ

وقال [من السريع] :

لا زلت يا عُمْرَ أبي عمرو أبقى على الدّهر من الدهر
فتَى إذا ما جاء لي بحرُهُ أمرت من يخرى على البحر
وإن بدا لي وجهه طالعاً صفعت بالشمس قفا البدر

وله [من السريع] :

فديت عزّ الدولة المرتجى بمهجتي إن قبلت مهجتي
ومن أنا في عيلة إحسانه وفقر أهلي في عيلتي
ثيابه في سفطي بيتها وخبزه مأواه في ملتي[2]
جرايةٌ أصبحت في رزقها في كلّ يوم أجتبي غلتي
وكان جوفي بالخوى مأتماً فاليوم بيت العرس في معدتي

وقال [من الخفيف] :

سيدي والذي يقيك من السو ءِ يميناً من أوكد الأيمان[3]
لا جحدت النعمى لأكفر إحسا نك عندي يا دائم الإحسان
أنا في نزهةٍ من العيش في ظلّك طول الحياة كالبستان
ذات زهرٍ فيه البنفسج والنّر جس معه شقائق النعمان
جالسٌ في تبظرمٍ ترك الحا سد يقلى بعر آسته بوراني[4]

(١) المحتد : الأصل .
(٢) سفَطي : من السفاطة : أي متاع البيت .
(٣) أوكد الأيمان : أكثرها إصراراً وعزماً .
(٤) تبظرم : إذا كان أحمق وعليه خاتمٌ فيتكلّم ويشير به في وجوه الناس .

وله في شارب دواء [من المجتث] :

يا من به تتباهى مجالسُ الخلفاءِ
ومن تقصَّرُ عنه مدائح الشّعراءِ
يا سيدي كيف أصبحت بعد شرب الدواءِ
خرجت منه تضاهي في الحسن بدر السّماء
في ثوب صحة جسمٍ مطرّزٍ بالشّفاء

وقال من أبيات في الصاحب [من مخلع البسيط] :

يا أيُّها السّيِّد الجليل المرجوُّ للحادث الجليل
كلٌّ مديحٍ أجملت فيه يقصر عن فعلك الجميل

وقال في ابن بقية [من مجزوء الكامل] :

يا بدر يا بدر التمام بك أشرقت خلع الإمام
يا من له الأسما العظا م بحرمة الأسما العظام
هبْ لي بقا ابن بقيَّةٍ هبةً تجدد كل عام
أنت الكريم فهبْ لنا هذا الكريم من الكرام
فلقد علمت بدعوتي أنّي على خبزي أُحامي

* * *

قطعة من ملحه في نوادره في سائر الفنون

وقال [من الوافر] :

أعصرَ شبيبتي قف لي قليلا أناشدك المودّة أن تحولا(1)

---

(1) أن تحول : أن تفارق وتتغير .

فديتك يا شبابي أنت ما لي ... أراك مكلكلاً نضواً عليلا[1]
تولّى حسنك المفقود عنّي ... وحوّل رحله إلاّ قليلا
وقالوا الشيب يكسبه جلالاً ... معاذ الله بل خطباً جليلا

وقال [من الوافر] :

بياض الشيب تكرهه الغواني ... ويعجبها سوادٌ في الشباب
وشيبُ لحى الزناة فدتك نفسي ... ضراطٌ في اللحى عند القحاب

وقال [من مخلع البسيط] :

طاقة آسٍ جنيت منها ... بلحظتي نرجساً ووردا
أرضاه مولىً وليس يرضى ... مولاي بي في هواه عبدا

وقال [من السريع] :

فديت إنساناً على هجره ... ووصله تحسدني الناسُ
لما احتوى الورد على خدّه ... ودبّ في عارضه الآسُ
مزجت كأسي من جنى ريقه ... بمثل ما دارت به الكأسُ

وقال في أرمد [من البسيط] :

أنا الفداء لعينٍ بعض أسهمها ... مشكوكةٌ بين أحشائي وفي كبدي
فيها سقامٌ فتورٍ لا خفاء به ... تُجدِّد السقم في قلبي وفي جسدي[2]
كانت تعلُّ فؤادي وهي سالمة ... فكيف بي وهو يشكو علّة الرمد ؟؟[3]

---

(١) مكلكلاً : مهموماً . نضواً : هزيلاً .
(٢) الفتور : الضعف والإنكسار .
(٣) تعلُّ : تمرض .

وقال [من المنسرح] :

فديت من مرَّ في الرصافة بي فقلت : يا سيدي، فلم يُجِبِ
واصفرَّ غيظاً عليَّ وامتزجتْ صفرةُ ذاك اللُّجين بالذهب

وقال في أبي تغلب يستهديه فرساً [من الرمل] :

اسمع المدح الذي لو قيل في أحدٍ غيركَ قالوا سرقا
جاء يستهديك مهراً أدهماً يركب الفارس منه غسقا[١]
كالدّجى تبصر من غرَّتِهِ فوق أطباق دجاه فلقا[٢]
جلَّ أن يلحق مطلوباً ومن طلب الرِّيح عليه لحقا
فتراه واقفاً في سرجه يتلظّى من ذكاه قلِقا[٣]
فإذا طار به المشي مضى وهو كالرّيح يشقُّ الطرقا
كالسّحاب الجون إلاّ أنَّه ليس يسقي الأرض إلاّ عرقا
جمع الأمرين يعدو المرطى في مدى السبق ويمشي العنقا[٤]

وقال يصف الفرس الذي أهداه له أبو تغلب [من المجتث] :

اليوم يوم سروري بالموصليِّ الذنوبِ
من عند قرمٍ كريمٍ جزل العطاء لبيب
آدابه جعلتهُ يُعنى بكلِّ أديب
ركَّبت فيه القوافي فجاد بالمركوب
ذو غرَّةٍ يتلالا في حالكٍ غربيب[٥]

---

(١) الأدهم : الأسود . والغسق : الظلام .
(٢) الفلق : الصباح .
(٣) يتلظّى : يتحرّق .
(٤) المرطى بفتحات : نوع من العدو ، والعنق : السير السريع .
(٥) الغربيب : الشديد السواد .

لــون الشبــاب عليــه مــع غرّةٍ كالمشيـب
صهيلــه جوف إذني ولا غنـاء غريـب
وروثــه المسـك طيبـاً بيـن اللحــى والجيـوب
لــولا اضطــراري إليه نزّهتـه عـن ركوبي

وقال في خصم له أعمى [من الوافر] :

سمعتــم قطُّ أعجــب من ضريرٍ يقــدِّر أن يجــور علــى بصيرٍ؟
ولــو شاء الــوزير- ولــم يزل لي صلاحــي في مشيئــات الوزير-
لألزمــه العصــا يمشــي عليها وعلّمــزه القــران علــى القبور

وفيه [من المنسرح] :

إن كان هذا الضــرير يعنتني بحجــةٍ مثــل عينــه غلقِه[1]
فوقّــع الســوس في عصــاه ولا بورك في قسطــه من الصدقة

وقال [من السريع] :

لا يحســن الإشــراف من مقعدٍ كأنّــه زرقــة فــرّوج[2]
أقصــر من يأجــوج في قدّه وقــرنــه أطــول مــن عوج[3]

وقال [من مجزوء الخفيف] :

أزجــر العين أن تــرى أزرق العيــن أشقــرا
مــا أرى البــوم وجهه قــطُّ إلاّ تــطـيًّرا

---

(١) يعنتني : يكرهني لزوم ما يصعب عليّ أداؤه واحتماله ، غلقه : مقفله .
(٢) زرقة فرّوج : سلحته .
(٣) يأجوج ومأجوج ، ورد ذكرهما في القرآن الكريم ، قومٌ من الأقوام .
وعوج : هو عوج بنُ عوق : رجلٌ ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى وذكر من عظم خلقه شناعة .

وقال [من الخفيف] :

سيدي حشمتي عليك حرامُ   وبحكم الكريم تقضي الكرامُ
وأرى مذ ملكتني أنّ مثلي   أبداً لا تفيدك الأيامُ
خادمٌ ناصحٌ ، وعبدٌ محبٌّ   وصديقٌ ، وصاحبٌ ، وغلامُ
خمسة قد جمعتهم لك وحدي   لمعاني اختصاصهم والسلامُ

وقال يتشوق رئيسا ويصف رواقه [من الكامل] :

لا والذي يا سيدي يفني الأنام وأنت باقي
ما للخليفة مثل صحنك والتدلّي والرواق[1]
دارٌ غدت شرفاتها توفي على السّبع الطباق
فقبابها وكواكب الجوزاء تسمو باتّفاق
ولها حصونٌ تشتكي حيطانها بعد الفراق
ويضيع فيها الخضر وهو يسير في ظهر البراق
لما دخلت أطوفها ومشيت في طول الرواق
دارٌ بها يا سيدي ما بي إليك من اشتياق

وقال يناقض ابن المعتز في قوله [من المجتث] :

لا تدعني لصبوحٍ   إنّ الغبوق حبيبي
الليل لون شبابي   والصّبح لون مشيبي

وقال [من مخلع البسيط] :

الصّبح مثل البصير نورا   والليل في صورة الضرير
فليت شعري بأيّ رأيٍ   يختار أعمى على بصير

---

(١) الصحن : الدار أو البهو المتسع فيه .

وقال [من مخلع البسيط] :

كم من صديقٍ يروق عيني بالشّكل والحسن واللّباقهْ
ليس له في الجميل رأيٌ ولا بفعل القبيح طاقه[1]
كأنّه في القميص يمشي فالوذج السوق في رقاقه[2]

وقال يصف بغلة [من السريع] :

تعرف لي أحسن من بغلةٍ جدَّدت في البرِّ بها عهدي
تنساب كالماء على حافرٍ كأنّه من حجرٍ صلدِ
نابت عن الأشهب لما مضى نيابة الكلب عن الفهد[3]

حاشية من قصيدة لابن حجاج [من الوافر] :

فأقسم لا بيسين وطه ولا بالذاريات ولا الحديد[4]
ولكن بالوجوه البيض مثل الـ ـأهلة تحت أغصان القدودِ
وشربِ الريِّ من خمر الثنايا وشمٍّ المسك من ورد الخدود
وتطفيتي حرار الوجه يوم الـ ـفراق بمصٍّ رمّان النهود
وبالخمر التي كانت لعادٍ ولكنْ بعد محنتهم بهود
مدامٌ في قديم الدهر كانت تعدُّ لكلِّ جبارٍ عنيد
مدامٌ ليس لي فيها إمامٌ أصلِّي خلفه غير الوليد

* * *

---

(١) طاقه : قدره .
(٢) الفالوذج : نوع من الحلواء تعمل من الطحين والماء والعسل . والرقاق : نوع من الخبز .
(٣) الأشهب : ما كان لونه الشهبة وهي بياض غلب على السّواد .
(٤) يسين وطه والذاريات والحديد : سورٌ من القرآن الكريم .

فصـــل

ملح ابن حجاج لا تنتهي حتى ينتهي عنها ، وفيما أوردته منها كفاية ، على أنها غيض من فيضها ، وقراضة من تبرها[1] ، ولكن الكتاب لا يتسع لأكثر من ذلك ، والله أسأل العفو والمغفرة .

* * *

أبو القاسم علي بن جلبات

أحد أفراد الدهر في الشعر ، وكنت أنشدت له لمعاً أوردتها في النسخة الأولى ثم وجدتها منسوبة إلى غيره ، كقوله [من الكامل] :

برزت لنـــا تحـــت القنـــاع الأزرق   ليلاً فعـــاد لنـــا كصبـــحٍ مشرقِ
الوجـــه بدرٌ والقنـــاعُ سماؤهُ   والشّعـــر بينهمـــا كليلٍ مُطبقِ

ثم وقع إلي من شعره الصحيح قصائد في الخليفة القادر بالله والوزير أبي النصر سابور بن أردشير ، فأخرجت غررها ، وهي سوى ما يقع من شعره في مجموع أشعار أهل العراق في الوزير سابور ، وإذا سقت ذلك أكرر ذكر ابن جلبات في جملتهم .

قال أبو القاسم من قصيدة في الخليفة القادر بالله [من الطويل] :

وفـي الدهـر عن مطلٍ بمـا هو واعدٌ   فساخطــه راضٍ ، وشــاكيه حامدُ
وأدركتِ الـرّيَّ الخلافـة بعدما   تجهّمهـا عن موقف الحـقِّ ذائدُ[2]
رأت قادراً بالله لم يعـدُ قدره   مدى العفــو عمّـا رام باغٍ وحاسدُ
رأينـا به العبـاس معنـىً وصورةً   فمـا عدَّ عنَّـا غائبـاً فهـو شاهدُ

---

(١) القراضة : القطع الصغيرة ، والتبر : الذهب .
(٢) تجهّم : استقبلها ، وذائد : مانع .

تقبَّلَــهُ فضـــلاً أشـاد بذكره ... له قبلــه جدٌّ كريمٌ ووالد
كذاك الأصــول الــزاكيات ذواهبٌ ... إلــى ما رأتهــا بالــزكاء المحاتد
ومــن يكُ لله المهيمــن سعيه ... ينــل ساعياً في ظلّــه وهــو قاعد

ومنها :

فللّـه ما تأتــي ولله ما ترى ... ومــا أنــت فيه صادرُ الأمــر واردُ
وملّيت من ربٍّ السمــاء فوائداً ... عدوّك منهــا قبــل سيفــك فائدُ
فوالله ما ندري أليث ضبارمٍ ... مفيت الأعـادي أنـت أم أنـت عائد[1]
كذا الخلفاء الراشـدون الأولـى مضوا ... وأنــت عليهــم بالبقية زائد
فلا عوّلَــتْ إلاّ علــى مجــدك العلا ... ولا انتسبــت إلا إليك المحامد

وقال في الوزير سابور بن أردشير [من الوافر] :

رويدك قــد تعــاليت اطّلاعاً ... علــى العلياء همّاً وارتفاعا[2]
ونفســك لا ترى ببلــوغ مجدٍ ... ـ وإن أوفــى علــى النجــم ـ اقتناعا
إذا ما خطّــةٌ ضاقــتْ عليه ... أشــرت لهــا فأمعنــتِ اتساعا
برأيٍ ما رأتــه الشــمس إلاّ ... تمنّــت أن تكون له شعاعا
وأذلَّ بعــزِّه صــرفَ الليالي ... ورام عصيّهــا حتــى أطاعا
ندىً وبسالــةً علمــاً يقيناً ... بأنّهمــا به في الخلــق ذاعا
تكفَّــل ذا نداك ومــا رأينا ... جواداً كامــلاً إلاّ شجاعـا
ودونــك كلّ بكرٍ لم تملّكْ ... سواك لهــا من الأنفِ افتراعا[3]
رأت حســن اختراعــك للمعالي ... فبــارتها معــانيهــا اختــراعا
وهــا أنــا ذا أرى لك كلَّ وقتٍ ... ببــدعٍ من مكارمــك ابتداعا

(١) الضبارم : الأسد ، والرجل الجريء على الأعداء ، على سبيل الاستعارة .
(٢) اطّلاعا : رفعة واشرافاً .
(٣) الأنف : الشمم والكبرياء ، واقتراعاً : من اقترع البكارة أي افتضّها .

تراعـي أمـرَ ذا وتـريش هذا فما لي لا أُراش ولا أراعى ؟[1]
فلا زالـت لك الـدنيا فناءً ولا حلّ الفنـاء لهـا رباعا
فقـد أضحـى افتـراق المجـد فيمن حوتـه من الـورى فيك اجتماعا

وله من أخرى فيه [من المتقارب] :

فدمْ يا وزير العـلا والنُّهى تنـال المنـى وتوقّـى الحذارا
وراعِ اختلالـيَ سراً ولا تراع ربـاء اختلالـي جهارا[2]
ولا تستمـع خبـراً طارئاً عن المـرء أو تبتليه اختبارا
ولا تـحـسـبـن كـلّ عـودٍ يـريـك ما أنت مورٍ من القـدْح نارا[3]
فمـا كلُّ وحشٍ يرى ضيغماً ولا كلّ عودٍ يسمّـى غفارا[4]

وقال فيه [من الوافر] :

أبـا نصـرٍ وأنـت البحـر طامٍ على العـافين جيّاش العباب[5]
يقيم مقـام جيشٍ من ليوثٍ بفضـل نهـاه سطـراً من كتاب

ومنها :

رآك لقصـده أهـلاً ، وأنّى يرجّـى الغيث من غير السَّحاب ؟
وقـد أظمـأه ورد سواك إلاّ الـ أقـلّ، وأيّ وردٍ من سراب ؟

وقال من أخرى [من الطويل] :

ويستبشـر الإسـلام أنّـك سالمٌ وأنَّ بقـاء الملك باسمـك دائمُ

---

(١) تريش : تغني وتجعل له ما يساعده على الحياة .
(٢) اختلالي : نُكسي وسوى حالتي ،والرّباء : المنة والفضل .
(٣) مورٍ : مشعل وموقد .
(٤) الضيغم : الأسد .
(٥) طامٍ : غامرٍ وفائض .

وأنّ المعالــي ما بنــى لك ذو العلا ... وليس لمــا تبنــي يد الله هادمُ
أنـا الشـمس إن لم تستبـن عين ناظرٍ ... ضيائــي فإنّ الذنــب للعين لازمُ
ومــا دمــت بعــد الله لي عنــه رازقاً ... فمــا أتظنــي أنّــه لي حارمُ(1)

وقال من أخرى [من البسيط] :

وأنـت فرع زكاء الأصــل منــه ، ولا ... يطيب إلا بطيب المنبـت الثمرُ
وأنـت بحــر النهــى ما للعقــول إلى ... سواه مورد صفــوٍ ما له كدرُ
وأنــت بيت النــدى طافــت بكعبته ... حجّاجــه ، ونــداك الــركن والحجر
وقــد عُرِفْــتَ ولــم تحــددْ بمنزلةٍ ... والشــيء يجهــل علمــاً وهــو مشتهر(2)
كالشــمس تدركهــا الأبصــار ظاهرةً ... وحــدّ منزلهــا بالغيب مستتر
والملك من بعـد طول الـكدِّ في دعةٍ ... كالعين أغفـت وقـد أعيا بهـا السهر(3)
إليك جاب الفــلا عزمٌ تمثّــل في ... تحقيقـه منـك قبــل المــورد الصّدَرُ
في كلِّ طاميةٍ بالآل ظاميةٍ ... تصـدى بهـا النفس ما يُروى به النّظر
إذا الركائــب من أشباههــا لعبتْ ... بعــد المقيل تولّــى حثّهــا الأشر(4)
أبثُّهــا فيك آمالــي فمــا انتظرتْ ... لفــرط ما طويت ما كنــت أنتظر
حتــى إذا هي حلّــت من ذراك حمىً ... قالت : إلى منتهى المجد انتهى السّفر
ألســت لي يا أبــا نصــرٍ مدى أملي ... وأنّنــي بك في الــلأواء منتصر(5)
فمــر زمــاني لا ينتابنــي بأذىً ... فإنّــه لك فيمــا شئــت مؤتمر

* * *

(1) أتظنّي : أشك ، وحارم : مانع .
(2) تحدد : أي تقدّر بمكان .
(3) الكدّ : الجهد والعمل .
(4) الحث : السوق والاسراع ، والأشر : النشيط .
(5) اللأواء : الشدّة .

٣ ـ محمد بن الحسين الحاتمي

حسن التصرف في الشعر ، موف على كثير من شعراء العصر ، وأبوه أبو علي شاعر كاتب يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم ، وله الرسالة المعروفة في وقعة الأدهم ، وليس يحضرني من شعره إلا بيتان هما عنوان محاسنه ، وهما [من الخفيف] :

لي حبيبٌ لو قيل لي ما تمنّى ... ما تعدَّيته ولو بالمنونِ
أشتهي أن أحلّ في كلّ جسمٍ ... فأراه بلحظ كلّ العيون

* * *

ومما اخترته لابنه قوله من قصيدة في الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين استهلالها [من الخفيف] :

حيّ رسم الغميم تحيي الغميما ... إنْ فقدت الهوى فحيّ الرّسوما[1]
واستمحْ مقلة الغمام على أطلاله ديمةً أبت أن تدوما[2]
نشرت عقد دمعها فغدا النو ... ر بأعطاف روضها منظوما
هو مأوى الظباء إنساً ووحشاً ... ومحلُّ الأسود خلقاً وخيما[3]
كلُّ ريمٍ يعطو فيصطاد ليثاً ... عند ليثٍ يسطو فيصطاد ريما
كم رعينا من البطاح وكأس الـراح والأوجه الملاح نجوما
حين رضنا من التصابي جموحاً ... وبعثنا من الوصال رميما[4]
ودعتنا المنى إلى مرح الفتك ولكنّنا أجبنا الحلوما

---

(١) الغميم : إسم مكان ، والغميم : واد بين الحرمين على مرحلتين من مكان . والرسوم : الآثار .

(٢) الديمة : السحابة المطرة .

(٣) الخيم : يكسر الخاء المعجمة ـ السجيّة والطبع .

(٤) الجموح : فتوة الشباب وجهله، والرميم : البالي .

حين صرف الزمان كان اعتذاراً ورياح الخطوب كانت نسيما
قد وقفنا على الطلول طلولاً ومثلنا على الرسوم رسوما
وخلعنا على البكاء عيوناً ونزفنا من الدموع جموما[1]
ومتى يجشم الظليم مداها في سراها فقد ظلمنا الظليما[2]
وهي تبدي منها نجاراً ومن سير الدجى مخلفاً ومنّي كريما
وإلى القادر الإمام قريت البيد حرفاً أنضى بها الديموما[3]
الإمام الماضي العزيم الذي را ح وأضحى على المعالي زعيما
وهو من أسرةٍ همُ رسموا الدّهر ذرى المجد والمعالي قديما
وهمُ كالبحار جوداً وكالأنجم هدياً وكالسّيوف عزيما

ومنها :

أنت أيدت بالخلافة ركن الشرع فارتدَّ نهجه مستقيما
وذببت العدو عنه ولولا ك بلا مريةٍ لعطَّ أديما[4]
أنت أنكحتني الرجاء فقد أضحى ولوداً وكان قبل عقيما
دُمْ تدمْ دولة المفاخر والمجد وحسن الزمان في أن تدوما
والبس المهرجان ما ابتسم الفجر وأهدى من الرياض نسيما

وقال [من الطويل] :

منازلهم لا شافهتك النوازلُ وأطلالهم حيّاك طلٌ ووابلُ
كأن الرّبا لم تلبس الأرض حالياً ولا أخملت بالنور تلك الخمائل[5]

(١) الجموم : الكثير والغزير « من الجمّ » .
(٢) الظليم : ذكر النعام .
(٣) الحرف : الناقة العظيمة ، أو المهزولة ، والديموم والديمومة : الفلاة الواسعة .
(٤) عطّ : تشقق .
(٥) الخمائل : الجنائن المزهرة .

تعرّفتهـا واستنكـر الطّـرف أنّها — كما استنكرت سقـم المحبٍّ العواذل

وكم قطْـع ليلٍ بعـد ليلٍ قطعته — وسرح الكرى عن جفـن عينـي هامل

وقـد مالـت الجـوزاء حتّـى كأنّما — بهـا راقصٌ من سورة الـكأس مائل

وخلـت الثـريا كف عذراء طفلةً — مختّمـةً بالـدُّرِّ منهـا الأنامل

تخيّلتهـا في الأفـق طرَّة جعبةٍ — ملـوكيةٍ لم تعتلقهـا حمائل[1]

كأنّ نبـالاً ستـةً من لآلىءٍ — يوافـى بهـا في قبَّـة الأفـق نائل[2]

وعيشٍ كنـوّار الـرياض استرقته — خلاسـاً ، وأحـداث الليالي غوافل[3]

لمامـاً وأغصـان الشبيبـة رطبةٌ — ومـاء الصبـا في ورد خدّيَ جائل

ويومٍ كحلـي الغـانيات سلبته — حلي الربـا حتى انثنى وهـو عاطل

سبقـت إليه الصبح والشـمس غضّةٌ — وصبـغ الدجى عن مفرق الفجر ناصل[4]

ونشـوان من خمـر الـدّلال سقيته — شمـولاً فنمَّـت عن هواه الشمائل[5]

شكا ظمـأً منـه الموشّـحُ ، وارتوت — بمـاء الصّـبا أردافـه والخلاخل

إذ العيش مخضـرّ الأصائـل ناعمٌ — وإذ زبـرج الـدنيا خليلٌ مواصلُ[6]

وليلٍ موشّـى بالنجـوم صدعته — بأبيضَ وشّـى صفحتيه الصياقل[7]

إليك ، أمير المـؤمنين، ارتمـت بنا — بنـات الفـلا والمقربـات الصواهل

إلـى من له في جبهـة الدهـر ميسمٌ — ومن سيفـه في مفـرق الدهـر سائل[8]

تشيم الحيا من كفّـه وهـي لجَّةٌ — تشـقُّ جيوب القطـر فيهـا الأنامل

---

(١) الحمائل : ما يعلّق به السيف .

(٢) النائل : العطاء .

(٣) خلاساً : أي خلسة في غفلةٍ من عين الزمن .

(٤) ناصل : خارج .

(٥) نمّت : دلّت وأظهرت، والشمائل : الصفات .

(٦) الزبرج : الزينة من وشي أو جوهر أو نحوهما ،وهنا يعني إقبال الدنيا عليه بمباهجها .

(٧) وشّى : طرّز وزيّن : والصياقل : الذين يصقلون السيوف .

(٨) الميسم : العلامة والأثر .

(٩) تشيم : تنظر وتتطلع .

ومن عوّدته المكْرُماتُ شمائلاً | فليس له عنها ، ولو شاء ، ناقل
وإنْ راسل الأعداء فالجرد رسله | إليهم ، وأطراف العوالي الرسائل[1]
بيومٍ عقيمٍ يلقح البيض بأسه | ولود المنايا وهو أشمطُ ثاكلُ[2]
إذا ما أسرّ النقع أنوارُ شمسه | أذاعت بأسرار الحمام المناصل[3]
فيا بدرُ لا تغرب ، ويا بحرُ لا تفضْ | ويا نوءُ لا تخلف حياً منك هاطل[4]
عظُمْتَ فهذا الدهر دونك همّةً | وجدت فهذا القطر عندك باخلُ

وقال في الأمير شمس المعالي [من الخفيف] :

كم قلوبٍ تحمّلت بالحمول | ودموعٍ طلّت بتلك الطلولِ
واصطبارٍ أضيع ما بين إيضا | ع المطايا وفي المحلّ المحيلِ[5]

ومنها :

وبنفسي بدرٌ يعود ضياء الـ | ـبدر من نور وجهه بالأفولِ
أثمرت وجنتاه روضاً جنى الـ | ـورد يفتّر عن غديرٍ شمولِ
وإلى مسرح المكارم قابو | س أراح الندى سوام العقولِ[6]
فارسُ الكتب والكتائب والمنـ | ـبر والخيل واليراع النحيل
تعبُ البيض والسلاهب والأر | ماح والوفر والندى والعذول[7]
وكهولٌ أوهت كواهلها السمـ | ـر تهادى إلى ابتغاء الدخول
يتعاطون بالصوارم كاسا | ت المنايا على غناء الصّهيل

(١) الجرد : الخيل الأصيلة ، والعوالي : الرماح .
(٢) الأشمط : الذي خالط سواد شعره البياض .
(٣) النقع : الغبار ، والحمام : الموت .
(٤) النوء : المطر وشدّة الريح .
(٥) المحيل : الماحل المجدب .
(٦) سوام العقول : طلبها والتفكير بها .
(٧) السلاهب : من الخيل ما عظم وطال عظامه . ، والعذول : الكثير العذل واللوم .

كم يدٍ للخطوب طالت على الأحـــــــــرار قصّـــرتهـا ببــاعٍ طـــويـــل
فـابقَ ما استعبـر الغمام ومـا علّـــــــــلَ صبّـاً نسيمُ روضٍ عليـل(1)

* * *

(١) استعبر : سال ماؤه واستعبرت العين : جرى دمعها .

الباب الثامن
في تفاريق قطع من مِلح المقلّين

من أهل بغداد ونواحيها ، والطارئين عليها من الآفاق، والمقيمين بها .

٤ ـ القاضي ابن معروف

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن معروف ، وكان ـ كما قرأته في فصل للصاحب ـ شجرة فضل ، عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ، وتغذيها أرض المروءة ، وقد تقدم بعض ذكره في منادمة المهلبي وغيره من الوزراء ، وجمعه بين جد العلم وهزل الظرف ، وخشونة الحكم . ولين قشرة العشرة ، وكان ـ على تقلده قضاء القضاة دفعات بالحضرة واشتغاله بحلائل الأعمال من أمور المملكة ـ يقول شعراً لطيفاً في الغزل ، يتعاوره القوالون والقيان ملحناً[1] .

وقرأت لأبي إسحاق الصابي فصلاً من كتاب عن الوزير ابن بقية إلى ابن معروف ، واستحسنه جداً في وصف نظمه ونثره وهو :

وصل كتاب قاضي القضاة ، بالألفاظ التي لو مازجت البحر لأعذبته ، والمعاني التي لو واجهت دجى الليل لأزاحته وأذهبته ، ولم أدر بأي مذاهبه فيها

(١) يتعاوره : يتداوله .

أعجب ، ولا من أيها أتعجب ، أمن قريض عقوده منظومة ، أم من ألفاظ لآلئها منثورة ، أم من ولوجها الأسماع سائغة ، أم من شفائها العلة نافعة ؟ وأما الأبيات التي رسم التقدم بتلحينها ، وقال بمذهب أهل الحجاز فيها ، فما أعرف كفؤاً لمثلها ملحنا ، ولو كان إسحاق الموصلي ، ولا مجيباً ولو كان امرأ القيس الكندي ، ولا أرضى لها مهراً إلا حبات القلوب ، ولا مجالاً إلا أرجاء الصدور ، وقد جعل الله فيها من الفضل ما يشغلنا حفظه عن تعاطي الإجابة عنه ، وقرن بها من الأطراب ما يكفينا تأمله عن صياغة الألحان له .

ولأبي إسحاق شعر كثير فيه ، فمن ذلك قوله في افتتاح قصيدة [من البسيط] :

أقسمت بالله ما يُرجى لمعروفِ ... في الحادثات سوى القاضي ابن معروفِ

ولابن حجّاج في بعض من كان يناوىء ابن معروف من الحكام [من مخلع البسيط] :

يا أيُّها الحاكم الرقيع ... ذقنك في سلحتي نقيعْ
إن ابن معروف في محلٍّ ... مرامه متعبٌ منيعْ
فضّله الله واجتباه ... للأمر واختاره المطيع
هذا له وحده فقل لي ... من أنت في الناس يا وضيع

وقد أوردت ما حضرت به من مشهور ما هو من شرط الكتاب من غرره ، فمنها قوله من قصيدة [من الطويل] :

ولم تُسلِني الأيام عنك بمرّها ... بلى زادني بعد اللقاء تتيُّما
وقد كنت لا أرضى من النيل بالرضا ... وآخذ ما فوق الرضا متلوِّما
فلما تفرَّقنا وشطّت بنا النوى ... رضيت بطيفٍ منك يأتي مسلِّما[1]

(١) شطّت : باعدت .

وقال [من الكامل] :

لو كنت تدري ما الـذي صنـع الهوى ... والشـوقَ بالجسـد النحيل البالي
لهجـرتَ هجـري واجتنبـت تجنُّبي ... ووصلـت من بعـد الصـدود وصالي

وقال [من الطويل] :

ومـا سرَّ قلبـي منـذ شطَّـتْ بك النّوى ... نعيمٌ ولا كأسٌ ولا متصرِّف
ومـا ذقـت طعـم المـاء إلاّ وجدته ... سوى ذلك الماء الـذي كنـت أعرف
ولـم أشهـد اللّـذات إلاَّ تكلُّفا ... وأيُّ نعيمٍ يقتضيه التكلُّفُ[1] ؟

وقال [من مجزوء الكامل] :

احـذر عـدوّك مـرةً ... واحـذر صديقـك ألفَ مرَّةْ
فـلربّـمـا انـقـلـب الـصّـديـق ... فكـان أعـرف بـالمضـرَّةْ

* * *

٥ ـ أبو الفرج الأصبهاني

علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الأصل ، البغدادي المنشأ ، وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيها ، وله شعر يجمع إتقان العلمـاء ، وإحسـان ظرفـاء الشعراء ، والذي رأيته من كتبه : كتاب القيان ، وكتاب الأغاني ، وكتاب الإماء الشواعر ، وكتاب الديارات ، وكتاب دعـوة النجـار ، وكتـاب مجـرد الأغانـي ، وكتاب أخبار جحظة البرمكي ، وما أشـك في أن له غيرهـا ، وكان منقطعـاً إلـى المهلبي الوزير ، وكثير المدح ، مختصاً به ، فمن ذلك قوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) التكلُّف : التصنُّع ، وتحمل الشيء على غير عادة .

ولمـــا انتجعنـــا لائـــذين بظلِّه ... أعـــان ومـــا عنَّـــى ومـــنَّ ومـــا منَّا[1]
ورَدْنـــا عليه مقتـــرين فَرَاشَنَا ... ورِدْنـــا نداه مجـــدبين فأخصبنا[2]

وله من قصيدة يهنئه بمولود له من سرية رومية [من الكامل] :

آسعـــدْ بمولـــودٍ أتـــاك مباركاً ... كالبـــدر أشـــرق جنـــح ليلٍ مقمرِ
سعـــدٌ لوقـــت سعـــادةٍ جاءت به ... أمٌّ حصـــانٌ من بنـــات الأصفر
متبجِّـــحٌ في ذروتـــي شرف الذرى ... بين المهلَّـــب منتمـــاه وقيصر
شمس الضحى قرنت إلى بدر الدجى ... حتـــى إذا اجتمعـــا أتـــت بالمشتري

أخذه من مصراع ابن الرومي [من السريع] :

* شمسٌ وبدرٌ ولدا كوكبا *

وقال من قصيدة فيه عيدية [من الطويل] :

إذا ما علا في الصّـــدر للنهـــي والأمرِ ... وبثّهمـــا في النفـــع منـــه وفـــي الضرِّ
وأجـــرى ظُبـــى أقلامـــه وتدفَّقتْ ... بديهتـــه كالمستمـــدٍّ من البحر[3]
رأيت نظـــام الـــدُّرِّ في نظـــم قولِهِ ... ومنثـــوره الرقـــراق في ذلك النثر
ويقتضـــب المعنـــى الـــكثير بلفظهِ ... ويأتي بما تحوي الطـــوامير في سطر[4]
أيا غرَّة الدّهـــر ائتنفْ غرَّة الشّهر ... وقابـــلْ هلال الفطـــر في ليلـــة الفطر[5]
بأيمـــن إقبـــالٍ وأسعـــد طائرٍ ... وأفضـــلَ ما ترجـــوه في أفســـح العمر
مضى عنك شهر الصوم يشهـــد صادقاً ... بطهـــرك فيه واجتنابـــك للوزر
فأكرم بمـــا خطّ الحفيظـــان منهما ... وأثنـــى به المثني وأطـــرى به المطري

---

(١) عنّى : حبس معونته ، ومنّ : تكرّم ، وما منّا : أي لم يعدّد ما فعله له من الخير وفخر به .
(٢) مقترين : معدمين ، فقراء .
(٣) الظُّبى : جمع ظبّة ، حدّ السيف والسنان والسكين ونحوها ، ويعني بها رؤوس الأقلام لأنها مسنّنة .
(٤) الطوامير : الصُّحف .
(٥) إئتنف الشيء : أخذ فيه وابتدأه .

وزكّتــك أوراقُ المصــاحف وانتهى إلـى الله منهــا طول درســك والذِّكر
وقبضـك كفَّ البـطش عن كلِّ مجرمٍ وبسطكهـا بالعُــرف في الخير والبرّ[1]
وقـد جاء شـوال فشـالت نعـامـة الـــــــصّيام وأبدلنا النعيم من الضـرّ[2]
وضجّت حبيس الدنّ من طول حبسها ولامـت علـى طول التجنُّـب والهجر
وأبرزهــا من قعــر أســودَ مظلمٍ كإشــراق بدرٍ مشــرق اللّــون كالبدر
إذا ضمّهــا والــورد فوه وكفُّه فلا فرق بين اللـون والطعـم والنشر[3]
وتحسبــه إذ سلســل الـكأس ناظماً على الكوكب الدرِّيِّ سمطاً من الدُّرّ[4]

وقال يهنئه بالعافية [من البسيط] :

أبـا محمــدٍ المحمـود يا حســن الـ إحسان والجود يا بحر الندى الطّامي[5]
حاشــاك من عود عوّادٍ إليك ومن دواء داءٍ ومــن إلمـام آلام

وقال فيه [من المتقارب] :

تــأوّب عينـي طيفٌ ألمّ لظالمــةٍ طرقــت في الظُّلم[6]
تخيَّل منهــا خيالٌ سرى فيسلــب حلمـي بذاك الحلم
فمــا أنس لا أنس إقبالها تميسُ بغصــنِ سَقَتْــهُ الدِّيم[7]
وقــد بدرت مثـل بدر الدّجى سمــا في السمــاءِ علــوّاً وتمّ
علــى رأسهــا معجــرٌ أزرقٌ وفــي جيدهــا سبحــة من برم[8]

---

(١) العرف : الكرم والمعروف .
(٢) شالت : ارتفعت .
(٣) النشر : الرائحة الطيبة .
(٤) السمط : العقد .
(٥) الطامي : الفيّاض الغامر .
(٦) تأوّب : وجع وألم .
(٧) تميس : تمشي بغنجٍ ودلال .
(٨) المعجر : الغطاء ، والبرم : كل ما فيه لونان مختلطان وحبلٌ للمرأة مزيّن بجوهر .

ولـم ترتقـبْ لطلـوع الرقيب ... ولـم تحتشـمْ لطلـوع الحشـم
لقـد سؤتنـي يا نظـام السرور ... وأسقمتنـي يـا شفـاء السقم
أهـذا المـزار أم الازورار ... وإلمامـكم ألـمٌ أم لمـم[1]
ويومٍ كمثـل رداء العرو ... س حسنـاً وطيبـاً إذا ما يشم
خلعـت عذاري ولـم أعتذر ... ولـم أحتشـم فيه من يحتشم
وقابلـتُ فيه صفـاء الشمال ... بصفـو الشمـول وشجـو النغم
فـداؤك نفسـيَ هذا الشتاء ... علينـا بسلطانـه قد هجم
ولـم يبـق من نشبـي درهمٌ ... ولا من ثيابـيَ إلاّ رِمم[2]
يؤثّـر فيهـا نسيم الهواء ... وتخرقُهـا خافيـات الوهـم
وأنـت العمـاد ونحـن العفاة ... وأنـت الـرئيس ونحـن الخدم[3]

وله فيه [من المتقارب] :

فـداؤك نفسـي من الحادثاتِ ... وريب الـرّدى وحلـول الحذرْ
فعـالك تكبـر عن موعدٍ ... ووعـدك يسبـق أنْ ينتظرْ
وكفُّـك تهمـي علـى المعتفين ... بفيضٍ عفـا وصفـا من كدر
إذا عاقـك الشغـل عنّـي ولم ... أذكّرك نفسـيَ خوف الضّجر
تسكّعـتُ في حيرةٍ لا أجو ... ز منهـا إلـى عضـدٍ أو وزر
رهنـت ثيابـي وحـال القضا ... ء دون القضـاء وصـدٌّ القدر
وهـذا الشتـاء عسـوفٌ علي ... كمـا قد تراه قبيح الأثـر[4]
يغـادي بصـرٍّ من العاصفا ... ت أو دمـقٍ مثـل وخـز الإبر[5]

---

(١) في الأصول : « وإلمامكم بنا ألم أم لمم » ولا يستقيم به الوزن .
(٢) النشب : المال القديم الموروث ، والرمم : البالي .
(٣) العفاة : المحتاجين .
(٤) عسوفٌ : قاسٍ وظالم .
(٥) الصرّ : صوت الريح وعصفها .

وسكان داري ممّن أعو ل يلقين من برده كلَّ شرّ
فهذي تحنُّ، وهذي تئنُّ وأدمع هاتيك تجري درر
إذا ما تململن تحت الظلام تعلَّلن منك بحسن النظر
ولاحظنَ ربعك كالممحليـ ـن شاموا البروق رجاء المطر[1]
يؤمّلن عَودي بما ينتظرن كما يرتجى آيبٌ من سفر
فأنعمْ بإنجازِ ما قد وعدت فما غيرك اليوم من ينتظر
وعشْ لي وبعدي فأنت الحيا ة والسمع من جسدي والبصر

وقال من أخرى فيه [من البسيط] :

يا فرجةَ الهمِّ بعد اليأس والوجلِ يا فرحة الأمن بعد الروع والوهلِ
اسلمْ ودمْ وابقَ واملكْ وانمُ واسمُ وزدْ واعطِ وامنع وضرّ وانفع وصلْ وصلِ

وقال في وصف الخمر من قصيدة [من الخفيف] :

وسلافٍ كالتبر أذكى من المسك وأصفى صبغاً من الزّعفران
وكأنّ اليد التي تحتويها من صبيب العقيان في دستبان[2]

وقريب منه قوله [من الطويل] :

وبكرٍ شربناها على الورد بكرةً فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغدِ
إذا قام مبيَضٌّ اللباس يديرها توهمته يسعى بكمٍّ مورَّدِ

والأصل فيه قول أبي الشيص [من الطويل] :

سقاني بها والليل قد شاب رأسه غزالٌ بحنّاء الغزالة مختضبْ

(١) شاموا : نظروا وترقّبوا .
(٢) الدستبان : نوعٌ من الآنية .

وقال في أبي سعيد السيرافي [من الخفيف] :

لســت صدراً ولا قرأت علــى صد ... رٍ ولا علمــك البــكيُّ بكافي[1]
لعن الله كـل شعــرٍ ونحو ... وعــروض يجــيء من سيراف

وقال في القاضي الأيذجي، وكان التمس منه عكازة فلم يعطه إياها [من البسيط] :

اسمـع حديثــي تسمــع قصّــةً عجبا ... لا شيء أعجـب منهـا تبهــر القصصا
طلبــت عكّازةً للوحــل تحملني ... ورمزتها عند من يخبي العصـا فعصى
وكنـت أحسبـه يهــوي عصـا عصبٍ ... ولــم أخــل أنّــه صبٌّ بكل عصا

وكتب إلى القاضي التنوخي يلتمس منه خبرا [من الرجز] :

يا أيُّهــا القاضــي السنــيُّ الذّكر ... ومــن علا علــى قضـــاة العصر
قــد اجتمعنــا في محــلٍّ وعر ... ومنــزلٍ ضنــكٍ ومثــوىً قفر
خــالٍ من الخير كثير الشرِّ ... نلقــى زمانــي ألــمٍ وضرٍّ
مــن ليل بقٍّ ونهــار حرٍّ ... فقــد فقــدت جلــدي وصبري
وليس لي عنــد مجــيء فكري ... سوى تشــكّي فادحــاتِ أمري
بقلــمٍ يخطّهــا في سطر ... إلــى فتــىً ذي أدبٍ وقدر
فاسمــع لشــكواي وجــدْ بعذر ... قد صفّــرت محبرتــي من حبر
ولــم أجــده مشتــرىً فأشري ... فجــد حبــاك الله طول العمر
بمثلهــا حبــراً وفــز بشكري ... من بين نظــمٍ حســنٍ ونثر
وربَّ مجــدٍ باســقٍ وفخرٍ ... نالهمــا الحــرُّ ببــذل النزر[2]

* * *

(١) البكيُّ: القليل العطاء ، ومن الآبار : القليلة الماء .

(٢) الباسق : الشامخ الرفيع ، والنزر : القليل من الجهد .

٦ ـ أبو الحسن بن مقلة

من أبناء الوزراء وبقية بني مقلة ، يقول [من الخفيف] :

لستُ ذا ذلّةٍ إذا عضّني الدّهـر ولا شامخاً إذا واتاني
أنا نارٌ في مرتقى نفس الحا سد ماءٌ جارٍ مع الإخوان

وقال من قصيدة [من الكامل] :

وإذا رأيتُ فتىً بأعلى رتبةٍ في شامخٍ من عزّه المترفّعِ
قالتْ لي النفس العروف بفضلها: ما كان أولاني بهذا الموضع

وقال [من الكامل] :

الدّهرُ يلعب بالفتى فيهيضُهُ طوراً ، ويجبر عظمه فيُراشُ[1]
وكذا رأينا الدّهر في إعراضه ينحى وفي إقباله ينتاش[2]

وقال [من المتقارب] :

أدلَّ فيا حبذا من مدلّ ومن ظالمٍ لدمي مستحلّ
إذا ما تعزّز قابلته بذلٍّ ، وذلك جهد المقلّ

وقال [من الرمل] :

أنت يا ذا الخال في الوجنة ممّا بيَ خالِ
لا تبالي بي ولا تخطرني منك ببال
لا ولا تفكر في حا لي وقد تعرف حالي
أنا في الناس إماميٌّ وفي حبّك غالي[3]

* * *

(١) يهيض : يكسره ، كناية عن الفقر ، ويراش : أي يجعل له ريشاً كناية عن الغنى .
(٢) ينتاش : يطلب وينقذ .
(٣) غالي : أي مغالي من الغلو .

٧ ـ أبو الحسن علي بن هرون بن المنجم

ذو نسب عريق في ظرفاء الأدباء ، وندماء الخلفاء والوزراء ، وفي أسرته يقول الصاحب [من الكامل] :

لبني المنجّم فطنةٌ لهبيه ومحاسنٌ عجميةٌ عربيه[1]
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهم حتى عُرفت بشدَّةِ العصبيه

ولذكرهم في القسم الثالث من هذا الكتاب مكان في أصحاب الصاحب وشعرائه .

* * *

فأما أبو الحسن ، الذي هو كبيرهم ، فقد اقتصرت من ذكره واقتصاص أمره على نبذ حكاها الصاحب في كتابه المعروف بالروزنامجه ، مما اتفق له مع أبي محمد الوزير المهلبي حين ورد الصاحب بغداد ، وقد أرسل يحكيها لأستاذه ابن العميد ، ثم أوردت ما علق بحفظي من ملحه .

فصل

استدعاني الأستاذ أبو محمد فحضرت وأبناء المنجم في مجلسه ، وقد أعدا قصيدتين في مدحه فمنعهما من النشيد لأحضره فأنشدا قعوداً وجودا بعد تشبيب طويل ، وحديث كثير : فإن لأبي الحسن رسما أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته ، وعتابه إن طويته ، ولأن أحصل عنده في صورة متزيد ، أحب إلى من أن أحصل عنده في رتبة مقصر، يبتدىء فيقول ببحة عجيبة ، بعد إرسال دموعه ، وتردد الزفرات في حلقه ، واستدعائه من جؤذر غلامه منديل عبراته ، والله والله ، وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلها وحرامها ، وطلاقها وعتاقها ، وما ينقلب إليه حرام وعبيده

---

(١) فطنه لهبيه : أي متوقّده دليل على الذكاء .

أحرار لوجه الله تعالى ، إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله ، أو اتفق من عهد أبي دؤاد الإيادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله ، بل عيبه أن محاسنه تتابعت ، وبدائعه ترادفت ، فقد كان في الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يجمله ويسود به شاعره ، ثم ينشد ، فإذا بلغ بيتاً يعجب ويتعجب من نفسه فيه قال : أيها الوزير من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم جليس الخلفاء وأنيس الوزراء ، ثم ينشد الابن والأب يعوذه[1] ويهتز له ، ويقول أبو عبد الله استودعه الله ولي عهدي وخليفتي من بعدي ، ولو اشتجر[2] اثنان من مصر وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواه ، أمتعنا الله به ورعاه ، وحديثه عجب ، وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته ، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق ووفور الأدب والفضل وتمام المروءة والظرف بحال أعجز عن وصفها ، وأدل على جملتها أنه مع كثرة عياله واختلال أحواله طلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه ، فامتنع من بيعها ، وأعتقها وتزوج بها .

فصل

وسمعت عنده أبا الحسن بن طرخان ، وقد نمى إلى سيدنا خبر ابنه وحذقه والفتى يبرز عليه مع التمسك بمذهبه ، وليس بالعراق ولا شيء من الآفاق طنبوري يشاكله أو يقاربه ، ومما يغنى به من شعر أبي الحسن ويحلف على الرسم أن لا مداني له فيه [من الكامل] :

بيني وبين الدهر فيك عتابُ ... سيطول إنْ لم يمحهُ الإعتابُ
يا غائباً بوصاله وكتابه ... هل يرتجى من غيبتيك إيابُ
وإذا بعدت فليس لي متعلّلٌ ... إلا رسولٌ بالرّضا وعتاب

---

(١) يعوذه : يدعو له بالحفظ .

(٢) اشتجر : تخاصم .

وإذا دعـوت مساعـداً فهـو المنى سعـد المحـبُّ وساعَـدَ الأحبابُ
لولا التعلُّل بالرجـاء تقطّعتْ نفسٌ عليك شعارهـا الأوصاب[1]
لا يأس من روح الإلّـه فربما يصـل القطـوع وتحضـر الغيّاب[2]

إلى ههنا من كتاب الروزنامجه .

وقرأت للصابي فصلاً يشتمل على ذكره وبيتين من شعره ، وهو : قد شغل قلبي أيد الله سيدنا ما بلغني من تألمه من قدمه ، وأضر بي وبالأحرار انقطاعه بذلك عن مساعي كرمه . وأقول له ، ما أنشدنيه علي بن هرون بن المنجم لنفسه من قصيدة كتب بها إلى أبي الحِواري ، وقد وثبت رجله من عثرة لحقته [من الخفيف] :

كيـف نـال العثـار مـن لـم يـزل منـه مقيـلاً مـن كلٍّ خطـبٍ جسيـم
أو ترقـى الأذى إلـى قدم لمْ تخـطُ إلاّ إلـى مقـامٍ كريم

وقال في قدح أصفر [من الرجز] :

وقـدحٍ مـورّس السّـربـال مـن نقشـه قبـل المـدام حال[3]

* تحسبه ملآن وهو خال *

أخذ معنى قوله * من نقشه قبل المدام حالي * قريبه أبو محمد بن المنجم فقال من قصيدة في وصف دار الصاحب [من الطويل] :

وأبـوابهـا أثوابهـا من نقوشها فلا ظلـم إلا حين ترخـي ستورها

ولقد أحسن السرقة وجود اللفظ وزاد في المعنى .

* * *

(1) الأوصاب : الأمراض والآلام .
(2) القطوع : المهجور .
(3) مورّس : من الورس ، وهو نبات كالسمسم تغطّي ثمره غدد حمر ، يصبغ به .

٨ ـ الأحنف العكبري أبو الحسن عقيل بن محمد العكبري

شاعر المكديين[١] وظريفهم ، ومليح الجملة والتفصيل منهم . وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره فأوردته ، وهو : لو أنشدتك ما أنشدنيه الأحنف العكبري لنفسه ، وهو فرد بني ساسان اليوم بمدينة السلام ، وحسن الطريقة في الشعر ، لامتلأت عجباً من ظرفه ، وإعجاباً بنظمه ، ولا أقل من إيراد موضع افتخاره فإنه يقول [من الهزج] :

على أنّي بحمد الله في بيتٍ من المجد
بإخواني بني ساسا ن أهل الجدِّ والحدِّ[٢]
لهم أرض خراسان فقاشان إلى الهند
إلى الروم إلى الزنج إلى البلغار والسِّند
إذا ما أعوز الطرق على الطراق والجند
حذاراً من أعاديهم من الأعراب والكرد
قطعنا ذلك النّهج بلا سيفٍ ولا غمد
ومن خاف أعاديه بنا في الرّوع يستعدي

ولهذا البيت الأخير معنى بديع ، وتفسيره : يريد أن ذوي الثورة وأهل الفضل والمروءة إذا وقع أحدهم في أيدي قطاع الطريق وأحب التخلص ، قال : أنا مكدي ، فانظر كيف غاص ، وأبرز هذا المعنى المعتاص . إلى ههنا كلام الصاحب .

وفي هذه القصيدة !

وقالوا قد سلا عنك وقد حال عن العهدِ

---

(١) المكديين : المتكسّبين .
(٢) الحدّ : الفطنة .

ولا والله ما أسلو ولكن قلَّ ما عندي

وأنشدني علي بن مأمون المصيصي قال : أنشدني الأحنف لنفسه [من الخفيف] :

عشتُ في ذلَّةٍ وقلَّةِ مال واغترابٍ في معشر أندال[1]
بالأماني أقول لا بالمعاني فغذائي حلاوة الآمال
لي رزقٌ يقول بالوقف في الرأي ورجلٌ تقول بالاعتزال

وقال [من البسيط] :

رأيت في النّوم دنيانا مزخرفةً مثل العروس تراءت في المقاصير[2]
فقلت جودي فقالت لي على عجلٍ إذا تخلّصت من أيدي الخنازير

وقال [من البسيط] :

العنكبوت بنت بيتاً على وهنٍ تأوي إليه وما لي مثله وطنُ
والخنفساء لها من جنسها سكنٌ وليس لي مثلها إلفٌ ولا سكنُ

وقال [من البسيط] :

قد قسّم الله رزقي في البلاد فما يكاد يُدرك إلاّ بالتفاريق
ولست مكتسباً رزقاً بفلسفةٍ ولا بشعر ولكن بالمخاريق[3]
والناس قد علموا أنّي أخو حيلٍ فلست أنفق إلاّ في الرساتيق[4]

---

(١) الأندال : مفردها النّدل وهو الوسِخ .
(٢) المقاصير : الحجرات التي تقيم فيها والمقاصير : العشيّات .
(٣) بالمخاريق : الألاعيب والتمويه القائم على الكذب والاختلاق .
(٤) الرساتيق : الرستاق : الرزداق .

وقال [من الخفيف] :

قال رؤيا المنام عندك حقٌّ　　قلت هيهات كلٌّ ذاك بخارُ
ليت يقظانهم يصحُّ له الأمر فكيف المغطُّ والنّخّار[1]

وقال [من الهزج] :

سريرٌ بِتْ بماخورِ　　على دفٍّ وطنبور
وصوت الطبل كردَمْ طعْ　　وصوت الناي طلّير
فصرنا من حمى البيت　　كأنّا وسط تنور
وصرنا من أذى الصفع　　كمثل العمى والعور
لقد أصبحت مخموراً　　ولكنْ أيَّ مخمورِ

وقال من قصيدة [من الوافر] :

ترى العقيان كالذّهب المصفّى　　تركَّب فوق أثفار الدواب[2]
وكيسي منه خلوٌ مثل كفّي　　أما هذا من العجب العجاب

وقال [من مجزوء الرمل] :

قام للشقوة أيري　　وجرى بالنحس طيري
وولّى حلَّ سراويلك يا مولاي غيري
وتقرّأت علينا　　كسعيد بن جبير
أترى قد عقر الناقة يا مولاي أيري
ليس لي منك سوى صبَّحك الله بخير

* * *

---

(١) المغطّوالنّخار : أي النائم المستغرق في نومه ، والذي يسمع له صوت أثناء نومه « شخير » .
(٢) الأثفار : جمع ثفر ، وهو سيرٌ في مؤخر السرج يشدّ تحت ذنب الدابة .

٩ ـ ابن العصب الملحي

قد أجريت ذكره عند ذكر السري الرّفاء ، وكان يتطايب في المداخلة والمعاشرة ، ويقول شعراً خفيف الروح .

كتب إليه ابن سكرة [من الخفيف] :

يا صديقاً أفادنيه زمانٌ فيه ضنٌّ بالأصدقاء وشحٌّ
بين شخصي وبين شخصك بعدٌ غير أنّ الخيال بالوصل سمح
إنما يمنع التآلف منّا أنّني سكرٌ وأنّك مُلحُ

فأجابه من أبيات منها [من الخفيف] :

هل يقول الإخوان يوماً لخلٍّ شاب منه محضَ المودة قدحُ[1]
بيننا سكَّرٌ فلا تفسدنه أو يقولون بيننا ويكَ مِلحُ

وقال في قاض [من الهزج] :

لنا قاض له وجهٌ على أخذ الرشا عابسْ[2]
ولكنّ له أيراً يدقُّ الرطب واليابس

وقال [من مجزوء الرمل] .

ذرفتْ عين الغمام فاستهلّت بسجامِ[3]
وبكى الإبريق في الكأس بدمعٍ من مدام
فاسقني دمعاً بدمعٍ من مدامٍ وغمام
واعصِ من لامك فيه ليس ذا وقت الملام

* * *

(١) شاب : مزج ، ومحض المودة : خالصها، والقدح : الذمّ .
(٢) الرشا : أي الرشوة .
(٣) السجام : الدمع السائل .

١٠ - أبو علي الحسن بن علي الخالع

شاعر مفلق من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير ، ولذكره موضع آخر في الباب التاسع . ومن ملح شعره قوله من أبيات [من الخفيف] :

اسقنا من شرابك الصّرف نمزجه بماءٍ من الثنايا زلال[١]
بنت كرمٍ كأنّها خجلةُ الخدّ تبدّت في حلّةٍ من دلال[٢]

وقال [من مجزوء الكامل] :

هو معلمٌ لهواك فاعلمْ وهي الرسوم كما ترسّم[٣]
قف مطلق العبرات محتبس الصبابة يا متيّم
حتى ترى ديباج خدّك من دموعك فيه معلم
واذكر زمان خلاعةٍ لك في مغانيه تقدّم
إذ أنت في مجموع شمل الغانيات به مقسّم
يثني عناقك من سعادٍ ساعداً عبلاً ومعصم[٤]
وتصير من نَعَمٍ إليك معاطف الغصن المنعّم
أرعيت ألحاظي بموشي الرّبى خضلٍ موشّم[٥]
متضوّع الأرجاء من نفس الشمال إذا تنسّم[٦]
ألقت بكلِّ قرارةٍ فيه يد الأنواء درهم
والأقحوان الغضُّ من خجل الشقائق قد تبسّم

---

(١) الصرف : الخالص ، الصافي .
(٢) بنت كرمٍ : أي بنت العنب .
(٣) معلمٌ : دليل .
(٤) العبل : الضخم .
(٥) خضلٍ موشّم : النديّ المعلّم من النبات .
(٦) متضوّع : أي يفوح طيبه .

فكأنّما ربّاه أخلاق الوزير وقد تكرّم
يا من إليه مقالد العلياء عن حقٍّ تسلّم
مات السّماح فكنت في إحيائه عيسى ابن مريم

* * *

١١ ـ الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد النامي الخوارزمي

أنا أختم هذا الباب بذكر من هو للعلم مجمع ، وللأدب مفزع . وإليه الرحلة اليوم ببغداد في تدريس كتب الشافعي رحمه الله ، مع الشيخ أبي حامد الإسفرائيني أيده الله ، وله لسان يستوفي أقسام الفصاحة ، ويجمع بين العذوبة وحسن العبارة والبراعة ، وشعر يشرف بصاحبه ، ويأخذ من القلب بمجامعه كقوله [من الطويل] :

أيا زائر البيت العتيق وتاركي قتيلَ الهوى لو زرتني كان أجدرا
تحجُّ احتساباً ثم تقتلُ عاشقاً فديتك لا تحججْ ولا تقتلِ الورى

وكقوله ، وكتب به إلى أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي [من الخفيف] :

حاش لله أن أزول عن العهد وإن زاد سيدي في الجفاءِ
أنا ذاك الذي عرفت قديماً لابسٌ للصديق ثوب الوفاء

وأنشدني أبو الحسن الكرخي ، قال: أنشدني الشيخ أبو محمد لنفسه [من الكامل] :

يا عينُ منكِ شكايتي وبلائي أنت التي أسلمتني لشقائي
لمّا نظرت إلى محاسن وجههِ أشعلت نار الشوق في أحشائي
ثم اعتبرت لتخدعيني بالبكا فكشفت ذاك السرّ للأعداء
فتأمّلي ماذا جنيتِ وأمسكي بالله عنّا معشر الغرباء

وقال : أنشدني أيضاً لنفسه [من المنسرح] :

عجبت من معجبٍ بصورته وكان من قبل نطفةً مذره[1]
وفي غدٍ بعد حسن صورته يصير في الأرض جيفةً قذره
وهو على عجبه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذره[2]

وقال : أنشدني أبو محمد الحامدي له بيتين في سابور استملحتهما جداً ، وهما [من مجزوء الكامل] :

سابور ، ويحك ! ما أخسّك ! بل أخصّك بالعيوبِ !
وجهٌ قبيحٌ في التبسُّم كيف يحسن في القطوبِ

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه ، قال : أنشدني أبو يعلى الواسطي ، قال : أنشدني النامي لنفسه [من البسيط] :

قالتْ له ورأى في وجهها أثراً فازورّ عنه كئيب القلب مدهوشا
ما حسن ديباجة الخدِّ المليح إذا لم يحكِ في حسنه الديباج منقوشا

قال : وأنشدني أبو علي الكندي، قال : أنشدني النامي لنفسه ، وقد أهدى هدية مهرجانية إلى بعض الرؤساء [من المنسرح] :

هديَّةُ المهرجان واجبة على السلاطين لا على الفقها
وإن جرى عبدكم على سننٍ من التهادي فما أتى سفها
حَمْلٌ على أنّني لكم قلمٌ قطّ برأسين يكشف الشبها

* * *

---

(١) مذره : قذره وقبيحه .
(٢) العذره : الأقذار كالغائط وغيره .



الباب التاسع
فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم

١٢ - في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

منهم من تقدم ذكره ومنهم من تأخر ، ومنهم من لا يجري له ذكرٌ فيما سواه .

قال السلامي من قصيدة فيه وقد أعيد إلى الوزارة وخلع عليه [من البسيط] :

اليوم طبَّقَ أفق الدولة النورُ ... وأوضحت فلقَ الملك التباشيرُ[1]

فكلُّ عينٍ إليك اليوم طامحةٌ ... وكلُّ قلبٍ بما خولْت مسرورُ

أقبلت في خلع السلطان زيّنها ... ذيلٌ على أنجم الجوزاء مجرور

كأنّما نسجتها في الرياض يداً ... غيثٌ فرونقها بالحسن مغمور

ورحت فوق جوادٍ كالعقاب جرى ... والجود في سرجه والمجد والخير

محمد بن أحمد الحمدوني من قصيدة له فيه [من البسيط] :

وفي الظعائن مهضومُ الحشى غنجٌ ... يخطو بأعطاف نشوان الخطا ثملِ[2]

ظبيٌ مشى الورد من لحظي بوجنته ... مشيَ اللواحظ من عينيه في أجلي

---

(١) الفلق : الاشراق والنور .

(٢) الظعائن : النساء في الهودج ، وثمل : نشوان يتمايل غنجاً ودلالاً .

ومترف التـرب مجّـاج النـدى عطرٍ مفوّف النور موسـوم الثـرى خضلٍ[1]
قد شام جدولـه فيهـا مهنّدةً فاهتـزّ مثـل اهتـزاز الخـائف الوجل
إذا نسيم الصّبـا باحـت سرائره أصغـى إليهـنّ سمـع الغصـن بالميل
والـروض تسحـب فيه السحـب أردية مظاهـراتٍ عليهـا أظهـر الحلل
يا مؤنس الملك والأيام موحشةٌ ورابـط الجـأش والآجـال في وجل
ما لي وللأرض لم أوطـن بهـا وطناً كأنّنـي بكرُ معنـىً سار في المثل
لو أنصف الدهـر أو لانـت معاطفه أصبحـت عنـدك ذا خيلٍ وذا خول[2]
لله لـؤلـؤ ألفـاظٍ أساقطها لو كنّ للغيد ما استأنسـن بالعطل[3]
ومـن عيون معـانٍ لو كحلـت بها نجـل العيون لأغناهـا عن الكحل[4]
سحـرٌ من الفـكر لو دارت سلافته علـى الزمـان تمشّـى مشية الثمل[5]

أبو الفرج الببغاء [من البسيط] :

لمـت الزمـان علـى تأخير مطّلبي فقـال ما وجـه لومـي وهـو محظورُ
فقلـت لو شئـت ما فات الغنـى أملي فقـال أخطـأت بل لو شاء سابورُ
عذْ بالـوزير أبي نصـر وسـلْ شططاً أسـرفْ فإنّك في الإسـراف معذور[6]
وقـد تقبّلـتُ هذا النّصـح من زمني والنّصـحُ حتـى من الأعـداء مشكورُ
ومـا لطـرف رجائـي عنـك منصرفٌ وهـل يفـارق جرم المشتـري النور[7]

---

(١) ومترف الترب : أي أنه يعيش حياةً راغدة في سعة وبحبوحة .
(٢) الخول : الخدم والعبيد .
(٣) العطل : يقال جيدٌ عطل : أي خالٍ من الحليّ .
(٤) النجل : الواسعة .
(٥) السلاقة : الخمرة .
(٦) غد : أي احتمي ، والشطط : مجاوزة الحدّ .
(٧) الجرم : الكوكب ، والمشتري : أحد الكواكب .

ابن بابك من قصيدة [من الخفيف] :

شِمت برقَ الوزير فانهلَّ حتّى لم أجد مهرباً إلى الإعدامِ
وكأنّي وقد تقاصر باعي خائضٌ في عباب أخضرَ طامي
مستفيض النّدى كريم السّجايا عاجل العفو آجل الانتقام
كذب الزاعمون أنّ المعالي في صدور المثقّفات الدوامي
إنّما المجد والنّدى والمساعي والرّدى في أسنَّةِ الأقلام(١)

ابن لؤلؤ من قصيدة [من المتقارب] :

خصال العلا كلُّها من خصالي وصوب الحيا قطرةٌ من شمالي
خلقتُ كما شاءتِ المكرماتُ بعيدُ النظير فقيد المثال
تنزّهني عن دنايا الأمو ر نفسي وتندبني للمعالي
فللبأس طول يدي والحسام وللمجد والحمد جاهي ومالي
وحرفٍ تعرّس فيها الرياح إذا ما صغت للوني والكلال(٢)
أجرّتْ تعوّج مثل القسيّ يُحملن ركباً كمثل النّبالِ(٣)
ومجنوبةٍ في حواشي المطيّ ينفِّضن أعرافها كالسّعالي
طلبن الوزير فتى أردشير صنو الندى وحليف المعالي
بعيد مدى الجود لا يتّقي مؤمّله بكريه المطال(٤)
أغرُّ يرى لك ما لا تراه لديه ويعطيك قبل السؤال
ويهتزُّ من طربٍ للسماح هزّ الصّبا للرماح الطوال

(١) المثقفات : أي السيوف والرماح الصقيلة .
(٢) الحرف : النوق ، وتعرّس : تستريح، والونى والكلال : التعب والارهاق .
(٣) أجرّت : تركت وشأنها .
(٤) المطال : من المطل وهو التسويف والمماطلة .

الخليع النامي من قصيدة [من الكامل] :

في أيٍّ منــزل صبــوةٍ لم أنزلِ   وبــأيٍّ منطــق عاذلٍ لم أعذل[1]
ما حقٌّ هذا الربــع إذ فيه الهوى   أن يستضــام بوقفةِ المستعجل
كِلْ إنْ حضـرت إلـى الدمــوع سؤاله   فالدّمــع أفصــح من سؤال المنزل[2]
يا هذه إن لم يكُنْ لك نائلٌ   فعــدىً وإن لم تجملــي فتجملي
جودي فإنْ لم تحسنــي فتعلّمــي الـ   إحســان من هذا الــوزير المفضل
أعــدى الزمــان ندا أبــي نصــر فلو   سمنــاه أن يهــب الصّبــا لم يبخل
أرضــى الديانــة والصيانــة حكمه   بكفايتــي قلــمٍ وقــائم منصل[3]
يــا موئـل الراجي وهـل للحـائم الــ   ـصّادي سوى قطر الحيا من موئل[4]
أسعــد بإقبــالٍ وعيدٍ قابلاً   بك شخص سعــدٍ ليس بالمترحِّل
وتمــلَّ فضــلك فهــو أفخــر ملبسٍ   وتبــوَّ عزَّك فهــو أمنــع معقل[5]
وآخبــر متى ما شئـت إخلاصــي تبنْ   لك نيَّةُ المصفــي مـن المتجمّل
ما قلــت قطّ لمنعــمٍ هبْ لي وفي   تحصيل رأيك قد رغبــت فهبــه لي
فالآن قد أوفـى النجـاح علــى المنى   بسعادتــي في الأصــل لا بتوصلي
وعلمــتُ أنّــي مقبــلٌ وعلامــة الـ   ـإقبــال أنّــي عذت منــك بمقبل

الحاتمي من أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

أولــى بعفــوٍ مَنْ قدرْ   لا عفــو عن جانٍ أصرّ[6]

(١) الصبوة : جهل الفتوة ولهوها .
(٢) كِلْ : أي دع .
(٣) المنصل : السيف .
(٤) الصادي : الظمآن .
(٥) تبوّ : أي تبوّأ وارتقي ، والمعقل : الحصن .
(٦) الجاني : الآثم المذنب .

لـم يجـن ذنبـاً من أقرّ ... الصّبـر عنـوان الظفـر
أولـى بفـوزٍ من صَبَرْ ... المجـد في خوض الخطر
كفّي العيـان المختبـر ... أولـى بعـرفٍ مـن شكر
شـكـر الـريـاض للمطـر ... إن يطـوِ معـروفٌ نشر
الحمـد خيـرُ مدّخـر ... إن ساءك الـزّمـان سـرّ
مـا كسـر الدهـر جبرْ ... من زجـر الهـوى انزجر
بـادر من العيش الغرر ... ما العيش إلا المبتدر[١]
لهفـي لعصرٍ مدّكـر ... إذ غصـن عيشـي مهتصر[٢]
آصـالـه مثـل البكـر ... لم تفتـرع منه العذر[٣]
مـرّ كلمـحٍ بالبصـر ... وأَرَّجُ النّشـر عطـر
غصـنٌ ودعـصٌ وقمر ... تحـت ظلامٍ من شعر[٤]
ذي ريقـةٍ تشـكو الخصر ... شيبـت بمسـكٍ وسكر[٥]
محييةٌ ميـت الوطـر ... وسابـحٍ سامـي النظـر
أسـرع من وشـك القدر ... وخاطـر الـوهـم خطر
وسائـلٍ مـن منحـدر ... وقبلـةٍ علـى حـذر

ومنها :

أوفـى علـى كل البشر ... سابـور مجـداً وأثـر
وإنّمـا العضـب الذكـر ... أعـاره مـا لم يعر[٦]

---

(١) الغرر : الفرص ، والمبتدر : المبادر الذي لا يؤجّل .
(٢) مهتصر : مقصّف ومعتصر .
(٣) تفترع : تفتض ، والعذر : من العذراء وهي البكر التي لم تمسّ .
(٤) الدعص : الكثيب من الرمل كناية عن الأرداف .
(٥) الخصر : البارد .
(٦) في الأصول: «إن ما العضب الذكر» ولا يتمّ الوزن، والعضب: السيف، والذكر: القاطع .

رأياً كمحتوم القدر فانصاع كالنّجم انكدر
يحمد إن ذمّ المطر تهفو الرواسي إن زفر
في كفّه نفعٌ وضرّ ولحظه خيرٌ وشرّ
والدهر طوعٌ ما أمر يجري بما ساء وسرّ
ذو خلقٍ سهلٍ يسر كمثل نوّار الزهر
وشبه أنواءِ المطر يحيي أفانين الثمر
من بالغٍ ومنتظر كالأمن من بعد الحذر
والخير في أعقاب شر وكالكرى غبّ السهر[1]
عمّرت ما شاء الوطر فأنت للملك وزر[2]
دونك عذراء الفقر تُتلى كما تتلى السُّور

الخالع من قصيدة [من البسيط] :

أفي غلائلها غصنٌ من البان يهتزُّ في نعمةٍ أم قدُّ إنسان
هيفاءُ مرهفة الأعطاف إن خطرتْ أهدت نشاط الهوى من خطو كسلان
تبسّمت فظنّنا أنَّ مبسِمها فيه من اللؤلؤ المجلوِّ سمطان[3]
وأومأتْ بيمينٍ لو دنت لفمي لأفسدت صالحاً من نسك إيماني
مقسِّم العيش في تحصيل مأثرةٍ سيارةٍ يتقاضاها لباسان
فللدروع عليه يوم ملحمةٍ وللدرائع منه يوم ديوان
طرز الطّلاقة في ديباج غرّته للبشر فيها إشاراتٌ بألوان
كأنّ ماء الحياء الغمر منسكباً فيها يفيض على نوّار بستان[4]

---

(١) الكرى : النعاس، وغبّ السهر : بعده .
(٢) الوطر : الحاجة والمأرب والبغية ، وزر : مساعد وحامٍ .
(٣) السمط : العقد .
(٤) الغمر : الكثير .

محمد بن بلبل من قصيدة [من الكامل] :

أضحى الرجاء لبرق جودك شائماً وارتدّ روض الحمد وحفاً ناعما[1]
سمّيت نفسي إذ رجوتك واثقاً ودعوتها لك مذ مدحتك خادما
فمتى أقوم بشكر نعمتك التي عقدت عليّ من الخطوب تمائما[2]
لا زال جدُّك للعدو مزاحماً يعلو وآنف حاسديك رواغما[3]
واسعد بعيدٍ قد حبتك سعوده عزّاً يكون مع السعادة قادما

أحمد بن علي المنجم من قصيدة [من الخفيف] :

أيهذا الوزير محّصت بالإحسان جور الدنيا ووزر الزمان
فاشربِ الراح راحة القلب أخت الروح روح المكروب أنس الأماني
وابقَ ما شئت في نعيم تراءٍ لك أنموذجاً لعيش الجنان

السفياني من قصيدة [من الكامل] :

روض المنى بك عاد غضّاً مونقاً واهتزّ غصن المجد فيه وأورقا
وابيض وجه الدهر بعد سخومه وارتدّ بعد ظلامه فتألّقا[4]
فُتَّ الأنام فما يجاريك امرؤٌ في حلبة الفخر المنيع المرتقى
ولو اغتدى ظهر المجرّة راكباً وغدا بأذيال السُّهى متعلّقا
أجرى فكان مسبّقاً وصفا فكان مروّقاً وسطا فكان محققا
وشأى فكان محدّقا وهمي فكان مطبّقا وعفا فكان موفّقا[5]

---

(١) الوحف : الغزير من النبات والشعر .
(٢) التمائم : جمع تميمة وهي عوذة يعلّقها الانسان تجنّباً لشرٍّ من الشرور ودفعاً له .
(٣) جدّك : حظّك ونجمك .
(٤) السخوم : السواد .
(٥) شأى : تطلع بنظرٍ حاد .

أحمد بن المغلس من قصيدة [من الخفيف] :

أبــروقٌ تلألأتْ أم ثغورُ ... وليالٍ دجـت لنـا أم شعورُ
وغصــونٌ تأوّدت أم قدودٌ ... حامــلاتٌ رمّانهــن الصدورُ[1]
طالعاتٌ من السجوف على الركـــب بـدورٌ أبـرزتهنّ الخــدور[2]
مثقــلاتٌ أردافُهُــنَّ ولكـن ... مرهفــاتٌ من فوقهــن الخصورُ
مـطمعـاتٌ في وصلهنّ ودون الـــوصـل إن رمتـه دمـاءٌ تمـور[3]
عــزَّ منهـنَّ مـا يـرام كمـا عـــزّ جنابٌ يحتـلُّ فيـه الـوزيـر
نصر المجد حافظاً حـرمة المجـــد أبــو نصـر الـرضـا سـابـور
مفــردٌ في الـزمــان ليس يـدانيـــه من النــاس مشبـهٌ أو نــظيـر
إنْ يواجــه فطــود حلــمٍ ركينٌ ... أو يفـاوض فبحـر علـمٍ غزيرُ[4]
أو يجــد واهبــاً فغيثٌ مطيرٌ ... أو يصــل واثبــاً فليثٌ هصورُ

سعد بن محمد الأزدي من قصيدة [من الطويل] :

أأجفـو الهــوى في ربعِــهِ لا أخاطبه ... وأمضي ولـم تلعـب بدمعـي ملاعبه ؟

ومنها في وصف السحاب :

وأقمــرَ منشــور الجنــاح مرفرفٍ ... تحلّــى بعقيانِ البــروق ترائبه[5]
وخلف غمــام الخــدر بدرٌ مضمّخٌ ... بحســن بديعٍ والحلــيُّ كواكبُهْ
أرجــى أبــا نصــرٍ لعصــرٍ كأنّما ... من النــار عينــاه فمــن ذا يغاضبه

---

(١) تأوّدت : تمايلت .
(٢) السجف : الفرجة بين السترين .
(٣) تمور : تجري .
(٤) الطود الركين : الجبل العالي الثابت الأركان ، والرزين .
(٥) الترائب : جمع تربية ، وهي موضع القلادة من النحر .

علـى عيلـةٍ لو حُمِّـل الدهـر ثقلها   لزلـت به رجـلاه وانقضّ غاربه[1]
إذا ما رآه النـاس قالـوا تعجُّباً   تبـارك مختـار الكمـال وواهبُهْ

الحسن بن محمد العضدي [من الكامل] :

يلقـاك إن لاقـاك دهـرك كالحاً   متبسّـماً كالعـارض المتبسِّـم[2]
وإذا سمـا نحـو العـلا لم يتخذْ   غير المواهـب والعـلا من سُلَّم
سيَّان عزمـك والحسـام المُنتضى   ونـدى يديك وصـوبُ نوء المرزم[3]
كم منّـةٍ لك لم يكدِّرْ صفوها   منٌّ وكم نعمـى شفعـتَ بأنعم ؟
أتـراك تحرمنـي لطيف عنايةٍ   وبـك الغـداة من الزّمـان تحرّمي
وأنـا ابـنُ أنعمـك القديمـة فليصِلْ   منـك السمـاح مؤخّـراً بمقدم

عون بن علي العنبري [من مخلع البسيط] :

لسـتُ علـى العتـب بالمنيب   ولا لـلّـوم بمستجيـب[4]
جـلّ غرامـي وزاد سقمي   وذبـت شوقـاً إلـى مذيبي
غير عجيبٍ نحـول جسمي   شوقـاً إلـى حسنـه العجيب
تلهُّـبُ الـوجنتين منهُ   غادر قلبـي علـى لهيب
يا دهـر أغربـت في التعدّي   والجـور ظلمـاً علـى الغريب
شوبـك لي فرقـةً بشوقٍ   أطلـع من لمتـي مشيبي[5]
حسبـي أبـو نصـر المرجّى   عونـاً علـى الدّهـر والخطوب
إن ضاق دهـرٌ بنـا أوينا   منـه إلـى صدره الرحيب

---

(١) الغارب : الكاهل .
(٢) الكالح : المتجهِّم الوجه .
(٣) نوء المرزم : نوء الشتاء البارد .
(٤) المنيب : التائب والراجع .
(٥) شوبك : من الشوب ـ بفتح فسكون ـ مصدر بمعنى الخلط والمزج ، تقول : شاب كذا بكذا يشوبه شوباً .



الباب العاشر

١٣ ـ في ذكر الشريف أبي الحسن الرضى الموسوي النقيب وغرر شعره

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، ومولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل ، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادة العراق ، يتحلّى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبيين ، من مضى منهم ومن غبر[1] على كثرة شعرائهم المفلقين ، كالجماني وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدح ، الممتنع عن القدح ، الذي يجمع إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معان يقرب جناها ، ويبعد مداها ، فأما أبوه أبو أحمد فمنظور علوية العراق مع أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى ، وكان قديماً يتولى نقابة الطالبيين والحكم فيهم أجمعين ، والنظر في المظالم والحج بالناس ، ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده أبي الحسن هذا ، وذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة ، فقال أبو الحسن قصيدة يهنىء بها أباه ، ويشكره على تفويضه أكثر هذه

---

(١) غبر : تقدّم في الزمان .

الأعمال إليه [من الكامل] :

انظـرْ إلـى الأيّام كيف تعودُ ... وإلـى المعالـي الغـرّ كيف تزيدُ
وإلـى الزمـان نبـا وعـاود عطفه ... فارتـاح ظمـآنٌ وأورق عودُ[1]
قد عاود الأيام ماء شبابها ... فالعيش غضٌّ والليالـي عيد
إقبـال عزٍّ كالأسنّـة مقبلٍ ... يمضـي وجـدٌّ في العـلاء جديدُ
وعـلاً لأبلـج من ذؤابـة هاشمٍ ... يثنـي عليه السـؤدد المعقود[2]
قد فات مطلوبـاً وأدرك طالباً ... ومقارعـوه علـى الأمـور قعود
ما السـؤدد المطلـوب إلاّ دون ما ... يرمـي إليه السـؤدد المولـود
فإذا همـا اتفقـا تكسّـرت القنا ... إن غالبـاً وتضعضـع الجلمود[3]

وله من قصيدة في أبيه ، ويذكر حجه بالناس [من الوافر] :

دعينـي أطلـب الـدنيا فإنّي ... أرى المسعـود من رزق الطلابا
ومـن أبقـى لآجلـه حديثاً ... ومـن عانـى لعاجلـه اكتسابا
ومـا المغبـونُ إلاّ من دهته ... فلا مجـداً ولا جدةً أصابا[4]
ونصـل السّيف تسلـم شفرتاه ... وتخلـق كلّ أيامٍ قرابا[5]
وأيامٌ تجـوز عليك بيضٌ ... وقـد فتحـت من الإقبـال بابا
وكم يومٍ كيومـك قدت فيه ... علـى الغـرر المقانـب والركابا[6]
إلـى البلـد الأمين مقوّماتٌ ... تمـاطلهـا التعجُّل والإيابـا[7]

---

(١) نبا : فارق وابتعد ولم يستقر على ما كان عليه .
(٢) الأبلج : المنير ، والذؤابة : ذروة النسب .
(٣) الجلمود : الصخر .
(٤) المغبون : الخاسر الذي انتقص حقه ، والجدة : العطاء والغنى والترف .
(٥) القراب بالضمّ ، بزنة غراب ـ غمد السيف وجفنه .
(٦) المقانب : جمع مقنب بزنّة منبر : وهو الجيش .
(٧) الإياب : العودة .

بحيث تفـرّغ الـكوم المطايا حقـائبهـا وتحتقـب الثوابـا[1]
معالـم إنْ أجـال الطـرف فيها مسـيءُ القـوم أقلـع أو أنابا[2]

وقال في الطائع لله أمير المؤمنين من قصيدة [من الكامل] :

لله ثـمَّ لك المحـلُّ الأعظمُ وإليك ينتسـب العـلاء الأقدمُ
ولك التـراث من النبـي محمدٍ والبيتُ والحجـر العـظيمُ وزمزمُ
تمضـي الملـوك وأنـت طودٌ ثابتٌ ينجـاب عنـك متـوّجٌ ومعمّمُ[3]
لله أيُّ مقـام ديـنٍ قمتَهُ والأمـر من دون القضية مبهم
فكأنّمـا كنـت النبـيَّ مناجزاً بالقـول أو بلسانـه تتكلم[4]
أيام طلّقهـا المـطيع وأوحشت مذ زال عن ذا الغـاب ذاك الضيغمُ
فمضـى وأعقـب بعـده مستيقظاً سجـلاه بؤسـي في الرجـال وأنعم[5]
كالغيث يخلفـه الـربيع وبعضهم كالنـارِ يخلفـه الرَّمـاد المظلم

ينظر معنى المصراع الأول إلى بيت المتنبي ، وهو أحسن ما قيل فيه ، وهو قوله [من الطويل] :

* فإنَّك ماء الورد إنْ ذهب الورد *

ومعنى المصراع الثاني من قول الشاعر[من الوافر] :

وبعضُهُـمُ يكـون أبـوه منه مكان النـار يخلفهـا الرّمـاد

---

(١) تحتقب : تكتسب وتحصل .
(٢) أقلع : صلُح وابتعد عن فعل السوء وأناب : تاب .
(٣) ينجاب : ينزاح وينكشف .
(٤) مناجزاً : مدافعاً وقاضياً وموفّياً .
(٥) سجلاه : حكمه ورأيه .

ومنها في وصف النوق :

هـنٌّ القســيّ من النحــول فإنْ سما طلــبٌ فهـنّ مـن النجـاء الأسهم

ما أحسن ما جمع بين القسي والأسهم في هذين الوصفين ! وما أراه سبق إليه على هذا الترتيب .

ومنها :

وعظمــت قدراً أن يروقــك مغنمٌ أو أن يصــلّ علــى بنانــك درهمُ[1]
هي راحــةٌ ما تســتفيق من النّدى أبــد الــزمـان وبــدرةٌ لا تختم[2]
ما كان يومــي دون مدحــك أنّني صبٌّ بغير جلال وجهــك مغرم
أنـت العــلا فلقصــدها مــا أقتـني مـن جــوهـرٍ ولمــدحها مــا أنـظم
ما حقٌّ مثلــي أنْ يضــاعَ وقوله باقــي العمــاد علــى الزمــان مخيِّمُ
وأنــا القــريب قرابــةً معلومةً والعــرق يضــرب والقرائــب تلحم
إنــي لأرجــو منــك أنْ سيكون لي يومٌ أغيظ به الأعــادي أيوم[3]
وأنــال عنــدك رتبــةً مصقولةً إنْ عاين الأعــداء رونقهــا عموا
إنّــي وإنْ ضرب الحجــاب بطوده أو حال دونــك يذبــل ويلملم[4]
لأراك في مرآة جودك مثــل ما يلقــى العيان الناظــرُ المتوسِّمُ
يا دهــر دونــك قد تماثــل مدنفٌ واقتصّ مهتضــمٌ وأورق معدم[5]
إنّــي عليك إذا امتــلأت حميّةً بنــدى أمير المــؤمنين محــرّم

(١) يصلّ : يرنّ ويسمع له صوت .

(٢) البدرة : كيس توضع فيه كميّة من الدراهم .

(٣) يوم أيوم : أي شديد كقولهم : ليلٌ أليل وليلة ليلاء وشعر شاعر ، كأنهم لم يجدوا شيئاً يصفونه به إلاّ أن يشتقوا الوصف منه .

(٤) يذبل : جبل ، ويلملم : ميقات اليمن ، مكان على مرحلتين من مكة .

(٥) اقتص مهتضمٌ : أي نال حقّه بعد انتقاص.

ومـذ ادّرعـت فنـاءه وعطاءه أُرمـى ويرمينـي الزّمـان فأسلم

وقال من قصيدة لما خلع الطائع يذكر فيها أيامه ويرثيها ويتوجع مما لحقه وذلك في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [من مجزوء الكامل] :

إنْ كـان ذاك الـطود خـرّ فبعـدمـا استعلى طـويـلا
مـوفٍ علـى القلل الذوا هب في العـلا عرضـاً وطولا[1]
قـرمٌ يسـدّد لحظـه فيرى القـروم لا مثولا
ويُـرى عـزيـزاً حـيث حـلّ ولا يَـرى إلّا ذلـيـلا
كـالّـليث إلاَّ أنَّـهُ اتـخـذ العـلا والعـزّ غيـلا[2]
وعـلا علـى الأقـران لا مثـلاً يعـدُّ ولا عديلا
مـن معشـرٍ ركبـوا العلا فأبـوا عن الـكرم النّزولا
كرمـوا فروعـاً بعـد ما طابـوا وقـد عجمـوا أصولا[3]
نسـبٌ غـدا روّاده يسـتنخبـون لـه الفحـولا
يـا ناصـر الـدّين الـذي رجـع الزمـان بـه كليـلا
يـا صارم المجـد الـذي ملئت مضـاربـه فلـولا
يـا كـوكـب الإحـسان أعـجلك الـدُّجى عنـا أفـولا
يا مصعـب العلياء قـا دتـك العـدى نقضـاً ذلولا
لهفـي علـى ماضٍ قضى أنْ لا يُرى منـه بديلا
وزوال ملكٍ لم يكنْ يومـاً يقـدّر أن يزولا
ومنـازلٍ سطر الزمـا ن على مغـانيهـا الحؤولا
مـن يزجـرِ الدّهـر الغشو م ويكشفِ الخطـب الجليلا ؟

---

(١) موفٍ : مشرف ومرتفع .

(٢) الغيل : مسكن الأسود .

(٣) عجموا : جرّبوا واختبروا .

وتـــراه يمنـــع دوننـــا وادي النـــوائـب أن يسيلا
عقّـاد ألــويــة المــلو ك عــلــى العــدى جيلاً فجيلا
صـــانعـت يـــوم فراقــه قلبـاً قد اعتنــق الغليلا[1]
ظَعَــنَ الغنــى عنّــي وحوّ ل رحلـه إلاّ قليـلا[2]
إن عـــاد يـــومـــاً عـــاد وجـــــــــه الــدهــر مـقتبــلاً جـمـيــلا
ولئـــن غدا طوع المنو ن ميمِّمـاً تلـك السّبيلا
فلقـد يخلّــف مجــدَهُ عبئــاً علــى الــدّنيا ثقيلا
واستــذرت الأيام مـــن نفحـــاتـه ظـــلاً ظليـــلا[3]

وله من قصيدة يذكر فيها الحال يوم القبض على الطائع لله ، ويصف خروجه من الدار سليماً ، وقد سلبت ثياب أكثر الأشراف والقضاة ، وانتهبوا وامتحنوا ، فأخذ هو بالحزم ساعة ، ووقف على الصورة ، وبـادر إلـى نزول دجلـة ، وكان أول خارج من الدار ، وتلوم من تلوم حتى جرى عليه ما جرى ، ويذكر غرضاً آخر في نفسه ويشكو الزمان، ويذم عمل السلطان [من البسيط] :

لواعـج الشـــوق تخطيهـــم وتصميني واللوم في الحـبِّ ينهاهــم ويغريني[4]
سلا عن الوجــد إنّــي كلّ شارقةٍ تريشنـــي الشّيب والأيام تبريني[5]
من لي ببلغـــة عيشٍ غير فاضلةٍ تكفُّنـــي عن أذى الــدنيا وتكفيني
أخـــي من باع دنياه وزخرفها بصونـــه كان عنـــدي غير مغبون
قالـــوا أتقنـــع بالـــدّون الخسيس وما قنعــتُ بالــدّون بل قنِّعـــت بالدون[6]

(١) الغليل : الظمأ .
(٢) ظعن : رحل .
(٣) استذرت : استظلّت .
(٤) تصميني : تقتلني .
(٥) سلا : نسي ، وطابت نفسه بعد الفراق .
(٦) الدون : الوضع القليل .

إذا ظننّا وقدّرنا جرى قدرٌ بنازلٍ غير موهومٍ ومظنون
أعجبْ بمسكة نفسي بعد ما رميتْ من النوائب بالأبكار والعون[1]
ومن نجاتيَ يوم الدار حين هوى غيري ولم أخل من حزمٍ ينجّيني
مرِقت فيها مروق النجم منكدراً وقد تلاقت مصاريع الرّدى دوني[2]
وكنت أوّل طلاّعٍ ثنيتها ومن ورائي شرٌّ غير مأمون[3]
من بعد ما كان ربّ الملك مبتسماً إليَّ أدنيه في النجوى ويدنيني
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه لقد تقارب بين العزّ والهون
ومنظرٍ كان بالسّراء يضحكني يا قرب ما عاد بالضّراء يبكيني
هيهات أغترُّ بالسلطان ثانيةً قد ضلّ ولاّجُ أبواب السلاطين

وقال في القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر عند استقراره في دار الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [من الكامل] :

شرف الخلافة يا بني العباسِ اليوم جدّدهُ أبو العباسِ
وافى لحفظ فروعها وكنيِّه كان المثير مواضع الأغراس[4]
هذا الذي رفعت يداه بناءها الـعـالي وذاك موطِّدُ الآساس

كأنه ألم فيه بقول ابن الرومي في المعتضد بالله [من الطويل] :

كما بأبي العباس أنشىء ملككم كذا بأبي العباس منكمْ يُجدد

رجع :

ذا الطود بقّاه الزمان ذخيرةً من ذلك الجبل العظيم الراسي
فالآن قرَّ العزُّ في سكناته ثلجَ الضمائر باردَ الأنفاس

---

(١) العون : يقصد النوائب الشديدة .
(٢) المروق : الخروج والنّفاذ من جانبٍ إلى آخر .
(٣) الثنية : منعطف الوادي .
(٤) كنيِّه : أي بيت الخلافة والكنّ ، وقاء كلّ شيء وستره .

وقفت أخامص طالبيه ورفّهت ... أيدٍ نقضن معاقد الأحلاس[1]
واحتلّ غاربه وليّ خلافةٍ ... ما كان يلبسها على اللَّباس
سبق الرّجال إلى ذراها ناجياً ... من ناب كلِّ مجاذبٍ نهّاس[2]
يقظانُ يجرح في الخطوب وينثني ... ولهاه للكِلْم الرغيب أواسي[3]
ويرقُّ أحياناً وبين ضلوعه ... قلبٌ على المال المثمَّر قاسي
تغدو ظُبى البيض الرقاق بقلبه ... أحلى وأعذب من ظباء كناس[4]
فكأنَّ حمل السيف يقطر غِربه ... أنسى يمين يديه حمل الكاس
أحسود ذي الغرر الشوادخ إنَّها ... حرمٌ على الأعيار لا الأفراس[5]
لا تحسدن قوماً إذا فاضلتهم ... فضلوك في الأخلاق والأجناس
مجدٌ أميرُ المؤمنين أعدته ... غضّاً كنوز المورق الميَّاس
وبعثت في قلب الخلافة فرحةً ... دخلت على الخلفاء في الأرماس[6]
أورِقْ أمين الله عودي إنّما ... أغراث مثلك في العلا أغراسي[7]
واملك على من كان قبلك سلوةً ... في فرط تقريبي وفي إيناسي

وله فيه من أخرى يصف فيها جلسة جلسها فأوصل إلى حضرته الحجيج وغيرهم وحضر الشريف ذلك المجلس ، وعليه السواد في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة منها [من الكامل] :

لمن الحدوج تهزهنَّ الأنيق ... والركب يطفو في السراب ويغرق[8]

---

(١) الأخامص : أطراف الأقدام ، والأحلاس : أي العهود والمواثيق .
(٢) النّهاس : النهاش والذي يعضّ .
(٣) ولهاه : مواساته ، والكلم : الجرح ، والرغيب : الواسع .
(٤) الظُّبى : الحدّ من السيف وغيره ، والكناس: بيت الظبي .
(٥) الشوادخ : الظاهرة المنتشرة والأعيار : جمع عير كل قافلة من الجمال والبغال والحمير .
(٦) الرمس : القبر .
(٧) أغراث : تجويع .
(٨) الحدوج : جمع حدج بكسر الحاء وسكون الدال ، وهو مركب للنساء كالمحفة .

أنّي اهتديتُ ؟ فلا اهتديت ! وبيننا　　سورٌ عليّ من الظلام وخندقُ
ومطلَّحون لهمْ بكلِّ ثنيَّةٍ　　ملقى وسادته الثّرى والمرفق
أبغاةَ هذا المجد ، إنَّ مرامه　　دحضٌ يزلُّ بطالبيه ويزلق[1]
لا تحرجوا هذي البحار فربَّما　　كان الذي يروي المعاطش يغرق
ودعوا مجاذبة الخلافة إنَّها　　أرجٌ بغير ثيابهم لا يعبق
وأبوكم العباس ما استسقى به　　بعد القنوط قبائلٌ إلاًّ سقوا[2]
بعج الغمام بدعوةٍ مسموعةٍ　　فأجابه شرق البوارق مغرق[3]
لله يومٌ أطلعتك به العلا　　علَماً يزاول بالعيون ويرشق
لمّا سمتْ بك غرَّةٌ مرموقةٌ　　كالشمس تبهر بالضياء وترمق
وبرزتَ في بُردِ النبيّ وللهدى　　نورٌ على أسرار وجهك مشرق[4]
وعلى السّحاب الجون ليثٌ مُعَظّماً　　ذاك الرّداء وزرٌّ ذاك اليلمق[5]
وكأنَّ دارك جنَّةٌ حصباؤها الجادي أو أنماطها الإستبرق[6]
في موقفٍ تغضي العيون جلالةً　　فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس إمّا شاخصٌ متعجِّبٌ　　ممّا يرى أو ناظرٌ متشوِّق
مالوا إليك محبّةً فتجمعوا　　ورأوا عليك مهابةً فتفرَّقوا
وطعنت في غرر الكلام بفيصلٍ　　لا يستقلُّ به السِّنان الأزرق
وأنا القريب إليك فيه ، ودونه　　لندى عدوِّك طود عزٍّ أعبق
عطفاً أمير المؤمنين فإنّنا　　في دوحة العلياء لا نتفرّق

---

(١) الدحض : الباطل والزّلل .
(٢) القنوط : اليأس .
(٣) بعج : شقّه وجعل ماءه يسيل .
(٤) برد النبي : عباءته أو لباسه .
(٥) اليلمق : بزنة جعفر : قباء فارسي .
(٦) الجادي : الزعفران .

ما بيننـا يوم الفخـار تفاوتٌ أبـداً كلانـا في المعالـي معرق[1]
إلاّ الخلافـة ميَّزتـك فإنّني أنـا عاطـلٌ منهـا وأنـت مطوّق[2]

هذه طريقة لم يسبق إليها ، وما أحسنها في جمع أطراف الاستعطاف والمدح ! وله من أخرى يذم الزمان ، ويفتخر [من المنسرح] :

توقّعـي أن يقـال قدْ ظعنا ما أنـت لي منـزلاً ولا وطنا
يا دار قلّ الصّـديق فيكِ فما أحسُّ وداً ولا أرى سكنا
كيف يخـاف الزمـان منصلِتٌ مذ خاف غدر الزمـان ما أمِنا[3]
لم يلبس الثـوب من توقّعه للأمـر إلاّ وظنَّـه كفنا
لي مهجـةٌ لا أرى لهـا عوضاً غير بلـوغ العـلا ولا ثمنا
ما ضرَّنـا أنّنـا بلا جدةٍ والبيت والـركن والمقـام لنا[4]
سوف ترى أنّ نيل آخرنا من العـلا فوق نيل أوّلنا
وأنّ ما بُزَّ مـن مقادمنا يخلفـه الله فـي أواخرنـا[5]

وورد عليه أمر أهمه وأقلقه فرأى شيباً في رأسه وسنه ثلاث وعشرون سنة .
فقال [من السريع] :

عجّلـتَ يا شيبُ علـى مفرقي وأيُّ عذرٍ لك أن تعجلا ؟
فكيف أقدمـت علـى عارضٍ ما استغـرق الشعـر ولا استكملا
كنـت أرى العشـرين لي جنَّةً من طارقـات الشيب إنْ أقبلا[6]
فالآن سيّـان ابـن أمّ الصّبا ومـن تسـدّى العمـر الأطولا[7]

(١) معرق : أصيل .
(٢) عاطل منها : أي أنها ليست من نصيبي بل هي من نصيبك ، والجيد العطل : الخالي من الحليّ .
(٣) منصلت : مسرع وسابق .
(٤) الجدة : الغنى والمال .
(٥) بزّ : سلب وأخذ بالقوة .
(٦) الجنّة : الستر والدرع .
(٧) تسدّى : امتدّ به العمر .

يا زائراً ما جاء حتى مضى وعارضاً ما جاد حتى انجلى
وما رأى الراؤون من قبلنا زرعاً ذوى من قبل أن يسبلا[١]
ليت بياضاً جاءني آخراً فدى بياضٍ كان لي أوّلا
وليت صبحاً ساءني ضوؤه زال وأبقى ليله الأليلا
يا ذابلاً صوَّح فينانه قد آن للذابل أن يختلى[٢]
خطّ برأسي يققاً أبيضاً كأنّما خطّ به منصلا[٣]
هذا ولم أعدّ مجال الصّبا فكيف من جاوز أو من علا
من خوفه كنت أهاب السُّرى شحّاً على وجهي أن يبذلا[٤]
فليتني كنت تسربلتُه في طلب العزّ ونيل العلا
قالوا دعِ القاعد يزري به من قطع الليل وجاب الفلا
قل لعذولي اليوم عدْ صامتاً فقد كفاني الشيب أنْ أعذلا
طبت به نفساً ومن لم يجد إلاّ الردى أذعنُ واستقتلا

وقال في الوزير أبي القاسم علي بن أحمد يستصوب رأيه في الاستتار لأمر أوجبه [من مجزوء الكامل] :

تأبى الليالي أن تديما بؤساً بخلقٍ أو نعيما
والمرء بالإقبال يبلغ وادعاً خطراً عظيما
وينال بغيته وما أنضى الذميل ولا الرسيما[٥]
فإذا انقضى إقباله رجع الشفيع له خصيما

---

(١) ذوى : ذبل ، وأسبل : بدت سنابله .
(٢) صوّح : يبس وتشقّق .
(٣) اليقق : يعني به الشيب .
(٤) السُّرى : المسير ليلاً .
(٥) الذميل : المسرع في لين والرسيم : أثر السير في الأرض .

وهـو الزمـان إذا نبا سلـب الـذي أعطـى قديما
كالـريح ترجـع عاصفاً من بعـد ما بدأت نسيما
ذاك الـوزير وكان لي وزراً أحزّبـه الخصوما[1]
فـالآن أغـدو للعـدى ونبالهـا غرضـاً رجيمـا[2]
سـدّي العـلا وأنـار لا فضّ اللقـاء ولا ملوما
حتـى إذا لم يبـق إلاّ أنْ يلام وأنْ يليما
طـرح العنـاء علـى اللئا م مجانبـاً ومضـى كريما
لـم يعتلقـه الحبـس ممتهـنـاً ولـم يعـزل ذميمـا
أفنـى العـدى وقضـى المنى وبنـى العـلا ونجـا سليما
وجـهٌ كأن البـدر شا طره الضياء أو النّجوما
لـو قـابـل الـليـل الـبـهـيـم لـمـزّق الـليـل الـبـهـيـمـا
يـجـلو الـهـمـوم وربّ وجـهٍ إن بـدا جلب الـهـمـومـا
كان العـظيم ، وغير بـد عٍ منـه أنْ ركب العظيما
والحـرّ من حذر الهوا نِ وحـاول الأمـر الجسيما
بعثـوا سواك لهـا وكا ن مبلّـداً عنهـا مليما[3]
والـعـاجـز الـمـأفـون أقـعـد مـا يكـون إذا أقيمـا[4]
فسـقـى بـلادك حيـث كنـت المـزن منبعقـاً هزيمـا[5]
فلقـد سقـى خـديَّ ذكـرك دمـع عينـيَّ السّجومـا

وقال [من الطويل] :

عذيري من العشرين يغمـزن صعدتي ومـن نوب الأيام يقرعـن مروتي[6]

---

(١) وزراً : مساعداً ومؤازراً .
(٢) رجيماً : المرجوم بالحجارة ، والملعون .
(٣) المبلّد : العاجز الرأي والضعيف .
(٤) المأفون : الضعيف الرأي .
(٥) المنبعق : المفاجىء المندفع ، والهزيم : المندفع بقوّة .
(٦) المروة ـ بفتح فسكون ـ الحجر الأبيض الورّاق الذي يوري ناراً .

ألا لا أعـد العيش عيشـاً مع الأذى لأن رفيق الـذل حيٌّ كميّتِ
تخوّفنـي بالمـوت والمـوت راحةٌ لمـن سلّ عزمـي قلبـه مثـل همّتي
وكم بين ذي أنفٍ حمـيٍّ وحاملٍ موارن قد عودن حمـل الأحشة[1]

وقال [من الطويل] :

أكابرنـا والسابقـون إلـى العلا ألا تلك آسـادٌ ونحـن شبولها
وإنّ أسـوداً كنـت شبـلاً لبعضها لمحقوقـةٌ أن لا يذلَّ قبيلهـا

وقال [من الطويل] :

حذفـت فضـول العيش حتـى رددتها إلـى دون ما يرضـى به المتعفِّفُ
وأمّلـت أن أجـري خفيفـاً إلـى العلا إذا شئتـمُ أن تلحقـوا فتخفّفوا
حلفـت بربِّ البـدن تدمـى نحورها وبالنفـر الأطـوار لبّـوا وعرّفوا[2]
لأبتـذلنّ النفس حتّـى أصونها وغيري في قيدٍ من الـذلّ يرسفُ
فقـد طالمـا ضيّعـت في العيش فرصةً وهـل ينفـع الملهـوف ما يتلهف
وإنّ قوافـي الشعـر ما لم أكن لها مسفسفـةً فيهـا عتيقٌ ومقرف[3]
أنـا الفـارس الوثّـاب في صهواتها وكلّ مجيدٍ جاء بعـديَ مردف

وقال [من الطويل] :

بنـو هاشـمٍ عينٌ ، ونحـن سوادها على رغم من يأبـى ، وأنتـم قذاتها[4]
وأعجـب ما يأتـي به الدهـر أنكمْ طلبتـم علاً ما فيكُمُ أدواتها

---

(١) الموارن : جمع مارن ، وهو من الأنف أرنبته .

(٢) البدن : النوق ، والأطوار : أصحاب العلم والمعرفة .

(٣) العتيق : الأصيل : والمقرف : قريب من الهجين إلاّ أن الأقراف يكون من قبل الذكر والهجنة تكون من قبل الأنثى .

(٤) قذاتها : القذى ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .

وأمّلتمُ أن تدْركوها طوالعاً دعوها سيسعى للمعالي سعاتها
غرست غروساً كنت أرجو لقاحها وآمل يوماً أن تطيب جناتها
فإنْ أثمرتْ لي غير ما كنت آملاً فلا ذنب لي إن حنظلتْ نخلاتها[1]

وقال يرثي أبا منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي [من المنسرح] :

أيُّ دموعٍ عليك لم تصبِ وأيّ قلبٍ عليك لم يجبِ[2]
ما لي وما للزمان يسلبني في كلّ يومٍ غرائب السّلب
أما فتىً ناضر الصبا كأخي عنديَ أو زائد المدى كأبي
وإنّني للشّقاء أحسبني ألعب بالدهر وهو يلعب بي
ما نمت عنه إلاّ وأيقظني من الرزايا بفيلقٍ لجب[3]
في كلّ دارٍ تغدو المنون، ومن كلّ الثنايا مطالع النوب
يفوز بالراحة الفقيد وللـ ـفاقد طول العناء والتعب
أحمد ، كم لي عليك من كمدٍ باقٍ ؟ ومن جود أدمعٍ سرب
ولوعةٍ تحطّم الضلوع إذا ذكرت قرب اللقاء عن كثب
إنْ قطّع الموت حبلنا فلقد عشنا وما حبلُنا بمنقضب[4]
كم مجلسٍ صبّحته ألسننا نفضن فيه لطائم الأدب
من أثرٍ يونق الفتى حسنٍ أو خبرٍ يبسط المنى عجب
أو عرضٍ أصبحت خواطرنا تساقط الدرّ منه في الكتب
كالبارد العذب روّقته صبا الفجر أو الظَّلم زين بالشنب[5]

(١) الحنظل : نبات ثمره شديد المرارة .
(٢) لم تصب : لم تنهمر ألماً ، والوجيب : الخفقان والاضطراب .
(٣) اللجب : الكثير ذو الضجّة الشديدة .
(٤) منقضب : منقطع .
(٥) الظَلْم : ماء الأسناب وبريقها ، والشّنب : البارد ، أو صفاء الأسنان وبياضها .

غـاض غديـر الـكـلام ما بقـي الـدّهـر وقـرّتْ شقـائـق الخطـب[1]

يا علـم المجـد لمْ هويتَ وقدْ كنـت أمين العمـاد والطنب ؟

يا مقـول الدهـر لم صمـتًّ وقد كنـت زمانـاً أمضـى من الشهب ؟

يا ناظـر الفضـل لمْ غضضـتَ وما كنـت قديمـاً تغضي علـى الريب ؟

كنـت قريـني ولسـت لي لدةً كنـت نسيبـي ولسـت مـن نسبي[2]

ممّـا يقـوّي العـزاء عنـك وإن شرّد قلبـي العزاء بالكربِ

أنّـك أحـرزتهـا وإن رغـم الـدهـر ثمـانيـن طلقـة الحقـب

فإنْ دموعـي جرين نهنهها علمـي أن قد ظفـرت بالأرب[3]

فليت عشـرين بتٌّ أحسبها باعـدن بين الـورود والقرب

إنِّـي أظمـأ إلـى المشيب ، ومن ينـجُ قليلاً من الـرّدى يشب

إن سرّنـي طالـع البياض أقلْ يا ليت ليل الشّبـاب لم يغب

مـرّ علـى ذلـك التـراب مـن المـزن خفـوق الأعـلام والعـذب[4]

فثـمّ بشـرٌ أصفـى مـن الغـدق العـذب وجـودٌ أنـدى مـن السحـب

لا تحسبـنّ الخلـود بعـدك لي إنّ المنـايا أعـدى من الجرب

إنْ أنـجُ منهـا وقـد شربـت بها فإنَّ خيل المنـون في طلبي

ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه . ولما رثى أبا منصور الشيرازي بهذه القصيدة في سنة ثلاث وثمانين رثى أبا إسحاق الصابي في سنة أربع وثمانين بالقصيدة التي أوردتها في بابه ، ثم لمـا حال الحـول وتوفـي الصاحب في سنة خمس وثمانين وتعجب الناس من انقراض بلغاء العصر الثلاثة على نسق في ثلاث سنين ، رثاه أيضاً بقصيدة سأورد غررها في مراثي الصاحب .

---

(١) الشقاشق : الفصيح من الخطب .

(٢) اللدّة : وهو الذي ولد معك أو تربّى .

(٣) نهنها : منعها وكفّها .

(٤) العذب : أعالي الرماح ، وطرق الفنن من الشجر .

وله من قصيدة رثى بها أبا محمد بن أبي سعيد السيرافي ، وكان من الأعيان الأعلام في العربية وما يتعلق بها ، وتوفي بعيد الصاحب [من الكامل] :

لم ينسنا كافي الكفاة مصابه ... حتى دهانا فيك خطبٌ مضلّع[1]
قرحٌ على قرحٍ تقارب عهده ... إنّ القروح على القروح لأوجع
وتلاحُقُ الفضلاء أعدل شاهدٍ ... أنّ الحمام بكلّ علقٍ مولع[2]

وقال من أخرى [من البسيط] :

يا مصعباً بخست أيدي المنون به ... فقيد قودٍ ذليل الظّهر مطواع[3]
يسقي أسنّته حتى تفيض دماً ... ويهدم العيس من شدٍّ وأيضاع[4]

وقال [من الكامل] :

هيهات أصبح سمعه وعبانه ... في الترب قد حجبتهما أقذاؤه[5]
يمسي ولين مهاده حصباؤه ... فيه ومؤنس ليله ظلماؤه
قد قلّبتْ أعيانه ، وتنكّرتْ ... أعلامه ، وتكسّفت أضواؤه
مغفٍ وليس للذّةٍ إغفاؤه ... مغضٍ وليس لفكرةٍ إغضاؤه
وجهٌ كلمع البرق غاض وميضه ... قلبٌ كصدر العضب قلّ مضاؤه[6]
حكم البلى فيه فلو يلقى به ... أعداءه لرثى له أعداؤه
إنّ الذي كان النعيم ظلاله ... أمسى يطنّب بالعراء خباؤه[7]

---

(١) المضلّع : القوي ذو الثقل .
(٢) العلق : النفيس الغالي .
(٣) القود : يعني الخيل التي تقاد .
(٤) العيس : النوق ، والشدّ والايضاع : الحلّ والترحال .
(٥) العبان : الجسم الغليظ الخشن .
(٦) غاض وميضه : غاب واختفى بريقه ، والعضب السيف ، وفلّ مضاؤه: تقطّع حدّه القاطع .
(٧) يطنّب : أي يقيم خباءه والطنب الأعمدة .

قد خفّ عن ذاك الرواق حضوره ... أبداً ، وعن ذاك الحمى ضوضاؤه
كانت سوابقه طراز فنائه ... يجلو جمال روائهن رواؤه
ورماحه سفراؤه ، وسيوفه ... خفراؤه ، وجياده ندماؤه
ما زال يعدو والركاب حذاءه ... بين الصوارم والعجاج رداؤه[1]
لا تعجبنّ فما العجيب فناؤه ... بيد المنون ، بل العجيب بقاؤه
من طاح في سبل الردى آباؤه ... فليسلكنَّ طريقهمْ أبناؤه

ومن قصيدة رثى بها والدته [من الكامل] :

أبكيك لو نقع الغليل بكائي ... وأقول لو ذهب المقال بدائي[2]
وأعوذ بالصبر الجميل تعزّياً ... لو كان في الصبر الجميل عزائي
طوراً تكاثرني الدموع ، وتارةً ... آوي إلى أكرومتي وحيائي[3]
كم عبرةٍ موّهتها بأناملي ... وسترتها متجمّلاً بردائي
أبدى التجلّد للعدو ، ولو درى ... بتململي لقد آشتفى أعدائي
فارقت فيك تمسّكي وتجمّلي ... ونسيت فيك تعزّزي وإبائي
كم زفرةٍ ضعفتْ فصارت أنّةً ... أتممتها بتنفّس الصّعداء
لهفان أنزو في حبائل كربةٍ ... ملكتْ عليَّ جلادتي وعنائي
قد كنت أرجو أن أكون لك الفدا ... مما ألمّ فكنت أنت فدائي
وجرى الزمان على عوائد كيده ... في قلب آمالي وعكس رجائي
وتفرّق البعداء بعد مودّةٍ ... صعبٌ فكيف تفرُّق القرباء
وتداول الأيام يبلينا ، كما ... يبلى الرشاء تطاوح الأرجاء[4]
كيف السلوُّ وكلّ موقع لحظةٍ ... أثرٌ لفضلك خالدٌ بإزائي

---

(١) العجاج : الغبار .
(٢) نقع الغليل : رواه .
(٣) الأكرومة : الفعل الكريم .
(٤) الرشاء : الحبل .

وقال [من الكامل] :

قلْ لليالـي قد ملـكت فأسجحي ... ولغيرك الخلـق الـكريم الأسجح[1]
إنْ ساء فعلك في فراق أحبّتي ... فلسـوء فعلك في عذاريَ أقبح
ضوءٌ تشعشـع في سواد ذؤابتي ... لا أستضـيء به ولا أستصبح

ومنها :

والـذلُّ بين الأقـربين مضاضةٌ ... والـذلُّ ما بين الأباعـد أروح[2]
وإذا رمتـك من الرجـال قوارصٌ ... فسهـام ذي القربـى أشـدُّ وأجرح
لو لم يكن ليَ في القلـوب مهابةٌ ... لم يطعـنِ الأعـداء فيَّ ويقدحوا

وقال [من المتقارب] :

أنـا ابـن الأناجـب من هاشمٍ ... إذا لم تكن نُجُـبٌ من نجبْ
تـلاثُ برودهـم بالرمـاح ... وتلـوى عمـائمهـمْ بالشهـبْ[3]
عتـاق الوجـوه ، وعتـق الجيا ... د في الضمـر تعرفـه والقببْ[4]
يشفّ الوضـاء خلال الشحو ... ب منهـا وخلف الدخـان اللهبْ

وقال [من السريع] :

السراح والراحـة ذلُّ الفتى ... والعـزُّ في شرب ضريب اللقاح[5]
ما أطيب الأمـر ولـو أنّه ... علـى رزايا نعـمٍ في المراح

---

(١) اسجحي : يسِّري وسهلي ، والخلق الأسجح : اللّين السهل .
(٢) المضاضة : الألم والمصيبة .
(٣) تلاث : تلطّخ وتصاب .
(٤) عتاق الوجوه : كرامها ، والقبب : خمور البطن ودقّة الخصر .
(٥) الضريب : اللبن الذي يحلب بعضه فوق بعض .

وقال وأجاد [من الرجز] :

ستعلمون ما يكون منّي إن مدّ من ضبعي طول سنّي[1]
أأدع الدنيا ولم تدعني وسعت أيامي ولم تسعني

* أفضل عنها وتضيق عني *

وقال من أخرى [من الوافر] :

تجاذبني يد الأيّام نفسي ويوشك أن يكون لها الغلابُ
نهضت وقد قعدن بي الليالي فلا خيلٌ أعزّ ولا ركاب
وما ذنبي إذا اتفقت خطوبٌ مغاضبةٌ وأيامٌ غضاب
وبعض العدم مأثرةٌ وفخرٌ وبعض المال منقصةٌ وعاب[2]
بناني والعنان إذا نبتْ بي ربي أرضٍ ورجلي والركاب[3]
سواءٌ من أقلّ الترب منّا ومن وارى معالمه التراب

كأنه من قول ابن نباتة [من الوافر] :

* ومن لبس التراب كمن علاه *

رجع :

وإنّ مزايل العيش اختصاراً مساوٍ للذين بقوا فشابوا[4]
وأولنا العناء إذا طلعنا إلى الدنيا، وآخرنا الذهاب
وإنّ مقام مثلي في الأعادي مقام البدر تنبحه الكلاب
رموني بالعيوب ملفقاتٍ وقد علموا بأنّي لا أعاب

---

(١) الضبع : ما بين الإبط ، إلى نصف العضد .
(٢) العدم : الفقر ، والعاب : من العيب .
(٣) نبت : جفت ولم توافق .
(٤) مزايل : مفارق .

وأنّـي لا تدنّسني المخازي وأنّـي لا تروّعني السّبـاب
ولمّـا لم يلاقـوا فيَّ عيباً كسونـي من عيوبهـم وعابوا

وقال [من الطويل] :

سأبـذل دون العـزّ أكرم مهجةٍ إذا قامت الحرب العوان على رجلِ[1]
ومـا ذاك أنّ النفس غير نفيسةٍ ولكن رأيت الجبـن ضربـاً من البخل
ومـا المكرهـون السمهـرية في الطلى بأشجـعَ ممّـن يكره المـال بالبذل

وقال في ذم بعض الناس [من البسيط] :

الله يعلـم ميلـي عن جنابكمُ ولـو تنـاهيت لي في البـرّ واللطفِ
فكيف بي وعلـى عينيك ترجمةٌ من الحقـود وعنـوانٌ من السّرفِ

أخذه من قول البحتري [من الوافر] :

وفـي عينيك ترجمـةٌ أراها تدلُّ علـى الضغائـن والحقود

رجع :

أطـوف منـك بوجـهٍ غير ملتفتٍ إلـى المناجـي وعـطفٍ غير منعطف
فمـا أغبُّـك من عذرٍ ولا شغلٍ ولا أزورك من وجـدٍ ولا شغف[2]
لا قدس الله نفسـاً منـك جامعةً كيد البغـال وحقـد الخلـد والسّرف
ولا سقـى الغيث داراً أنـت ساكنها إلاّ بأغبـر ناريٍّ الـذّرى قصف

وقال [من المنسرح] :

زللـت من موقفـي علـى طللٍ بالٍ فمـن عاذري من الطلل

---

(١) العوان : الشديدة .
(٢) الغبّ : الزيارة فترة بعد فترة .

لمّا تأملت قبح صورته رجعت أبكي دماً على أملي
وجهٌ كظهر المجنّ مسترق الحسن وأنفٌ كغارب الجمل[1]

وقال في الخليفة القادر بالله [من الوافر] :

تخطينا الصفوف إلى رواقٍ تحجَّبُ بالصوارم والرّماحِ
وحبّينا عظيماً من قريش كأنّ جبينه فلق الصّباح
عليه سيماءُ المجد يبدو وعنوان الشجاعة والسّماح[2]

وقال في أبي الحسن النصيح ، وقد لامه في تأخره عنه [من مجزوء الوافر] :

أكافينا النّصيح بقيت فينا دائماً أبدا
تحثُّ إلى العلا قدماً وتبسط بالنوال يدا
لئن حرّقتني عذلاً لقد نوّهت بي صعدا
عليَّ طروق داركمُ وليس عليّ أن أردا[3]

أخذه من قول منصور :

عليَّ أن أزوركُمُ وليس عليَّ أن أصلا

وقال [من المتقارب] :

أبيعك بيع الأديم النغل وأطوي ودادك طيَّ السّجلْ[4]
وأنفض ثقلك عن عاتقي فقد طالما آذيتني يا جبلْ
قوارص لفظٍ كحزِّ المدى وشزرات لحظٍ كوقع الأسلْ[5]

---

(١) المجنّ : الدرع ، والغارب : السنام في الجمل لأنّه أعلاه.
(٢) سيماء : آثار وعلامات .
(٣) أرِد : من الورد وهو الشراب ويعني الحصول على الصلة .
(٤) نغل الأديم : أي فسد في دبغه .
(٥) شذرات لحظ : أي نظرات مغضبة ، والأسل : الرماح .

وإنّ أذلّ الأذلّين منْ يروم ببضع النساء الدول[1]

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا ليلةً كرُمَ الزما ن بها لو آنّ اللّيل باقي
كان اتفاقاً بيننا جارٍ على غير اتّفاق
فاستروح المشتاق من زفرات همٍّ واشتياق
واقتصّ للحقب الموا ضي بل تسلف للبواقي
حتّى إذا نسمت ريا ح الصبح تؤذن بالفراق
برد السّوار لها فأحميت القلادة بالعناق

وله في وزير بذل مالاً كثيراً حتى يقلد الوزارة فاستصوب رأيه في ذلك [من مجزوء الرمل] :

اشترِ العزَّ بما بيع فما العزُّ بغال
بالقصار الصفر إن شئت وبالسّمر الطوال
ليس بالمغبون حظّاً مشترٍ عزّاً بمال
إنّما يدخر المال لحاجات الرجال
والفتى من جعل الأموال أثمان المعالي

وقال [من السريع] :

يا عذبة المبسم بلّي الجوى بنهلةٍ من ريقك البارد[2]
أرى غديراً شبماً ماؤه بادٍ فهل للماء من وارد[3]
من لي بذاك العسل الذائب الجاري خلال البرد الجامد

(١) بضع النساء : فروجهنّ .
(٢) الجوى : شدّة الوجد والاحتراق من العشق .
(٣) الشبم : البارد .

وقال [من الطويل] :

وسالمتُ لما طالت الحرب بيننا ... إذا لم تظفرْ في الحروب فسالم

وقال [من الطويل] :

لنا الدوحة العليا التي نزعتْ لها ... إلى المجد أغصان الجدود الأطايبِ

إذا كان في جوّ السماء عروقها ... فأين عواليها وأين الذوائبِ ؟

وله في غلام أعجمي [من الطويل] :

حبيبيَ ما أزرى بحبّك في الحشا ... ولا غضّ عندي منك أنّك أعجمُ

بنفسي من يستدرجِ اللّفظ عجمةً ... كما يمضغ الظبي الأراك ويبغم[1]

وقال [من البسيط] :

كم المقام على جيلٍ سواسيةٍ ... ترجو الندى من إناءٍ قطُّما رشحا

تشاغل الناس باستدفاع شرّهمُ ... عن أن تسومهمُ الإعطاء والمنحا

وقال [من الكامل] :

واهاً على عهد الشباب وطيبه ... والغضّ من ورق الشباب الناضرِ

واهاً له ما كان غير دجنّةٍ ... قلصت صبابتها كظل الطائر[2]

وأرى المنايا إن رأت بك شيبةً ... جعلتك مرمى نبلها المتواتر

لو يفتدي ذاك السواد فديته ... بسواد عيني بل سواد ضمائري

أبياض رأسٍ واسوداد مطالبٍ ؟ ... صبراً على حكم الزمان الجائر !

وكان عمل قصيدة في بهاء الدولة وأنفذها إليه ، فنسبه بعض الحساد إلى الترفع عن إنشادها ، فقال [من الطويل] :

---

(١) بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها ، تعطف عليه .

(٢) دجنّة : الظلمة ، أو الغيم الكثير المظلم .

جناني شجاعٌ إن مدحت ، وإنّما / لساني إن نسيم النّشيد جبانُ
وما ضرّ قوّالاً أطاع جنانه / إذا خانه عند الملوك لسان
وربّ حَيِيٍّ في السّلام وقلبه / وقاحٌ إذا لفَّ الجياد طعان[1]
وربّ وقاح الوجه تحمل كفّه / أنامل لم يعرق بهنّ عنان
وفخر الفتى بالقول لا بنشيده / ويروي فلانٌ مرّةً وفلان

وورد عليه أمر أشغل قلبه فقال [من السريع] :

إن أنشب الخطب فلا روعةً / أو عظم الأمر فصبرٌ جميل
فليهون المرء بأيامه / أنّ مقام المرء فيها قليل
إنّا إلى الله وإنّا له / وحسبنا الله ونعم الوكيل

بعونه تعالى قد تم طبع القسم الثاني من يتيمة الدهر ، حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ، ويتلوه ـ إن شاء الله تعالى ـ القسم الثالث ، ويشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان .

نسأل الذي بيده الحول والطول أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .

---

(١) الوقاح : الصلب والجريء .

القسم الثالث

من يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر

وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على آلائه ، وأسأله شكر نعمائه ، وأصلي على محمد المصطفى المختار ، وآله وصحبه الأطهار .

وبعد ، فلما تم القسم الثاني من يتيمة الدهر أتبعته بالقسم الثالث منها ، وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وسائر فضلائها وغربائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم ، وغرر ألفاظهم .



الباب الأول

١٤ ـ في ذكر ابن العميد ، وإيراد لمع من أوصافه وأخباره وغرره من نثره ونظمه

هو أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وأوجد العصر في الكتابة ، وجميع أدوات الرياسة ، وآلات الوزارة ، والضارب في الآداب بالسهام الفائزة ، والآخذ من العلوم بالأطراف القوية ، يدعى الجاحظ الأخير ، والأستاذ ، والرئيس ، يضرب به المثل في البلاغة ، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة ، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها ، إلى براعة المعاني ونفاستها . وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب ـ وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها ـ بغداد في البلاد ، كالأستاذ في العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد . وقد أجرى ذكرهما معاً مثلاً أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن الأصبهاني في قصيدة فريدة مدح بها الصاحب ، فلما انتهى إلى وصف بلاغته قال وأحسن ما شاء [من البسيط] :

دعوا الأقاصيص والأنباء ناحيةً   فما على ظهرها غير ابن عبّاد

والي بيانٍ متى يطلقْ أعنّته   يدعْ لسان إيادٍ رهن أقياد

ومورِدٍ كلماتٍ عطّلت زهراً   على رياضٍ ودرّاً فوق أجياد

وتاركٍ أولاً عبد الحميد بها   وابن العميد أخيراً في أبي جاد

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلالة ، بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صياد حاذق [من البسيط] :

ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب

لأن أباه أبا عبد الله الحسين بن محمد المعروف بكلّة[1] في الرتبة الكبرى من الكتابة ورسائله مدونة بخراسان .

وذكر أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي أن رسائل أبي عبد الله لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل ، وعندي أن هذا الحكم من أبي إسحاق فيه حيفٌ شديد على ابن العميد ، والقاص لا يحب القاص .

ومن خبر أبي عبد الله أن أصله من قم ، وكان يكتب لما كان بن كاكي ، فلما قتل ما كان في المعركة واستبيح عسكره ، وحمل قواده وخواصه مقرنين في الأصفاد إلى الحضرة ببخارى ، وفي جملتهم أبو عبد الله نفعته شفاعة فضله ونبله . فأطلق عنه وأكرم ورتب في الدار السلطانية . ولما تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر . ولقب الشيخ كالعادة فيمن يلي ذلك الديوان حسده أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير ، فقال فيه [من الطويل] :

تظلَّم ديوان الرسائل كلّه   إلى الملك القرم الهمام وحقٌّ له

من أبيات أنسانيها تطاول المدة بها ، واستعجم عليّ مكانها ، وكان إذ ذاك أبو القاسم علي بن محمد النيسابوري الإسكافي يكتب في ديوانه ، ويرى نفسه أحق برتبته ومكانه ، ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه ، ويقعد مقعده . وله فيه أبيات تستظرف وتستملح ، فمنها قوله [من مجزوء الرجز] :

وقائل ماذا الذي   من كلّةٍ تطلبه

---

(١) الكِلَّة : الصوفة الحمراء في رأس الهودج وهي كنية تدل على شهرته .

قلت له أطلب أنْ يقلب منه لقبه

وقوله فيه ، وكان يحضر الديوان في محفة لسوء أثر النقرس[١] على قدمه [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الذي ركب المحفّة جامعاً فيها جهازه
أترى الإلّه يعيشني حتى يرينيها جنازة

وقوله فيه ، وقد استوزر والديوان برسمه [من الطويل] :

أقول وقد سرْنا وراء محفّةٍ وفيها أبو عبد الإلّه كسيرا
شقاؤك من شكواك ثم شقاؤنا من أيام سوءٍ قدّمتك وزيرا
ترقيك من هذي المحفّة حيّةٌ إلى النعش محمولاً تصرُّ صريرا[٢]

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبي عبد الله منيته ، ووافت أبا القاسم أمنيته ، وتولى ديوان الرسائل فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل في حياة أبيه وبعد وفاته بالري وكور الجبل وفارس . يتدرج إلى المعالي ويزداد على الأيام فضلاً وبراعة ، حتى بلغ ما بلغ ، واستقر في الذورة العليا من وزارة ركن الدولة ، ورياسة الجبل ، وخدمه الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبي عند صدوره من حضرة كافور الإخشيدي ، فمدحه بتلك القصائد المشهورة السائرة التي منها [من الكامل] :

من مبلغ الأعراب أنّي بعدهمْ شاهدت رسطاليس والإسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملّكاً متبدّياً متحضّرا
ولقيت كلَّ الفاضلين كأنّما ردّ الإلّه نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدّماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخّرا

---

(١) النقرس : مرض يصيب الجلد ويترك فيه آثاراً وتقلصات .

(٢) ترقيك : تلدغك ، تصرُّ : تصوّت .

بأبي وأمي ناطقٌ في لفظه ثمنٌ تباع به القلوب وتشتري
قطف الرجال القول وقت نباته وقطفت أنت القول لما نوّرا

ومدحه الصاحب بمدح كثيرة استفرغ فيها جهده ، وألقى حميته ، فمن عيون شعره فيه قوله من قصيدة [من الخفيف] :

من لقلبٍ يهيم في كلّ واد وقتيلٍ للحبٍّ من غير واد
إنّما أذكر الغواني والمقصد سعدي مكثراً للسّواد
وإذا ما صدقت فهي مرامي ومنائي وروضتي ومرادي
ونَدى ابن العميد إنّي عميدٌ من هواها أليّة الأمجاد[1]
لو درى الدهر أنّه من بنيه لازدرى قدر سائر الأولاد
أو رأى الناس كيف يهتزّ للجود لما عدّوه في الأطواد[2]
أيّها الآملون حطّوا سريعاً برفيع العماد واري الزناد
فهو إنْ جاد ضَنَّ حاتم طيٍّ وهو إنْ قال قلَّ قسُّ إياد
وإذا ما ارتأى فأين زيادٌ من علاه وأين آل زياد
أقبل العيد يستعير حلاه من علاه العزيزة الأنداد
سيضحّي فيه لمن لا يواليه ويبقى بقيّة الأعياد
ومديحي إن لم يكن طال أبياتاً فقد طال في مجالي الجياد
إن خير المداح من مدحته شعراء البلاد في كلٍّ ناد

ما أحسن ما أدمج الافتخار في أثناء المدح ! وإنما ألم فيه بقول يزيد بن محمد المهلبي لابن المدبر [من الخفيف] :

إن أكن مهدياً لك الشعر إني لابن بيت تهدى له الأشعار

(١) الآليّة : القَسمْ .
(٢) الأطواد : جمع طود وهو الجبل الثابت .

ومن مختار شعر الصاحب قوله فيه وقد قدم إصبهان [من الكامل] :

قدّم الرئيس مقدّماً في سبقه ... وكأنّما الدنيا جرت في طرقه
فجبالها من حلمه ، وبحارها ... من جوده ، ورياضها من خلقه
وكأنّما الأفلاك طوع يمينه ... كالعبد منقاداً لمالك رقّه
قد قاسمته نجومها : فنحوسها ... لعدوه ، وسعودها في أفقه
ما زلت مشتاقاً لنور جبينه ... شوق الرياض إلى السّحاب وودقه[1]
حتى بدا من فوق أجرد سابحٍ ... إن قال فتٌّ الريح فاه بصدقه
يحكي السّحاب طلوعه فصهيله ... من رعده ومسيره من برقه
فنظمت مدحاً لا وفاء بمثله ... وسجدت شكراً لا نهوض بحقّه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا : ربيعك قد قدمْ ... فلك البشارة بالنعم
قلت : الربيع أخو الشتا ... ء أم الربيع أخو الكرم ؟
قالوا : الذي بنواله ... يغني المقلّ عن العدم
قلت : الرئيس ابن العميـ ... ـد إذاً؟ فقالوا لي : نعم !

وقوله [من المنسرح] :

أما ترى اليوم كيف جادلنا ... بمستهلّ الشؤبوب منسجمه[2]
يحكى أبا الفضل في تفضّله ... هيهات أن يعتزى إلى شيمه[3]
كم حاسدٍ لي وكنت أحسده ... يقول من غيظه ومن ألمه :
نال ابن عبّاد المنى كملاً ... إذ عدّه ابن العميد من خدمه

(١) الودق : المطر المنهمر بهدوء .

(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، أو شدتها .

(٣) الشيم : الصفات الحميدة ، والسجايا .

وقوله في توديعه [من المتقارب] :

أودّع حضرتـك العاليـة ونفسـي لا دمعتـي هاميـه
ومـن ذا يودّع هذا الجناب فتهنـؤه بعـده العافيـه
جنـابٌ رعيت به جنّةً قطـوف مكارمها دانيـه[1]
رأيت به فائضـات العلا وعلّمـت ما للهمـم العاليه
كأنّـي بغـداد في شوقها إليـك وأدمعهـا الجاريـه
وأنـت المرجّـى لإظفارهـا بـآمـالهـا وبـآماليـه
ولـو كنـت تأذن لي في المسير إذاً سرت في جملـة الحاشيه
سبقـت جوادك مدّ الطريق وسـرت وفـي يدي الغاشيه[2]

ولابن خلاد القاضي فيه مدح تشوبها ملح ، كقوله [من الوافر] :

بأسعـد طالـعٍ عيّدت يا من بطلعتـه سعـادة كلّ عيد
فعشْ ما شئـت كيف تشـاء والبسْ جديد العمـر في زمـنٍ جديد
فقـد شهـدت عقـول الخلـق طرّاً وحسبـك بالبصائـر من شهود
بأنّ محاسـن الـدنيا جميعاً بأفنية الـرئيس ابـن العميد

ولأبي الحسن البديهي فيه من قصيدة [من المتقارب] :

إذا اعتمدتنـي خطـوب الزّمان وكان اعتمـادي علـى ابـن العميد
تذكرت قربـيَ من قلبه فيمّمتـه مـن مكانٍ بعيد
تجـاوز في الجـود حدّ المزيد وجـلّ نداه عـن المستَزيد
وفـات الأنـام ، وفـاق الكرام برأيٍ سديدٍ ، وبـأسٍ شديد

ومما يستبدع فيه ويستحسن معناه قول أبي علي [بـن] مسكويه له عند

(١) دانيه : أي مذلّلة سهلة الجناء .

(٢) الغاشية : سورة من القرآن الكريم ، والغاشية الغطاء ، وغلاف القلب .

انتقاله إلى قصر جديد بناه [من البسيط] :

لا يعجبنّك حسن القصر تنزله فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائةً ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

وأنشده ابن أبي الشباب[1] في يوم مهرجان قصيدة في مدحه أولها [من الطويل] :

آقبرٌ لنا طلّت ثراك يد الطلِّ وحيّا الحيا المسكوب ذلك من ثلِّ [2]

فتطير من الافتتاح بذكر القبر ، وتنغّص باليوم والشعر ، وفي هذه القصيدة :

نعيمٌ فقدناه فما نرتجي له معاودةً إلاّ بفضل أبي الفضل

ودخل أبو بشر الفارسي الحافظ ـ وكان متقدماً في علم العربية ، متأخراً في قول الشعر ـ عليه يوماً ، وقد هاج به النقرس فأنشده [من الهزج] :

شكى النقرس نقريسٌ أخو علمٍ ونطّيس
فما دام لكم قوسٌ فنفسي لكُمُ جوس[3]

فقال له : يا أبا بشر ، هذه رقية النقرس .

ولا غنى لهذا الشعر عن التفسير ، النقريس : الداهية ، والحاذق من الادلاء ، والنطيس : الفطن بالأمور العالم بها ، وأنشد [من الرجز] :

وقد أكون مرّةً نطيساً طبّاً بأدواء النسا نقريسا

والقوس : صومعة الراهب ، والجوس : جمع جايس ، والجوسان : التردد ، وفي القرآن (فجاسوا خلال الديار) .

---

(١) في نسخة « ب » « ابن أبي الثياب » .

(٢) ورد صدر هذا البيت هكذا « أقبورنا طلّت ثراك يد الطلّ » وهو غير مستقيم الوزن ، والثل : الغيم المتصبِّب .

(٣) الجوس : الجوع أو شدّة النظر وتتابعه .

ومن أمثل شعر أبي بشر قوله [من المتقارب] :

وأنِّـيَ لا أكره من شيمتي زيارة حيٍّ بلا منفعه
ولا أحمـد القـول من قائلٍ إذا لم يكن منـه فعـلٌ معه
ومـن ضاق ذرعـاً بإكرامنا فلسنـا نضيق بأنْ نقطعه

وكان كل من أبي العلاء السروي ، وأبي الحسن العلوي العباسي ، وابن خلاد القاضي ، وابن سمكة القمي ، وأبي الحسين بن فارس ، وأبي محمد بن هندو، يختص به ويداخله وينادمه حاضراً ، ويكاتبه ويجاويه ويهاديه نثراً ونظماً ، ويقال : إن أحسن رسائله الإخوانيات وما كاتب به أبا العلاء ، لصدوره عن صدر مائل إليه محب له مناسب بالأدب إياه .

* * *

فصل من رسالة له إليه في شهر رمضان وهو مما لم يسبق إليه

كتابي ـ جعلني الله فداك ـ وأنا في كدٍّ وتعب ، منذ فارقت شعبان وفي جهد ونصب من شهر رمضان ، وفي العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم . ومرتهن بتضاعف حرور[1] لو أن اللحم يصلى ببعضها غريضاً[2] أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضبّ ويصـرف وجه الحربـاء عن التحنّـق ، ويزويه عن التبصـر ، يقبض يده عن إمسـاك ساق وإرسال ساق [من البسيط] :

ويترك الجـاب في شغـلٍ عن الحقب ويقدح النـار بين الجلـد والعصب[3]

(١) الحرور : شدّة اللهب .
(٢) الغريض : الطازج .
(٣) الجاب : حمار الوحش .

ويغادر الوحش وقد مالت هواديها [من الطويل] :

سجوداً لدى الأرطى كأنّ رؤوسها علاها صداعٌ أو فواقٌ يصورها[1]

وكما قال الفرزدق [من الطويل] :

ليومٍ أتت دون الظلال شموسه تظلُّ المها صوراً جماجمها تغلي

وكما قال مسكين الدارمي [من الطويل] :

وهاجرةٍ ظلّت كأنَّ ظباءها إذا ما اتّقتها بالقرون سجودُ
تلوذ بشؤبوبٍ من الشمس فوقها كما لاذ من وخز السّنان طريد

وممنوٍّ بأيام تحاكي ظل الرمح طولاً ، وليال كإبهام القطاة قصراً ، ونوم كلا ولا قلة ، وكسحو الطائر من ماء الثماد دقة[2] ، وكتصفيقة الطائر المستحرّخفة [من الطويل] :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةٌ فلما رجوها أقشعتْ وتجلَّت
وكنقر العصافير وهي خائفةٌ من النواطير يانع الرطب[3]

وأحمد الله على كل حال ، وأسجله أن يعرفني فضل بركته ، ويلقيني الخير في باقي أيامه وخاتمته ، وأرغب إليه في أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته . وينقض مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويرد عليّ غرة شوال فهي أسر الغرر عندي وأقرّها لعيني ،

---

(١) الأرطى : شجرٌ له ثمرٌ كالعناب ، والفواق : الميل والإنكسار في الفوق ، وهو موقع الوتر من رأس السهم ، ويصورها : يلويها .
(٢) الثماد : الماء القليل .
(٣) البيت من المنسرح ، والكاف ليست منه ، وإنّما اجتلبها للتشبيه .

ويسمعني النعرة[1] في قفا شهر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بني عامر ، وأضنى من قيس بن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور[2] ، ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضوءها . ويحط من الأجسام نوءها[3] ، كلفا يغمرها ، وكسوفا يسترها ، ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة . وينقص من أطرافه كما تنقص النيّرات من طرف الزند ، ويبعث عليه الأرضة ، ويهدي إليه السوس ، ويغري به الدود ، ويبليه بالفار ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالنمل ، ويجتحفه بالذر ، ويجعله من نجوم الرجم . ويرمي به مسترق السمع . ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان ويصنع به صنعه بالألوان ، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا افتضح بضوئه وتهتك بطلوعه (ويرحم الله عبداً قال آمينا)[4] وأستغفر الله جل وجهه مما قلته إن كرهه ، وأستعفيه من توفيقي لما يذمه ، وأسأله صفحاً يفيضه ، وعفواً يسيغه ، وحالي بعد ما شكوته صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، ولله الحمد تقدست أسماؤه والشكر .

وقد أجمع أهل البصيرة في الترسل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه ، وواسطة عقده وما ظنك بأجود كلام ، لأبلغ إمام ؟

* * *

(١) النُعرة : الأمر الذي يهمُّ به .

(٢) الكور : موضع الزنابير ، وهي من الذباب الأليم اللسع .

(٣) النوء : الاضطراب والشدّة .

(٤) هذا عجز بيت من البسيط ينسب لمجنون ليلى وصدره « يا ربّ لا تسلبني حبّها أبدا » .

فصـــل مـن أولهـا

كتابي وأنا مترجّح بين طمع فيك ، ويأسٍ منك ، وإقبال عليك ، وإعراض عنك ، فإنّك تدل بسابق حرمة ، وتمتّ بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضي محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة[1] ، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يحبط أعمالك ، ويمحق كل ما يرعى لك ، لا جرم أني وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك : أقدم رجلاً لصدمك . وأؤخر أخرى عن قصـدك ، وأبســط يداً لاصطلامـك واجتياحـك[2] ، وأثـنـي ثانية لاستبقائـك واستصلاحك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ، ضناً بالنعمـة عنـدك ، ومنافسة في الصنيعة لديك ، وتـأميلا لفيئتـك وانصرافـك ، ورجـاء لمراجعتـك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر المـاء ثم يصفـو ، وكل ضيقـة إلـى رخـاء ، وكل غمـرة فإلـى انجلاء[4] . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك ، فلا بدع أن تأتي من إحسانك . بما لا ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتـى ركبـت ما ركبت ، واخترت ما اخترت . فلا عجب ان تنتبه انتباهةً تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت . وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلـح ، وعلـى الاستيناء والمطاولة ما أمكن[5] ، طمعاً في إنابتـك[7] ، وتحـكمياً لحسـن الظـن بك ، فلست أعدم فيما أظاهره من أعذار ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجـاً عليك

---

(١) الغلول : الحقد والغش .

(٢) الاصطلام : الاقتطاع من الأصل .

(٣) يعزب : يبعد ويغيب .

(٤) الغمرة : الشدّة .

(٥) الاستيناء : التمهّل .

(٦) الإنابة : العودة والتوبة .

واستدراجاً لك ، فإن يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسددك ، فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير .

* * *

فصل منها

وزعمت أنك في طرف من الطاعة ، بعد أن كنت متوسطها ، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها ، وحلبت شطريها . فنشدتك الله لما صدقت عما سألتك . كيف وجدت ما زلت عنه ؟ وكيف تجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول في ظلٍّ ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء عذى[1] وماء روي ، ومهاد وطي ، وكنٍّ كنين[2] ، ومكان مكين ، وحصن حصين . يقيك المتالف[3] ، ويؤمنك المخاوف . ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدثان ، عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة[4] ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطىء عقبك الرجال، وتعلّقت بك الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار إليك، ويذكر على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك . ففيم الآن أنت من الأمر؟ وما العوض عما عددت ، والخلف مما وصفت ؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفضت منها كفّك ، وغمست في خلافها يدك ؟ وما الذي أظلّك بعد انحسار ظلّها عنك ؟ أظلٌّ ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ؟ قل نعم ! كذلك ،

---

(١) العذى : الهواء الخالص .

(٢) الكنّ : الحصن والستر .

(٣) المتالف : الأذى والضّرر .

(٤) المتربة : الفقر .

فهو والله أكثف ظلالك في العاجلة ، وأروحها في الآجلة ، إن أقمت على المحايدة والعنود[1] ، ووقفت على المشاقة والجحود .

ومنها ـ تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي ، فستنكرها ، والمس جسدك ، وانظر هل يحس ؟ واجسس عرقك هل ينبض ؟ وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك ؟ وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، أو موت مريح ؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله .

قال مؤلف هذا الكتاب :

بلغني عن بلكا ـ وكان آدب أمثاله ـ أنه كان يقول : والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس ، ولقد ناب كتابه عن الكتائب في عرك أديمي واستصلاحي ، وردى إلى طاعة صاحبه .

أقرأني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي ـ وقد اجتمعنا بإسفرائين عند زعيمها أبي العباس . الفضل بن علي ـ فصلاً من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة ، وكنت مررت عليه وأنا عنه غافل ، فنبّهني على شرفه في جنسه ، وحرك مني ساكناً معجباً بحسنه متعجباً من نفاسة معناه ، وبراعة لفظه ، وهو : قد يعد أهل التحصيل في أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها . وانتقاض مررها . والأحوال الداعية الى ارتفاع جل الموجود منها ، وعدم الزيادة فيها : الطوفان بالنار والماء ، والموتان العارض من عموم الأوباء ، وتسلط المخالفين في المذاهب والآراء ، فإن كل ذلك يخترم العلوم اختراماً . وينتهكها انتهاكاً ، ويجتث أصولها اجتثاثاً ، وليس عندي الخطب في جميع ذلك يقارب ما يولده تسلط ملك جاهل تطول مدته، وتتسع قدرته . فإن البلاء به لا يعدله بلاء ، وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى بمن هذه صورته ، تعظم النعمة

---

(١) العنود : الميل عن القصد .

في تملّك سلطان عالم عادل ، كالأمير الجليل الذي أحله الله من الفضائل بملتقى طرقها ، ومجتمع فرقها ، وهي نور ، نوافر ممن لاقت حتى تصير إليه ، وشرد نوازع حيث حلت حتى تقع عليه . تتلفت إليه تلفت الوامق[1] وتتشوف[2] نحوه تشوف الصب العاشق . قد ملكتها وحشة المضاع ، وحيرة المرتاع :

فإنْ تغش قوماً بعده أو تزورهمْ   فكالوحش يدنيها من الأنس المحلُ

* * *

وهذه فصول قصار له تجري مجرى الأمثال

وقد أخرجتها مما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، من غرره وفقره ، وكفاني شغلاً شاغلاً ، وقادني منه شكره ، وليست تنكر أياديه عندي .

فمنها : من أسرَّ داءه، وستر ظمأه بعد عليه أن يبلَّ من غلله ويبلّ من علله[3] * متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى[4] ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى * خير القول ما أغناك جده ، وألهاك هزله * الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرب ، ولا تدرك إلا بتجشّم كلفة وتصعّب[5] * المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه * قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه ، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه * هل السيد إلاّ من تهابه إذا حضر ، وتغتابه إذا أدبر * اجتنب سلطان الهوى ، وشيطان الميل ، وغلبة الإرادة * المزح والهزل بابان إذا

---

(١) الوامق : المحب والعاشق .

(٢) تتشوّف : تتزيّن وتتطلّع .

(٣) يبلّ : يرتوي ، ويبلٌ من علله : يشفى .

(٤) الإعتوار : التداول .

(٥) تجشّم : كابد وعانى .

فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر ، وفحلان إذا ألقحا لم ينتجا غير الشر .

* * *

ما أخرج من المكاتبات بالشعر التي دارت بينه و بين ابن جلاد القاضي

أهدى ابن خلاد إلى ابن العميد شيئاً من الأطعمة، وكتب إليه في وصفها ، وابن العميد إذ ذاك في عقب مرض عرض له ، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة أولها [من البسيط] :

قلْ لابــن خلاّد المفضــى إلــى أمد ... في الفضــل برّز فيه أيُّ تبريزِ
يعــدى اهتــزازك للعلياء كلَّ فتىً ... مؤخّــرٍ عن مدى الغــايات محجوز
ماذا أردت إلــى منهــوض نائبةٍ ... مدفّعٍ عن حمى اللــذات ملهوز[1]
هزت بالــوصف في أحشائــه قرماً ... ما زال يهتــزّ فيهــا غير مهزوز[2]
لم يتــرك فيه فحــوى ما وصفــت له ... من الأطــايب عضــواً غير محفوز[3]
أهــديت نبرمــةً أهــدت لآكلها ... كرب المطــامير في آبٍ وتموز[4]

(نبرمة) هكذا في النسخة ، ولست أعرفها ، وأظن أنها شيء يجمع من الحبوب ، ويدق ويعجن بحلاوة .

ما كنت لولا فساد الحسن تأمل في ... جنسٍ من السمن في دوشاب شهريز[5]
هَل غير شتّــى حبــوبٍ قد تعاورها ... جيش المهــاريس أو نخــز المناخيز
رمـت الحــلاوة فيهــا ثم جئــت بها ... تحــذى اللســان بطعــمٍ جِدُّ ممزوز

---

(١) الملهوز : المدفوع الممنوع .
(٢) القرم : الطعام .
(٣) المحفوز : المطعون .
(٤) المطامير : جمع مطمورة وهي الحفرة في جوف الأرض .
(٥) الشهريز والسهريز ، وبالضم والكسر : نوع من التمر يذكر صاحب القاموس أنه معروف .

لو ساعدتــك بنــو حواء قاطبةً ... عليه ما كان فيهــم غير ملموز[1]
أوقعــت للشعــر في أوصافهــا شغلاً ... بين القصائــد تروى والأراجيز
لا أحمـد المـرء أقصـى ما يجــود به ... إذا عصرنــاه أصنــاف الشواريز[2]
ما متعــة العين من خدٍّ توردُه ... يزهــى عليك بخــالٍ فيه مركوز
مستغــرب الحســن في توشيع وجنته ... بدائــعُ بين تســهيمٍ وتطريز[3]
يوفى على القمـر الموفـى إذا اتصلت ... يســراه بالــكأس أو يمنــاه بالكوز
أشهــى إليك من الشيراز قد وضحت ... في صحــن وجنتهــا خيلان شونيز[4]
وقـد جرى الــزيت في مثنــى أسرتها ... فضارعــت فضّــةً تغلــى بأبريز
ماذا السمــاح بتقــريظٍ وتزكيةٍ ... وقــد بخلــت بمذخــورٍ ومكنوز

ومنها :

لا غرو إن لم ترح للجــود راحته ... فالبخل مستحسنٌ في شيمة الخوزى[5]

هكذا في النسخة ، وأظن أنه *لم ترح للجود رائحة* .

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [من البسيط] :

يا أيّهــا السيِّد السامــي بدوحته ... تاج الأكاســر من كســرى وفيروز
أتــى قريضــك يزهــى في محاسنه ... زهــو الربــى باشــرت أنفــاس نيروز
يا حسنــه لو كفينــا حين يبهجنا ... خطــب النبــارم فيه والشواريز
أقررت بالعجـز والألبـاب قد حكمتْ ... به علــيٌّ فقــدك اليوم تعجيزي

---

(١) الملموز : المعيب المطعون فيه .
(٢) الشواريز : جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه .
(٣) التوشيع : التزيين ، والتسهيم : التخطيطوهما أيضاً ضربان من ضروب البديع .
(٤) خيلان شونيز : الخيلان جمع خال وهو علامة في الوجه ، وشونيز : إسم بلد .
(٥) الخوزي : نسبة إلى خوزستان .

جوِّز قريضـي في بحـر القـريض فكمْ من قائـلٍ عـدّ قوالاً بتجويز
إن عدت في حلبـةٍ تجـري بهـا طمعاً إنّـي لأشجـع من عمــرو بن جرموز
إنّـا لمــن معشــرٍ حطّـوا رحالهم لمـا استبيروا على أسطمة الخوز[1]
لا نعـرف الكسـم والطـرذين يوم قرى ولا الغبــوق على لحــمٍ وخاميز[2]

وأهدى ابن خلاد إليه كتاباً في الأطعمة . وابن العميد ناقه من علـة كانـت به ، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة منها [من المتقارب] :

فهمــت كتابــك في الأطعمة ومـا كان نولـي أن أفهمه
فـكم هاج من قرمٍ ساكنٍ وأوضـح من شهـوةٍ مبهمه[3]
وأرّث في كبـدي غلّةً من الجــوع نيرانهـا مضرمه
فـكيف عمــدت به ناقهاً جوانحـه للطـوى مسلمه[4]
خفـوق الحشى إن تصـخ تستمع من الجــوع في صدره همهمه
تتيح له شرهـاً موجعـاً وتغـري بـه نهمـةً مؤلمه
فـأيــن الإخــاء ومـا يقتضيــــه منـك بأسبـابنـا المبرمـه
وأيـن تـكـرّمـك الـمـسـتـفـيـــــض فينـا إذا غـاضت المكـرمـه
وهــلا أضـفت إلـى مــا وصـفــــــت شيئـاً نهشّ لأن نـطعـمـه
يمـدُّ الصــديق إليه يداً إذا ما رآه ويشجـى فمه
وأين شواريزك المرتضاة إذا ما تفاضلـت الأطعمـة
وأيـن كواميخــك المجتبا ة دون الأطـايـب بالتكرمه

---

(١) استبيروا : أهلكوا ، والأسطمـة : أوسـاط القـوم وأشرافهـم ، والخـوز : إسـم يطلـق على بلاد خوزستان .
(٢) الكسم والطرذين : من الأطعمة ، والخاميز : مرق السكباج المبرَّد المصفّى من الدّهن .
(٣) القَرَم : الطعام والشوق إليه .
(٤) الناقه : من يفهم الحديث ونحوه ، والطوى : الجوع .

وهل أنت راضٍ بقولي إذا ... ذكرت : دعوه فما ألأمه !
إذا المرء أكرم شيرازه ... فلا أكرم الله من أكرمه
وكيف ارتقابي بقيّا امرئٍ ... إذا ليم أعتب بالنبرمه[1]
فإن كان يجذبك نعت الطعام ... إذا الجوع ناب أذاه فمه[2]
إذا جعت فاعمد لمسموطةٍ ... بجوذابة الموز مستفرمه
متى قستها بالمنى جاءتا ... سواءً كما جاءت الأبلمه[3]
وبزّ السرابيل عن أفرخٍ ... تخال بها فلذ الأسنمه
تهبّ النفوس إلى نيئها ... كأنّ النفوس بها مغرمه
فلا الفم إن ذاقه مجّه ... ولا الطبع إن زاره استوخمه
ودونك وسطاً أجاد الصنا ... ع تلفيق شطريه بالهندمه
وعالي على دفّه هيدبا ... كثيفاً كما تحمل المقرمه[4]
سدىً من نتائف نيرت بهنّ ... فأضحت نسائجها ملحمه[5]
فمن صدر فائقةٍ قد ثوت ... ومن عجز ناهضةٍ ملقمه
ودنّر بالجوز أجوازه ... ودرهم باللوز ما درهمه
وقاني بزيتونها والجبن ... صفائح من بيضةٍ مدعمه
فمن أسطرٍ فيه مشكولةٍ ... ومن أسطرٍ كتبت معجمه
وفوّف بالبقل أعطافه ... فوافى كحاشية معلمه[6]
موشّى تخال به مطرفاً ... بديع التفاويف والنّمنمه
إذا ضاحكتك تباشيره ... أضاءتْ له المعدة المظلمه

---

(١) ليم : من اللوم .

(٢) يجذبك : يحلو لك ، مه : اسم فعل مبني على السكون بمعنى « كفّ » .

(٣) الأبلمة : يقال : المال بيننا شقّ الأبلمة ، أي نصفين .

(٤) الهيدبا : الشعر الكثير ، والمقرمه : محبِش الفراش .

(٥) السَّدى من الثوب : ما مدّ من ، ونيرت : أي جعل خيوطه طولاً ، لها نير ، وهو جمع الخيوط الى القصب .

(٦) فوّف : طرّز وزيّن ، ومعلمه : مزيّنه ومخططه .

وهــاك خبيصــاً إذا ما اقترحت   علــى العبــد إنعامــه أنعمه
إذا سار في ثغــرة سدها   أو انســاب في خللٍ لأمه
فــإن شئــت فادخــل به مفرداً   وإن شئــت فادع إليه لمه[1]
وإيّاك تهــدم ما قد بنا   ه هدمــاً وتنقض ما أبرمه
فــإن لم تجــد ذاك يجــدي عليك   إذا ما سغبــت فقــل لي لمه
تعــد من الجــود وصف الطعام   ولســت تقــول بــأن تطعمه
وتحظــر ما قد أحــل الإلّه   ضراراً وتــطلق ما حرّمه[2]
فهـل نزلـتْ في الــذي قد شرعتَ   علــى أحــدٍ آيةٌ محكمه
وهــل سنَّــةٌ فيــه مأثورةٌ   رواهــا لأشياخــكم علقمه
وقلــت تواصــوا بصبــرٍ جميلٍ   فأين ذهبــت عن المرحمه
ومــن عجــبٍ حاكمٌ ظالمٌ   يرجــى ليحــكم في مظلمه

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [من المتقارب] :

هــلــمّ الصــحيفــة والمقلمــه   وأدن المحيبــرة المفعمــه
لأكتــب ما جاش في خاطري   فقــد عظــم الخــوض في النبرمه
وعجّــل علــيَّ بهــذي وذي   فإنّــي من الخــوض في ملحمه
ألا حبــذا ثــم يا حبذا   كتابــي المصــنف في الأطعمه
كفانــا بــه الله ما راعنا   بعلّــة سيدنــا المؤلمــه
أطــاب الحــديث له في الطعام   ففتّــق شهــوتــه المبهمــه
وعــاد بأوصــافــه للغــذاء   وطــاب لنــا شكر من سلّمه
ومــنْ يشــكرِ الله يعــطَ المزيد   كمــا قال الأعمش عن خيثمه
أيا ذا النــدى والحجــى والعلا   ومــن أوجــب الــدين أن نعظمه

---

(١) اللمه : الجماعة من الناس والأصحاب .

(٢) ضراراً : تضييقاً .

لئـــن كان نبرمتـــي أفسدت ولــم تأت صنعتهـا محكمه
فســوف يـزورك شيرازنــا فنقســم بالله أن تكرمـه
يميــس بشــونيــزه كالعـرو س يخطــر في الحلــة المسهمه
ويبــطـل وســط مسموطـةٍ وجـوذابــةٍ عندهــا محكمـه[1]
ويزهـــى الخـــوان بتقديمــه عليـه ويحمــد مــن قدّمـه[2]
ويرمـز إخوانـنــا دونـه كأنّ تحـاورهـم زمزمـــه[3]

* * *

ما أخرج من إخوانياته

وكتب إلى أبي الحسن العباسي هذه الأبيات ، وهي من مشهور شعره وجيده [من البسيط] :

أشــكو إليك زمانــاً ظلّ يعركني عرك الأديم ومـن يعـدى علــى الزمن
وصاحبــاً كنــت مغبوطــاً بصحبته دهــراً فغادرنــي فرداً بلا سكن
هبَّــتْ له ريحُ إقبــالٍ فطــار بها نحـو السـرور وألجانـي إلــى الحزن
نأى بجانبــه عنّــي وصيّرني من الأسى ودواعي الشـوق في قرن[5]
وبــاع صفــو ودادٍ كنــت أقصره عليه مجتهــداً في السّــر والعلن
وكان غالــى به حينــاً فأرخصه يا من رأى صفــو ودٍّ بيع بالغبن
كأنّــه كان مطــوياً علــى إحنٍ ولم يكن في ضروب الشعر أنشدني[6]

(١) الجوذاب : طعام يتخد من سكّرٍ وأرز ولحم .
(٢) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .
(٣) الزمزمه : الدويّ ، والصوت الذي يسمع من بعيد .
(٤) في قرن : في شركٍ وقيد .
(٥) الإحن : الحقد .

« إن الـكرام إذا ما أسهلـوا ذكروا من كان يألفهم في المنـزل الخشن »

وكتب إلى بعض إخوانه هذه القصيدة ، ليعرضها على أبي الحسن العباسي ، وهي سائرة في الآفاق ، وكأنه قد جمع فيها أكثر إحسانه ، فقال [من الكامل] :

قد ذبت غير حشاشةٍ وذماءِ ما بين حرٍّ هوىً وحرٍّ هواءِ[1]
لا أستفيق من الغرام ولا أرى خلواً من الأشجان والبرحاءِ
وصروف أيامٍ أقمن قيامتي بنوى الخليط وفرقة القرناء
ومثيرِ هيجٍ لا يشقُّ غباره فيما خباه مهيِّجُ الهيجاء
وجفاءِ خلٍّ كنت أحسب أنّه عوني على السّراء والضّراء
ثبتِ العزيمة في العقوق وودّه متنقّلٍ كتنقّل الأفياء
ذي ملّةٍ يأتيك أثبت عهده كالخطّ يرقم في بسيط الماء
أبكي ويضحكه الفراق ولن ترى عجباً كحاضر ضحكه وبكائي
نفسي فداؤك يا محمد من فتىً نشوان من أكرومةٍ وحياء
كأسٌ من الشِّيمِ التي في ضمنها درك العلا عارٍ من العوراء[2]
عذب الخلائق قد أحطت بخبره وبلوته في شدّةٍ ورخاء
وبلوت حاليه معاً فوجدته في العود أكرم منه في الإبداء
أبلغ رسالتي الشريف وقلْ له (قدك اتئب أربيت في الغلواء)[3]
أنت الذي شتَّت شمل مسرتي وقدحت نار الشوق في أحشائي
وجمعت بين مساءتي ومسرتي وقرنت بين مبرّتي وجفائي
ونبذت حقّي عشرتي ومودتي وهرقت مائي خلّتي وإخائي

(١) ألذماء : بقية الروح .
(٢) درك العلا : نيلها .
(٣) هذا الشطر صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبي تمام وتمامه : « كم تعذلون وأنتم سجرائي » .

وثنيت آمالي على أدراجها ... ورددت خائبةً وفود رجائي
فرجعت عنك بما يؤوب بمثله ... راجي السّراب بقفرةٍ بيداء
وعرضت ودّي بالحقير ولم أكنْ ... ممّن يباعُ وداده بلقاء
ورضيت بالثمن اليسير معوضةً ... منّي ، فهلاّ بعتني بغلاء
وزعمت أنّك لست تفكر بعدما ... علِقتْ يداك بذمّة الأمراء
هيهاتَ لم تصدقك فكرتك التي ... قد أوهمتك غنىً عن الوزراء
لم تغن عن أحدٍ سماءٌ لم تجدْ ... أرضاً ولا أرضٌ بغير سماء
وسألتك العتبى فلم ترني لها ... أهلاً ، وجئت بغدرةِ الشوهاء
وَرَدَتْ مموّهة ولم يرفع لها ... طرفٌ ولم ترزقْ من الإصغاء
وأعار منطقها التذمّم سكتةً ... فتراجعت تمشي على استحياء
لم تشفَ من كمدٍ ، ولم تبردْ على ... كبدٍ ، ولم تمنحْ جوانب داء[2]
من يُشفَ من داءٍ بآخر مثله ... أثْرَتْ جوانحه من الأدواء
داوت جوىً بجوى ، وليس بحازمٍ ... من يستكفّ النار بالحلفاء[3]
لا تغتنمْ إغضاءتي فلعلّها ... كالعين تغضيها على الأقذاء[4]
واستبقِ بعض حشاشتي فلعلّني ... يوماً أقيك بها من الأسواء
فلو آن ما أبقيت من جسمي قذىً ... في العين لم يمنع من الإغفاء

نظيره قول المتنبي [من الطويل] :

ولو قلمٌ ألقيت في شقِّ رأسه ... من السّقم ما غيّرت من خطِّ كاتب

رجع :

فلئن أرحت إليَّ غارب سلوتي ... ووجدت في نفسي نسيم عزاء
لأجهزنّ إليك قبح تشكرٍ ... ولأنثرنّ عليك سوء ثناء

(١) الكمد : الحزن والغيظ .
(٢) يستكفّ :يمنع . والحلفاء :
(٣) الاغضاء : خفض الطرف حياءً وأذىً .

ولأكسونّك كلَّ يومٍ حلّةً متروعةً من حيَّةٍ رقشاء
ولأعضلنَّ مودّتي من بعدها حتى أزوّجها من الأكفاء(1)

وكتب إلى العلوي [من المجتث] :

يا من تخلّى وولّى وصدّ عنّي وملاّ
وأوسع العهد نكثاً وأتبع العقد حلاّ
ما كان عهدك إلاّ عهد الشبيبة ولّى
أو طائفاً من خيالٍ ألمَّ ثمّ تولّى
أو عارضاً لاح حتّى إذا دنى فتدلّى
ألوتْ به نسماتٌ من الصّبا فتجلّى
أهلاً بما ترتضيه في كلٍّ حالٍ وسهلا
ليجزينّك ودّي بمثل فعلك فعلا
إنْ شئت هجراً فهجراً أو شئت وصلاً فوصلا
صبرت عنّي فانظرْ ظفرتَ بالصبر أم لا
إنّي إذا الخلُّ ولّى ولّيته ما تولّى

وكتب إلى أبي محمد بن هندو ، وقد أهدى له مداداً ارتضاه [من المجتث] :

يا سيدي وعمادي أمددتني بمداد
كمسكنيك جميعاً من ناظري وفؤادي
أو كالليالي اللواتي رميننا بالبعاد

وكتب إلى أخيه أبي الحسن بن هندو صبيحة عرسه [من مجزوء الكامل] :

أنعم أبا حسن صباحاً وازدد بزوجتك ارتياحا

(1) أعضلنّ : أضيّق وأمسك .

قـد رضـت طرفـك خالياً   فهـل استلنـت له جماحا ؟[1]
وقدحـت زنـدك جاهـداً   فهـل استبنـت له انقداحا ؟
وطـرقـت منغلقـاً فهـل   سنّـى الإلّـه لـه انفتاحا ؟
قـد كنـت أرسلـت العيو   ن صبـاح يومـك والرواحا
وبـعـثـت مـصـغـيـةً تـبـيـ   ـت لـديك تـرتقب النجـاحـا
فغـدت علـيّ بجملـةٍ   لم تولنـي إلاّ افتضاحا
وشـكـت إلـيّ خلاخـلاً   خرسـاً وأوشـحـةً فصاحا
منعـت وساوسهـا المسا   مع أن تحسَّ لكـم صياحا

وهذه الأبيات بديعة في فنها ، ولم أسمع أملح منها في معناها ، إلا قول الصاحب وهو أقرب من التصريح وأظرف ، وأبيات ابن العميد أجزل وأخفى ، وأدخل في باب الكناية والتعريض [من السريع] :

قلبـي علـى الجمـرة يا أبـا العلا   فهـل فتحـت الموضـع المقفلا
وهـل فككت الختـم عن كيسه   وهـل كحلـت الناظـر الأكحلا
إنّـك إنْ قلـتَ نعـم صادقا   أبعـث نثـاراً يمـلأ المنزلا[2]
وإنْ تجبنـي من حياءٍ بلا   أبعـث إليك القطـن والمغزلا

* * *

هذا ما أخرج من مقارضاته

اجتمع عنده يوماً أبو محمد بن هندو ، وأبـو القاسـم بن أبـي الحسين بن سعد ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبو عبد الله الطبري ، وأبو الحسن البديهي .

---

(١) راض : قاد وأسلس، والجماح : التمرُّد .
(٢) النثار : الذهب .

فحياه بعض الزائرين بأترجة حسنة ، فقال لهم : تعالوا نتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدىء فعل ، فابتدأ وقال [من الطويل] :

* وأترجةٍ فيهـا طبائعُ أربع *

فقال أبو محمد :

* وفيها فنون اللهو للشرب أجمع *

فقال أبو القاسم :

* يشبّهها الرائي سبيكة عسجد *

فقال أبو الحسين بن فارس :

* على أنّها من فأرةِ المسك أضوع *

فقال أبو عبد الله الطبري :

* وما اصفرّ منها اللون للعشق والهوى *

فقال أبو الحسن البديهي :

* ولكن أراها للمحبين تجمع *

وسئل بعض حاضري مجلسه عن قصة له ، فقال ولم يقصد وزنا [من مجزوء الخفيف] :

أيّ جهدٍ لقيته وشقاءٍ شقيته ؟

فقال الأستاذ : قولوا على هذا الوزن شعراً ، وفي المجلس أبو الحسن العباسي ، وابن خلاد القاضي ، فقال أبو الحسن :

بــي غزالٌ مقرطـقٌ شفّنـي إذ هويتـه[1]
أحــرز السحــر طرفه وحــوى الغنــج ليته[2]
زاد في الكبــر عامداً إذ رآنـي وليتـه
حــســبيَ الله والــرئـيـــــــسَ لـمـا قــد دهـيتُـهُ

وقال ابن خلاد :

يا خليلــيّ ساعدا نــي علــى مـا دهيتُهُ
انظــرا أيّ معذلٍ بقضــاءٍ أتيتــه
سـامنــي السّيــد الــرئيــس محــالا شنيتــه
ظــلّ مستعــدياً على رشــأٍ قـد هويتـه
عجبــاً أن يكون لي والياً مـن وليتــه
مـا خشيت فيه الحروب فيـــــه ولـكـن خـشـيــتـه
فــاز روحــي لو أنّني فــي منـامـي أريته

وقال الأستاذ :

أيُّ جهـدٍ لقيتـه وشــقــاءٍ شقـيتُـهُ
مــن نصيحٍ أودّ من نصحــه لي سكوتـه
قــال صبــراً ومـا درى أنّ صبـري رزيتـه
قلــت عنــك المــلام ما باختيـاري هـويتـه
لــم أكنْ أجشــم البلا ء لـو آنـي كفيتــه
ربّ ثـوبٍ مـن الــمــذلّـــــــة فــيـه كـســيــتـه
ضــلّ عنــدي تجلّدي فكأنّــي نسيتــه
فـي فـؤادي هــوىً يحـــــــرّقـنـي لــو طـويـتـه

---

(١) مقرطق : متزيّن يلبس الأقراط في أذنيه أي الحليّ .
(٢) الليت : صفحة العنق .

يا ابــن خلاّد الذي شاع في النــاس صيته
أنصف الهائــم الذي يتجــافــى مبيتــه
قــلْ لمــن أشبــه المها مقــلتــاه وليتــه[1]
ثغــره قــد أشــتّ شمــل اصــطبــاري شتيتــه[2]
لـيس يحـيـى المـتيّم الـــــــصّب إلاّ مـمـيـتُـهُ
أنــت قوتــي ومــا بقا ء امــرىء بان قوتُهُ
أيُّ ذنــبٍ ســوى المــذلّــة فــي الحــبّ جيتــه
مــا أسيــغ الــسلوّ عـنـــــك لــو آنــي سقــيتــه
كيف يرجــو البقــاء إنْ باين المــاء حوتــه
مــا أشــاء الــسلوّ عـــنــــــك فــإنْ شئتَ شيـتُـهُ
كــلّ شيءٍ رضيتَـهُ مــن غرامــي رضيتُـهُ

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل

قال من قصيدة [من الطويل] :

هل البــثُّ إلاّ ما تحملنيهِ أم البــرح إلاّ مــا تكلّفينه
متــى علقــت نفســي حبيبــا تعلّقتْ به غِيَـرُ الأيام تسلبنيه
شفيعــي إذا استشفعــت غير مشفعٍ ووجهــي إذا وجّهــت غير وجيه

وقال [من الكامل] :

ظلّــت تظلّلنــي من الشمس نفسٌ أعــزّ علــيَّ من نفسي

---

(١) الليت ـ بكسر أوله : العنق .
(٢) أشتّ : فرّق وباعد، والشتيت : المتفرق .

فأقول واعجباً ومن عجبٍ شمسٌ تظلِّلني من الشمس

وقال في الفصد لمعشوقه [من البسيط] :

ويح الطبيب الذي جسَّت يداه يدك ما كان أجهله فيما قد اعتمدك[1]
بأيّ شيءٍ تُراه كان معتذراً من مسّه بحديدٍ مؤلمٍ جسدك
لو أنّ ألحاظه كانت مباضعهُ ثم انتحاك بها من رقةٍ فصدك[2]

* * *

ما أخرج من شعره في سائر الفنون

قال من قصيدته الهرية عارض فيها ابن العلاف [من المنسرح] :

يا هرُّ فارقتنا مفارقةً عمّت جميع النفوس بالثكلِ
لو كان بالحادثات لي قبلٌ إذاً أتاك الصريخ من قبلي
يا مثلاً سائراً إذا ذكر الـ ـحسن تركت الحسان كالمثل
وقيل هل تفتديه إنْ قبل الد هر فداءً فقلت حيهل[3]
أفديه بالصفوة الكرام من الـ إخوان دون الأخدان والخلل[4]
بل بمحل الكرى ومعتلج الـ ـفكر وحبّ القلوب والمقل
بل بسكون الوجيب يجلبه الـ أمن إلى قلب خائفٍ وجل[5]
بل بحلول الشفاء يجنبه الصّحة بعد الأوصاب والعلل[6]

---

(١) جسَّت : لامست وتفحّصت .
(٢) المباضع : جمع مبضع وهو ما يستعمل في الجراحة للبضع .
(٣) حيهل : كلمة منحوته بمعنى أجل .
(٤) الأخدان : الأصدقاء .
(٥) الوجيب : الاضطراب والخفقان ، والوجل : الخوف .
(٦) الأوصاب : المرض .

بـل بـبلوغ الـمنى وقـاصيـة الـــــبغيـة عـفـواً ونـهـبـة الأمـل

وقال في المغني القرشي [من الوافر] :

إذا غنّـانيَ القـرشـيُّ يومـاً وعنّـاني برؤيته وضربـه
وددت لو آن أذنـي مثـل عيني هنـاك وأنّ عينـي مثـل قلبه

وللمهلبي في هذا المعنى [من مجزوء الوافر] :

إذا غنّـاني القرشـي دعـوت الله بالطـرشِ
وإن أبصـرت طلعته فوا لهفـي علـى العمشِ

وقال فيه أيضاً [من مجزوء الوافر] :

إذا غنّـى لنـا أمماً حشوت مسـامعي صمما[1]
وإن أبصـرت طلعته كحلـت نواظـري بعمـى

وقال [من مجزوء الكامل] :

آخِ الرجـال من الأبا عد ، والأقـارب لا تقارب
إنَّ الأقـارب كالعقا رب ، بل أضـرُّ من العقارب

وقال [من الطويل] :

وللـرأي زلاّتٌ يظـلُّ بهـا الفتى مركّبـةً فوق الثنـايا أنامله

* * *

---

(١) أمماً : قليلاً .

هذا ما أخرج من شعره في المعمي

قال في السفرجل [من المتقارب] :

يقولــون خطــبٌ من البين جلاّ ... ولــم أر سير الخليط استقلاّ
وقـد لقبــوه نوى غربةٍ ... ولــم أر أقــرب منــه محلاّ
وبــزّت سرابيلـه عنـوةً ... فألفــي لمّــا تعــرّى تحلّى
وأفــرد من بيـن أترابه ... فمــا غضّ من حسنــه أن تخلّى
وزلّ فقلنــا لعــاً ناعشاً ... لعــالٍ إذا ما تعلّــى تدلّى[1]
تزيـد مكاسـره لـذّةً ... إذا ما الغمــام عليه استهلاّ
إذا نال منــه السـليم استقلّ ... وإن نال منــه السـقيم استبلاّ
إذا ما امــرؤ ملّ روح الحياة ... فحاشــا لذلك من أن يملاّ

وقال في ماء الورد [من مجزوء الكامل] :

قــل للأديــب أبــي الحسيــن أتتــك صمــاءُ الغِيــر
نــكــراء فــي حالاتها لــذوي البصــائــر معتبر
دهــيــاء يــعــتــرف الــضــمــيــــر بهــا وينكــرهــا البــصــر
مــاذا ترى فــي درهمٍ قــد مسّــه قــدّ الإبر
وتحفـة مـن بعـده تباشــراً طرفــاً وزر[2]
أزرى بـه وســط الردى وهــو الحيــاة المشتهـر
فــاكشف لنـا عن سرّه بلــطيـف حدســك والنظر

وقال في الشمس [من البسيط] :

ماذا ترى يا أبــا العبــاس في عجبٍ ... تشابهــت منــه أولاه وأخراه

---

(١) لعاً لك : وهو دعاء للعاثر يعني « أنعشك الله ونجوت » .

(٢) كذا ورد في الأصل .

ترى مقمّـــه شروى مؤخره حسنـاً ، ويمنـــاه في تمثـــال يسراه[1]
من حيث واجهتـــه أرضـــاك منظره وكيـف قابلتـــه أغنـــاك مغناه
يهـــوى المباعـــد منـــه قرب منزله حتـــى إذا ما تغشّـــاه تحاماه

* * *

(١) الشروى : ـ بفتح فسكون ـ المثل والنظير .



البـاب الثانـي

١٥ ـ في ذكر ابنه أبي الفتح ذي الكفايتين
والأخذ بطرف من طرف أخباره ، وملح بنات أفكاره

هو علي بن محمد ، ثمرة تلك الشجرة ، وشبل ذلك القسورة (وحق على ابن الصقر أن يشبه الصقرا) وما أصدق ما قال الشاعر [من الكامل] :

إنّ السريّ إذا سرى فبنفسه وابن السريِّ إذا سرى أسراهما

وكان نجيباً ذكياً ، لطيفاً سخياً ، رفيع الهمة ، كامل المروءة ، ظريف التفصيل والجملة ، قد تأنّق أبوه في تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره ، وفضلاء وقته ، حتى تخرج وخرج حسن الترسل ، متقدم القدم في النظم ، آخذاً من محاسن الآداب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال ، وعلى مدى بعيد من الاكتهال . وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة ، لقب بذي الكفايتين ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وبعد صيته ، وطاب ذكره ، وجرى أمره أحسن مجرى ، إلى أن توفي ركن الدولة وأفضت حال أبي الفتح إلى ما سيأتي ذكره آخر الباب بمشيئة الله وعونه .

ومن طرف أخباره ما حدثنيه أبو جعفر الكاتب ، وكان أبو بكر الخوارزمي يدعوه القمغدي لكونه قمي المولد بغدادي المنشأ ، وكان أبو جعفر هذا من حاشية أبي الفتح فترامت به بعده الحوادث إلى نيسابور ، قال : كان الأستاذ الرئيس قد قبض جماعة من ثقاته في السر يشرفون على الأستاذ أبي الفتح في منزله ومكتبه

ويشاهدون أحواله ويعدون أنفاسه وينهون إليه جميع ما يأتيه ويذره ويقوله ويفعله . . فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المترفون ، من عقد مجلس الأنس واتخاذ الندماء ، وتعاطي ما يجمع شمل اللهو ، في خفية شديدة ، واحتياط تام ، وأنه كتب في تلك الحالة رقعة إلى من سماه لي أبو جعفر ، ونسيت اسمه ، في استهداء الشراب ، فحمل إليه ما يصلحهم من المشموم والمشروب والنقل . فدس الأستاذ الرئيس إلى ذلك الإنسان من أتاه برقعة أبي الفتح الصادرة إليه ، فإذا فيها بخطه :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد اغتنمت الليلة ـ أطال الله بقاك يا سيدي ومولاي ! ـ رقدة من عين الدهر ، وانتهزت فيها فرصة من فرص العمر ، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام ، بإهداء المدام ، عدنا كبنات نعش[1] ، والسلام .

فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجاباً ، بهذه الرقعة البديعة ، وقال : الآن ظهر لي أثر براعته ، ووثقت بجريه في طريقي ، ونيابته منابي ، ووقّع له بألفي دينار .

وحكى أبو الحسين بن فارس ، قال : كنت عند الأستاذ أبي الفتح في يوم شديد الحر فرمت الشمس بجمرات الهاجرة ، فقال لي : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فلم أحر جواباً لأني لم أفطن لما أراد ، فلما كان بعد هنية أقبل رسول والده الأستاذ الرئيس يستدعيني إلى مجلسه فقمت إليه ، فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكاً إلي وقال : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فبهت وسكت ، وما زلت أفكر حتى تنبهت على أنهما أرادا الخيش ، فكأن من كان يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه الأستاذ أتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة ، ولفرط اهتزازه لها أراد مجاراتي ، وقرأت صحيفة السرور من وجهه إعجاباً بها ، ثم أخذت أتحفه بنكت نثره ، وملح نظمه .

---

(١) بنات نعش : مجموعة من الكواكب متقاربة تبدو ليلاً وكأنها مجتمعة .

وكان مما أعجب به ، وتعجب منه ، واستضحك له ، حكايتي رقعة له وردت علي ، وصدرها : رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة[1] ، وأقصر من أنملة نملة .

قال أبو الحسين : وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الأستاذ الرئيس وزنها ، واستحلى رونقها ، وأنشد جماعة ممن حضر ما حضرهم على ذلك الروى ، وهو قول القائل [من المجتث] :

لئنْ كففت وإلاّ شققت منك ثيابي

فأصغى إلينا الأستاذ أبو الفتح ، ثم أنشدني في الوقت [من المجتث] :

يا مولعاً بعذابي أما رحمت شبابي
تركت قلبي قريحاً نهب الأسى والتصابي
إن كنت تنكر ما بي من ذلّتي واكتئابي
فارفع قليلاً قليلا عن العظام ثيابي

قال : فتأمل هذه الطريقة ، وانظر إلى هذا الطبع ، فإنه أتى بمثل ما أنشده في رشاقته وخفته ، ولم يعد الجنس ، ولم يقصر دونه . وبذلك تعرف قدرة القادر على الخطابة والبلاغة .

قال : ومن شعره وهو في المكتب قوله من قصيدة في أبيه أولها [من الهزج] :

أليلٌ هو أم شعرُ وبرقٌ هو أم ثغر
وحرُّ الصدر ما ضمّنت الأحشاء أم جمر ؟
ويهماء كمثل البحر يرتاع لها السّفر[2]

(١) العنفقة : الشعرات التي تلي الشفة السفلى .

(٢) اليهماء : الأرض الواسعة التي لا يهتدى فيها إلى الطرق .

تعسّفتُ على هولٍ وتحتي بازلٌ جسر[1]
إلى مَنْ وجهه بدرٌ ومَنْ راحته بحر
ومن جدواه مدٌّ للورى ليس له جزر
هو الغيث هو الليث هو الفخر هو الذّخر
لأمرٍ مظلمٍ يخشى وخطبٍ فادحٍ يعرو

وقوله من نيروزية فيه [من الكامل] :

أبشر بنيروزٍ أتاك مبشّراً بسعادةٍ وزيادةٍ ودوامِ
واشربْ فقد حلّ الربيع نقابه عن منظرٍ متهلّلٍ بسّامِ
وهديتي شعرٌ عجيبٌ نظمه ومديحه يبقى على الأيّام
فاقبله واقبلْ عذرَ من لم يستطع إهداء غير نتيجة الأفهام

ومن إحساناته المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عودي وماء شبيبتي في عودي لا تعمدي لمقاتل المعمودِ
وصليه ما دامت أصايل عيشه تؤويه في فيءٍ لها ممدود
ما دام من ليل الصّبا في فاحمٍ رجل الذرى قينان كالعنقود
قبل المشيب فطارقات جنوده يبدلنه يققاً بسحمٍ سود[2]

وقوله لما تقلد الوزارة بعد أبيه [من المتقارب] :

دعوت الغنى ودعوت المنى فلما أجابا دعوت القدحْ
إذا بلغ المرء آماله فليس له بعدها مقترحْ

---

(١) البازل : الذي طلعت نابه من الإبل. والجسر : القوي الصلب .
(٢) اليقق : البياض ، والسحم : الشديدة السواد .

وقال [من الطويل] :

إذا أنا بلغت الذي كنتُ أشتهي ... وأضعافه ألفاً فكلني إلى الخمر
وقل لنديمي قمْ إلى الدهر فاقترح ... عليه الذي تهوي ودعني مع الدهر

وله [من الخفيف] :

أين لي من يفي بشكر الليالي ... إذ أضافت خيالها وخيالي
لم يكن لي على الزمان اقتراحٌ ... غيرها منيةً فجاد بها لي

وقوله في أترجة أهداها إلى والده الأستاذ الرئيس [من البسيط] :

أتتك صفراء تحكي لون ذي مقةٍ ... وريح راحٍ حشاها شادنٌ خنثُ[1]
زففتها حين زفَّتْ لي على أملٍ ... إنّي غلامك لا مينٌ ولا عبثُ[2]

وقوله من قصيدة أخرى في عضد الدولة ، أولها [من الطويل] :

عتبت على الأيام لو عرفتْ عتباً ... وعاتبتها لو أعقبتْ ذنبها عتبى
قضت بيننا أحكامها البين كلما ... طلعن بنا شرقاً غربن بها غربا
تحجّب عنّي الشمس من نور وجهها ... وتمنح ريّاها الركائب والركبا

ومنها :

وكنت أظن الحبَّ قبلُ خلابةً ... فها هو ذا يغري بمخلبه الخِلبا[3]
تدور السقاة بالأباريق بيننا ... فنحسبها سرباً يزجّي لنا سربا

---

(١) الخنث : من فيه انخناث أي تكسُّر وتثنٍّ .
(٢) المين : الكذب .
(٣) الخلابة : الخديعة بالحديث الرقيق، والخِلبا : حجاب الكبد أو حجاب القلب .

ومنها :

وقد نظمت شمل العصابة روضةٌ منوّرةُ النوّار تحسبها عُصبا[1]

ومنها في وصف النجائب :

متى لم أنل أقصى المنى بنجابها فلا نهضت نجباً تسير بنا نجبا
ولا رحلت نحو العفاة رحالها ولا كان لي ما بين آمالها نهبا
ولا كنت عبداً للذي الدهر عبدهُ أعدُّ النجومَ بعد صحبته حصبا

وقوله من قصيدة أخرى فيه ، أولها [من الطويل] :

أفضت عقودٌ أم أفيضت مدامع وهذي دموعٌ أم نفوسٌ هوامع ؟[2]
على الملك قوّامٌ وللدين حافظٌ وللمال وهّابٌ وللجار مانع
أسودٌ ولكنَّ الحراب عرينها شموسٌ ولكنَّ الصفوف مطالع
أشاحوا وما شحّوا ونابوا وما نبوا وكان لهم تحت المنايا مناقع[3]

ومنها في ذل الأعداء :

أذالهم ذلّ الهزيمة فانحنتْ قناة الظهور واستقام الأخادع[4]
وكان لهم لبس المعصفر عادةً فخاطت لهم منه السيوف القواطع

ومنها :

بطرتم فطرتم والعصا زجرُ من عصى وتقويم عبد الهون بالهون نافع[5]

---

(١) العُصب : شجر اللبلاب .
(٢) الهوامع : السائلة .
(٣) نبوا : فارقوا وابتعدوا . والمناقع : من النقع وهو الغبار الذي تثيره الحرب .
(٤) أذال : أهان ، والأخادع : الرقاب، والأخدع عرقٌ في الرقبة .
(٥) البطر : الكبرياء عند حلول النعمة ، والهون : الخزي والذلّ .

ومنها :

تبسمــتَ والخيل العتــاق عوابسٌ   وأقدمــت والبيض الرقــاق هوالع
صدعتَ بصبـح النصـر ليل جموعهم   وكيف بقــاء الليل والصبـح صادع
فمــا الصبـح منــآدٌ ولا الليل خاذلٌ   ولا النصـل خوّانٌ ولا السهـم طالع[1]

ومنها في وصف الشعر :

ومقترحــاتٍ فـي القوافــي بداءةً   بدائــع للإحســان فيهــا ودائع
كلامٌ شكورٌ أطلقــت من عنانه   صنائــع تخجلن النهــار نواصع
خدمــت بقولــي ذا ومــن قبـل قوله   خدمـت وغـى والقـول للفعـل شافع

وقال من أخرى ، وقد ذكر الشعر [من الطويل] :

فإن كان مسخوطـاً فقـل شعــر كاتبٍ   وإن كان مرضياً فقــل شعــر كاتبي

* * *

ذكر آخر أمره

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي ، قال : لما تـوفي ركن الدولة ، وقام مقامه مؤيد الدولة خليفة لأخيه عضد الدولة ، أقبل من أصبهان إلى الري ، ومعه الصاحب أبو القاسم ، وخلع على أبي الفتح خلعة الوزارة ، وألقى إليه مقاليد المملكة ، والصاحب على جملته في الكتابة لمـؤيد الدولـة والاختصـاص به ، وشدة الحظوة لديه ، فكره أبو الفتح مكانه ، وأساء الظن به ، فبعث الجند على أن يشغبوا عليه ، وهموا بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان وأسر في نفسه الموجدة على أبي الفتح لهذا الشأن وغيره ، وانضاف ذلك إلى تغير عضـد

(١) منادٌ : منحنٍ ومتثنٍ ، والأود : الإعوجاج .

الدولة واحتقاده عليه لأشياء كثيرة في أيام أبيه وبعدها ، منهامما يلته بختيار ، ومنها ميل القواد إليه ، بل غلوهم في موالاته ومحبته ، ومنها ترفعه عن التواضع له في مكاتباته ، واجتمعت آراء الأخوين على اعتقاله ، وأخذ أمواله . ولما اعتقل في بعض القلاع بدرت منه كلمات نمّت إلى عضد الدولة ، فزادت في استيحاشه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال ، وعذبه ومثل به ، ويقال : إنه سمل احدى عينيه ، وقطع أنفه ، وجز لحيته ، ففي تلك الحال يقول أبو الفتح وقد يئس من نفسه ، واستأذن في صلاة ركعتين ، فصلاهما ودعا بدواة وقرطاس وكتب [من السريع] :

بدّل من صورتي المنظر ... لكنّه ما غيّر المخبر
ولست ذا حزنٍ على فائتٍ ... لكنْ على من لي يستعبر
ووالـه القلب لما مسّني ... مستخبرٌ عنّي ولا يخبر
فقل لمن سرَّ بما ساءنا ... لا بد أن يسلك ذا المعبر

وأخبرني أبو جعفر الذي قدمت ذكره ، وكان مختصاً به . قال : كان أبو الفتح قبيل النكبة التي أتت على نفسه . قد أغرى بإنشاد هذين البيتين ، لا يجف لسانه من ترديدهما في أكثر أوقاته وأحواله ، ولست أدري أهماله أم لغيره [من الرمل] :

دخل الدنيا أناسٌ قبلنا ... رحلوا عنها وخلَّوها لنا
فنزلناها كما قد نزلوا ... ونخلّيها لقومٍ بعدنا

فلما حصل في الاعتقال ، واستيقن أن القوم يريدون دمه لا محالة ، وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله ، مد يده إلى جيب جبة عليه ففتقه عن رقعة فيها ثبت ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره ، فألقاها في كانون نار بين يديه ، وقال للقائد الموكل به المأمور بقتله بعد مطالبته : اصنع ما أنت صانع فوالله لا يصل من أموالي المستورة إلى صاحبك دينار واحد ، فما زال يعرضه على العذاب ، ويمثل

به ، حتى تلف رحمه الله تعالى ، وفيه يقول بعض أصحابه [من الكامل] :

آل العميد وآل برمـك ما لكـمْ قلّ المعين لكم وذلّ الناصر !
كان الزمـان يحبّـكم فبـدا له إنّ الزمـان هو المحـبُّ الغادر

ولأبي بكر الخوارزمي في مرثيته من قصيدة [من الكامل] :

يا دهـر إنـك بالرجـال بصيرُ فلـذاك مـا تجتاحهـم وتبير[1]

وهي تذكر في موضعها من شعره ، إن شاء الله سبحانه وتعالى .

* * *

(۱) تبير : تفنى .



البـاب الثـالـث

١٦ ـ في ذكر الصاحب أبي القاسم إسمعيل بن عباد
وإيراد لمع من أخباره ، وغرر نظمه ونثره

ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم . وتفرده بغايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه ، ولكني أقول : هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن لا حرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق ، وكانت أيامه للعلوية والعلماء ، والأدباء والشعراء ، وحضرته محطرحالهم ، وموسم فضلائهم . ومترع آمالهم . وأمواله مصروفة إليهم ، وصنائعه مقصورة عليهم ، وهمته في مجد يشيده ، وإنعام يحدده . وفاضل يصطنعه ، وكلام حسن يصنعه أو يسمعه . ولما كان نادرة عطارد في البلاغة ، وواسطة عقد الدهر في السماحة ، جلب إليه من الآفاق وأقاصي البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل . وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام ، وبدائع الأفهام . وثمار الخواطر ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول . وذوب العلوم ودرر القرائح . فبلغ من البلاغة ما يعد في السحر ، ويكاد يدخل في حد الإعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتي الشرق والغرب ، واحتف به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب

القوافي وملك رق المعاني ، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين ، كأبي نواس ، وأبي العتاهية ، والعتّابي ، والنمري ومسلم بن الوليد ، وأبي الشيص ، ومروان بن أبي حفصة ، ومحمد بن مناذر ، وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والري وجرجان ، مثل أبي الحسين السلامي ، وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي طالب المأموني ، وأبي الحسن البديهي ، وأبي سعد الرستمي ، وأبي القاسم الزعفراني ، وأبي العباس الضبي ، وأبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن وأبي هاشم العلوي ، وأبي الحسن الجوهري ، وبني المنجم ، وابن بابك ، وابن القاشاني ، وأبي الفضل الهمذاني ، وإسمعيل الشاشي ، وأبي العلاء الأسدي ، وأبي الحسن الغويري ، وأبي دلف الخزرجي ، وأبي حفص الشهزوري ، وأبي معمر الإسماعيلي ، وأبي الفياض الطبري ، وغيرهم ممن لم يبلغني ذكرهم أو ذهب عني اسمه ، ومدحه مكاتبة الشريف الموسوي الرضى ، وأبو إسحاق الصابي ، وابن حجاج ، وابن سكرة، وابن نباتة ، ولذكر كل من هؤلاء مكان من هذا الكتاب ، إما متقدم أو متأخر ، وما أحسن وأصدق قول الصاحب [من الخفيف] :

إن خير المداح من مدحتهُ شعراء البلاد في كلِّ نادي

* * *

لمع من أخبار محاسنه ، وملح من نوادر توقيعاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج في وكرها ، ورضع أفاويق درها[١] ، وورثها من أبيه كما قال

(١) الأفاويق : ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يمطر ساعةً بعد ساعة وهو يريد ما اجتمعِ من اللبن .

أبو سعيد الرستمي [من الكامل] :

ورث الوزارة كابراً عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد
يروي عن العبّاس عبادٌ وزا رته وإسماعيل عن عباد

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحب من الوزارة قال له : لك في هذه الدولة من إرث الوزارة ، ما لنا فيها من إرث الإمارة ، فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه .

وحدثني عون بن الحسين الهمداني التميمي ، قال : كنت يوماً في خزانة الخلع للصاحب ، فرأيت في ثبت حسبانات كاتبها - وكان صديقي - مبلغ عمائم الخز التي صارت تلك الشتوة في خلع الخدم والحاشية ، ثمانمائة وعشرين قال : وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره ، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملونة ، فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئاً ، فسأل الصاحب عنه : فقيل : إنه في مجلس كذا يكتب ، فقال : علي به ، فاستمهل الزعفراني ريثما يكمل مكتوبه ، فأعجله الصاحب ، وأمر بأن يؤخذ ما في يده من الدرج ، فقام الزعفراني إليه ، وقال : أيد الله الصاحب [من الكامل] :

اسمعه ممّن قاله تزدد به عجباً فحسن الورد في أغصانه

قال : هات يا أبا القاسم ، فأنشده أبياتاً منها [من المتقارب] :

سواك يعد الغنى ما اقتنى ويأمره الحرص أن يخزنا
وأنت ابن عبادٍ المرتجى تعدّ نوالك نيل المنى
وخيرك - من باسطٍ كفّه وممن ثناها - قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف الندى فأصغر ما ملّكوه الغنى

وغـادرت أشعرهـم مفحماً وأشكرهـم عاجزاً ألكنا[1]
أيا من عطـاياه تهـدى الغنى إلـى راحتـي من نأى أو دنا
كسـوت المقيمين والزائرين كسـىً لم يخـل مثلهـا ممكنا
وحـاشية الـدار يمشـون في ضروب من الخـزّ إلاّ أنا
ولسـت أذكر لي جارياً علـى العهـد يحسـن أن يحسنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة ، أن رجلاً قال له : احملني أيها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت أن الله تعالى خلق مركوباً غير هذه لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه ، ثم أمر بإدخاله الخزانة ، وصب تلك الخلع عليه وتسليم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي ، قال : عهدي بأبي محمد الخازن ماثلاً بين يدي الصاحب ينشده قصيدة له فيه ، أولها [من البسيط] :

هذا فؤادك نهبـى بين أهواء وذاك رأيك شورى بين آراء
هواك بين العيون النجـلِ مقتسمٌ داءٌ لعمـرك ما أبـلاه من داء
لا تستقـرّ بأرض أو تسير إلى أخرى بشـخصٍ قريبٍ عزمـه نائي
يـوماً بحـزوى ويومـاً بـالعقيق وبـالـعـذيب يـومـاً ويـومـاً بـالخليصـاء
وتـارةً تنتحـي نجـداً وآونةً شعـب العقيق وطـوراً قصـر تيماء

قال : فرأيت الصاحب مقبلاً عليه بمجامعه حسن الإصغاء إلى إنشاده ، مستعيداً أكثر أبياته ، مظهراً من الإعجاب به ، والاهتزاز له ، ما يعجب الحاضرين فلما بلغ قوله :

---

(١) الألكن : من ثقل لسانه ، أو كان به عجمة .

أدعـى بأسمـاء نبـزاً في قبائلها　　كأنّ أسماء أضحـت بعض أسمائي[1]
أطلعت شعـري وألقـت شعرهـا طرباً　　فألّفـا بيـن إصبـاحٍ وإمساء

زحف عن دسته طربا ، فلما بلغ قوله في المدح :

لو أن سحبـان باراه لأسحبه　　علـى خطابتـه أذيـال فأفاء[2]
أرى الأقـاليم قد ألقـت مقالدها　　إليه مستبقـاتٍ أيّ إلقاء
فسـاس سبعتهـا منه بأربعةٍ　　أمـرٌ ونهـيٌ وتثبيتٌ وإمضاء
كذاك توحيده ألـوى بأربعةٍ　　كفـرٌ وجبـرٌ وتشـبيهٌ وإرجاء

جعل يحرك رأس مستحسن ، فلما أنشد :

نعـم تجنّـب « لا » يوم العطـاء كما　　تجنّـب ابـن عطـاءٍ لثغـة الراء[3]

استعاده وصفق بيديه ، ولما ختمها بهذه الأبيات :

أطـرى وأطـرب بالأشعـار أنشدها　　أحسـن ببهجـة إطرابـي وإطرائي
ومـن منائـح مولانـا مدائحه　　لأنّ من زنـده قدحـي وإيرائي[4]
فخـذ إليك ابـن عبـاد محبرةً　　لا البحتـري يدانيهـا ولا الطائي

قال : أحسنت أحسنت ، ولله أنت ، وتنـاول النسخـة وتشاغـل بإعارتهـا نظره ، ثم أمر له بخلعة وحملان وصلة .

وسمعت أبا عبد الله أيضاً يقول : أهدي إلى الصاحب هدية أهدى منها إلى

---

(١) النبز : اللئيم في حسبه وأخلاقه، والنبز : العيب واللقب

(٢) الفأفاه : كثرة ترديد الفاء في الكلام .

(٣) ابن عطاء : أحد كبار المعتزلة إسمه واصل بن عطاء وقد تجنّب حلقة الحسن البصري وتبعه جمع سمّوا بالمعتزلة .

(٤) منائح : الأعطيات والمنح ، وأورى النار : أوقدها .

شيخ الدولتين أبي سعيد الشبيبي ، وكتب معها رقعة مصدرة بهذا البيت [من البسيط] :

رويت في السنَّةِ المشهورة البركه أنّ الهدية في الإخوان مشتركه

وحدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي ، قال : سمعت الصاحب يقول : أنفذ إلى أبو العباس تاش الحاجب رقعة في السر بخط صاحبه نوح بن منصور ملك خراسان يريدني فيها على الانحياز إلى حضرته ، ليلقى إلى مقاليد مملكته ، ويعتمدني لوزارته ، ويحكمني في ثمرات بلاده . فكان فيما اعتذرت به من تركي امتثال أمره والصدر عن رأيه ، ذكر طول ذيلي وكثرة حاشيتي وضمنتي وحاجتي لنقل كتبي خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من تحمل مثلي !

وحدثني أيضاً ، قال : سمعت الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا إذ ذاك في ريعان شبابي ، فلما تقوض المجلس ، وانصرف القوم ، وقد حل الإفطار نكرت ذلك فيما بيني وبين نفسي ، واستقبحت إغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته ، واتساع حاله ، واعتقدت ألا أخل بما أخل به إذا قمت يوماً مقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار عنده ، وكانت داره لا تخلو في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من ألف نفس مفطرة فيها ، وكانت صلاته وصدقاته وقرباته في هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها في جميع شهور السنة .

وحدثني بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني ، قال : لما أدخلني والدي إلى الصاحب ووصلت إلى مجلسه ، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لي : يا بني اقعد ، كم تسجد ؟ كأنك هدهد !

قال : وقد قال يوماً لبعض من تأخر عن مجلسه لعلة وجدها : ما الذي كنت تشتكيه ؟ قال « الحما » قال « قه » يعني « الحماقة » فقال « وه » يعني « القهوة » .

قال : واستأذن عليه الحاجب يوماً لإنسان طرسوسي فقال « الطر » في لحيته ، و « السوس » في حنطته .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي يقول : سمعت بعض ندماء الصاحب يقول : كنت يوماً بين يدي الصاحب فقدم البطيخ فقلت « لا مترك » فقال « بالعجلة لمترك » (؟) وكنت أريد أن أقول لا مترك للبطيخ فسبقني إلى التنادر بهذا التجنيس .

حدثني أبو منصور البيع قال : دخلت يوماً على الصاحب فطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت : لعلّي طوّلت فقال : لا بل تطوّلت .

وحدثني أبو منصور اللجيمي الدينوري ، قال أهدي العميري قاضي قزوين إلى الصاحب كتباً وكتب معها [من الخفيف] :

العميري عبد كافي الكفاةِ ومن اعتدّ في وجوه القضاةِ
خدم المجلس الرفيع بكتبٍ مفعماتٍ من حسنها مترعات

فوقع تحتها [من الخفيف] :

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ، ليس مذهبي قول هات

قال : وكتب إليه بعض العلوية يخبر بأنه رزق مولوداً ، ويسأله أن يسميه ويكنيه فوقع في رقعته .

أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قرة ، والنفس مسرة مستقرة . والاسم عليّ ليعليَ الله ذكره ، والكنية أبو الحسن ليحسِن

الله أمره . فإني أرجو له فضل جده ، وسعادة جده ، وقد بعثت لتعويذه ديناراً من مائة مثقال ، قصدت به مقصد الفال ، رجاء أن يعيش مائة عام ، ويخلص خلاص الذهب الإبريز من نوب الأيام ، والسلام .

قال : وكتب إليه أبو منصور الجرجاني [من مجزوء الرجز] :

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة الملتجى
إني رزقت ولداً كالصبح إذ تبلّجا
لا زال في ظلّك ظلُّ المكرماتِ والحجى
فسمِّه وكنِّهِ مشرِّفاً متوّجا

فوقع تحتها [من مجزوء الرجز] :

هنئتهُ هنئته شمس الضحى بدر الدجى
فسمِّهِ محسّناً وكنّه أبا الرجا

وعرض على بعض الإصبهانيين رقعة لأبي حفص الوراق الإصبهاني ، قد أخذ منها البلى ، وفيها توقيع الصاحب ، وهذه نسخة الرقعة :

لولا أن الذكرى ـ أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل ! ـ تنفع المؤمنين ، وهزة الصمصام تعين المصلتين ، لما ذكرت ذاكراً ، ولا هززت ماضياً . ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ، ويكد الجواد السمح . وحال عبد مولانا ـ أدام الله تأييده ! ـ في الحنطة مختلفه ، وجرذان داره عنها منصرفه . فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله ، ولم يشد رحله ، فعل إن شاء الله تعالى . . . وهذه نسخة التوقيع :

أحسنت أبا حفص قولاً ، وسنحسن فعلاً ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك في الاسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، إن شاء الله تعالى .

وسمعت أبا النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ، يقول : كتب بعض أصحاب الصاحب رقعة إليه في حاجة فوقع فيها ، ولما ردت إليه لم ير فيها توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها ، فعرضها على أبي العباس الضبي ، فما زال يتصفحها ، حتى عثر بالتوقيع وهو ألف واحدة وكان في الرقعة : فإن رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل ، فأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً يعني « أفعل » .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي ، يقول : كتب بعض العمال رقعة إلى الصاحب في التماس شغل ، وفي الرقعة : إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله ، فوقع تحتها : من كتب إشغالي ، لا يصلح لأشغالي .

وحدثني أبو الحسن علي بن محمد الحميري ، قال : رفع الضرابون من دار الضرب قصة إلى الصاحب في ظلامة لهم مترجمة بالضرابين ، فوقع تحتها « في حديد بارد » .

وحدثني أبو سعد نصر بن يعقوب ، قال : كان الصاحب يقول بالليالي لجلسائه إذا أراد أن يبسطهم ويؤنسهم : نحن بالنهار سلطان ، وبالليل إخوان .

وحدثني أيضاً قال : قال الصاحب : ما أفحمني أحد كالبديهي ، فإنه كان عندي يوماً ، وأتينا بفاكهة ومشمش فأمعن فيه ، فاتفق أني قلت : إن المشمش يلطخ المعدة ، فقال : لا يعجبني الميزبان إذا تطبب .

وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب ماء بثلج أنشد على أثره [من الرجز] :

قعقعة الثلج بماءٍ عذبِ تستخرج الحمد من اقصى القلب

ثم يقول : اللهم جدد اللعن على يزيد .

وحدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي ، قال : انتحل فلان (يعني أحد

المتشاعرين) بحضرة الصاحب شعراً له ، وبلغه ذلك ، فقال : أبلغوه عني [من المجتث] :

سرقت شعري ، وغيري يضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك صفعاً يكدُّ رأساً وأخدع
فسارق المال يقطع وسارق الشعر يصفع

قال : فاتخذ الليل جملا ، وهرب من الريّ .

وحدثني غيره قال : كتب إنسان إلى الصاحب رقعة وقد أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه ، فوقع فيها (هذه بضاعتنا رُدت إلينا) .

ووقع في رقعة استحسنها (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ؟) .

ووقع في كتاب بعض مخالفيه (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .

ووقع في رقعة أبي محمد الخازن وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه في معاودة حضرته (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت) .

وعرض على أبو الحسن الشقيقي البلخي توقيع الصاحب إليه في رقعة : من نظر لدينه نظرنا لدنياه ، فإن آثرت العدل والتوحيد ، بسطنا لك الفضل والتمهيد ، وإن أقمت على الجبر ، فليس لكسرك من جبر .

ووقع في رقعة بعض خطاب الأعمال : التصرف لا يلتمس بالتكفف إن احتجنا إليك صرفناك ، وإلا صرفناك .

ورفع إليه بعض منهي الأخبار : أن رجلاً ممن ينطوي له على غير الجميل يدخل داره في الناس ، ثم يتلوّم على استراق السمع ، فوقع : دارنا هذه خان ، يدخلها من وفى ومن خان .

وحدثني أبو الحسين النحوي قال : كان مكي المنشد قد انتاب الصاحب بجرجان ، وكان قديم الخدمة له ، فأساء أدبه غير مرة ، فأمر الصاحب بحبسه ، فحبس في دار الضرب وهي بجواره بجرجان ، فاتفق أنه صعد يوماً سطح داره لحاجة في نفسه وأشرف على دار الضرب ، فلما رآه مكي نادى بأعلى صوته : (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) فضحك الصاحب وقال (اخسئوا فيها ولا تكلمون) ثم أمر بإطلاقه .

وحدثني أبو النصر العتبي قال : سمعت أبا جعفر دهقان بن ذي القرنين يقول : قدمت إلى الصاحب هدية أصحبنيها الأمير أبو علي محمد بن محمد برسمه واعتذرت إليه بأن قلت : إنها إذا نقلت إلى حضرته من خراسان كانت كالتمر ينقل إلى كرمان . فقال : قد ينقل التمر من المدينة إلى البصرة على جهة التبرك وهذه سبيل ما يصحبك .

وحدثني الهمداني قال : كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الخضيري ، يحضر مجلس النظر للصاحب بالليالي ، فغلبته عيناه مرة وخرج منه ريح لها صوت ، فخجل وانقطع عن المجلس ، فقال الصاحب : أبلغوه عني [من البسيط] :

يا ابن الخضيريّ لا تذهبْ على خجلٍ ... لحادثٍ منك مثل الناي والعود
فإنّها الريح لا تستطيعُ تحبسها ... اذ أنت لست سليمان بن داود

وحكي أن مثل هذا الأمر وقع للهمذاني في مجلس الصاحب فخجل ، وقال : صرير التخت ، فقال الصاحب : أخشى أن يكون صرير التحت ، فيقال إن هذه الخجلة كانت سبب مفارقته لتلك الحضرة وخروجه إلى خراسان .

وحدثني أبو نصر النمري بجرجان قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار الصاحب ، وذلك قبيل العيد ، فجاءني

رسول بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان [من الكامل] :

يا أيُّهــا القاضــي الــذي نفســي له   مع قرب عهــد لقائــه مشتاقه
أهــديت عطــراً مثــل طيب ثنائه   فكأنّمــا أهــدى له أخلاقه

وقال : وسمعته يقول : إن الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيت يوماً من فرط تحفّيه بي أو توضّعه لي ، فأنشدني [من الكامل] :

أكرم أخــاك بأرض مولده   وأمــدّه مــن فعلك الحسن
فالعــزُّ مطلــوبٌ وملتمسٌ   وأعــزه ما نيل في الوطن

ثم قال لي : قد فرغت من هذا المعنى في العينية ، فقلت : لعل مولانا يريد قولي [من الطويل] :

وشيّدت مجــدي بين قومــي فلــم أقلْ   ألا ليت قومــي يعلمــون صنيعي

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قول الله تعالى (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) .

وحدثني أبو حنيفة الدهشتاني ، قال : كتب الصاحب إلى أبي هاشم العلوي وقد أهدى إليه في طبق فضة عطراً [من الكامل] :

العبــد زارك نازلاً برواقكا   يستنبــط الإشــراق من إشراقكا
فاقبــل من الــطيب الــذي أهديته   ما يســرق العُطــار من أخلاقكا
والظُّرف يوجــب أخــذه مع ظَرفِه   فأضف به طبقــاً إلــى أطباقكا[1]

وحدثني عون بن الحسين الهمداني ، قال : سمعت أبا عيسى بن المنجم

---

(١) الظرف : اللطافة والكياسة، ومع ظرفه : أي غلافه .

يقول : سمعت الصاحب يقول : ما استأذن لي على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة ، فيأذن لي فيه ، وما أذكر أنه تبذّل بين يدي ومازحني قطّ إلا مرة واحدة ، فإنه قال لي في شجون الحديث ، بلغني أنّك تقول المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال . فأظهرت الكراهة لانبساطه وقلت بنا من الجد ما لا نفرغ معه للهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إليّ مراسلة ، حتى عاودت مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجري مجرى الهزل والمدح .

وسمعت أبا الحسن العلوي الهمداني الوصي ، قال : لما توجهت تلقاء الري في سفارتي إليها من جهة السلطان ، فكرت في كلام ألقى به الصاحب . فلم يحضرني ما أرضاه ، وحين استقبلني في العسكر ، وأفضى عناني إلى عنانه ، جرى على لساني (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) فقال (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) ثم قال : مرحباً بالرسول ابن الرسول ، الوصي ابن الوصي .

وحدثني أبو الحسين النحوي قال : كان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين ابن فارس لانتسابه إلى خدمة ابن العميد ، وتعصبه له ، فأنفذ إليه من همدان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال الصاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه وأمر له بصلة .

وسمعت أبا القاسم الكرخي يقول : دخل أبو سعيد الرستمي يوماً دار الصاحب فنظر إلى الخلع والأحبية السلطانية المحمولة برسم الصاحب والناس يقيمون رسم النثار لها ، فارتجل قصيدة أولها [من البسيط] :

ميلوا إلى هذه النعمى نحييها   ودار ليلى فخلّوها لأهليها

وسمعت أبا جعفر الطبري الطبيب المعروف بالبلاذري ، يقول : إن للصاحب رسالة في الطب لو علمها ابن قرة وابن زكرياء لما زادا عليها . فسأله أن

يعيرنيها إن كانت عنده ، فذكر أنها في جملة ما غاب عنه من كتبه ، فاستغربت واستبعدت ما حكاه من تطبب الصاحب ونسبته في نفسي إلى التزيد والتكثر ، إلى أن ظفرت في نسخة الرسائل المؤلفة المبوبة للصاحب برسالة قدرتها تلك التي ذكرها أبو جعفر ، ووجدتها تجمع إلى ملاحة البلاغة ، ورشاقة العبارة ، حسن التصرف في لطائف الطب وخصائصه ، وتدل على التبحر في علمه وقوة المعرفة بدقائقه ، وهذه نسختها ، وأكثر ظني أنه قد كتبها إليّ أبو العباس الضبي .

قد عرفت ما شرحه مولاي من أمره، وأنبأ عنه من أحوال جسمه ، فدلتني جملته على بقايا في البدن يحتاج معها إلى الصبر على التنقية ، والرفق بالتصفية ، فأما الذي يشكوه من ضعف معدته وقلة شهوته فلأمرين : أحدهما أن الجسم كما قلت آنفاً لم ينق فتنفتق الشهوة الصادقة وترجع العادة السابقة . والآخر أن المعدة إذا دامت عليها المطفئات ولزت[1] بها المبردات قلت الشهوة وضعف الهضم ،ومع ذلك فلا بد مما يطفي ويغذي . ثم يمكن من بعد أن يتدارك ضعف المدة بما يقوى منها ويزيل العارض المكتسب عنها ، كما يقول الفاضل جالينوس : قدم علاج الأهم ثم عد وأصلح ما أفسدت . والأقراص في آخر الحميات خير ما نقيت به المعدة ، وأصلحت به العروق . وقوي به الطحال ، ليتمكن من جذب العكر لا سيما والذي وجده مولاي ليس الذنب فيه للحميات التي وجدها والبلدة التي وردها ، فلو صادف الهواء المتغير جسداً نقياً من الفضول لما أثر هذا التأثير . ولا طول هذا التطويل . وإنما اغتر مولاي بأيام السلامة فكان يتبسط في أنواع الطعام ويسرف في تناول الشراب ، فامتلأ الجسم من تلك الكيموسات الرديئة ، وورد بلداً شديد التحليل مضطرب الأهوية فوجدت النفس عوناً على حل ما انعقد . ونقض ما اجتمع . وسيتفضل الله بالسلامة فتطول صحبتها وتتصل مدتها لأن الجسد يخلص خلاص الإبريز ، إذا زال عنه الخبث ، وسبك ففارقه الدرن . وأما الرعشة التي

---

(١) لزّت : لصقت ولزمت .

يتألم مولاي منها ، ويضيق صدراً بها ، فليست والحمد لله محذورة العاقبة ، وإنها لتزول بإقبال العافية . فالرعشة التي تتخوف هي التي تعرض من ضعف القوة الحيوانية كما تعرض للمشايخ ، وتؤذي لمشاركتها الدماغ كثيراً من العظام ، فأما هذه التي تعتاد عقيب الحمى فهي على ما قال جالينوس من أن حدوثها يكون إذا شاركت العروق التي تحدث فيها علة العصب ، وتزول عنه بزوال الفضل . وعجب مولاي من تكرهه شم الفواكه ، ولا غرو إذا عرف السبب ، فإن العفونة التي في العروق قد طبقت روائحها آلات الشم ، فما يصل إليها من الروائح الزكية ، يرد على النفس مغموراً بتلك الروائح الخبيثة فتكرهها ولا تقبلها . وتأباها ولا تؤثرها .

ألا يرى مولاي أن الأشياء الحلوة توجد في فم ذي الصفراء بطعم الأشياء المرة ، لامتلاء المرارة المضادة للحلاوة على آلات الذوق والمضغ والإدارة وهذا راجع إلى مثل ما حكمنا به أولاً من أن هناك فضلاً لا يمكن الهجوم على تحليله ، لما يخشى من سقوط القوة ، وإن كان مما لم يخرج لم يوثق بوفور الصحة ، وأنا أحمد الله إذ ليست شهوة سيدي متزايدة ، فالشهوة الغالبة مع الأخلاط الفاسدة تغري صاحبها بالأكل الزائد ، وتعرض للمزاج الفاسد . إلا أن التغذي لا يجوز إهماله دفعة والتبرم به ضربة . فإن البدن إذا احتاج إليه وجب للعليل أن يتناوله تناول الدواء الذي يصبر عليه . وذلك أن في دقة الحمية وترك الرجوع أول فأول إلى عادة الصحة إماتة للشهوة ، وخيانة للقوة .

وجالينوس يشرط في العلاجات أجمع استحفاظ القوى ، لأن الذي يفعله الضعف لا يتداركه أمر ، إلا أن ذلك بإزاء ما قال الحكيم الأول بقراط في البدن السقيم : إنك متى ما زدته غذاء زدته شرا ، وهو في نفسه يقول : إن الحمية التي في غاية الدقة ليست بمحمودة ، فالطرفان من الإسراف والإجحاف مذمومان ، والواسطة أسلم ، أغنى الله مولاي عن الطب والأطباء بالسلامة والشفاء .

وسمعت عوناً الهمداني يقول : أتى الصاحب بغلام مثاقف[٢] ، فلعب بين يديه ، فاستحسن صورته . وأعجب بمثاقفته ، فقال لأصحابه : قولوا في وصفه ، فلم يصنعوا شيئاً ، فقال الصاحب [من السريع] :

مثـاقفٌ في غاية الحذق فاق حسـان الغـرب والشرقِ
شبّهتـه والسيف في كفّه بالبـدر إذْ يلعب بالبرق

وأنشدني أبو سعيد بن دوست الفقيه ، قال : أنشدني أبـو علـي العراقـي العوامي الرازي ، قال : أنشدني الصاحب لنفسه [من السريع] :

كم نعمـةٍ عنـدك موفورةٌ لله فاشـكرْ يا ابـن عباد
قـمْ فالتمس زادك وهـو التقى لن تسـلكَ الطـرق بلا زاد

* * *

جرى الشعراء بحضرة الصاحب في ميدان اقتراحه الديارات

أقرأني أبو بكر الخوارزمي كتاباً لأبي محمد الخازن ورد عليه في ذكر الدار التي بناها الصاحب بإصبهان وانتقل إليها ، واقترح على أصحابه وصفها ، وهذه نسخته بعد الصدر .

نعـم الله عنـد مولانـا الصاحـب أدام الله تأييده مترادفـة ، وأياديه لديه متضاعفة ، وأرى أولياء النعم كبت الله أعداءهم تتظاهر كل يوم حسناً في إعظامه وبصائرهم تترامى قوة في إكرامه ، والوفود على بابه المعمور ، كرجل الجـراد ، وانتقل إلى البناء المعمور بالفأل المسعود فرأينا يوماً مشهوداً ، وعيداً يجنب عيداً ، واجتمع المادحون ، وقال القائلون ، ولو حضرتني القصائد لأنفذتها إلا أني علقت

(١) المثاقف : الذي يحسن استعمال الرمح والسيف .

من كل واحدة ما علق بحفظي . والشيخ مولاي يعرف ملك النسيان لرقي ، فقصيدة الأستاذ أبي العباس الضبّي أولها [من البسيط] :

دار الوزارة ممدودٌ سرادقها ولا حقٌّ بذرى الجوزاء لاحقها
والأرض قد واصلت غيظ السماء بها فقطرها أدمعٌ تجري سوابقها
بودّها أنها من أرض عرصتها وأنّ أنجمها فيها طوابقها[1]
فمن مجالس يخلفن الطواوس قد أبرزن في حللٍ شاقت شقائقها
ومن كنائس يحكين العرائس قد ألبسن مجسدةً راقت طرائقها[2]
تفرّعت شرفاتٌ في مناكبها يرتدّ عنها كليل العين رامقها[3]
مثل العذارى وقد شدّت مناطقها وتوّجت بأكاليلٍ مفارقها
كلّ امرىءٍ سوّغته الحجب رؤيتها وأشرقت في محيّاه مشارقها
مخلّفٌ قلبه فيها وناظره إذا تجلّت لعينيه حقائقها
والدهر حاجبها يحمي مواردها عن الخطوب إذا صالت طوارقها[4]
مواردٌ كلما همَّ العفاة بها عادت مفاتح للنعمى مغالقها
دار الأمير التي هذي وزارتها أهدت لها وشحاً راقت نمارقها
هذي المعالي التي اغتصّ الزمان بها وافتك منسوقةً والله ناسقها
إنّ الغنائم قد آلت معاهدةً لا زايلتها ولا زالت تعانقها[5]
لأرضها كلّما جادت مواهبها وفي ديار معاديها صواعقها

ومن قصيدة الشيخ أبي الحسن صاحب البريد وهو ابن عمة الصاحب [من البسيط] :

---

(١) العرصة : الساحة .
(٢) الكنائس : الظبّاء .
(٣) الرامق : المتطلع ، وكليل العين : حسيرها .
(٤) الطوارق : الأحداث .
(٥) آلت : أقسمت ، وزايل : فارق .

دارٌ علـى العـزّ والتـأييد مبناها ... وللمـكارم والعليـاء مغناهـا
دارٌ، تباهـى بهـا الـدنيا وساكنها ... طرّاً ، وكم كانـت الـدنيا تمنّاها
فاليمـن أصبـح مقرونـاً بيمناها ... واليسـر أصبـح مقرونـاً بيسراها
من فوقهـا شرفـاتٍ طال أدناها ... يد الثـريا فقـلْ لي كيف أقصاها
كأنّهـا غلمـةٌ مصطفّـةٌ لبستْ ... بيض الغلائـل أمثـالاً وأشباها
انظـر إلـى القبّـة الخضـراء مذهبةً ... كأنّمـا الشـمس أعطتهـا محيّاها
تلك الكنـائس قد أصبحـن رائقةً ... مثـل الأوانس تلقـانـا وتلقاها
فالربـع بالمجـد لا بالصحـن متسعٌ ... والبهـو لا بالحلـى بل بالعـلا باهى
لمـا بنـى النـاس في دنياك دورهمُ ... بنيت في دارك الغـرّاء دنياها
فلـو رضيت مكان البُسْـط أعيننا ... لم تبـق عينٌ لنـا إلاّ فرشناها
وهـذه وزراء الملك قاطبةً ... بيادق ، لم تزل ما بيننـا شاها[1]
فأنـت أرفعهـا مجـداً وأسعدها ... جدّاً وأجودهـا كفّـاً وأكفاها
وأنـت آدبهـا بل أنـت أكتبها ... وأنـت سيّدهـا بل أنـت مولاها
كسوتنـي من لبـاس العـزّ أشرفه ... المـال والعـز والسلطـان والجاها
ولسـت أقـرب إلاّ بالـولاء وإنْ ... كانـت لنفسـي من علياك قرباها

ومن قصيدة مولاي أبي الطيب الكاتب [من الطويل] :

ودارٍ ترى الـدنيا عليهـا مدارها ... تحـوز السمـاء أرضـها وديارها
بناهـا ابـن عبـادٍ ليعـرض همّةً ... علـى همـمٍ إسرافهـنّ آقتصارها
يردُّ علـى الـدنيا بهـا كلّ غدرةٍ ... إذا ما تبـارت داره وديارها
وإن قيل بهتـاً قد حكت تلك هذه ... فقـد يتـوارى ليلهـا ونهارهـا[2]

---

(١) البيدق والشاه : من حجارة الشطرنج .
(٢) بهتاً : زوراً .

فإن لم يكن في صحن دارك بعض ما   أصدِّر فالدنيا يصحُّ اعتذارها

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

نصبن لحبّات القلوب حبائلا   عشيّة حلّ الحاجبات حبائلا
نشدن عقولاً يوم برقة منشدٍ   ضللن فطالبنا بهنّ العقائلا[1]
عقائل من أحياء بكرٍ ووائلٍ   يحببن للعشّاق بكراً ووائلا
عيونٌ ثكلن الحسن منذ فقدنها   ومن ذا رأى قبلي عيوناً ثواكلا
جعلت ضنى جسمي لديها ذرائعاً   وسائل دمعي عندهنّ وسائلا
وركبٍ سرَوا حتّى حسبت بأنّهمْ   لسرعتهم عدّوا إليك المراحلا
إذا نزلوا أرضاً رأونيَ نازلاً   وإنْ رحلوا عنها رأوني راحلا
وإنْ أخذوا في جانبٍ ملت آخذاً   وإنْ عدلوا عن جانبٍ ملت عادلا
وإنْ وردوا ماءً وردت وإن طووا   طويت وإن قالوا تحوّلت قائلا
وإنْ نصبوا للحرّ حرَّ وجوههم   تمثّلت حرباءً على الجِذل مائلا[2]
وإن عرفوا أعلام أرضٍ عرفتها   وإن أنكروا أنكرت منها المجاهلا
وإن عزموا سيراً شددت رحالهم   وإن عزموا حلاً حللت الرحائلا
وإن وردوا ماءً حملت سقاءهم   أو انتجعوا غيثاً حدوت الزواملا[3]
أو استنفدت خوص الركائب منهلاً   أعدت لهم من فيض دمعي مناهلا[4]
يظنّون أنّي سائلٌ فضلَ زادهمْ   ولولا الهوى ما ظنّني الركب سائلا
وأقسمت بالبيت الجديد بناؤه   يحيّي ومن يحفي إليه المراقلا[5]
هي الدار أبناء الندى من حجيجها   نوازل في ساحاتها وقوافلا

---

(١) العقائل : النساء المصونات الشريفات .

(٢) الجذل : أصل الشجرة الباقي بعد ذهاب الفرع أو عددٌ ينصب لتحتك به الجمال الجربى .

(٣) الزوامل : النوق .

(٤) الخوص : النوق .

(٥) المراقل : النوق السريعة .

يزرنك بالآمال مثنىً وموحداً ... ويصدرن بالأموال دثراً وجاملا[1]
قواعد إسمعيل يرفع سمكها ... لنا كيف لا نعتدّهنّ معاقلا
فكم أنفسٍ تأوي إليها مغذّةً ... وأفئدة تهوي إليها حوافلا[2]
وسامية الأعلام تلحظ دونها ... سنا النجم في آفاقها متضائلا
نسخت بها إيوان كسرى بن هرمزٍ ... فأصبح في أرض المدائن عاطلا
فلو أبصرت دار العماد عمادها ... لأمست أعاليها حياءً أسافلا
ولو لحظت جنّات تدمر حسنها ... درت كيف تبنى بعدهنّ المجادلا[3]
يناطح قرن الشمس من شرفاتها ... صفوف ظباءٍ فوقهنّ مواثلا
وعولٌ بأطراف الجبال تقابلتْ ... ومدّت قروناً للنّطاح مواثلا
كأشكال طيرِ الماء مدّت جناحها ... وأشخصن أعناقاً لها وحواصلا
وردّت شعاع الشمس فارتدّ راجعاً ... وسدّت هبوب الريح فارتدّ ناكلا[4]
إذا ما ابن عبادٍ مشى فوق أرضها ... مشى الزّهو في أكنافها متمايلا
كنائس ناطت بالنجوم كواهلاً ... وعادت فألقت بالنجوم كلاكلا
وفيحاء لو مرّت صبا الريح بينها ... لضلّت فظلّت تستنير الدلائلا
متى ترها خلت السماء سرادقاً ... عليها وأعلام النجوم تماثلا

ومنها في وصف الماء الجاري ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته :

هواءٌ كأيام الهوى فرط رقةٍ ... وقد فقد العشّاق فيها العواذلا
وماءٍ على الرضراض يجري كأنّه ... صفائح تبرٍ قد سبكن جداولا[5]
كأنّ بها من شدّة الجري جِنّةً ... فقد ألبستهنّ الرياح سلاسلا

---

(١) الدثر : الكثير من كلّ شيء كالمال وغيره .

(٢) مغذّة : طلباً للغذاء .

(٣) المجادل : الأبنية المحكمة والمتقنة .

(٤) الناكل : الضعيف الجبان .

(٥) الرضراض : الحصى الرقاق في مجاري الماء .

ولـو أصبحـت داراً لك الأرض كلّها | لضاقـت بمـن ينتـاب دارك آملا
ولــو كنـت تبنيهـا علـى قدر همّةٍ | سمـت بك واستسـرت إليك المراسلا
عقـدت علـى الـدنيا جداراً فحزتها | جميعـاً ، ولـم تتـرك لغيرك طائلا
وأغنى الـورى عن منـزلٍ من بَنَتْ له | معـاليه فوق الشعـريين منازلا[1]
ولا غرو أن يستحـدث الليث بالسّرى | عرينـاً ، وأن يستطـرف البحـر ساحلا
ولـم يعتمـد داراً سوى حومـة الوغى | ولا خدمـاً إلاّ القنـا والقنابلا[2]
ولا حاجبـاً إلاّ حسامـاً مهنّداً | ولا عامـلاً إلاّ سنانـاً وعاملا
ووالله ما أرضـى لك الدهـر خادماً | ولا البـدر منتابـاً ولا البحـر نائلا
ولا الفلك الـدوار داراً ولا الورى | عبيداً ولا زهـر النجـوم قبائلا
أخـذت بضبـع الأرض حتـى رفعتها | إلى غايةٍ أمسـى بهـا النجـم جاهلا[3]
فإنّ الـذي يبنيه مثلك خالدٌ | وسائـر ما يبنـى الأنـام إلـى بلى

ومن قصيدة أبي الحسن الجرجاني [من الطويل] :

ليهـنَ ويسعـدْ من به سعُـدَ الفضلُ | بدارٍ هي الـدنيا ، وسائرهـا فضل[4]
تولّـى له تقديرهـا رحـب صدره | على قدره ، والشّكل يعجبه الشكل
بنيّة مجـدٍ تشهـد الأرض أنّها | ستطـوى ومـا حاذى السمـاء لهـا مثل
تكلّف أحـداق العيون تخاوصاً | إليه كأنّ النـاس كلّهـم قبل[5]
منـارٌ لأبصـار الـرواة ، وربُّها | منـارٌ لآمـال العفـاة إذا ضلّوا
سحـابٌ علا فوق السّحـاب مصاعداً | وأحـرى بأن يعلـو وأنـت له وبل
وقـد أسبـل الخيري كمـي مفاخرٍ | بصحـنٍ به للملك يجتمـع الشّمل

---

(١) الشّعرى : نجم في السماء .
(٢) القنابلا : الجماعة من الناس والخيل .
(٣) ضبع الأرض : ابطيها .
(٤) وسائرها فضل : أي كلّها بقيةً له .
(٥) التخاوص : من الخوص وهو صغر العين يريد أن المتطلّع إليها يخفض بصره .

كمـا طلـع النسـر المنير مصفّقاً جنـاحيه لولا أنّ مطلعـه عقل
بنيت علـى هام العـداة بنيّةً تمـكّن منهـا في قلوبهـم الغلُّ
ولـو كنـت ترضـى هامهـم شرفـاً لها أتـوك بهـا جهـد المقـلّ ولـم يألوا[1]
ولـكن أراهـا لو هممـت برفعها أبـى الله أن تعلـو عليك فلـم تعلو
تحـجُّ لهـا الآمـال من كلِّ وجهةٍ وينحـر في حافاتهـا البخـل والمحل
ومـا ضرَّهـا ألاَّ تقابـلُ دجلةً وفـي حافتيهـا يلتقـي الفيض والهطل
تجلّـى لأطـراف العـراق سعودها فعـاد إليهـا الملك والأمـن والعدل
كذا السعـد قد ألقـى عليهـا شعاعه فليس لنحسٍ في مطارحهـا فعل
وقالـوا تعـدّى خلقـه في بنائها وكان ومـا غير النّـوال به شغل
فقلـت إذا لم يلهـه ذاك عن ندىً فمـاذا علـى العلياء إنْ كان لا يخلو
إذا النصـل لم يذمـمْ نجـاراً وشيمةً تأنّـق في غمـدٍ يصـان به النّصل[2]
تمـلّ علـى رغـم الحواسـد والعدى علاك ، وعش للجود ما قبح البخل

ومن قصيدة أبي القاسم الزعفراني [من الخفيف] :

سـرّك الله بالبنـاء الجديد تلك حال الشـكور لا المستزيد
هـذه الدار جنّـة الخلد في الدنـــيـا فصلهـا وأختهـا بـالخلود
أمـةٌ زيّنـت لسيدهـا الما لك لا زينـة الفتـاة الرود[3]
حليهـا حسنهـا فقـد غنيت عن كل مستطـرفٍ بلبس التليد
إرم المسـلمين لا ذكر شدّا د بن عادٍ فيهـا ولا اسـم شديد
مـا تشـكّكت أن رضـوانَ قد خا ن وإلاّ لم مثلهـا في الصعيد ؟
كلّ مستخـدمٍ فداء وزيرٍ خدمتـه الرجـال بعد الأسود

---

(١) يألوا : يقصّروا .
(٢) النجار : الأصل .
(٣) الفتاة الرود : الفتاة الحسناء الفتيّة .

ألـزم الإنس كلّ جافٍ شديدٍ عمـل الجـن كلّ جافٍ مريد
فابتنـوا ما لو ان هامـان يدنو منـه لم يرض صرحـه للصعود
قـد تـولى الإقبـال خـدمتـه فيـــــه على رسمـه كبعض الجنـود
ودرى أنّـه يزيد معيناً مثلـه فاستعـان بالتسميد[1]
قـال للجصّ كن رصاصـاً وللآ جر لمـا علاه كن من حديد
فتنـاهـى البنيـان وارتفـع الإيـوان حتـى أنـاف بالتشـديـد
وتبـدّت من فوقـه شرفاتٌ كنسـاءٍ أشرفـن في يوم عيد
قسمـاً لا مدحـت بعـد ابـن عبا د منيل الشبـاب والتخليد
لا لقيت الزمـان إلاّ بوجهٍ ماؤه لا يجـول في جلمود
ويدٍ ما حسـرت ردّنـي عنها فهـي سيفٌ يصـان عن تجريد
أجمـع النـاس أنّـه أفضـل النا س اضطـراراً أغنـى عن التقليد
فلهـذا أعـدّ قربـي منه نعمـةً ليس فوقهـا من مزيد
لا ذكرت العـراق ما عشـت إلاّ أن أراه يؤمـه في الجنود

ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء [من الكامل] :

دارٌ تمكّنـت المناهـج فيها نطقـت سعـود العـالميـن بفيها

ومن قصيدة أبي محمد بن المنجم [من الطويل] :

هجرت ولـم أنـو الصـدود ولا الهجرا ولا أضمرت نفسي الصروف ولا الغدرا
وكيف وفـي الأحشـاء نار صبابةٍ تشبّـب لي في كلّ جارحـةٍ جمرا[2]
تقـول لي الأفـكار لمـا دعوتها لتنظـم في معمـور بنيانـه شعرا
بنـى مسكنـاً بانـي المفاخـر أم فخرا وجنّتنا الأولـى بدت أم هي الأخرى ؟

---

(١) التسميد : أي جعل فيها السّماد .
(٢) تشبّب : توقد .

أم الـدار قد أجـرى الـوزير سعودها   فلم تجر دارٌ في الثرى ذلك المجرى
وتبـدو صحـونٌ كالظنـون فسيحةٌ   تقدّرهـا حلمـاً فتنعتهـا حزرا[1]
وفـي القبـة العلياء زهـر كواكبٍ   من الضرب المضروب والذهب المجرى[2]
إذا ما سما الطرف المحلّـق نحوها   رآهـا سمـاءً صحف أنجمهـا تقرا

ومن قصيدة أبي عيسى بن المنجم [من الطويل] :

هي الـدار قد عمّ الأقـاليم نورها   ولـو قدرت بغـداد كانـت تزورها
ولـو خبّـرت دار الخلافـة بادرت   إليهـا وفيهـا تاجهـا وسريرها
ولـو قد تبقّـت سر من را بحالها   لسـار إليهـا دورهـا وقصورها
لتسعـد فيهـا يوم حان حضورها   وتشهـد دنياً لا يخـاف غرورها
فمـا حلمـت عين الزمـان بمثلها   وحاشـا لهـا من أن يحسّ نظيرها
يقـول الأولـى قد فوجئـوا بدخولها   وحيَّرهـم تحبيرهـا وحبيرهـا[3]
أفـي كلّ قطـرٍ غادةٌ وحليُّها   وفـي كلّ بيتٍ روضـةٌ وغديرها
وأبوابهـا أثوابهـا من نفوسها   فلا ظلـم إلاّ حين ترخـي ستورها
معظّمـةٌ إلاّ إذا قيس سمكها   بهمّـة بانيهـا فتلك نظيرها
هي الهمّـة الطولـى أجالـت بفكرها   مبانـيَ تكسوهـا العـلا ويعيرها
فجـاء بدارٍ دار بالسعـد نجمُها   وجنِّبـت المحـذور ليس يطورهـا[4]
وقـال لهـا الله الوفـيّ ضمانُهُ   سأحميك ما ضمّ الليالـي كرورها
أهنيك بالعمـران والعمـر دائمٌ   لبـانيك ما أفنـى الدهـور مرورها
وقـد أسجـل الإقبـال عهـدة ملكها   وخطّـت بأقـلام السعـود سطورها

---

(١) حزرا : تقديراً وتخميناً .
(٢) الضرب : الدراهم .
(٣) التحبير : التوشية والتزيين ، والحبير : من الثياب : الناعم الجديد الملوّن .
(٤) يطورها : يقربها .

ودارت لهــا الأفــلاك كيف أدرتها ودانــت إلــى أن قيل أنــت مديرها
وهـاك ابنـة الفــكر التـي قد خطبتها وقــدّم من قبــل الزفــاف مهورها
فإن كان للــدار التــي قد بنيتها نظيرٌ ففــي عرض القــريض نظيرها
وإلاّ جررت الــذيل في ساحــة العلا وقلــت القوافــي قد أعيد جريرها

ومن قصيدة أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن المعلى ، أبوه يكتب لأبي دلف سهلان بن مسافر ، وقد ورد الباب منذ أشهر ، وهو ممن يفهم ويدري، وله بديهة ومعرفة حسنة [من البسيط] :

بي من هواها وإن أظهــرت لي جلدا وجــدٌ يذيب وشــوقٌ يصــدع الكبدا
رَمَــتْ بأسهــم هجــرٍ لا تقــوم لها خيل العــزاء وإن ألبستهــا زردا
من مبلــغٍ عنِّــيَ الماهــات مألكةً تحيي الصديق وتردي كلّ من حسدا[1]
أنّـي ترحّلــت عن قومــي بهــا قنصاً فإنْ رجعــتُ إليهــم أبصــروا أسدا
قل للــوزير ابــن عبــادٍ بنيت علاً أم منــزلاً أم كلا هذين أم بلدا
فمــن رأى دار مولانــا وزينتها رأى بهــا كوكبــاً في أفقــه فردا
رأى الربيع رأى الروض المريع رأى الـــــــطود المنيع رأى ثهلان قـد ركد[2]

ومن قصيدة أبي العلاء الأسدي [من الكامل] :

أسعــد بدارك إنّهــا الخلد والعيش فيهــا ناعــمٌ رغدُ
دارٌ ولــكن أرضهــا شرفٌ ربــعٌ ولــكن سقفــه مجدُ
قــد أثمرتــه همّــةٌ صعدٌ هي قبــل والــدنيا لهــا بعدُ
هــي للعفــاة وللنــدى قبلٌ صلّــى إليهــا الشّــكر والحمد[3]

---

(١) الماهات : جمع مها وهي البقرة الوحشية ويريد بها « الفتيات » ، والمألكة : الرسالة .
(٢) ثهلان : جبل .
(٣) قبلٌ : جمع قبلة أي مقصد .

إيوان كسرى في مدائنه ... منذ ابتنيت دموعه سرد

ولماردٍ همٌّ يعانقه ... وكذاك يشجي الأبلق الفرد

والجعفرية لأقوام لها ... وصفا البديع وولول القرد

أحييت عباداً وأسرته ... فضلاً ولم يشقق لهم لحد

والحي مَنْ حيِيَتْ مناقبهُ ... بابنٍ يؤرّخ باسمه المجد

هذي العقيلة من بني أسدٍ ... تجلى وتحذر صولها الأسد

بكرٌ فلم يعرض لها بشرٌ ... قبلي ولم يقدح لها زند

زفّت إليك وحليها أدبٌ ... وزكت لديك ومهرها نقد

ومن قصيدة أبي الحسن الغويري [من مجزوء الكامل] :

دارٌ غدتْ للفضل داره ... أفلاك أسعده مداره

منها المحامد مستقا ... ةٌ والمحاسن مستعاره

شرفاتها هيفٌ الخصو ... ر لها تحاسينٌ وشاره

فلكلِّ طرفٍ نحوها ... ولكلّ جارحةٍ إشاره

وعلى جميع الدور في الـ ... ـدّنيا تقلّدت الإماره

فترابها مسكٌ سحيـ ... ـقٌ شقّ برد الليل فاره[1]

لا تهتدي لنعوت أد ... ناها الفحول بنو عماره

ومن قصيدة لبعض الشبان من أهل البلد [من الخفيف] :

هي دنياً بنيتها أم دارُ ... فجميع الأفلاك فيها تدار

ولبعض الشعراء من الغرباء من قصيدة أولها [من الهزج] :

رأينا طلعة الدار ... شموساً مع أقمار

---

(١) الفار : وعاء المسك والطيب .

ولـي مســألـة بعـد فعــاجلنــي بأخبـار
بنيت الــدار فــي دنيا ك أم دنيـاك في الدار

أخذ هذا المعنى من حيث أخـذه أبـو الحســن بن أبـي الحسـن البـريدي [مـن البسيط] :

* لما بنى الناس في دنياك دورهم *

وهما أخذاه من قول أبي العينـاء حين قال له المتـوكل : كيف ترى دارنـا هذه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، عهدي بالناس يبنون الدور في هذه الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك هذه .

ولبعضهم قصيدة أولها [من السريع] :

إنّ الــوزير قد بنــى دارا والســعـد فـي أكنــافهـا دارا

ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

هنِّــت جنَّــتـك التــي تبنيها وبقيت غضّــاً ناضــراً تبليها

ومن قصيدة هزلية لابن عطية الشاعر [من الكامل] :

الملك ملكٌ والأمير أميرُ والــدار دارٌ والــوزير وزير

ومنها وقد جد :

تزهـى الملـوك بدورهــا ولأنــت من تزهــى به الــدنيا فكيف الدّور
لا يعــدم الأمــراء منــك سياسةً لـولا سعــادتهـا وهـي التدبيـر(١)

وكان في جملة الطارئين شيخ أنطاكي في زي الكتاب حسن البيان ظريف

---

(١) وهى : ضعف .

اللهجة قد أنافت سنوه على الثمانين وخنقت التسعين ، فقال قصيدة أولها [من المنسرح] :

ما أنصف الـدار واقفٌ فيها   يثنـي علـى غيرهـا ويطريها
فقفْ بهـا ناشـراً محاسنها   وانـح به ما حوت نواحيها
ووفّهـا النّعـت غيـر مختصرٍ   فليس نـزر الثنـاء يكفيهـا
يكاد يجـري السّـفيـن سافلها   يكـاد يعلـو النجـوم عاليهـا
لم يبـق في النـاس من إذا ذكرت   بوحـدة الـكون لم يقـل إيها
فعـجْ بهـا الصّحـب واقض ِ واجبها   وقف بهـا وقفـةَ المهنيها
إنْ أغـدُ ذا نعمـةٍ فواهبها   أنـت فداك الـورى ومنشيها
ومـا تراه علـيَّ من حللٍ   فأنـت كاسٍ بهـا ومعطيهـا
وكلّ ما ضمَّ منزلـي ويدي   من نعمـةٍ لي فأنـت موليها
لا نسـي الله حسـن فعلك بلْ   أسألـه فـي الحياة ينسيها

قال مؤلف الكتاب : وأنشدني أبـو بكر الخوارزمـي لنفسـه قصيدة في دار الصاحب عارض بها قصيدة الرستمي في الوزن والقافية إذ هي أجود القصائد فمنها [من الطويل] :

أكلُّ بنـاءٍ أنـت بانيه معجزُ   بنيت المعالـي أم بنيت المنازلا
فلا الإنس تبنـي مثلهـنّ معالماً   ولا الجـنّ تبنـي مثلهـنّ معاقلا
كنـائس أضحـت للغمـام عمائماً   علـواً وأمسّـت في الظـلام قنادلا
رحـابٌ كأنْ قد شاكلـتْ صدر ربّها   وبيضٌ كأنْ قد نازعتـه الشمائلا
وبهـوٌ تباهـي الأرض منـه سماءها   بأوسـعَ منهـا آخـراً وأوائلا
وصحـنٍ يسير الطرف فيه ولـم يكنْ   ليقطعـه بالسّير إلاّ مراحـلا
تلـوح نقـوش الجصّ في جدرانه   كمـا زيّن الوشـم الـدقيق الأناملا
ومـاءٌ إذا أبصـرتَ منـه صفاءه   حسبـت نجـوم الليل ذابـت سوائلا

رأيت سيوفاً قد سللن على الثرى وصارت لها أيدي الرّياح صياقلا
وروضٌ كعيش السائليك نضارةً ووجهك بشراً حين تلحظ آملا
أصائله للنور أضحت هواجراً هواجره للطيب أضحت أصائلا
هي الدار أمست مطرح العلم فاغتدى لها ناهل الآمال ريّان ناهلا
إذا ما انتحاها الركب لم يتطلبوا إليها دليلاً غير من كان قافلا[1]
وأنت امرؤٌ أعطيت ما لو سألته إلّهك قال الناس أسرفت سائلا
وإنّي وإلزاميك بالشعر بعدما تعلّمته منك النّدى والفواضلا
كملزم ربٍّ الدار أُجرةَ داره ومثلك أعطى من طريقين نائلا

وأنشدني أيضاً لنفسه فيها [من مجزوء الوافر] :

بنيت الدار عاليةً كمثل بنائك الشرّفا
فلا زالت رءوس عدا ك في حيطانها شرَفا

* * *

ذكر البرذونيات

لما نفق برذون أبي عيسى بن المنجم بأصبهان وكان أصدا[2] قد حمله الصاحب عليه وطالت صحبته له أوعز الصاحب إلى الندماء المقيمين في جملته أن يعزوا أبا عيسى ويرثوا أصداه فقال كل منهم قصيدة فريدة ، فمن قصيدة أبي القاسم الزعفراني [من الخفيف] :

كنْ مدى الدهر في حمى النعماء مستهيناً بحادث الأرزاء
ينثني الخطب حين يلقاك عن طو د شديد الثّبات للنكباءِ

(١) انتحى : قصد وتوجه ناحيتها .

(٢) الأصدأ : ما كان لونه الشقرة إلى السواد، أو السواد المشرب بالحمرة .

بك يا أحمد بن موسى التسلّي والتعزّي عن سائر الأشياء
ومعزّيك لا يزيدك خبراً بالذي قد عرفته بالعزاء
قد سخا طرفك المفارق بالنفس وطرفي من بعده بالماء
يا له جمرةً ونجماً وشؤبو باً وبرقاً وطائراً في الرواء[1]
راكب الليل خائض السيل عيّن الـخيل عانته أعين الأعداء[2]
فقد الوحش منه أوّل قطّا عٍ إليها المدى أمام الضرّاء[3]
واستراحت من نقعه مقلة الشمس ومن لطمه خدود الفضاء
ما بدا والصباح قد لاح إلاّ جاءنا من قتامه بالمساء
وترى الطود حين يمثل مجمو عاً على ضمر القنا في الهواء
كم ركبت البراق منه أبا عيسى وإن لم تكن من الأنبياء
فرسٌ لو علاه ذو الزهد عمرو بـن عبيدٍ لتاه في الخيلاء
عدّة الفارس الذي خانه الصبر فرامى بصدره في اللقاء
قد تملّيته وإن كنت ما شا هدت في ظهره وغى الهيجاء
فترى ما يراه غيرك في الحر ب وتقلى طريقة الندماء[4]
كلُّ بؤسي أتتك من قبل اللـه فسلّم فيها لجاري القضاء
سوف تعتاض من خصيّك فحلاً لم يشنه بيطاره بالخصاء
من لهى سيدٍ سخيٍّ سريٍّ يشتري بالغلاء كلّ العلاء[5]
أي رزءٍ وأيّ وزرٍ على من يتقوّى بأنهض الوزراء
أيّها الصاحب الجليل أتمّ اللـه نعماك عندنا بالنّماء

---

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والرواء : حسن المنظر .

(٢) عيّن الخيل : نموذجاً لها ، عانته : حسدته .

(٣) الضرّاء : الشجر الملتف الذي تستتر به .

(٤) تقلى : تكره وتهجر .

(٥) اللهى : العطايا وأوسعها .

كم كرعنا من بحر عرفك في كفّـ ـك أصفى ماءٍ بأوفى إناء
سنَّةٌ سنها فتى لا يريد الوصل بين البيضاء والصفراء
جمع الله شمل معتصمٍ منـ ـك بحبلي مودّةٍ وولاء

ومن قصيدة أبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني [من الخفيف] :

جلّ والله ما دهاك وعزّا فعزاءً إنَّ الكريم معزى
والحصيف الكريم من إن أصابت نكبةٌ بعد ما يعزُّ يعزَّى
هي ما قد علمت أحداث دهرٍ لم تدع عدّةً تصان وكنزا
قصدت دولة الخلافة جهراً فأبادت عمادها والمعزّا
وقديماً أفنت جديساً وطمساً حفزتهم إلى المقابر حفزا[1]
اصغِ والحظْ ديارهم هل ترى منْ أحدٍ منهمُ وتسمع ركزا[2]
ذهب الطرف فاحتسبْ وتصبَّرْ للرزايا فالحرُّ من يتعزّى
فعلى مثله استطير فؤاد الـ ـحازم الندب حسرةً واستفزّا
لم يكن يسمع القياد على الهو ن ولا كان نافراً مشمئزّا
ربَّ يومٍ رأيته بين جردٍ تتقفاه وهو يجمز جمزا[3]
وكأنَّ الأبصار تعلق منه بحسامٍ يهزّ في الشمس هزّا
وتراه يلاعب العين حتّى تحسب العين أنّه يتهزّا
وسواءٌ عليه هجَّر أو أسـ ـرى أو انحطّ أو تسنّم نشزا[4]
وكأنّ المضمار يبرز منه متنُ حسّي ينزّ بالماء نزّا[5]

(١) جديساً وطمساً : من القبائل البائدة .
(٢) الركز : البقية ، والحسّ .
(٣) الجرد : الخيل الأصيلة ، وتجمز : تثب وتقفز .
(٤) النَشز : المرتفع .
(٥) الحِسّي : السهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، وينز : يتحلّب ويسيل منه الماء .

استراحت منه الوحوش وقد كا ن يراها فلا ترى منه حرزا
كم غزالٍ أنحى عليه وعيرٍ نال منه وكم تصيَّد فزا[1]
وصروف الزمان تقصد فيما يستفيد الفتى الأعزّ الأعزّا
فإذا ما وجدت من جزع النكبة في القلب والجوانح وخزا
فتذكّر سوابقاً كان ذا الطر ف إليهنّ حين يمدحُ يُعزى
أين شقٌّ وداحسٌ وصبيبٌ غمزتها حوادث الدهر غمزا[2]
غلن ذا اللّمة الجواد ولزَّت طرباً واللزاز والسلب لزّا[3]
ولقد بزّت الوجيه ومكتو ماً بني أعصرٍ وأعوج بزّا
وتصدّت للاحقٍ وغرابٍ وزهدمٍ فرمته فاستفزّا
فاحمد الله إن أهون ما تُر زأ ما كنت أنت فيه المعزّى
قد رثينا ولم نقصر وبالغـ ـنا وفي البعض ما كفاه وأجزى
ومن العدل أن نثاب أبا عيسى على قدر ما فعلنا ونجزى

ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء [من الطويل] :

عزاءً وإن كان المصاب جليلا وصبراً وإن لم يغن عنك فتيلا
وخفّض أبا عيسى عليك ولا تفضْ دموعاً وإن كان البكاء جميلا
وراجع حجاك الثبت لا يغلب الأسى أساك وإن حمّلت منه ثقيلا
ولا تستفزنّك الهموم وبرحها فحملك قبل اليوم كان أصيلا
وإن نفق الطرف الذي لو بكيته دماً كان في حكم الوفاء قليلا
أقبُّ يروق العين حسناً ومنظراً ويرجعها يوم الحضار كليلا[4]

---

(١) الفزّ : الظبي الفزع .
(٢) شق وداحس وصبيب وغيرها من الأسماء في الأبيات التالية كذي اللمه واللزّاز والسلب والوجيه ومكتوم وأعطر وأعوج ولاحق وغراب وزهدم كلّها أسماء أفراسٍ سوابق للعرب .
(٣) لزّ : التصق .
(٤) أقبّ : ضامر البطن دقيق الخصر .

إذا ما بدا أبدى لعطفك هزّةً ... ونفسك إعجاباً به وقبولا

كلمع الشهاب خفّةً وتوقّداً ... وجذع الحضار هادياً ودليلا[1]

إذا قلت قفْ أبصرته الماء جامداً ... وإن قلت سر ماءٌ أصاب مسيلا

خلت قصبات السبق منه وأيقنتْ ... رياح الصّبا أن لا يجدن رسيلا[2]

بكته جلال الخز وانتحبت له ... مخالي حريرٍ رحن منه عطولا[3]

أقام عليه آل أعوج مأتماً ... وأعلى له آل الوجيه عويلا

ففي كلّ إصطبل أنينٌ وزفرةٌ ... تردّد فيه بكرةً وأصيلا

ولو وفت الجرد الجياد حقوقه ... لما رجعت حتى الممات صهيلا

وقد أنصفته الخيل ما ذقن بعده ... شعيراً ولا تبناً ومتن غليلا[4]

فقدت أبا عيسى بطرفك مركباً ... جليلاً وخلاً ما علمت نبيلا

عتادك في الجلى وكهفك في الوغى ... وعونك يوماً إنْ أردت رحيلا[5]

تفرقتما لا عن تقالٍ وكنتما ... لفرط التّصافي مالكاً وعقيلا

وهبت لعقبان الفلاة لحومه ... وكنت بها لولا القضاء بخيلا

ووزعتها بين النسور غنيمةً ... صفايا ومرباعاً لها وفضولا[6]

وأعززته دهراً فلما سطا به الردى لم تجد بدّاً فصرت مذيلا[7]

على أنها الأيام شتّى صروفها ... تذلّ عزيزاً أو تعزّ ذليلا

---

(١) الحضار : العدو والوثب .

(٢) الرسيل : الفرس الذي يرسل مع آخر في السباق .

(٣) الجلال : البرذعة للفرس .

(٤) الغليل : الظمأ .

(٥) الجلّى : الأمر العظيم .

(٦) الصفايا : جمع صفى ، وهو ما كان يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنيمة قبل قسمها ، والمرباع : هو ربع كان يختص به الملك من الغنيمة في الجاهلية وقال شاعرهم :

لك المرباع وحدك والصفايا ... وحكمك والنشيطة والفضول

(٧) مذيلا : قلقاً ضجورا .

ومن قصيدة أبي الحسن السلامي [من الوافر] :

فدى لك بعد رزئك من ينام ... ومن يصبو إذا سجع الحمامُ
ونفسي بالفداء عنيت لا من ... ينام عن الحقوق ولا يلام
ألا نفق الجواد فلا عجاجٌ ... تقوم به الحروب ولا ضرام
وكان إذا طغت حرب عوانٌ ... جرى ورسيله الموت الزؤام[1]
إذا رميت به الغابات صلّت ... صفوف الخيل وهو لها إمام
تمهّر في الوقائع وهو مهرٌ ... ولا سرجٌ عليه ولا لجام
فلما لم يدع في الأرض قرناً ... تخوّنه فعاجله الحمام
وعوّد عافيات الطير طعماً ... وشُرْب دمٍ إذا حرم المدام
فلمّا لم يطقْ نهضاً أتته ... فقال لها أنا ذاك الطعام
وجاد بنفسه إذا لم يجد ما ... يجود به ، كذا الخيل الكرام
وكنت البدر عارضه كسوفٌ ... بنحسٍ حين تمّ له التّمام
فلا تبعد وإن أبعدت عنّا ... فهذا العيش ليس له انتظام
إذا لم تكشف الأصدا همومي ... فليت الخيل أصداه وهام[2]
طوى الحدثان طرفك يا ابن يحيى ... فطرفي ما يعاوده المنام
ولم أحضره يوم قضى فيشكو ... تحمحمه الذي صنع السقام
ولا خبرت ليلة جرّ جسمٌ ... زكت عندي له نعمٌ جسام
ألم أقسم عليك لتخبرنّي ... أمحمولٌ على النعش الهمام[3]

---

(١) الموت الزؤام : الموت المحتّم .
(٢) الأصداء : جمع صدى ، وهي صوت طائر يصرّ بالليل تزعم الجاهلية أنه يخرج من رأس المقتول ، والهام ومثله الهامة : الطائر الذي يخرج من رأس القتيل ، وقال ذو الاصبع العدواني :
يا عمرو إلاّ تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني
أي على رأسه .
(٣) هذا البيت للنابغة الذبياني يخاطب به صاحب النعمان بن المنذر واسمه عصام .

مضـوا يتناقلـون بـه خفافاً ... عليه من الضبـاع له قيام
فبـزّوه ومـا عرّوه درعـاً ... نبـت عنـه الصّـوارم والسّهام
أيقتلـه الحمـام أشـدّ قرنٍ ... وأكرمـه وتسـلبـه اللّئام
أبـا عيسـى تعـزّ فدتـك نفسي ... فإنّ المـوت قرنٌ لا يضام
أقـمْ في ظلّ إسمـاعيل تضمنْ ... لك الـدّرك السّلامـة والدوام[1]
إذا بقـي الـوزير لنـا وفينا ... فقـل للدّهـر يهلك والأنام
وعظـت بهـا أخـاً ورثيت مالاً ... وأدّيت الأمـانـة والسـلام

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [من المنسرح] :

لو سامـح الدّهـر أعصمـاً صدعا ... أو كاسـراً فوق مربـأٍ وقعا[2]
أو صاحبـاً ساقـه نواهضه ... أو سبعـاً في عرينـه شبعا
ابقـى لنـا ذلك الجـواد ولم ... يغـدو لصفـو الهبـات منتزعا
لسـت أقيل الزمـان عثرتهُ ... فليس يدري الزّمـان ما صنعا
آهٍ علـى ذلك الجـواد فقدْ ... جرّع قلبـي من كأسـه جرعا
آهٍ عليه من أصـدأٍ جزعٍ ... طاوع دهـراً أودى به جزعا
آهٍ عليه وقـد سرى لمعاً ... فراح غيضـاً كبـارق لمعا
لم يكـبُ في جـريـه إذا كـنت الـــخيـل ولا قـال راكبـوه لـعـا[3]
صفـا أديمـاً وحافـراً وقحاً ... والعين والساعـدين والسفعا[4]
عريض زورٍ وبلـدةٍ وصلاً ... رحيبُ صدرٍ ومنخـرٍ ومعا[5]

---

(١) الدّرك : إدراك الحاجة .

(٢) الأعصم : عن الغزلان ونحوها : ما في ذراعيه سواد وسائره أسود أو أحمر . والمربأ : المكان الذي يقف فيه المراقب .

(٣) اللعى : كلمة للدعاء تقال للّذي تعثّر في سيره وتعني « أنعشك الله ونجوت » .

(٤) السفع ، من الخيل : مواضع الوسم .

(٥) البلدة : الصدر ، والصلا : وسط الظهر، والمعا : هي الأمعاء .

إذا هوى فالعقاب منخفضاً وإنْ رقى فالسحاب مرتفعا
كأنّه بالسّماك منتعلٌ فليس يشكو في وقعه وقعا
أوجعك الله يا زمان فقد رحت حزيناً بفقده وجعا
قد لان للموت أخدعاه ومنْ خادعه الدهر عاد منخدعا
كم قلت للنفس وهي مزعجةٌ أيّتها النفس أجملي جزعا[1]
قد شرّع القائلون باباً إلى الصّبر عليه فأصبحوا شرعا[2]
لا تصحب الهمّ في الجواد أبا عيسى ودعه ولا تكنْ جزعا
فنائل الصاحب الجليل أبي القاسم إسماعيل الحيا همعا
وانظر إليه كأنّه قمرٌ أزهرُ من ثنيٍّ دسته طلعا
ولا تضق بالذي فقدت يداً إنّ لنا في نداه متّسعا
فاسمع قريضاً من موجعٍ جزعٍ ويرحم الله صاحباً سمعا

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من المنسرح] :

لو أعتب الدهر من يعاتبه ولان للعاذلين جانبُهُ
أو كان يصغي إلى شكاة شجٍ صبّت على قلبه مصائبه
أحسنت عنك المناب في حرقٍ تشعلها في الحشى نوائبه
ولم أزل عن شكاته أبداً ولم أزل دائباً أعاتبه
لهفي على ذلك الجواد وهلْ يفكّ رهن المنون نادبه
لو كان غير الممات حاوله لفلّلت دونه مخالبه
أو كان غير المنون يخطبه رمّل أنفٌ أبداه خاطبه[3]

(١) العجز صدر مرثية لأوس بن حجر وعجزه « إنّ الذي تحذرين قد وقعا » .

(٢) شرعاً : سواءً .

(٣) أخذ هذا من قول المهلهل وقد أكره على تزويج ابنته .

لو بأبانين جاء يخطبها رمل ما أنف خاطب بدم

أو حارب الدهر مشفقٌ حدبٌ لقمت في وجهه أحاربه
من لجوىً حلّ بي عساكره وحطّ بين الحشى مضاربه
فلست أرجو انقلاعه أبداً أو يجلب الصّبر لي جوالبه
يرتدّ بين الضلوع لي نفسٌ من ذكره ضاق بي مساربه[1]
لهفي على ذلك الجواد مضى في سفرٍ لا يؤوب غائبه
لو عرف الخيل من نعيت لها ضاقت بها في السُّرى مذاهبه
أو علم القفر من نعيت له لانسدّ للسالكين لاحبه[2]
تباشر الوحش في الفلاة له فقد صفت بعده مشاربه
فنام ملء الجفون شارده وسام ملء البطون ساربه[3]
تبكي لتقريبه الرّياح معاً فهنّ في جريها أقاربه
عهدي به والجنوب تجنبه إذا جرى والصّبا تجانبه
والهوج في حضره تحاذره والنّكب في سيره تناكبه
يا حسنه والعيون ترمقه وأنت يوم الرهان راكبُهُ
ترخى عليه العنان في عنقٍ حتى إذا ما التوى تجاذبُهُ
إن سار في السّهل هاج ساكنه أو سار في الحزن صاح صاحبه[4]
يوسعه إن رآه حاسده مدحاً ويثني عليه جاذبه

أخذه من قول أبي تمام :

* عوّذه الحاسد بخلاً به *

رجع :

(١) مساربه : ممرّاته .
(٢) اللاحب : الطريق الواضح .
(٣) سام : طلب .
(٤) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .

أصدأ يحكي الظلام ، غرّته الـــــــبدر ، وتحجيله كواكبُهُ[1]

أعاره الروض وشي زهرته   فعاد في لونه يناسبه

وطالبٍ لا يفوز هاربه   وهاربٍ لا ينال طالبه

كم موكبٍ سار في جوانبه   فاهتزّ زهواً به كتائبه

وعسكرٍ زانه تحمحمهُ   فارتجّ من صوته مواكبه

ومجهلٍ راح وهو جائبه   لولاه لم تطوه نجائبه

صبراً جميلاً وإن سلبت أبا   عيسى جليلاً فالموت سالبه

والموت إن جار في الحكومة أو   أنصف فالمرء لا يغالبه

في الصاحب المرتجى لنا خلفٌ   من كلّ ماضٍ خفت ركائبه

إنْ نَفَقَ الطّرف أو أصبت به   ما نفقت عندنا مواهبه[2]

لم يود طرفٌ وإن فقدت به   علقاً نفيساً ما عاش واهبه

دام لنا في النعيم ما طلعت   شمسٌ وجلّى الظلام ثاقبه

ومن قصيدة أبي العباس الضبي [من الطويل] :

دعا ناظري لذيذ اغتماضه   وقلبيَ يستسعرْ أليم ارتماضه[3]

فقد جاد سبّاق الجياد بنفسه   فلا ظهر منها لم يملْ لانهياضه[4]

أبيد فما للبيد طرفٌ وطرفه   صحيحٌ ولم يقرحه حرّ ارفضاضه[5]

نفوسُ عتاق الخيل فيضي لفقده   وأعينها فيضي لوشك انقراضه

وأظهرها حطّي السّروج تفجعاً   له ورِدِي ماء الرّدى من حياضه

---

(١) ألتحجيل : الذي في قوائمه بياض .

(٢) الطّرف : الحصان الجيد .

(٣) الإرتماض : الاحتراق من الحرّ أو الحزن .

(٤) الانهياض : الإنكسار .

(٥) ارفضاضه : زواله ، وارفض الجرح : سال قيحه .

لقد كان وفق الجو عند ارتفاعه نشاطاً وملء الأرض عند انخفاضه
لو آن خدود الورد أرضٌ لأرضه لما مسّها منه أذىً بارتكاضه[1]
يريك نحول السّهم عند اقتباله ويبدي مثول الطود عند اعتراضه
وقورٌ إذا خلّيته وطباعه وإن هزهز الأرضين فرط انتفاضه
ويخفى اصطفاق الرعد رجع صهيله ويخفت صوت الليث بين غياضه
تعزّ أبا عيسى وليّك ثابتٌ وجل التسلّي لم يرعْ بانتقاضه
ومن عرف الدنيا استهان بخطبها ولا سيّما من طال عهد ارتياضه
ولو قبل الدهر الخؤون ذخائري لقدّمتها عنه رضىً باعتياضه
ولكنه يبقى الذي لا نودّه ويردي الذي نهوى بصرف غضاضه[2]
وهذا الذي بي لو غدا زادَ مرضعٍ لشيّب فوديه اشتعال بياضه
سقا الأصدأ الكدريّ ما نقع الصدا غمامٌ حداه الرعد عند ائتماضه[3]
وفي بعض حملان الوزير معوضةٌ وسلوان قلبٍ مسلمٍ لانقضاضه
فسرْ كيفما آثرتَ فوق جياده ومِسْ كيفما أحببت بين رياضه[4]

ومن أرجوزة أبي دلف الخزرجي [من الكامل] :

دهرٌ على أبنائه وثّابُ تعجُمهمْ أنيابه الصّلابُ[5]
فما لهم من كيده حجاب يا لك دهراً كلّه عقابُ
أصبح لا يردعه العتاب إنّ المنايا ولها أسبابُ

---

(١) ارتكاضه : تحرّكه واضطرابه .
(٢) غضاضه : نقصه وعيبه .
(٣) إئتماضه : يريد سماع صوته ، وحدوثه .
(٤) مِسْ : تمايلْ زهواً ونشوة .
(٥) تعجمهم : تختبر صلابتهم وتعضّهم .

تصيدنـــا والصيّد مستطابُ واهـــاً لنـــاءٍ مـا لـه إيابُ
لــكلِّ قلـــبٍ بعـــده اكتئاب مســـوّمٍ تعنـــو له الأسرابُ
أصـــدأ بادي الحســـن لا يعابُ قد كملـــت في طبعـــه الآدابُ
وهذّبـــت أخـــلاقه العـذابُ أقـــبُّ ممّـــا ولّد الأعراب[1]
ذو نســـبٍ تحســـده الأنسابُ وميعـــةٍ ينـــزو بهـــا الشباب[2]
كأنّمـــا غرّتـــه شهـــاب كأنّمـــا لبّـــاته محـــراب
كأنّمـــا حجـــولـــه ســـرابُ كأنّمـــا حافـــره مجـــواب
للصخـــر عنـــد وقعـــه التهاب إذا تدانـــى فهـــو الحبـــاب
إنّ القـــرارات له انصبـــاب وإن عـــلا فالصـــقر والعقاب
للـــريح فـــي مذهبـــه ذهاب فالـــوحش مـــا يلقـــاه والهراب
دماؤهـــا لنحـــره خضـــاب يا غائبـــاً طال به الإياب
لا خبـــرٌ منـــك ولا كتـــابُ ما كنـــت إلاّ روضـــة تنتاب
مستـــأنساً تألفـــك الرحـــاب تعشقـــك العيـــون والألبـــاب
ترتـــجّ كالمـــوج لـــه عبـــابُ تنـــاوبتـــك للـــردّى أنيـــاب
تجـــزع من أمثالهـــا الأحباب وكنـــت لو طالـــت بك الأوصاب
يخفُّ فـــي مصرعـــك المصاب ما طاب عن أضرابـــك الإضراب
ولا صحـــا من حبـــك الأصحاب وأنـــت فـــردٌ مـــا له أتراب
يا حزنـــاً إذ ضمّـــك الخراب وأغلقـــت من دونـــك الأبواب
كصـــارمٍ أســـلمـــه القـــراب وقـــد جرى من فمـــك اللعاب
وامتـــار منـــه النحـــل والذُّباب واعتورتـــك الفئـــة الغضـــاب[3]

---

(١) أقبُّ : ضامر البطن دقيق الخصر .
(٢) الميعة : أوّل الجري وأنشطه، وينزو : يطمح ويتولّع بها .
(٣) امتار النحل والذباب : جنى الزهر .

وفيك أطراف المدى تنساب حتى نضى عن جسمك الإهاب
هل هو إلاّ هكذا العذاب وقد غدا الإصطبل والجناب
يبكيك والسائس والبوّاب والسّرج واللجمام والركاب
قل لأبي عيسى وما الإسهاب بنافعٍ تمّ لك الثواب
والرأي في دفع الرّدى صواب فاسكن فهذا الصاحب الوهّاب
شيمته السخاء والإيجاب في جوده وفضله مناب
آلاؤه ليس بها ارتياب يضلّ في إحصائها الحساب[1]
لا زال والدعاء يستجاب يبقى لنا ما بقي التراب

ومن قصيدة أبي محمد محمود [من الطويل] :

بكاءً على الطرف الذي يسبق الطرفا على ذلك الإلف الذي فارق الإلفا
وقفْ مدد الأحزان وقفاً مؤبداً عليه وخلّ الدمع يجري له وكفا[2]
على أصدأٍ زان الحليّ إذا اغتدت عليه وزان البيض والبيض والزغفا[3]
على أصدأٍ جاراه ألف مشهّرٍ عتيقٍ فوافانا وقد سبق الألفا
على فرسٍ جارى الرياح على حفاً فغادرها حسرى وخلّفها ضعفى[4]
جواب الذي ينعى إليه أيا لهفاً على ذلك الأصدا وقلّ له لهفى
أقام بمثواه الجياد مناحةً كما عقدت وحش الفلاة به قصفا[5]
وآل الغراب والوجيه ولاحقٍ أدامت عويلاً لا أطيق له وصفا
فكم أقرحت خداً وكم ألهبت حشاً وكم أوجعت قلباً وكم أدمعت طرفا

---

(١) الآلاء : النعم .

(٢) الوكف : السيلان .

(٣) البيض : السيوف ، والبيض جمع بيضة ، وهي غطاء الراس في الحرب ، والزعف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة الرقيقة .

(٤) الحفا : رقة القدم والخف .

(٥) قصفا : خلاعة ومجوناً ، أي فرحت لموته لأنّه كان أسبق الخيل إليها .

ولــو عرفــت حسنــاء داود حقّه لمـا ضفّـرت شعـراً ولا خضبّــت كفّا
فكم قد حماهــا يوم حربٍ وغارةٍ وكم نزعت من خوفها القلب والشنفا[1]
يطير علــى وجــه الصــعيد إذا جرى فمـا إن يمسّ الأرض من أرضـه حرفا
ويعــطيك عفــواً من أفــانين ركضه إذا سمته التقـريب أو سمتـه القطفا[2]
له ذنــبٌ ضافٍ يجــرّ علــى الثّرى طويلٌ كأذيال العــرائس بل أضفى[3]
له غرّةٌ مثــل الســراج ضياؤها وأيُّ سراجٍ بالنوائــب لا يطفا
سقى الغيث رهـواً مشبهـاً ذلك الكتفا وطــوداً منيفــاً حاكياً ذلك الردفا[4]
يواجـه وجـه الــوحش إن سار خلفها فيجعلها من حيث لم يحتسـب خطفا
ويرجــع مخضــوب البنــان كأنّه عروسٌ وقـد زفّـت إلــى خدرهــا زفّا
وإن خاف من عين النواظــر أهله عليه فمــدّوا دون مربطـه سجفا[5]
إذا ما غزا الغــازي عليه قبيلةً فلا حافــراً أبقــى عليه ولا خفّا
يراه كميتٍ وهــو لهفــان والهٌ لميتتــه يطــوي الظــلام ومــا أغفى
ولــو أنّــه قد كان حقّــق موته لجـزّ عليه للأســى الشعــر الوحفا[6]
ومــا أنــا ممّــن يظهــر الشجــو آمناً وإنّ عظيمــات المصائــب لا تخفى
ولــولا وفــاءٌ فيه كنــت أقوده إليك بلا منٍّ ولكنّــه استعفى
كراهيةً من أن يقــوم مقامه حفاظاً وبعض الخيل يستعمـل الظّرفا
وأعفيتــه أنّ الــوزيـر معوّضٌ ومـن ذا الــذي يرجــو نداه ولا يكفى
فعــوّل أبــا عيســى عليه فإنّه سيكفيك خطب الدهـر وهـو به أكفى

---

(١) القلب بضمّ القاف : سوار المرأة، والشنف : حلية تلبسها في أعلى الأذن .
(٢) التقريب : ضرب من العدو ، أو أن يرفع رجليه معاً ويضعهما معاً .
(٣) الأضفى : السابغ الكثير .
(٤) الرهو : المطر الساكن .
(٥) السجف : الستائر .
(٦) الوحف : الشعر الكثير الأسود .

ولـو لم يرد تعويضـه لك عاجلاً لقـال له رفقـاً وقـال له وقفا
فإنّ صروف الدهـر تحـت يمينه فإن شاءهـا بعثـاً وإن شاءهـا صرفا
هو البحر يغني النـاس من كلّ جانبٍ فغرقـاً من البحـر الـذي زرتـه غرقا
هو الغيث يعطـي كلّ غادٍ ورائحٍ عطـاءً جزيلاً لا بكيئـاً ولا نشفا[1]
كريمٌ إذا ما جاءه ابـن حظيّةٍ ألان له عِطفـاً وأبـدى له عَطفا[2]
أقـام منـاراً للنـدى والهـدى معاً فعـاد لنـا كهفـاً وصـار لنـا لطفا
تعـزّ أبـا عيسـى وإنْ أعـوز الأسى وعـاودْ هُديت اللّهـو والـطيب والعرفا
وهـاك كأمثـال الـرياض سوابقاً تسير قوافـي الشعـر من خلفهـا خلفا

ومن قصيدة أبي عيسى [من الطويل] :

لقد عظمت عندي المصيبة في الأصدا وأبـدت لي اللّـذاتُ من بعـده صدّاً
وأهـدي إلـى قلبـي المصـاب بفقده من الحـزن ما لو نال يذبـل لانهدّا[3]
وأصبحـت مشغـول المدامـع بالبكا ولي مهجـةٌ تستشعـر الحـزن والوجدا
ولـو كان يغنينـي الفـداء فديته بنفسـي وأهلـي فهـو أهـلٌ لأنْ يفدى
ولكنّـه لبّـى المنـون مبادراً ويا ليتـه لمّـا دعـاه الـردى ردّا
مضى الطرف واستولى على الطرف دمعه وألهب في الأحشـاء من حـرقٍ وقـدا
مضى الفرس السبّاق في حلبـة الوغى فعـادت عيون الخيل من بعـده رمدا
يبيد الـرياح كلّهـا في حضاره فتتـركه كرهـاً وقـد بذلّـت جهدا
مواقفـه عنـد الطـراد شهيـرةٌ تجاوز في أعجازهـا الـوصف والحدّا
نسيم الصبـا يحـكيه في هزل سيره وترهبـه ريح الشمـال إذا جدّا

(١) البكيء : القليل وكذلك النشف .
(٢) العِطف : الجانب كناية عن التواضع .
(٣) يذبل : إسم جبل .

فقــد صار نهبــي بين وحشٍ وطائرٍ غدا سيّداً فيهــا وراح لهــا عبدا
تسلَّ أبـا عيســى ولا تقــرب الأسى وكنْ حازمـاً شهمـاً وكن بازلاً جلدا[1]
فقـد كمـد الاخــوان من فرط حزنهمْ وقد شمـت الحسّـاد مذْ فقـد الأصدا
وأصبــح أبنــاء الشّجاعــة حسَّراً فمـن قارعٍ سنّـاً ومــن لاطــمٍ خدّاً
وقــد هاج لي حزنــا عليه تحسّري فهيّمنــي وجــداً وذكّرنــي نجدا
جوادٌ عزيزٌ أن يجــود بمثله جوادٌ ومــن يعــدى عليه إذا استعدى
سوى الصاحب المأمول للجود والنّدى ومن كفّه من صيِّبٍ خضلٍ أنـدى[2]
أتــاح لنــا الإحســان من كلّ جانب فحصّل منّـا الشّـكر والنّشـر والحمدا
له همّــةٌ فوق السمـــاء مقيمةٌ تعلّــم من يرجــوه أن يطلــب الرّفدا

ومن قصيدة لبعض أهل نيسابور قالها على لسان أحد الندماء [من مخلع البسيط] :

كلٌّ نعيمٍ إلــى نفادِ كلّ قريبٍ إلــى بعادِ
كلٌّ هبــوبٍ إلــى ركود كل نفــاقٍ إلــى كسادِ
وكلٌّ ملكٍ إلــى زوال وكلٌّ كونٍ إلــى فساد
وصــادقٍ من يقــول فاسمع والسمــع بابٌ إلــى الفؤاد
قــد بلــغ الــزرع منتهاه لا بد للــزّرع من حصاد
لهفــي علــى أصــدأٍ جوادٍ من هبّــة الصالــح الجواد
منقطــع المثــل في البلاد وغــرّة الطــرف والتــلاد
لهفــي علــى أصـدأٍ مسيحٍ قد كان ماءً وأنــت صادي
وكان ناراً وكلٌّ نارٍ فمنتهــاهــا إلــى الــرّمــاد

---

(١) البازل : الرجل المجرَّب الكامل التجربة .
(٢) الصيّب : السحاب ذو المطر .

كان من العين والفؤاد في العين من مركز السّواد
لـو شرب الصافنـات راحاً لكـان ريحـانـة الجيـاد[1]
عهـدي به شاهقـاً منيفاً يمـرُّ مرّاً إلـى صعـاد
أسـرع من لحظـةٍ وأحلى في العين من طارق الرّقاد
أجـرأ من ضيغـمٍ وأجرى من سيل ليلٍ بقعـر وادي
سـليل ريحٍ أخـو شهابٍ طود جمـالٍ هلال نادي
عـدّة سارٍ عتـاد غادٍ قعـدةُ قارٍ عمـاد بادي[2]
أسْيَرُ ممّـا يقـال فيه والشعـر جوّابـة البلاد
كأنّمـا خلقـه سـدادٌ قد صبّ في قالـب السّداد[3]
كأنّـه ساحـرٌ عليم من راكب الطـرف بالمراد
عينٌ أصابتـه لا رأت من تهـوي لقـاه إلـى التّنادي
نفّـذت يا دهـر شرّ سهمٍ أتـى علـى خيرٍ مستفاد
لـو كان يغنـى الدفـاع عنه جعلـت ترسـاً له فؤادي
فاصبـرْ لحـكم الإلّـه وانقدْ للحـقّ يا فاقـد الجواد
هـوّن عليك الملـمّ يا أبا عيسـى وكنْ ثابـت العماد[4]
أنـت من الصاحـب المرجّى ما عشـت في نائـلٍ معاد

* * *

ذكر الفيليات

لما حصل الصاحب في رقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر

---

(١) الصافنات : الصافن من الخيل : الفرس القائم على ثلاث قوائم .
(٢) قعدة قارٍ : أي سكن فيها ولم يتحرك .
(٣) السداد : الاستقامة والرشاد .
(٤) الملمّ : المصاب .

خراسان ، أمر من بحضرته من الشعراء أن يصفوه في تشبيب قصيدة على وزن قافية قول عمرو بن معدي كرب [من مجزوء الكامل] :

أعددت للحدثان سا ... بغةً وعدّاءً علندي[1]

فمن قصيدة أبي القاسم عبد الصمد بن بابك [من مجزوء الكامل] :

قسماً لقد نشر الحيا ... بمناكب العلمين بردا
وتنفّست يمنيّةٌ ... تستضحك الزهر المندّى
وجريحة اللّبات تنـ ... ـشر من سقيط الدمع عقدا
نازعتها حلب الشئو ... ن وقلّما استعبرت وجدا[2]
ومساجلٍ لي قد شققت لدائه في فيّ لحدا
لا ترم بي فأنا الذي ... صيّرت حرّ الشّعر عبدا
بشواردٍ شمس القيا ... د يزدن عند القرب بعدا
وممسّك البردين في ... شبه النّقا شيةً وقدّا[3]
فكأنّما نسجت عليـ ... ـه يد الغمام الجون جلدا
وإذا لوتك صفاته ... أعطاك مسّ الروع فقدا
فكأنّ معصم غادةٍ ... في ماضغيه إذا تصدّى
وكأنّ عوداً عاطلاً ... في صفحتيه إذا تبدّى
يحدو قوائم أربعاً ... يتركن بالتلعات وهدا[4]
جاب المطرّف قد تفرّ ... د بالفراهة واستبدّا[5]

---

(١) السابغة : الدرع ، والعلندي : الغليظ من كلّ شيء وأراد به الفرس.
(٢) الشئون : مجاري الدمع .
(٣) النقا : الكثيب من الرمل، وشية : اللون الذي يخالف سائر لون الشيء .
(٤) التلعات : ما ارتفع من الأرض ، والوهد : الأرض المنخفضة .
(٥) الفراهة : النشاط والخفة .

وإذا تخلّل هضبةً فكأنّ ظلّ الليل مدّا
وإذا هوى فكأنّ ركناً من عماية قد تردّى
وإذا استقلّ رأيت في أعطافه هزلاً وجدّا
متقرّطٌ أذناً تعي زجر العسوف إذا تعدّى
خرقاء لا يجد السّرا ر إذا تولّجها مردّا[1]
أوطأته مرعى نسيبي واجتنبت وصال سعدي
ملكٌ رأى الإحسان من عدد العواقب فاستعدّا
كافي الكفاة إذا انثنت مقل القنا الخطّي رمدا
تكسوه نشر العرف كفّ من جفون الطلّ أندى
لا زلت يا أمل العفا ة لفارط الآمال وردا
والق الليالي لابساً عيشاً برود الظلّ رغدا

ومن قصيدة أبي الحسن الجوهري [من مجزوء الكامل] :

قل للوزير وقد تبدّى يستعرض الكرم المعدّا
أفنيت أسباب العلا حتى أبتْ أن تستجدّا
لو مسّ راحتك السحا ب لأمطرتْ كرماً ومجدا
لم ترض بالخيل التي شدّت إلى العلياء شدّا
وصرائم الرأي التي كانت على الأعداء جندا[2]
حتى دعوت إلى العدى من لا يلام إذا تعدّى
متقصّياً تيه العلو ج وفطنةً أعيت معدّا[3]
فيلاً كرضوى حين يلبس من رقاق الغيم بردا

---

(١) خرقاء : الأرض الواسعة التي يشتدُّ فيها هبوب الريح . والسرار : من الأرض : أوسطها .
(٢) صرائم الرأي : الحزم والقطع في الأمور .
(٣) العلوج : حمار الوحش القويّ السمين.

مثل الغمامة ملّئت أكنافها برقاً ورعدا
رأسٌ كقلّة شاهقٍ كسيت من الخيلاء جلدا
فتراه من فرط الدلا ل مصعّرا للناس خدا[1]
يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يردُّ ردّا
متمرّدٌ كالأفعوا ن تمدّه الرمضاء مدّا
أو كمُّ راقصةٍ تشير به إلى الندمان وجدا
وكأنّه بوقٌ تحرّ كه لتنفخ فيه جدّا
يسطو بساريتي لجينٍ يحطمان الصخر هدّا
أذناه مروحتان أسندتا إلى الفودين عقدا
عيناه غائرتان ضيّقتا لجمع الضوء عمدا
قاسوه باسطرلاب يجمع ثقبه ما لن يحدّا
تلقاه من بعدٍ فتحسبه غماماً قد تبدّى
متناً كبنيان الخورنق ما يلاقي الدهر كدّا
ردفاً كدكّة عنبرٍ متمايلِ الأوراك نهدا
ذنباً كمثل السوط يضرب حوله ساقاً وزندا
يخطو على أمثال أعمدة الخباء إذا تصدّى
أو مثل أميالٍ نضدن من الصخور الصمّ نضدا
متورّدٌ حوض المنية حيث لا يشتاق وردا
متلفّعاً بالكبريا ء كأنّه ملكٌ مفدّى
أدنى إلى الشيء البعيد يراد من وهمٍ وأهدى
أذكى من الإنسان حتّى لو رأى خللاً لسدّا
لو أنّه ذو لهجةٍ وفّى كتاب الله سردا

(١) مصعراً: تائهاً متكبراً.

قلْ للوزير عبدت حتى قد أتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحا سن عنده قرناً وبعدا
لو مسّ أعطاف النجو م جرين في التربيع سعدا
أو سار في أفق السما ء لأنبتتْ زهراً وورد

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [من مجزوء الكامل] :

حازوا سعود ديار سعدى ورعوا جناب العيش رغدا
وقضوا مآرب للصبا مذْ أبدلوا بالغور نجدا
سكنوا محلاً بالدّمى أضحى محلاًّ مستجدّا
عطفتْ عليَّ ظباؤه ما شئت سالفةً وقدّا
وشفيت حرّ الوجد من بردٍ سقى الأكباد بردا
عجباً أشيم لثغرها برقاً ولست أحسّ رعدا
وغدوت أجني من غصو ن البان تفّاحاً وورد
وبنفسيَ القمر الذي لمعاً تصدّى ثم صدّا
يا هذه أهدي الوصا ل تكرُّماً إنْ كان يهدى
وتذكّري عهد الصبا في بيت عاتكة المفدّى[1]
لا تنكري شيباً ألمّ بفوده وفداً فوفدا
وتعلّمي أنّ الشّبا ب وإن وفى قرضٌ يؤدّى
وإذا أعير فإنّه لا بدّ من أنْ يستردّا
كم ليلةٍ ساورتها وقضيتها حسناً وجدّا
وأرى النجوم لآلئاً في الجوّ تجلو اللازوردا
حتى تحوّل أدهم الـ ـظلماء في الأفقين وردا

(١) العاتكة : المرأة المحمرّة من الطيب .

وبـدا الصبـاح يحـلُّ من جيب الدجـى ما كان شُدّا

وقـريـت همّـي أعنسـاً تذر الربـى بالوخـد وهـدا[1]

فـوردن أفنيـة العـلا معمـورةً فحمـدن وردا

حيث الفضـائـل والفـوا ضل فتـن إحصـاءً وعدّا

حيـث الـوغـى مشبوبـةً نيرانهـا وهجـاً ووقـدا

ومهـابـةً كـادت لهـا صـمُّ الجبـال تخـرُّ هـدّا

أفيالـه يقـدحـن فـي ظلـم الوغـى زنـداً فزندا

تسـري كسُحـم سحائب بجانـبٍ تُزجـى وتحدى[2]

ولبسـن دكن ملابسٍ غبـراً معـاطفهـن ربدا[3]

ورمقـن عـن أجفـان مضـمـرةٍ على الأعـداء حقـدا

وفـغـرن أفـواهـاً كـأفـواه الـمـزاد تـروغ دردا[4]

وكشـرن عـن أنيابها مثـل الحـراب شبـاً وحدّا[5]

مـن كلّ جهـمٍ خلته يوم الوغـى غولاً تصدّى

كبنيّـةٍ مـن عنبـرٍ دعمت سواري السّاج نضدا[6]

وعليـه طارونيـةٌ يزهـى بهـا حرّاً وبردا

لـولا انقـلاب لسانـه لرأيتـه خصـمـاً ألـدّا

مـتـولّـيـاً أمـراً ونـهـيـاً مـالكـاً حـلاً وعقـدا

وكأنّمـا خرطومـه راووق خمـرٍ مدَّ مدّا

---

(١) الأعنُسْ : النوق الصلبة القوية، والوخد : ضربٌ من السير .

(٢) السحم : السواد ، والجنائب : النوق .

(٣) الدكن : جمع الأذكن ، وهو المائل إلى السواد ، والربد : جمع أربد ، وهو الذي لونه إلى الغبرة .

(٤) فغرفاه : فتحه، وتروغ : تطلب، والدرد : جمع أدرد ، وهو الذاهب الأسنان .

(٥) شباً : حداً ، وشبا السيف : المكان القاطع فيه .

(٦) السّاج : شجرٌ عظيم طويل عريض صلب الخشب أسوده .

أو مثل كمٍّ مسبلٍ أرخته للتوديع سعدى
وإذا التوى فكأنّه الثعبان من جبلٍ تردّى
وكأنّما انقلبت عصا موسى غداة بها تحدّى
متعطّفاً كالصولجا ن بساحة الميدان يحدى
يُكسى الحداد وتارةً يكسى نسيج الدرع سردا
وكأنّما هو خاضبٌ بالاثمد الجاريِّ جلدا[1]
لونٌ حكى إظلامه لون المشبه ليس يهدى
مستيقظٌ أبداً ويكـ ـبر أن يعير العين رقدا
كفلٌ تموج كالكثيـ ـب تهيله صوباً وصعدا[2]
قد ساد كلّ بهيمة كيساً ومعرفةً وجدّا
فكأنّه يوم الوغى يكسى من الخيلاء بردا
وإذا انثنى من حربه يسعى فيرقص دستبندا[3]
أودى بمن عادى الوزيـ ـر وعمّهم حصراً وحصدا
من عزمه كالعضب قدّاً وعلمه كالبحر مدّا[4]
مستوحشٌ بالسلم لم تألف ظباه قطّ غمدا[5]
كالغيث يهطل سائحا والليث يبرز مستبدّا
وزر الملوك ونابها الـ أعلى وساعدها الأشدّا
أيُّ اسم فخرٍ لم يحز ه؟ وأيّ مجدٍ لم يعدّا؟

---

(١) الخضاب : الصباغ ، والإثمد : الكحل.

(٢) صوبا وصعدا : انخفاضاً وعلوّاً .

(٣) دستبندا : فارسية الأصل .

(٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) الظُبى : الحدّ من السيف والسهم والسنان .

أم أيُّ ثغرٍ لم يفتـ ـه ولـم يشـدّه ولم يسدّا ؟
كـافي الكفـاة المرتجـى والسيِّد الهادي المفدّى
مـا الحـرّ إلاّ من غدا للصاحـب المأمول عبدا
ولئـن أجدت مديحه فلطـالما أغنى وأجدى
وقـربـت مـنـه فـالـتـفـت إلى الزمـان وقلت بعـدا
واعتضـت غيـر مخيـب من مستمـرٍّ النحس سعدا
وكفيت ثمـداً ناضبـاً وسـقيت ماء العيش رغدا[1]
ومنحـت إنصافـاً بعو ن الله مـن دهـرٍ تعدّى
خذهـا إليـك شواهـداً في ألسـن الـراوين شهدا
هـذّبتهـا وجـلوتـهـا في الحسـن خاتمـةً ومبدا
قـد كان يكدي خاطري لكنْ بمدحـك قد أمدّا[2]
أعـددت للحدثـان جو دك دون عدّاء علندى[3]
وعلِمـت أنـك واحـدٌ في العـالمين خلقت فردا
تـذر الـوعيـد نسيئـة كرمـاً وتحبـو الوعـد نقدا[4]
ويـفـوح خلقـك عـن عبيـــرٍ حـولـه زهـر مـنـدّى
أنـا غـرسـك الـزاكي بكفّـــك مـثـمـراً أدبـاً وودّا
فسـأمـلأ الـدّنيـا بمـا اسـتمليـت مـن جدواك حمـدا
هـي طاعتـي حتـى أرى متبوّئـاً في التـرب لحدا
تفـديك نفسـي من عوا دي كلّ مكروهٍ ومردى

ولم يحضرني الآن من الفيليات أكثر من هذه الثلاث ، وإذا وجدت من

---

(١) الثمد : الماء القليل .

(٢) يكدي : يقصرّ ويمنع .

(٣) للحدثان : الليل والنهار ، أي الزمن ، والعلندي : الغليظ من الأفراس .

(٤) النسيئة : التأخير في دفع الثمن .

أخواتها ما يصلح للإلحاق بها ألحقته بمشيئة الله تعالى وإذنه ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً .

* * *

خبر سبطه الشريف أبي الحسن عباد بن علي الحسني

لما أتت الصاحب البشارة بسبطه أبي الحسن عباد أنشأ يقول [من مجزوء الرمل] :

أحمد اللهَ لبشرى أقبلتْ عند العشي
إذ حباني الله سبطاً هو سبطٌ للنبي
مرحباً ثمّة أهلاً بغلامٍ هاشمي
نبويٍّ علويٍّ حسنيٍّ صاحبيّ

ثم قال [من البسيط] :

الحمد لله حمداً دائماً أبدا إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

فقال أبو محمد الخازن على وزنه ورويه قصيدة أولها [من البسيط] :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق العلا صعدا
وقد تفرّع في أرض الوزارة عن دوح الرسالة غصنٌ مورقٌ رشدا
لله آية شمسٍ للعلا ولدت نجماً وغابةُ عزٍّ أطلعت أسدا
وعنصرٌ من رسول الله واشجةٌ كريم عنصر إسماعيل فاتحدا[1]
وبضعةٌ من أمير المؤمنين زكت أصلاً وفرعاً وصحّت لحمةً وسدى
ومثل هذي السعادات القويّة لا يحوزها غيره دامت له أبدا

---

(١) واشجة : متشابكة ومتصلة .

يا دهـره حقّ أن تزهـى بمولده ... فمثلـه منـذ كان الدّهـر ما ولدا
تعجّبـوا من هلال العيد يطلـع في ... شعبـان ، أمـرٌ عجيب قطّ ما عهدا
فمـن موالٍ يوالـي الحمـد مبتهلاً ... ومخلصٍ يستـديم الشـكر مجتهدا
وكادت الغـادة الهيفـاء من طربٍ ... تعطي مبشّرهـا الإرهـاف والغيدا[1]
فلا رعـى الله نفسـاً لم تسـرَّ به ... ولا وقاهـا وغشّاهـا رداء ردى
وذي ضغائـن طارت روحـه شفقاً ... منـه وطاحـت شظـايا نفسـه قددا[2]
علمـاً بأنّ الحسـام الصاحبـي غدا ... مجـرّداً والشهـاب الفاطمـي بدا
وأنـه آنسـد شعـبٌ كان منصدعاً ... به وأمـرع شعـبٌ كان محتصدا
فأرفـعُ المجـد أعيانـاً وأسمقُهُ ... مجـدٌ يناسـب فيه الوالـد الولدا[3]
فليهنـأ الصاحب المولـود ولتـرد الـــــــسعود تجلو عليه الفارس النجـدا
لم يتخـذ ولـداً إلاّ مبالغةً ... في صدق توحيد من لم يتخـذ ولدا

ما أشرف معنى هذا البيت وأبدعه وأبرعه !

ومنها :

وخـذ إليك عروسـاً بنـت ليلتها ... من خادمٍ مخلصٍ ودّاً ومعتقدا
أهديتهـا عفـو طبعـي وانتحيت بها ... سحـراً وإنْ كنـت لم أنفـث له عقدا
وازنـت ما قلتـه شكراً لربّـك إذ ... جاء المبشّـر بيتـاً سار واطّردا
الحمـد لله شكراً دائمـاً أبداً ... إذ صار سبـط رسـول الله لي ولدا

وقال أبو الحسن الجوهري في التهنئة قصيدته التي منها [من البسيط] :

كافـي الكفـاة بقصـدٍ من صرائمه ... حامـي الحمـاة بحصـدٍ من مناصلِهِ[4]

---

(١) الإرهاف : الرِّقة والبداهة .
(٢) قدداً : قطعا .
(٣) أسمقه : أعلاه .
(٤) الصرائم : العزائم ، والمفاصل : السيوف والرماح وغيرها .

ما زال يخطب منه الدين مجتهداً قربى توطّد من عليا وسائله
وكان بعد رسول الله كافله فصار جدّ بنيه بعد كافله
هلّم للخبر المأثور مسنده في الطالقان فقرّت عين ناقلِهِ
فذلك الكنز عبّادٌ وقد وضحت عنه الإمامة في أولى مخايله

لما روت الشيعة أن بالطالقان كنزاً من ولد فاطمة يملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، والصاحب من قرية الطالقان من قرى أصبهان ، ورزق سبطاً فاطمياً ، تأوّلوا له هذا الخبر ، وأنا بريء من عهدته .

الصاحبيّ نجاراً في مطالعه والطالبيُّ غراراً في مقاتله
يهني الوزير ظباً في وجه صارمه من صارمٍ وشباً في حدٍّ عامله

وقال عبد الصمد بن بابك قصيدة منها [من الوافر] :

كساك الصوم أعمارُ الليالي وأعقبك الغنيمة في المآب
فلا زالت سعودك في خلودٍ تبارى بالمدى يوم الحساب
أتاك العز يسحب بردتيه على ميثاء حالية التّراب[1]
ببدرٍ من بني الزهراء سارٍ تعرّى عنه جلباب السّحاب
تفرَّع في النبوة ثمَّ ألقى بضبعيه إلى خير الصحاب[2]
تلاقتْ لابن عبادٍ فروع الـنّبوة والوزارة في نصاب
فلا تغررْ برقدته الليالي ولا تشحذْ له الهمم النوابي
فمن خضعت له الأسد الضواري ترفّع عن مراوغة الذئاب

وكان الصاحب إذا ذكر عباداً أنشد وقال [من البسيط] :

يا ربّ لا تخلني من صنعك الحسنِ يا ربّ حِطْني في عبّادٍ الحسني

---

(١) الميثاء : الأرض السهلة ، وتجمع على ميَث كهَيف .

(٢) تفرّع : أي هو فرعٌ منها ، وضبعيه : إبطيه وعضديه .

ولما فطم قال [من الطويل] :

فطمت أبا عبّاد يا ابن الفواطم	فقال لك السادات من آل هاشم
لئن فطموه عن رضاع لبانه	لما فطموه عن رضاع المكارم

ولما أملك عباد بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة أبي الحسن قال أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي قصيدة منها [من البسيط] :

المجد ما حرست أولاه أخراه	والفخر ما التفّ أقصاه بأدناهُ
والسعي أجلبه للحمد أصعبُه	والذِّكر أعلاه في الأسماع أغلاه
والفرع أذهبه في الجوِّ أنضره	والأصل أرسخه في الأرض أنقاه
اليوم أنجزتِ الآمال ما وعدتْ	وأدرك المجد أقصى ما تمنّاهُ
اليوم أسفر وجه الملك مبتسماً	وأقبلت ببريد السعد بشراه
اليوم ردّت على الدنيا بشاشتها	وأرضيَ الملك والإسلام واللهُ
والملك شدّت عراه بالنبوة فار	تزّت دعائمه واشتدّ ركناه[1]
وصار يعزى بنو ساسان في مضرٍ	صنعاً من الله أسداه فأسناه
قد زفّ من جده كافي الكفاة إلى	من خاله ملك الدنيا شهنشاه[2]
سبطان سدّى رسول الله سلكهما	فألحم الله ما قد كان سداه[3]
أولاد أحمدَ ريحان الزمان ومو	لانا الوزير من الريحان ريّاه
أولاد أحمد منه لا يميّزهمْ	عنه ولاءٌ ولا مالٌ ولا جاه
متى ابتنى واحدٌ منهم بواحدةٍ	فإنّما صافحت يمناه يسراه

قال مؤلف الكتاب : كنت عزمت على إيراد غرر مما مدح به الصاحب في هذا المكان ، فاقتصرت على ما سيمر منها عند ذكر شعرائه ، وسياقة البدائع من

---

(١) ارتز : ثبت .

(٢) شهنشاه : لقب فارسي معناه ملك الملوك وروي عن سفيان الثوري تحريمه .

(٣) سدّى : أصلح وقوّم .

محاسنهم ، والوسائط من قلائدهم ، بإذن الله سبحانه وتعالى ومشيئته وإرادته .

* * *

وهذه غرر من فقر ألفاظ الصاحب تجري مجرى الأمثال

وقد جمعت فيها بين ما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد منها في كتابه « ملح الخواطر ، وسبح الجواهر » ، وبين ما أخرجته أنا ساكلاً سبيله ، ومحتذياً تمثيله .

من استماح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب * من طالت يده بالمواهب ، امتدت إليه ألسنة المطالب * من كفر النعمة ، استوجب النقمة * من نبت لحمه على الحرام ، لم يحصده غير الحسام * من غرّته أيام السلامة ، حدثته ألسن الندامة .

* من لم يهزه يسير الإشارة ، لم ينفعه كثير العبارة * رب لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال * الصدر يطفح بما جمعه ، وكل إناء مؤد ما أودعه * اللبيب تكفيه اللمحة ، وتغنيه اللحظة عن اللفظة ، * الشمس قد تغيب ثم تشرق والروض قد يذبل ثم يورق ، والبدر يأفل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع * العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر * إذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب * الضمائر الصحاح ، أبلغ من الألسنة الفصاح * الشيء يحسن في إبانه كما أن الثمر يستطاب في أوانه * الآمال ممدودة ، والعواري مردودة[1] * الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعة * متن السيف لين ، ولكن حده خشن ، ومتن الحية ألين ، ونابها أخشن * عقد المنن في الرقاب ، لا يبلغ إلا بركوب الصعاب * بعض الحلم

---

(١) العواري : الأمانات والقروض .

مذلّة ، وبعض الاستقامة مزلّة * كتاب المرء عنوان عقله ، بل عيار قدره ولسان فضله ، بل ميزان علمه * إنجاز الوعد ، من دلائل المجد ، واعتراض المطل ، من امارات البخل ، وتأخير الإسعاف ، من قرائن الإخلاف[1] * خير البر ما صفا وضفا ، وشره ما تأخر وتكدر * فراسة الكريم لا تبطي ، وقيافة الشر لا تخطي[2] * قد ينبح الكلب القمر ، فليلقم النابح الحجر * كم متورط في عثار ، رجاء أن يدرك بثار * بعض الوعد كنقع الشراب ، وبعضه كلمع السراب * قد يبلغ الكلام ، حيث تقصر السهام * ربما كان الإقرار بالقصور ، أنطق من لسان الشكور * ربما كان الإمساك عن الإطالة ، أوضح في الإبانة والدلالة * لكلّ امرىء أمل ، ولكل وقت عمل * إن نفع القول الجميل ، وإلا نفع السيف الصقيل * شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر * لا يذهبن عليك تفاوت ما بين الشيوخ ، والأحداث ، والنسور والبغاث[3] * كفران النعم ، عنوان النقم * جحد الصنائع ، داعية القوارع * تلقى الإحسان بالجحود ، تعريض النعم للشرود * قد يقوى الضعيف ، ويصحو النزيف ويستقيم المائد ، ويستيقظ الهاجد * للصدر نفثة إذا أحرج ، وللمرء بثة إذا أحوج * ما كل امرىء يستجيب للمراد ، ويطيع يد الارتياد * قد يصلى البريء بالسقيم ، ويؤخذ البرّ بالأثيم * ما كل طالب حق يعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه[4] * إن الأحداث لا رياضة لهم بتدبير الحوادث * إن السنين تغير السِّنن[5] * من ثقلت عليه النعمة، خف وزنه . ومن استمرت به الغرة طال حزنه[6] * أطع سلطان النهي ، دون شيطان الهوى .

* * *

(١) الإخلاف : عدم الوفاء .
(٢) القيافة : تتبُّع الأثر .
(٣) البغاث : طائر أغبر طويل العنق بطيء الطيران .
(٤) شائم : مترقّب ومتطلّع وناظر .
(٥) السِّنن : الأعراف والتقاليد .
(٦) الغرّة : الجهل .

ملح وظرف من ألفاظه

أخبرني عن سفرتك ، وعما حصل بها في سفرتك * وجدت حرّاً يشبه قلب الصب ، ويذيب دماغ الضب * أنوب فيه نيابة الوكيل المكتري ، بل المَملـوك المشتري * قد تحملت مع يسير الفرقة ، عظيم الحرقة . ومع قليل البعد ، كثير الوجد * عليّ أن أقول ، وما عليّ القبول * لا أعتـرض بين الشـمس والقمـر ، والروض والمطر * أكره أن أمل ، وقد قصدت أن أجل ، وأن أعق ، وقد قصدت أن أقضي بالحق * مرحباً بزائر لباسه حرير ، وأنفاسه عبير * زائر وجهـه وسيم ، وريحه نسيم ، وفضله جسيم * بستان رق نزره النظير ، وراق ورقه النضير * فلان بين سكرى الشباب والشراب * غصن طلعه نضير ، وليس له نظير * خط أحسن من عطفات الأصداغ ، وبلاغة كالأمـل آذن بالبـلاغ * فقـر كمـا جيدت الـرياض ، وفصول كما تغازلت المقل المراض * ألفاظ كما نورت الأشجار ، ومعـان كمـا تنفست الأسحار * نثر كنثر الـورد ، ونظـم كنظـم العقـد * كتابـك رقية القلـب السليم ، وغرة العيش البهيم * كلام يدخل على الأذن ، بلا إذن * فلان كريم ملء لباسه موفق مدّ أنفاسه ، ذو جدّ كعلو الجَدّ ، وهز كحديقة الورد ، عشرته ألطف من نسيم الشمال ، على أديم الماء الزلال ، وألصق بالقلب ، من علائق الحـب * شكره شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه * أثنى عليه ثناء العطشـان الوارد ، على الزلال البارد * قلب نغل ، وصدر دغـل[1] * وعـده برق خلـب ، وروغان ثعلب * فلان يتعلق بأذيال المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير .

* * *

---

(١) النغل : الفاسد : والدغل : الحاقد .

فصول له ورقاع في الملاطفة والمداعبة

فصل من كتاب له إلى أبي العلاء الأسدي

ذكرت أن أدهمك قطع الدهر رباطه ، أو قطع الموت نياطه[1] . ووصفت الحمار الذي استعضته ، فلا أدري أقرطته ، أم عضدته ؟ وقد كتبت بابتياع مركوب لك يعبوب ، أو يعسوب ، أو مرجوب[2] بل رمست أن يقاد إليك في كيس أعجر[3] ، فإن شئت فاتركه عندك أشهب ، وإلا فابتع به أدهم أو أشقر ، والتوقيع درج كتابي فليوصل ، والنقد عند الحافر ، وبه يملك الخف والحافر ، ويجنب الأعز السائل ، والأقرح النادر .

* * *

فصل من كتاب في الغضائري

الغضائري ، وما أدراك ما الغضائري . استزاد إلى الجمال جمالاً ، وعاد بدراً وكان هلالاً ، فإن شئت فالغصن ميالاً ، وإن شئت فالدعص منهالا [من الطويل] :

كأنّ جميع الناس يلقون وجههُ بناظرك المفتون ، والحبُّ شامل
رويدك إن أحببت فالغصن مائلٌ وإنْ تصْبُ بعد الدعص فالدعص هائلُ[4]

وهو يهدي إليك سلاماً كرقة خده ، ونسيم عرفه ، وغزارة دمعك من بعده [من الطويل] :

---

(١) نياطه : عروقه .

(٢) اليعبوب : الفرس السريع الطويل ، أو الجواد السهل في عدوه ، والبعيد القدر في الجري ، واليعسوب : النحل وفرس للنبيّ ﷺ ، والمرجوب : المهاب والمعظّم .

(٣) الأعجر : الممتلىء .

(٤) الدّعص : الكثيب من الرمل .

سلاماً كما رقّ النسيم على الصّبا　　　وجاء رسول الورد في زمن الورد

تأبى أيها العبد الصالح ، إلا أن تغمسنا معك في مزح المازح [من الطويل] :

ألا ربّ ذي مزحٍ يحرّك حبلَهُ　　　وحبل التُّقى من قلبه محصدٌ شزر[1]

* فصل ـ وما الشأن إلا في أنك تنتقل في الهوى تنقّل الأفياء ، وتتميّل في الحب كشارب الصهباء . فمرة الغضائري ، حتى إذا حسبناك قد صرت له وصار لك ، وعلق بك أمله وأملك . بعت قديماً بحديث ، وتليداً بطريف ، واستهوتك حبائل القمى[2] فقمت تفتل في حبله ، وتحرص على وصله ، ثم تطمع أن تضم ضدّا إلى ضد ، وتجمع سيفين في غمد . وهيهات ! إن الغضائري قد أبلغه ذلك فازورّ وتنمّر ، وغار وتنكّر ، وقد كان له عزم في المسير إلى أصبهان ، ففتر بفتور صبوتك ، وخف بظهور نبوتك [من الكامل] :

نقِّلْ فؤادك حيث شئت من الهوى　　　ما الحبُّ إلاّ للحبيب الأول

وقد جعله بعض الشعراء للحبيب الآخر ، وأمّا نحن فننشد لكثيّرٍ [من الطويل] :

إذا ما أرادت خلّةٌ أن تزيلنا　　　أبينا وقلنا الحاجبيّة أوَّلُ

والله يسقي عهدك صوب العهاد ، ويعدينا وإياك على البعاد .

* * *

---

(١) الشزر : المفتّل ، أو على غير استواء .

(٢) القمي : الموافقة .

رقعـة استزارة

هذا اليوم يا سيدي طاروني[1] يعجبني نوؤه الفاختي[2] ، وإذ قد غابت شمس السماء عنا . فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا . فإن نشطت للحضور ، شاركتنا في السرور. وإلا فلا إكراه ولا إجبار ، ولك متى شئت الاختيار .

* * *

وفي مثلهـا

غداً يا سيدي ينحسر الصيام ، وتطيب المدام . فلا بد من أن نقيم أسواق الأنس نافقة[3] ، وننشر أعلام السرور خافقة ، فبالفتوة فإنها قسم للظراف ، يفرض حسن الإسعاف ، لما بادرتها ولو على جناح الرياح ، إن شاء الله تعالى .

أخرى ـ نحن يا سيدي في مجلسٍ غنيٍّ إلاّ عنـك ، شاكر إلاّ منـك . قد تفتحـت فيه عيون النـرجس ، وتـوردت فيه خدود البنفسـج ، وفاحـت مجامـر الأترج[4] ، وفتقـت فارات النارنـج[5] ، وأنطقـت ألسنـة العيدان ، وقـام خطبـاء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، ونفقـت سوق الأنس ، وقـام منـادي الطـرب ، وطلعت كواكب الندماء ، وامتدت سماء الند ، فبحياتي لما حضرت ، لنحصـل بك في جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد .

في مثلها ـ نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت ، ونـوره در ، ونارنجـه

---

(١) الطاروني : ضرب من الخز ونسبة اليوم إليه من باب المجاز ، كأنّما كان لباسهم شتاء .

(٢) والفاختي : نسبة إلى الفاختة ، وهي طائر أسود .

(٣) النافق : الرائج ، الذي يرغب فيه الناس .

(٤) مجامر الأترج : الأترج شجرٌ من جنس الليمون تسميه العامة « الكباد » والمجامر حيث يوضع البخور أو الطيب ليحرق .

(٥) فارات النارنج : ظروفها الموضوعة فيها .

ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، ويحملها زبرجد ، وألسنة العيدان تخاطب الظراف ، بهلم إلى الأقداح ، لكنا بغيبتك كعقد غيّبت واسطته ، وشباب أخذت جدته ، فأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء في انحداره ، والقمر في مداره .

في مثلها ـ مجلسنا يا سيدي مفتقر إليك ، معول في إغنائه عليك ، وقد أبت راحه أن تصفو إلا أن تتناولها يمناك ، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذناك ، فأما خدود نارنجه فقد احمرت خجلاً لإبطائك ، وعيون نرجسه فقد حذفت تأميلاً للقائك ، فبحياتي عليك لما تعجلت ، لئلا يخبث من يومي ما طاب ، ويعود من همي ما طار .

في مثلها ـ صرنا أيّد الله مولانا في بستان كأنه من خلقه خلق ، ومن خلقه سرق ، فرأينا أشجاراً تميل فتذكر تبريح الأحباب ، وقد تداولتهم أيدي الشراب ، وأنهاراً كأنّها من يد مولانا تسيل ، أو من راحته تفيض ، وحضرنا فلان فعلاً نجمنا ، وحمد أمرنا ، وتسهل طريق الخير لنا ، فلما دبت الكؤوس فيهم دبيب البرء في السقم ، والنار في الفحم . رأى أن نجعل أنسنا غداً عنده فقلت سمعا ، ولم أستجز لأمره دفعا ، والتمس أن أخلفه في تجشيم مولاي إلى المجمع ، ليقرب علينا متناول البدر بمشاهدته ، ولمس الشمس بمطالعته ، فإن رأى أن يشفعني أسعفني إن شاء الله تعالى .

فصل ـ أنا على طرف بستان أذكرني ورده المتفتح بخلقك ، وجدوله السابح بطبعك ، وزهره الجنيّ بقربك .

* * *

فصل من كتاب آخر

علقت هذه الأحرف ، وأنا على حافة حوض ذي ماء أزرق كصفاء ودّي

لك ، ورقة قولي في عتابك ، ولو رأيته لأنسيت أحواض مأرب ومشارب أم غالب ، وقد قابلتني شقائق كالزنوج تجارحت فسالت دماؤها وضعفت فبقي ذماؤها[1] ، وسامتني أشجار كأن الحور أعارتها أثوابها ، وكستها أبرادها ، وحضرتني نارنجات ككرات من سفن ذهبت ، أو ثدي أبكار خلقت ، وقد تبرم بي الحاضرون لطول الكتاب فوقفت وكففت ، وصدفت عن كثير مما له تشوفت[2] .

ومن رقعة ـ مضيت وشاهدت أحسن منظر : فالأرض زمردة ، والأشجار وشي، والماء سيوف ، والطير قيان .

* * *

رقعة في الاعتذار من هفوة الكأس

سيدي أعرف بأحكام المروءة من أن يهدى إليها ، وأحرص على عمارة سبل الفتوة من أن يحض عليها ، وقديماً حملت أوزار السكر على ظهور الخمر ، وطوي بساط الشراب ، على ما فيه من خطأ وصواب ، وكنت البارحة بعقب شكاة أضعفتني ونقلتني عن عادتي ، واستعفيت السقاة غير دفعة فأبوا إلاّ إلحاحاً عليّ وإتراعاً إلي[3] ، وكرهت الامتناع خشية أن أوقع الكساد في سوق الأنس وتفاديا من أن يعقد على خنصر الثقيل ، فلما بلغت الحد ، الذي يوجب الحد[4] بدر مني ما يبدر ممن لا يصحبه لبّه ، ولا يساعده عقله وقلبه . ولا غرو فموالاة الأرطال ، تدع الشيوخ كالأطفال . فإن رأى أن يقبل عذري ، فيما جناه سكري، ويهب جرمي

---

(١) الذماء : بقية النفس والقلب .

(٢) تشوّفت : تطلعت ورغبت .

(٣) أتراعاً : إغداقاً .

(٤) الحدّ الأولى : المقدار ، والحدّ الثانية : إقامة وتطبيق الشريعة .

لمعرفته نيتي في صحوي ، وإن أبى إلا معاقبتي جعلها قسمين بين المدام وبيني ، فعل إن شاء الله تعالى .

* * *

في تنوير باكورة خلاف قد نور

لتنوير الخلاف فضائل لا تحصى ، ومحاسن تطول أن تستقصى ، منها أنه أول ثغر يبسم عنه الربيع ويضحك ، ودر يعقد على القضبان ويسبك ، ولتمايله آدكار بقدود الأحباب ، وتهييج لسواكن الأطراب ، وحمل إلى قضيب منه ورداته متعادلة ، ولذاته متقابلة . فأنفذته مع رقعتي هذه إليك ، وسألت الله أن يعيده ألف حول عليك ، وقلت [من الخفيف] :

وقضيبٍ من الخلاف بديعٍ مستخصٍّ بأحسن الترصيع
قد نعى شدّة الشتاء علينا وسعى في جلاء وجه الربيع
وحكى من أحبّ عرفاً وظرفاً واهتزازاً يثير ماء ضلوعي
رقّةً ما نظمت نحو بديع الـمجد حاكى الربيع حسن صنيعي

في إهداء أترجة

ما زلت يا سيدي أفكر في تحفة تجمع أوصاف معشوق وعاشق ، وتنظم نعوت مشوق وشائق . حتى ظفرت بأترجة كأن لونها لوني ، وقد منيت ببعدك ، وبليت بصدّك . وكأن عرفها مستعار من عرفك ، وظرفها مشتق من ظرفك ، فكأنها بعض من لا أسميه ، وأنا أفديه ، فأنفذتها وقلت [من السريع] :

مولاي قد جاءتك أترجةً من بعض أخلاقك مخلوقه

ألبسها صانعها حلّةً من سرق أصفر مسروقه[1]

في إهداء أقلام

قد خدمت دواة مولاي بأقلام تتخفف بأنامله ، وتتحمل نفحات فواضله ، وتأنّقت في بريها فأتت كمناقير الحمام ، واعتدال السهام ، خمسة منها مصرية مقومة . عليها حلل مسهمة ، وعشرة منها بيض كأياديه ، وأيام مؤمليه ، والله يديم له مواد نعمته ، ويوفقني لشرائط خدمته .

تهنئة ببنت

أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، نجباء يتلاحقون [من الوافر] :

فلو كان النّساء كمثل هذي لفضِّلت النّساء على الرجال[2]
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال

فادّرع يا سيدي اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة وبها قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون ، ولها بعث المرسلون . فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت ، وأطال بقاءك ما عرف النسل والولد ، وما بقي الأمد ، وكما عمّر لبد[3] .

---

(١) السرق : هو الحرير .
(٢) البيتان لأبي الطيّب المتنبي في رثاء ، شقيقة سيف الدولة الحمداني .
(٣) لبد : أي النسر .

رقعة مداعبة

خبر سيدي عندي وإن كتمه عني ، واستأثر به دوني ، وقد عرفت خبره البارحة في شربه وأنسه . وغناء الضيف الطارق وعرسه *وكان ما كان مما لست أذكره *[1] وجرى ما جرى مما لست أنشره ، وأقول : إن مولاي امتطى الأشهب فكيف وجد ظهره ؟ وركب الطيار فكيف شاهد جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف أفي سعة أم ضيق ؟ وهل أفرد الحج أم تمتع بالعمرة ؟ وقال في الحملة بالكرة . ليتفضل بتعريفي الخبر فما ينفعه الإنكار ، ولا يغني عنه إلا الإقرار ، وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة[2] . كما ساعده مره ، فنصلي للقبلة التي صلى إليها ، ونتمكن من الدرجة التي خطب عليها ، هذا وله فضل السبق إلى ذلك الميدان ، لكثير الفرسان .

ومن أخرى

انفردت يا سيدي بتلك انفراد من يحسب مطلع الشمس من وجهها ، ومنبت الدر من فمها . وملقط الورد من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، وحقاق العاج من ثديها ، ومبادىء الليل من شعرها ، ومغرس الغصن في قدها ، ومهيل الرمل في ردفها ، وكلا فإنها شوهاء . ورهاء خرقاء خلقاء[3] ، كأنّما محياها أيام المصائب ، وليالي النوائب ، وكأنما قربها فقد الحبائب ، وسوء العواقب ، وكأنما وصلها عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكأنما هجرها قوّة المنّة . وكأنما فقدها ريح الجنة .

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه : « فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر » .

(٢) أبو مرّة : من كنى إبليس اللعين .

(٣) الورهاء : الكثيرة الشحم ، والخلقاء : البالية الرثّة ، والخرقاء : الحمقاء .

ومن كتاب مداعبة

الله الله في أخيك ، لا تظهر كتابه فيحكم عليه بالماليخوليا[1] وبالتخاييل الفاسدة ، فقد ذكر جالينوس أن قوماً يبلغ بهم سوء التخيل ، أن يقدروا أجسامهم زجاجاً فيجتنبوا ملامسة الحيطان خشية أن يتكسروا . وحكى أن قوماً يظنون أنفسهم طيوراً فلا يغتذون إلا القرطم[2] ، والحظ كتابي دفعة ثم مزقه ، فلا طائل فيه ولا عائد له ولا فرج عنده ، وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمذان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية وخطبها أبو علي كاتب بكر ، فما ألح عليها وألحف كتبت إليه [من مجزوء الرجز] :

أيرك أيرٌ ما له عند حرّي هذا فرج[3]
فاصرفه عن باب حرّي وآدخله من حيث خرج

هذه والله في هذين البيتين أشعر من كبشة أم عمرو ، والخنساء أخت صخر ، ومن كعوب الهذلية، وليلى الأخيلية[4] .

ومن فقر رسائله من سائر الفنون

رسالة كتبها إلى أبي علي الحسن بن أحمد في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد ، وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد يسردها ، فزادني جريها على لسانه وصدورها عن فمه إعجاباً بها ، وهي :

كتابي هذا وقد أرخى الليل سدوله ، وسحب الظلام ذيوله ، ونحن على الرحيل غدا إن شاء الله إذا مد الصباح غرره ، قبل أن يسبغ حجوله . ولولا ذاك

---

(١) الماليخوليا : أحد الأمراض العصبية .

(٢) القرطم : نبات يتخذ منه صبغ أحمر .

(٣) الحرّ : بضع المرأة .

(٤) كعوب الهذلية وليلى الأخيلية : من النساء الشاعرات .

لأطلته كوقوف الحجيج على المشاعر . ولم أقتصر منه على زاد المسافر . فإن المتحمل له وسيع الحقوق لدي ، حقيق أن أتعب له خاطري ويدي ، وهو أبو عبد الله الحامدي أعزه الله تعالى ، كان وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد، أبي سعيد الشبيبي السعيد ، رفع الله منازله . وقتل قاتله، يكتب له فآنسنا بفضله ، وأنسنا الخير من عقله ، فلما فجع بتلك الصحبة ، وبما كان له فيها من القربة ، لم يرض غير بابي مشرعاً ، وغير جنابي مرتعاً ، وقطع إليَّ الطريق الشاق مؤكداً حقاً لا يشق غباره ، ولا ينسى على الزمان ذماره[1] . وكنت على جناح النهضة التي لم يستقر نواها ، ولم تبن حصباها ، ولم تلق عصاها ، فأمرج الحر المبتدأ الأمر ، القريب العهد بوطأة الدهر ، حامل عليه بالمركب الوعر ، فرددته إليك يا سيدي لتسهل عليه حجابك ، وتمهد له جنابك ، وتترصد له عملاً خفيف الثقل ، ندى الظل ، فإذا اتفق عرضته عليه، ثم فوضته إليه ، وهو إلى أن يتفق ذاك ضيفي وعليك قراه ، وعندك مربعه ومشتاه ، ويريد اشتغالاً بالعلم ليزيده في الاستقلال ، إلى أن يأتيه إن شاء الله خبرنا في الاستقرار ثم له الخيار إن شاء أقام على ما وليته ، وإن شاء لحق بنا ناشراً ما أوليته ، وقد وقعت له إلى فلان بما يعينه على بعض الانتظار ، إلى أن تختار له أيدك الله كل الاختيار ، فأوعز إلي بتعجيله ، واكفني شغل القلب بهذا الحر الذي أفردني بتأميله ، إن شاء الله تعالى .

* * *

رقعة له إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الري وافداً عليه :

تحدّثت الركاب بسير أروى إلى بلدٍ حططتُ به خيامي[2]

---

(١) الذمّار : ما يحمى ويدافع عنه كالشرف والحرم والملك .

(٢) البيتان من الوافر .

فكدتُ أطير من شوقي إليها بقادمةٍ كقادمة الحمام[1]

أفحق ما قيل أمر القادم ؟ أم ظن كأماني الحالم ؟ لا والله بل هو درك العيان، وإنه ونيل المنى سيان ، فمرحباً أيها القاضي براحلتك ورحلك . بل أهلاً بك وبكافة أهلك . ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من ريّاك ، فحثَّ المطى تزل غلتي بسقياك ، وتزح علتي بلقياك ، ونص على يوم الوصول لنجعله عيداً مشرفاً . ونتخذه موسماً ومعرفاً . ورد الغلام أسرع من رجع الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر ، وأن يترك الصبا في عقال وأسر .

سقى الله داراتٍ مررت بأرضها فأدّتك نحوي يا زياد بن عامر[2]
أصائل قربٍ أرتجي أن أنالها بلقياك قد زحزحن حرُّ الهواجرِ

رقعة في ذكر مصحف أهدي إليه

البرُّ أدام الله الشيخ أنواع ، تطول به أبواع[3] ، وتقصر عنه أبواع ، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً ، وأشرف منسباً . فتحفة الشيخ إذ أهدي ما لا تشاكله النعم ، ولا تعادله القيم ، كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله ، وهداه وسبيله . ومعجز رسول الله ﷺ ودليله ، طبع دون معارضته على الشفاه ، وختم على الخواطر والأفواه . فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بقي الملوان[4] ، لائحُ سراجه ، واضح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ، ويذل كل جبار عنيد ، وفضائل القرآن ، لا تحصى في ألف قران ، فأصِفُ الخط الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد في نخوة الأقلام ،

---

(١) القادمة : ريش مقدّمة الجناح جمعها القوادم .

(٢) البيتان من الطويل .

(٣) أبواع : جمع باع أي الذراع أو عظم يلي إبهام الرِّجل .

(٤) الملوان : من الملأ ، وهما الجن والإنس .

بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره ، وعينه فراره[1] ، وحقاً أقول إني لا أحسب أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع في استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد على جميعها زيادة القرعة على الغرة ، بل زيادة الحج على العمرة .

لقد أهديته علقاً نفيساً وما يهدي النّفيس سوى النّفيسِ[2]

فصل من كتاب له إلى ابن العميد صدر جواباً عن كتابه إليه في وصف البحر ، وكان أبو بكر الخوارزمي يحفظه ، وكثيراً ما كان يقرؤه ويعجب السامعون من فصاحته ، ولم أره يحفظ من الرسائل غيره :

وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، وعاين من مراكبه ، ورآه من طاعة آلاته للرياح كيف أرادتها ، واستجابة أدواتها لها متى نادتها . وركوب الناس أشباحها والخوف بمرأى ومسمع ، والمنون بمرقب ومطلع ، والدهر بين أخذ وترك ، والأرواح بين نجاة وهلك ، إذا أفكروا في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غرر المطالب الكثيرة ، حبب إليهم الغرر[3] ، وعرفت ما قاله من تمنيه كوني عند ذلك بحضرته وحصولي على مساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر بالفضل وتتلاطم فيه أمواج الأدب والعلم لم يعتب على الدهر فيما يفتيه من منظر البحر ، ولا فضيلة له عندي أعظم من إكبار الأستاذ لأحواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شيء أبلغ في مفاخره وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له فإني قرأت منه الماء السلسال . لا الزلال ، والسحر الحرام ، لا الحلال ، وقد علم أنه كتب ولما أخطر بفكره سعة

---

(١) هذه الفقرة من قولهم في مثل « إن الجواد عينه فراره » .

(٢) البيت من الوافر ، والعلق : النفيس الثمين .

(٣) الغَرر : الخطر والمهالك .

صدره ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلالاً يفضل عن التبرض[1] ، وثمداً لا يكثر عن الترشف[2] .

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنَّك الـ ـــجبال وبحرٍ شاهدٍ أنّك البحر[3]

* * *

ومحاسن فقر الصاحب تستغرق الدفاتر ، وتستنزف في الانتخاب منها الخواطر ، وليس يتسع هذا الكتاب لغيض من فيضها وقطرة من سيحها[4] .

* * *

هذا ما اخترته من ملح شعره في الغزل ، وما يتعلق به

قال [من الوافر] :

تسحّبْ ما أردت على الصباح ... فهمْ ليلٌ وأنت أخو الصباح[5]

لقد أولاك ربُّك كلَّ حسنٍ ... وقد ولاّك مملكة الملاح

وبعد فليس يحضرني شرابٌ ... فأنعمْ من رضابك لي براح

وليس لديَّ نقلٌ فارتهنّي ... بنقلٍ من ثناياك الوضاح[6]

وقال [من الخفيف] :

لا ترجو إصلاح قلبي بلومٍ ... حلف الجفن لا استقلَّ بنومِ

(١) الوشل : القليل من الماء ، والتبرّض : التبلّغ بالقليل .

(٢) الترشف : من رشف الماء أي شربه .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) السيح : المطر .

(٥) تسحّب : أي تفاخر زهواً .

(٦) النقل : ما يؤكل من فاكهة وفستق وغيره مع الشراب .

وهـواه لئـن تأخـر عنّي طول يومـي إنّـي سيحضـر يومي

وقال [من الوافر] :

علـيٌّ كالغـزال وكالغزاله رأيت به هلالاً في غلاله[1]
كأنّ بياض غرّته رشادٌ كأنّ سواد طرّتـه ضلاله
كأنّ الله أرسـلـه نبياً وصيّر حسنـه أقـوى دلالـه
إذا ما زدت وصـلاً زدت خبلاً كأن حبـال وصـلك لي خباله[2]

وقال [من البسيط] :

هذا علـيٌّ علـيٌّ في محاسنه كأنّمـا وصفـه أن يبلـغ الأملا
وكم أقـول وقـد أبصـرت طلعته هذا الـذي في طراز الله قد عملا

وقال [من السريع] :

وشـادنٍ أصبـح فوق الصّفه قد ظلـم الصّـبَّ ومـا أنصفه
كم قلـت إذ قبّـل كفّـي وقد تيّمنـي : يا ليت كفّـي شفه

وقال في معناه [من السريع] :

أبـا شجـاعٍ يا شجـاع الورى ومـن غدا فـي حسنـه قبله
قبّـل فمـي إنْ كنـت لي مؤثراً فاليدُّ لا تعـرف القبلة[3]

وقال في معناه [من مجزوء الرجز] :

وشـادنٍ جمـالـه تقصـر عنـه صفتي

---

(١) الغلالة : الثوب الرقيق .

(٢) الخبل : الفساد والعناء .

(٣) كذا ، ولعلّه : « فاليدّ ليست تعرف القبلة » ليستقيم الوزن .

أهـوى لتقبيـل يـدي فقلـت : لا ، بل شفتي[1]

وقال [من السريع] :

قـلْ لأبـي القاسـم إنْ جئته هنِّيت ما أعـطيتَ هنِّيَتَهُ
كلُّ جمـالٍ فائـقٍ رائقٍ أنـت برغـم البـدر أوتيتَهُ

وقال [من مخلع البسيط] :

قـل لأبـي القاسـم الحسيني يا نار قلبـي ونـور عيني
البـدر زين السمـاء حسناً وأنـت زينٌ لكلٍّ زين

وقال من باب الاقتباس من الحديث [من الكامل] :

ومهفهفٍ يغنـي عن القمر قَمَـرَ الفـؤاد بفاتـن النظر[2]
خالسـتـه تفّـاح وجنته من غير إبقـاءٍ ولا حذر
فأخافنـي قومٌ فقلـت لهمْ لا قطـع في ثمـرٍ ولا كثر[3]

وقال في مثله [من مجزوء الرمل] :

قـال لي إنّ رقيبي سيِّءُ الخلـق فـدارِهْ
قـلت دعـنـي وجـهـك الـــجّـنـة حُـفَّت بـالـمـكـاره

وقال في مثله [من الوافر] :

أقـول وقـد رأيت له سحاباً من الهجـران مقبلـةً إلينا
وقـد سحّـت غزالتهـا بهطلٍ حوالينـا الصّـدود ولا علينا

---

(١) أهوى : انحنى .
(٢) قمر الفؤاد : أسره .
(٣) الكثر : المال ، وجمّارُ النخل أو طلعها .

وقال [من المنسرح] :

الحبُّ سكرٌ خماره التلف ... يحسن فيه الذبول والدنف[1]
عابوه إذ لجَّ في تصلُّفِهِ ... والحسن ثوبٌ طرازه الصَّلف[2]

وقال [من السريع] :

وشادنٍ يكثر من قول لا ... أوقع قلبي في ضروب البلا
قلت وقد تيّمني طرفه ... هذا هو السحر وإلاّ فلا

وقال رحمه الله [من مجزوء الرجز] :

وشادنٍ ذي غنجٍ ... طاوي الحشى معتدل[3]
أنشدته شعراً بديعاً حسناً من عملي
فقال فيمنْ ولمنْ ... فقلت هذا فيك لي
فطار في وجنته ... شعاع نار الخجل

وقال [من الكامل] :

قد قلت لما مرّ يخطر ماشياً ... والناس بين معوّذٍ أو عاشق[4]
لم يكفِ ما صنعت شقائق خدّه ... حتى تلبّس حلّةً بشقائق

وقال [من المتقارب] :

دعتني عيناك نحو الصِّبا ... دعاءً يكرَّر في كلِّ ساعه
ولولا تقادم عهد الصِّبا ... لقلت لعينيك سمعاً وطاعه

---

(١) الخمار : أثر السكر ومفعوله ، والدنف : المرض والهلاك .
(٢) الصّلف : التكبّر .
(٣) طاوي الحشى : أي ضامر الخصر .
(٤) يخطر : يمشي بزهوٍ ودلال ومعوّذٍ : أي يقول أعوذ بالله .

وقال [من الرجز] :

شتمتُ من تيمّني مغالطاً ... لأصرف العاذل عن لجاجتهْ[1]
فقال لمّا وقع البزاز في الـ ... ـشوب علمنا أنّه من حاجتهْ[2]

وقال [من المنسرح] :

أتانيَ البدر باكياً خجلاً ... فقلت ماذا دهاك يا قمرُ
قال غزالٌ أتى ليعزلني ... بحسنه فالفؤاد منفطر
فقلتُ قبِّلْ ترابه عجلاً ... واسجدْ له قال كلٌّ ذا غرر[3]
قد بايعت أنجم السماء له ... فليس لي مفزعٌ ولا وزرُ

وقال [من الرجز] :

يا قمراً عارضني على وجلْ ... وصاله يشبه تأخير الأجلْ
وقال : تبغي قبلةً على عجل ؟ ... قلت : أجلْ ، ثم أجلْ ، ثم أجلْ

وقال [من الرجز] :

وشادنٍ في الحسن كالطاووس ... أخلاقه كليلة العروسِ
قد نال باللحظ من النفوس ... ما لم تنله الروم من طرسوس

وقال [من الرجز] :

بدا لنا كالبدر في شروقه ... يشكو غزالاً لجّ في عقوقه
يا عجباً والدهر في طروقه ... من عاشقٍ أحسن من معشوقه

سمعت أبا بكر الخوارزمي ، يقول : أنشدني الصاحب هذه القوافي ليلة ،

---

(١) اللجاجة : الإلحاف .
(٢) البزاز : النزاع .
(٣) غرر : جهل .

وقال : هل تعرفون نظيراً لمعناها في شعر المحدثين ؟ فقلت : لا أعرف إلا قول البحتري [من المتقارب] :

ومن عجب الدّهر أنّ الأمير أصبح أكتبُ من كاتبه

فقال : جودت وأحسنت ، وهكذا فليكن الحفظ ، وقال [من المتقارب] :

عزمت على الفصد يا سيدي لفضل دمٍ كظّني مؤلمِ[1]
فلمّا تأخّرت عن مجلسي أرقت لغير افتصادٍ دمي

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ شكل المجونْ أضنى فؤادي بالفتون
فنسيمه ملء الأنو ف ، وحسنه ملء العيون

وقال [من المتقارب] :

فمن كان يقطف ورد الجنان فقطفيَ مذْ كنتُ ورد الخدود
وهمّي مذ كنت درّ الثغور إذا اهتمّ غيري بدرِّ العقود

وقال [من الرجز] :

كنّا وأسباب الهوى متّفقه نبتاً من الورد معاً في ورقهْ
فالآن إذ أسبابه مفترقه قد صارت الأرض علينا حلقهْ

وقال [من السريع] :

يا خاطراً يخطر في تيههِ ذكرك موقوفٌ على خاطري
إنْ لم تكنْ آثرُ من ناظري عندي فلا متّعت بالنّاظر

---

(١) الفصد : إخراج الدم بالحجامة ، وكظّ : ضاق بالشيء من كثرته أو أثقله واشتد عليه .

وقال [من الطويل] :

تأخّـرت عنّـي والغـرام غريم وما ملّ قربُ الأكرمين كريمُ
وأوهمتنـي سقمـاً وأنـت مصحّحٌ بلـى لك عهـدٌ كيف شئـت سقيم
ولـو شئت لم تخلـط وصـالاً بهجرةٍ كمـا شيب بالمـاء الـزلال حميم[1]
ففـي الدّهـر كافٍ أن يفـرّق إنّه وصـيٌّ ظلـومٌ والـكريم يتيم

وقال ، ويروي لغيره [من الكامل] :

رشـأٌ غدا وجـدي عليه كردفه وغـدا اصطبـاري في هواه كخصره
وكـأنّ يـوم وصـالـه مـن وجـهـه وكـأنّ لـيـلـة هـجـره مـن شـعـره
إنْ ذقـت خمـراً خلتهـا من ريقه أو رمـتُ مسـكاً نلتـه من نشره
وإذا تكبّـر واستطـال بحسنه فعـذار عارضـه يقـوم بعذره

* * *

ملح من شعره في الصدغ والخط والعذار

قال [من السريع] :

يا شادنـاً في صدغـه عقربُ ما يسـتجيب الدّهـر للراقي
يسلـم خدّاه علـى لدغها ولدغهـا في كبـدي باقي[2]

وقال [من الوافر] :

وعهـدي بالعقـاربِ حين تشتو تخفّفُ لدغهـا وتقـلُّ ضرّا
فمـا بال الشتـاء أتـي وهذي عقـارب صدغـه تزداد شرّا

---

(١) الحميم : الحار .
(٢) اللدغ : اللسع .

وقال [من الطويل] :

رأيت علياً في لباس جماله ... فشاهدت منه الروض ثانيَ مزنه
ولمّا تبدّى لي امتداد عذاره ... رأيت طراز الله في ثوب حسنه

وقال [من البسيط] :

إنْ كنت تنكره فالشمس تعرفُهُ ... أو كنت تظلمه فالحسن ينصفُهُ
ما جاءه الشعر كي يمحو محاسنه ... وإنّما جاءه عمداً يغلّفُهُ

وقال [من السريع] :

لما بدا العارض في الخدّ ... زاد الذي ألقى من الوجد
وقلت للعذّال يا من رأى ... بنفسجاً يطلع من ورد

وقال [من البسيط] :

دبَّ العذار على ميدان وجنتِهِ ... حتى إذا كاد أن يسعى به وقفا
كأنّه كاتبٌ عزَّ المداد له ... أراد يكتب لاماً فابتدا ألفا

وقال [من الوافر] :

عذارٌ كالطّراز على الطّراز ... وشمسٌ في الحقيقة لا المجاز
تبدّى عارضاه فعارضاني ... وقالا لا تمرَّ بلا جواز
فقلت القلب عندكُمُ مقيمٌ ... وما حسن الثياب بلا طراز

وقال [من مجزوء الكامل] :

أنظرْ إليه كأنّه ... شمسٌ وبدرٌ حين أشرفْ
وَالْحَظْ محاسن خدّه ... تعذرْ دموعي حين تذرفْ
فكأنّها الواوات حـ ... ـين يخطُّها قلمٌ محرّف

وقال [من الهزج] :

أبــو نصــر بــن بكران مليح الحـظِّ والخـطِّ
فهـذا النمــل في العاج وذاك الــدرُّ فــي السّمط[1]

وقال [من الخفيف] :

إنّ لبس الســواد أقــوى دليلٌ لأميرٍ يلــي أمــور العبادِ
وأمير المــلاح يأتيه عزلٌ حين تلقــاه لابســاً للسّواد

وقال [من الطويل] :

وخــطٍّ كأنّ الله قال لحسنه تشبّــه بمــن قد خطّــك اليوم فأتمرْ
وهيهـات أين الخـطّ من حســن وجهه وأين ظلام الليل من صفحــة القمرْ

وقال في صباح الحاجب [من المنسرح] :

خــدّاه وردٌ وصدغــه سبجٌ ومقلتــاه الغنــاء والـرّاح[2]
إن هزَّ أطرافــه علــى نغمٍ شُقَّــت جيوبٌ وطــاح أرواح
وجملــة القــول في محاسنهِ أنّ أمير الصّبــاح صباح

وقال [من الكامل] :

رقّ الزجــاج ورقَّــت الخمر فتشابهــا فتشــاكل الأمرُ
فكأنّمــا خمــرٌ ولا قدحٌ وكأنّمــا قدحٌ ولا خمــرُ[3]

وقال [من الرجز] :

وقهــوةٍ قد حضّــرت بختمها فقلــت للندمــان عنــد شمِّها

---

(١) السمط : السلك والعقد .

(٢) السّبج : الأسود .

(٣) هذان البيتان ينسبان لأبي نواس .

لا تقبضنْ بالماء روح جسمها فحسبها ما شربت من كرمها

وقال [من المتكامل] :

متغايراتٌ قد جُمعن وكلّها متشاكلٌ أشباحها أرواحُ
وإذا أردت مصرّحاً تفسيرها فالرّاح والمصباح والتّفاحُ
لو يعلم الساقي وقد جُمِّعن لي من أيّ هذي تملأ الأقداح

وقال [من الطويل] :

ولما بدا التفاح أحمرَ مشرقاً دعوت بكأسي وهي ملأى من الشفقْ
وقلت لساقيها أدرها فإنّها خدود عذارى قد جُعلن على طبقْ

وقال من قصيدة [من الطويل] :

وكأسٍ تقول العين عند جلائها أهلْ لخدود الغانيات عصيرُ؟
تحاميتها إلاّ تعلّل واصفٍ وقد يطرب الإنسان وهو كبيرُ

ومن قصيدة [من الطويل] :

وصفراءَ أو حمراءَ فهي نحيلةٌ لرقّتها إلاّ على المتوهِّمِ
تشكِّكنا في الكرم أنَّ انتماءه إلى الكرم أم هاتا إلى الكرم ينتمي

ومنها [من الطويل] :

تمتّع ندمانٌ بها وأحبَّةٌ وحظِّيَ منها أنْ أقولَ ألا انعمي
لك الوصف دون القصف منّي فخيّمي بغير يدي وارضي بما قاله فمي[1]

أراد أنه جلس مع الشرب من غير شرب .

---

(١) القصف : أي الاحتساء والخلاعة .

وقال [من السريع] :

وشادنٍ قلت له ما اسمكا فقال لي بالغنج عبّاثُ
فصرت من لثغته ألثغاً فقلت أين الكاث والطاث[1]

* * *

ملح في الأوصاف والتشبيهات

قال [من الخفيف] :

أقبل الثلج فانبسطْ للسرورِ ولشرب الكبير بعد الصغيرِ
أقبل الجوّ في غلائل نورٍ وتهادى بلؤلؤٍ منثور
فكأنّ السّماء صاهرت الأر ض فصار النثار من كافور[2]

أخذه من قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكأنّ الربيع يجلو عروساً وكأنّا من قطره في نثار

وقال فيه [من الكامل] :

هات المدامة يا غلام معجّلاً فالنفس في قيد الهوى مأسوره
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأنّما الدّنيا به كافوره

وقال فيه [من الكامل] :

هات المدامة يا غلام مصيّراً نقلي عليها قبلة أو عضّه
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأنّما الدّنيا سبيكة فضّه

---

(١) الألثغ : الذي يلفظ السين ثاء .
(٢) النثار : ما ينثر في العرس من ذهب وغيره .

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول عند إنشاد هذه الثلجيات : كل هذه الثلجيات عيال على قول الصنوبري [من مجزوء الكامل] :

ذَهَبٌ كؤوسك يا غلا م فإنّه يوم مفضَّض

فقلت : قد أخذه منه من لم يزد على معناه ، فقال [من البسيط] :

جاد الغمام بدمعٍ كاللُّجين جرى فجدْ لنا بالتي في اللون كالذهب

وقال الصاحب في النارنج [من الطويل] :

بعثنا من النارنج ما طاب عَرْفُهُ فقيل على الأغصان منه نوافج[1]
كراتٌ من العقيان أحكم خرطها وأيدي الندامى حولهنّ صوالج

وقال في الند [من الكامل] :

ندٌّ لفخر الدولة استعماله قد زاد عرفاً من نسيم يديه[2]
فكأنّما عجنوه من أخلاقه وكأنّه طيب الثناء عليهِ

وقال في حبة عنب [من مجزوء الرجز] :

وحبّةٍ من عنبٍ من المنى متّخذَهْ
كأنّها لؤلؤةٌ في وسطها زمرُّده

وقال فيه [من الرجز] :

وحبّةٍ من عنبٍ قطفتها تحسدها العقود في الترائبِ[3]
كأنّها من بعد تمييزي لها لؤلؤةٌ قد ثقبت من جانبِ

---

(١) النوافج : أوعية المسك ، أو رذاد المطر العالق لأن النافجة تعني : السحابة الممطرة .
(٢) الندّ : عودٌ طيب الرائحة .
(٣) الترائب : موضع العقد في العنق والصدر .

وقال في الشمع [من مخلع البسيط] :

ورائق القدّ مستحبٌ يجمع أوصاف كلِّ صبٍّ
صفرة لونٍ وسكب دمعٍ وذوب جسمٍ وحرّ قلبِ

وقال في التين [من الكامل] :

تينٌ يزينُ رواؤه مخبورُهُ متخيّرٌ في وصفه يتحيَّرُ
عسل اللعاب لديه ممّا يجتوي وجنى النحيل لديه مرٌّ ممقر[1]
وكأنّما هو في ذرى أغصانه قطع النضار أدارهنَّ مدوِّر
ويقول ذائقه لطيب مذاقه الله أكبر والخليفة جعفر

وقال في الخط واللفظ [من البسيط] :

بالله قل لي أقرطاسٌ تخطُّ به من حلَّةٍ هو أمْ ألبسته حللا
بالله لفظك هذا سال من عسل أمْ قد صببت على أفواهنا عسلا

وقال في الوحل [من البسيط] :

إنّي ركبت وكفُّ الأرض كاتبةٌ على ثيابي سطوراً ليس تنكتمُ
والأرض محبرةٌ والحبر من لثقٍ والطّرس ثوبي ويمني الأشهب القلمُ[2]

* * *

من ملح إخوانياته

كتب إلى أبي الفضل بن شعيب [من الخفيف] :

يا أبا الفضل لم تأخّرت عنّا فأسأنا بحسن عهدك ظنَّا

---

(١) ممقر : أي صار مرّاً أو حامضاً .

(٢) اللّثق : اللزج من الطين ، أو النّدى .

كم تمنّتْ نفسي صديقاً صدوقاً فإذا أنت ذلك المتمنّى
فبغصن الشباب لما تثنَّى وبعهد الصّبا وإن بان منَّا[1]
كن جوابي إذا قرأت كتابي لا تقل للرسول كان وكنّا

وكتب إلى أبي الحسين الطبيب [من الرجز] :

إنا دعوناك على انبساطٍ والجوع قد أثّر في الأخلاط
فإن عسى مِلْتَ إلى التباطي صفعت بالنعل قفا بقراط

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي [من الرجز] :

أسعدك الله بيوم الفصحِ وعشتَ ما شئتَ بيومٍ سمحِ
يا رأس مالي في الورى وربحي وظَفَري ونصرتي ونجحي
شرباً ولا تصغ لأهل النّصح فالحزم أن تسكر قبل تصحي

* سكر النّصارى في غداة الفصحِ *

وكتب إلى أبي القاسم القاشاني [من مجزوء الرمل] :

يا أبا القاسم قلْ لي قل لماذا لا تزورُ
كنت قد قدمت وعداً فإذا وعدك زورُ
وبذرت الورد بالقو ل فلم تزكُ البذور
ونحرت الوِدَّ بالهجر كما يهدى الجزور
إنّ أمّ الصِّدق في الودِّ لمقلاةٍ نزور[2]

وكتب إليه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

مولاي لِمْ لَمْ تدعُ عبدك عند إحضار المدامْ

---

(١) بان منّا : أي فقدناه وابتعد عنّا .

(٢) لمقلاة : من القلى ، وهو البغض، والنزور : من النزر ، وهو القليل .

أعرفتـه مـن بينهـم متبسّـطاً وقـت الطّعـام
أم قيل عربـد ذات يو مٍ حيـن صار إلـى المدام
أم لـم يسـاعـد حيـن ملـت إلـى الغـلامـة والغـلام
إن كنـت تبخـل بالطّعا م فكيف تبخـل بالكلام
لسنـا نحـاول دعـوةً فاسـمـح علينـا بالسـلامْ

وقال رحمه الله [من السريع] :

لو فتشـوا قلبـي رأوا وسطه سطـرين قد خطّـا بلا كاتبِ
حبَّ علـيّ بن أبـي طالبٍ وحـبَّ مولاي أبـي طالبِ

وقال [من الخفيف] :

يا ابـن يعقـوبَ يا نقيب البدور كن شفيعـي إلـى فتـىً مسرورِ
قل له إنّ للجمـال زكاةٌ فتصـدّق بهـا علـى المهجور

وكتب إلى أبي العلاء الأسدي [من البسيط] :

أبـا العـلا يا هلال الهـزل والجدِّ كيف النجـوم التي تطلعـن في الجلد
وباطـنُ الجسـم غرٌّ مثـل ظاهره وأنـت تعلـم ممّـا قلتـه قصدي

سمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي يقول : لم أسمع في إنفاذ الحلواء إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب [من المتقارب] :

حـلاوة حبّـك يا سيدي تسـوغ بعثـي إليك الحلاوة

فقلت له : وأنا لم أسمع في النثار للرؤساء أحسن من قولك [من المتقارب] :

ولـو كنـت أنثـر ما تستحقُّ نثـرت عليكَ سعـود الفلكْ

ثم تذاكرنا في أحسن ما نحفظه في كل باب ، فجرت نكت كثيرة فسألني أن

أؤلف كتاباً في الأحاسن ، وأورد فيه أحسن ما سمعته في كل فن ، فأجبته إلى ذلك ، وحين ابتدأته عرضت موانع وقواطع عن استتمامه ، أقواها غيبته عن خراسان ، ثم وفاته رحمه الله تعالى .

وقال الصاحب [من مخلع البسيط] :

قولوا لإخواننا جميعاً ... من كلّهمْ سيّدٌ مرزّأ[1]
من لم يعدنا إذا مرضنا ... إن مات لم نشهد المعزّى

وقال لمحمود التاجر [من السريع] :

طويت محموداً على جفوته ... مخلِّصاً نفسي من خلَّتِهِ
قدَّرتُهُ يقلق من علّتي ... مثل انزعاجي كان من علّته
لم يطرِ ما بي لا ولا مرَّ بي ... كأنّ سقمي كان من شهوته[2]
من لم يطالعني على علَّةٍ ... إن مات لم أمضِ إلى تربته

وقال للقاضي أبي بشر الجرجاني [من الوافر] :

يصدُّ الفضل عنّا أيّ صدٍّ ... وقال تأخُّري عن ضعف معْدَهْ
فقلت له جعلت العين واواً ... فإنّ الضعف أجمع في المودّه

وقال [من الطويل] :

بَعُدْتَ فطعم العيش عنديَ علقمُ ... ووجه حياتي مذ تغيَّبتَ أرقمُ
فما لك قد أدغمت قربك في النّوى ... وودّك في غير النداء مرخَّمُ

* * *

---

(١) مزرا : من الرزء ، وهو المصاب .

(٢) لم يطرِ : لم يستفسر ، ولم يزر اطمئناناً عليه ، وأطراه : أثنى عليه .

ملح من مدائحه

قال من قصيدة في عضد الدولة [من الطويل] :

همـامٌ رأى الـدنيا سوامـاً فحاطها ... ليالـيَ في غير الزمـان وقور[1]
ولـم يخطب الـدّنيا احتفـالا بقدرها ... فمـوقعهـا مـن راحتيه يسير
ولـكن له طبـعٌ إلـى الخير سابقٌ ... ورأيٌ بأبنـاء الرِّجـال بصيرُ
وإنْ لم يلاحظهـم بعينٍ حميّةٍ ... فتلك أمـورٌ لا تزال تمور[2]

ومن أخرى [من الطويل] :

سعـودٌ يحـار المشتـري في طريقها ... ولا تتأتّـى في حسـابِ المنجِّمِ
وكم عالـمٍ أحييت من بعـد عالمٍ ... علـى حين صاروا كالهشيم المحطّم
فوالله لولا الله قال لك الورى ... مقال النصارى في المسيح ابـن مريم
محامد لو فضّت ففاضتْ على الورى ... لمـا أبصـرتْ عينـاك وجـهَ مذمّمِ
وكلاّ ولـكنْ لو حظـوا بزكاتها ... لما سمعتْ أذنـاك ذكر ملوّم[3]
ولـو قلـت إن الله لم يخلـق الورى ... لغيرك لم أحـرجْ ولـم أتأثّم

ومن أخرى [من الكامل] :

يا أيُّهـا الملك الـذي كلُّ الورى ... قسمـان بيـن رجائـه وحذاره
فمناصـحٌ قد فاز سهـم طلابِهِ ... ومداهـنٌ قد جال قدح بواره[4]
هذي بخـارى تشتـكي ألـم الصّدى ... وتقـول قولاً نِبْـتُ في أخباره[5]
ماذا عليه لو يهـمُّ بعرصتي ... فأكون بعض بلاده ودياره

---

(١) السّوام : الماشية التي ترسل لتُرعى .
(٢) تمور : تموج وتضطرب .
(٣) الملوّم : اللائم والعاتب .
(٤) المداهن : المتزلف والمحابي ، وبواره : هلاكه .
(٥) الصّدى : العطش والظمأ ، ونِبت : كلّفت عنهم من « ناب ينوب » .

ومن عميدية ذكر فيها نقرسا نال يمناه [من الطويل] :

أبو الفضل من أجرى إلى الفضل يافعاً فظلّ به يدعى وصار به يكنى
سلامته شمسُ المعالي وسقمُهُ كسوفُ المعالي لا كسفن ولا بنَّا
ولم يأتِهِ ورد السّقام لغير ما عرفنا فخذ معنى تألُّمهِ منّا
وما راده إلاّ ليشغلَ عن ندىً وإلاّ فلِمْ قد خصَّ بالألم اليمنى
وما يُحجز البحر الخضمّ عن النّدى ولا السّيد الأستاذ عن جوده يُثنى

وكتب إلى مؤيد الدولة أبي منصور [من الرجز] :

سعادةٌ ما نالها قطُّ أحدْ يحوزها المولى الهمام المعتمدْ
مؤيد الدولة وابن ركنها وابن أخي معزِّها أخو العضدْ

وقال في فخر الدولة وقد افتصد [من البسيط] :

يا أيّها الشمس إلاّ أن طلعتها فوق السماء وهذا حين يقتصدُ
لما افتصدت قضينا للعلا عجباً وما حسبت ذراع الشمس يفتصد

وقال فيه لما بنى قصره بجرجان [من السريع] :

يا بانياً للقصر بل للعلا همُّك والفرقد سيَّانِ
لم تبن هذا القصر بل صغته تاجاً على مفرق جرجان[1]
وقصرك المبنيُّ من قبله ملكك ، والله هو الباني
فاقبل نثار العبد بل نظمهُ فإنّه والدُّرُّ مثلان
واسمع مقالاً لم يُقلْ مثله مذْ كانت الدنيا لإنسان
لو كان للخلق إلّهان لكان فخر الدولة الثاني

* * *

---

(١) المفرق : مكان الفرق في الرأس .

ملح من شعره في الهجاء والمجون

قال في ابن متويه [من مجزوء الرمل] :

يا فتـى متـويٌّ رفقاً ... لستَ من ينـكر أصلَهُ
إنّما ينـكـر منهُ ... مـن جنـونٍ فيه ثقله
أنـت نذلٌ من كرامٍ ... أنـت في الطـاووس رِجله

كأنه مقلوب بيت المتنبي [من الوافر] :

فإن تفـق الأنـام وأنـت منهم ... فإن المسـك بعض دم الغزال

وقال في معناه [من الوافر] :

أبـوك أبـو علـيٍّ ذو علاءٍ ... إذا عُدَّ الـكرام وأنـت نجلُهْ
وإنّ أبـاك إذ تُعـزى إليهِ ... لكالطـاووس يقبـح من رجلُهْ[1]

وقال فيه [من السريع] :

أحمـد هذا سبـطُ متويَهْ ... في موتـه بعـد غدٍ تهنيَهْ
والشـأن في أنّـي علـى بغضه ... أحتـاج أنْ أقعـدَ للتعزيه

وقال فيه [من السريع] :

قـال ابـن متـويهٍ لأصحابه ... وقـد حشـوه بأيور العبيدْ
لئـن شكرتـم لأزيدنكم ... وإن كفرتـم فعذابـي شديدْ

وقال فيه [من الكامل] :

أبصـرت في كفـٍّ ابـن متـوي عصاً ... فسألتـه عنهـا ليوضـح عذرا

---

(١) تعزى : تنسب .

فأجابني إنّي بها متشايخٌ هذا ، ولي فيها مآرب أخرى

وقال فيه [من الخفيف] :

سبط متويٍّ إنَّ دارك دار قد عرفْتَ الإدبار إذ تبنيها
لا تكثّر تزويقها وترفّقْ عن قليلٍ يكون قبرك فيها

وقال فيه [من مجزوء الرمل] :

كلّما زدتَ عتاباً زدتُ في هجوك بيتا
أو ترى طبعيَ غيضاً أو أرى جسمك ميتا

وقال فيه [من الرمل] :

سبط متويّ رقيعٌ سفلُهُ أبداً يبذل فينا أسفلَهْ
اعتزلنا نيكه في دبره فلهذا يلعن المعتزلَهْ

وقال فيه [من المجتث] :

رام ابن متويّ أيري وبرجه فيه طيرُ
فقلت تطلب أيري هذا وفي استك أير
فقال لي لا تحمّقْ زيادة الخير خير

وقال فيه [من السريع] :

عندي سرٌّ لابن متويَّه وعزمي السّاعة أنْ أفشي
أخبرني بعضيَ عن بعضِهِ بأنّه أوسع من يمشي

وقال في الغويري [من السريع] :

إنّ الغويري له نكهةٌ نتنتها أربتْ على الكنف[1]

---

(١) أربت : زادت،والكُنف : جمع كنيف وهو المرحاض .

يا ليتــه كان بلا نكهةٍ أو ليتنــي كنــت بلا أنف

وقال في رجل يتعصب للعجم على العـرب ويعيب العـرب بأكل الحيات [مـن السريع] :

يا عائــب الأعــراب من جهلِهِ لأكلهــا الحيّات في الطعم
فالعجــم طول الليل حيّاتهم تنســاب في الأخــت وفــي الأمّ

وقال فيمن زوج أمه [من مجزوء الكامل] :

زوّجــتَ أمَّــك يا فتى وكسوتنــي ثوب القلـقْ
والحــرُّ لا يهــدي الحرا م إلــى الرجــال علــى طبقْ

وقال [من الرجز] :

لــم أر مثــل جعفــر مخلوقا يشبــه طبــلاً ويحــب بوقا

وقال [من الرجز] :

يا بركةً ملأى من الشّبوط قفــاك بغــاءٌ وكفِّــيَ لوطي[1]

وقال [من الهزج] :

لــنــا قــاضٍ لــه رأسٌ مـن الــخـفّـة مـمـلوءُ
وفــي أســفــلـه داءٌ بــعـيـدٌ مـنـكـمُ الـسّـوءُ

وقال [من مجزوء الرمل] :

إنّ قاضينــا لأعمــى أم علــى عمــدٍ تعامى
سـرق الـعـبـد كـأنّ الـــــعبـد من مـال اليتـامى

(١) الشبوط : بضم الشين وفتحها ، نوع من السمك دقيق الذنب عريض الوسط، ليّن المسّ ، صغير الرأس كأنّه يربط أي عود .

وقال [من المجتث] :

يا قاضياً بات أعمى عن الهلال السّعيدِ
أفطرت في رمضانٍ وصمت في يوم عيدِ

وقال [من الهزج] :

إذا ما لاح للعين أبو بكرٍ فتى القاضي
وقد زاد من التيه على القاهر والراضي
فواجهه بإمضاضٍ وقابله بإغضاض
وقالوا في حرّ أمّكْ قمدٌ الحاكم الماضي[1]

وقال [من الطويل] :

رأيت لبعض الناس فضلاً إذا انتمى يقصّر عنه فضل عيسى ابن مريمِ
عزوه إلى تسع وتسعين والداً وليس لعيسى والدٌ حين ينتمي

وقال [من الطويل] :

سيأتيك برقٌ من هجائي خلّبٌ إذا كنت ذا برق من الودّ خلّبِ[2]
وأنشد إذ أصبحت تغلب قدرتي بعجزك لم يغلبْكَ مثل مغلّب[3]

وقال [من السريع] :

مطفلٌ أطفلَ من أشعبِ ما زال محروماً ومذموما
لو أنّه جاء إلى مالكٍ لقال أطعمني زقّوما[4]

---

(١) القمد : الغليظ يعني به عضو الحاكم .
(٢) الخلّب : السحاب الذي يلمع برقه ولا مطر فيه .
(٣) يشير إلى قول الشاعر :
فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل المغلّب
(٤) الزقّوم : شجرة مرّة كريهة الرائحة يأكل أهل النار في جهنّم ثمرها .

وقال [من السريع] :

انظـرْ إلـى وجـه أبـي زيد أوحش من حبسٍ ومـن قيد
وحوشـه ترتـع في ثوبه وظفـره يركـب للصيّـد

وقال في رجل كثير الشرب بطيء السكر [من الطويل] :

يقـال لمـاذا ليس يسـكر بعدما توالـت عليه من نداماه قرقَفُ
فقلت سبيل الخمر أن تنقصَ الحجى فإنْ لم تجـد عقـلاً فمـاذا تحيفُ[1]

وقال [من السريع] :

هـذا ابـن متـويٍّ له آية يبتلـع الأير وأقصـى الخصى
يكفـر بالرسـل جميعـاً سوى موسى بن عمـران لأجـل العصا

وقال [من الخفيف] :

أنـت تيسٌ لا كـالتّيـوس لأنَّ الـــتّيس ينـزو وأنت يُنـزى عليكـا[2]

وقال [من الوافر] :

أبـو العبـاس تحضـره جموعُ من الفقهـاء لجّـوا في العواء
كأنّهُـمُ إذا اجتمعـوا عليه ذبـابٌ يجتمعـن علـى جراء

وقال [من الوافر] :

أبـو العبـاس قد أضحـى فقيهاً يتيهُ بفقهِـهِ في النّـاس تيها
وذلك أنَّ لحيتـه أتتني تناظـر فقحتـي فخـريت فيها[3]

---

(١) الحجى : العقل : وتحيف : تنقص.
(٢) ينزو : أي يمارس الشهوة .
(٣) الفقحة : فتحة المؤخّرة .

وقال [من الهزج] :

أبو العباس في الأير ينساب انسياب الأيم[١]
فتىً يأذن بالفقحة للأسياف بالشيم[٢]

وقال [من البسيط] :

هذا الأديب الذي وافى يفاخرنا أضحى إلى كمر السودان مشتاقا
فما يفارق طوماراً يعالجه إلاَّ بآخرَ يمضي فيه إعناقا[٣]
كأنّما هو حرباءٌ ببيضته لا يرسل السّاق إلاَّ ممسكاً ساقا

وأنشدني له الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي [من الكامل] :

نُبِّئتُ أنّكَ منشدٌ ما قلته في سبٍّ عرضك لا تخاف وعيدي
والكلب لا يخزى إذا أخسأته والقار لا يخشى من التسويد[٤]

وأنشدني له أيضاً [من السريع] :

شرط الشّروطي فِتيٍّ أيرٍ وما سواه غير مشروط
أَبغى من الإِبرة لكنّهُ يوهم قوماً أنّه لوطي

وأنشدني له غيره [من المتقارب] :

تزلزلت الأرض زلزالها فقالوا بأجمعهم مالها
مشى ذا الثقيل على ظهرها فأخرجتِ الأرض أثقالها

---

(١) الأيم : الحيَّة الذكر .
(٢) بالشيم : بالدخول والنظر .
(٣) الطومار : الصحيفة ويعني به « عضو الرجل » .
(٤) القار : القطران .

وقال [من مجزوء الكامل] :

قـد طال قرنـك يا أخي ... فكأنّه شعـر الكميتْ

* * *

ما أخرج له رحمه الله في سائر الفنون

قال [من المتقارب] :

تصدُّ أميمـةُ لمَّـا رأتْ ... مشيبـاً علـى عارضـي قد فرشْ
فقلـت لهـا الشيب نقش الشبابِ ... فقالـت ألا ليتـه ما نقشْ

وقال [من الطويل] :

ولمـا تنـاءتْ بالأحبّـة دارهُمْ ... وصرنـا جميعـاً من عيانٍ إلـى وهم
تمـكّن منِّـي الشـوق غير مسامحٍ ... كمعتزلـيٍّ قد تمـكن من خصم

وقال [من الخفيف] :

كنـت دهـراً أقـول بالاستطاعهْ ... وأرى الجبـر ضلَّـةً وشناعهْ
ففقـدت استطـاعتـي فـي هـوى ظبـيٍ ... فسـمعـاً للمجبـريـن وطـاعـهْ

وقال [من المتقارب] :

لقـد قلـتُ لمـا أتـوا بالطبيبِ ... وصادفنـي فـي أحـرِّ اللهيبِ
وداوي فلـمْ أنتفـع بالدواء ... دعونـي فإنّ طبيبـي حبيبي
ولسـت أريد طبيب الجسوم ... ولـكـنْ أريد طبيب القلوب
وليس يزيل سقامـي سوى ... حضـور الحبيب وبعـد الرقيب

وقال [من الخفيف] :

ناصبٌ قال لي معاويةٌ خا ... لك خير الأعمام والأخوال[1]
فهو خالٌ للمؤمنين جميعاً ... قلت خالي لكنْ من الخير خال

وقال [من السريع] :

حبُّ عليّ بن أبي طالبٍ ... هو الذي يهدي إلى الجنَّهْ
إنْ كان تفضيلي له بدعةٍ ... فلعنة الله على السُّنه

وقال في شهر رمضان [من الخفيف] :

قد تعدّوا على الصيام وقالوا ... حُرِمَ الصَّبُّ فيه حسنَ العوائدْ
كذبوا في الصيام للمرء مهما ... كان مستيقظاً أتمّ الفوائدْ
موقفٌ بالنهار غير مريبٍ ... واجتماعٌ بالليل عند المساجدْ

وقال [من الكامل] :

راسلت من أهواه أطلب زورةً ... فأجابني أو لست في رمضانِ ؟
فأجبته والقلب يخفق صبوةً ... أتصوم عن برٍّ وعن إحسان[2]
صمْ إن أردت تحرُّجاً وتعفُّفاً ... عن أن تكدّ الصبَّ بالهجران
أولاً فزرني والظلام مجللٌ ... واحسبه يوماً مرّ في شعبان

وقال في مرض علوي [من الكامل] :

يا سيداً أفديه عند شكاتِهِ ... بالنفس والولد الأعزّ وبالأبِ
لم لا أبيت على الفراش مسهّداً ... وقد اشتكى عضوٌ من اعضاءِ النَّبيِّ

---

(١) الناصب : الذي يضمر العداء لآلِ البيت .
(٢) الصبوة : الميل والحنان والشوق .

وقال يرثي أبا الحسن السلمي [من الطويل] :

إذا ما نعى الناعون أهل مودّتي بكيت عليهمْ بل بكيت على نفسي
نعوا مهجة السلمي وهي سلامةٌ غلبت عليها فالسلام على الأنس

وقال يرثي أبا منصور كثير بن أحمد [من الطويّل] :

يقولون لي أودي كثيرُ بن أحمدٍ وذلك رزءٌ في الأنام جليلُ
فقلت دعوني والعلا نبكه معاً فمثل كثير في الرجال قليلُ

وقال [من الكامل] :

يا أهل سارية السلام عليكُمُ قد قلَّ في أرضيكم الخطباءُ
حتى غدا الفأفاء يخطب فيكم ومن العجائب خاطبٌ فأفاء[1]

وقال في أخوين صبيح وقبيح [من السريع] :

يحيا حكى المحيا ولكنْ له أخٌ حكى وجه أبي يحيى

وقال [من الطويل] :

لقد صدقوا والراقصاتُ إلى منى بأنّ مودّات العدى ليس تنفعُ
ولو أنّني داريتُ عمريَ حيَّةً إذا مكّنت يوماً من اللسع تلسع

وقال [من الوافر] :

إذا أدناك سلطانٌ فزدهُ من التعظيم واحذره وراقبْ
فما السلطان إلاّ البحر عُظْماً وقرب البحر محذور العواقبْ

وقال [من المتقارب] :

وقائلةٍ لمْ عرتكَ الهموم وأمرك ممتثلٌ في الأممْ ؟

---

(١) الفأفاء : التي يكثر من حرف الفاء في كلامه .

فقلــت دعينــي علــى غصّتي   فإن الهمــوم بقــدر الهِمم

* * *

نبذ من ذكر سرقاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : قال بعض ندماء الصاحب له يوماً : أرى مولانا قد أغار في قوله [من الطويل] :

لبســن برود الوشــي لا لتجمّلٍ   ولــكن لصــون الحســن بين برود

على قول المتنبي [من الوافر] :

لبســن الوشــى لا متجمّلاتٍ   ولــكنْ كي يصــنّ به الجمالا

فقال : كما أغار هو بقوله [من المنسرح] :

ما بال هذي النجــوم حائرةٌ   كأنّهــا العمــى ما لهــا قائدُ

على العباس بن الأحنف في قوله [من الكامل] :

والنجــم في كبــد السمــاء كأنّه   أعمــى تحيّــر ما لديه قائدُ

وسمعت أيضاً أبا بكر يقول : أنشدني الصاحب نتفة له منها هذا البيت [من الطويل] :

لئــن هو لم يكففْ عقــارب صدغِهِ   فقولــوا له يسمــح بتــرياق ريقه

فاستحسنته جداً حتى حممت من حسدي له عليه ، ووددت لو أنه لي بألف بيت من شعري .

قال مؤلف الكتاب : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذا البيت ، وحكيت له هذه الحكاية في المذاكرة ، فقال لي : أتعرف من أين

سرق الصاحب معنى هذا البيت ؟ فقلت : لا والله ، قال : إنما سرقه من قول القائل ، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [من مجزوء الرمل] :

لدغت عينك قلبي إنّما عينك عقربْ
لكنِ المصَّةُ من ريقك ترياقٌ مجرّبْ

فقلت : لله در مولانا الأمير ! فقد أوتي حظاً كثيراً من التخصص ، بمعرفة التلصُّص .

قلت : ومعنى قول الصاحب في الثلج [من الخفيف] :

وكأنّ السماء صاهرت الأر ض فكان النثار من كافور

ينظر إلى قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكأن الربيع يجلو عروساً وكأنّا من قطره في نثار

وقول الصاحب [من الطويل] :

يقولون لي كم عهد عينك بالكرى فقلت لهم مذْ غاب بدر دجاها
ولو تلتقي عينٌ على غير دمعةٍ لصارمتها حتى يقال نفاها[1]

مأخوذ لفظ البيت الثاني من قول المهلبي الوزير[من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتني فما تلتقي إلاّ على عبرةٍ تجري

وقول الصاحب [من الخفيف] :

هات مشطاً إلى وليّك عاجاً فهو أدنى إلى مشيب الرءوسِ
وإذا ما مشطت عاجاً بعاجٍ فامشط الآبنوس بالآبنوسِ

---

(١) صارمتها : جفتها وقاطعتها .

مأخوذ من قول أبي عثمان الخالدي [من الخفيف] :

ورأتنــي مشطــت عاجــاً بعاجٍ فامشــط الآبنــوس بالآبنوس

وأخذ قوله [من مجزوء الرجز] :

فـمُ الغــويري إذا فتَّشــته أنتـن فـمْ
كم قلــت إذْ كلّمني واأسفــى علـى الخشـمْ[1]

من قول المهلبي الوزير [من مجزوء الوافر] :

وإن أبصــرت طلعته فوالهفـي علـى العمش[2]

وأخذ قوله في ابن العميد [من الطويل] :

إلــى سيدٍ لولاه كان زماننا وأبنــاؤه لفظــاً عريّاً عن المعنى

من قول المتنبي [من المنسرح] :

* والدهر لفظٌ وأنت معناه *

وقوله في القافية الأخيرة [من الرجز] :

ونــاصـحٍ أسـرف في النكيرِ يقــول لي سدت بـلا نظيرِ
فكيف صغــت الهجــو في حقيرِ مقــداره أقــل مـن نقيرِ[3]
فقلــت لا تنــكر وكن عذيري كم صارمٍ جرِّب في خنزيرِ

من قول الحمدوني [من الطويل] :

* هبوني امرأً جرّبت سيفي على كلب *

---

(١) الخشم : الأنف تغيّرت رائحته من داء فيه فهو أخشم ، وخشم أنفه : اتسع .
(٢) العمش : ضعف البصر مع سيلان دمع العين .
(٣) النقير : القليل ، والنكتة في ظهر النُّواة .

وقوله في البيت الأخير من هذه الأبيات [من الكامل] :

ومهفهفٍ حســن الشمائــل أهيفٍ ... تردى النفــوس بفترتــي عينيهِ[1]
ما زال يبعدنــي ويؤثــر هجرتي ... فجذبــت قلبــي من إســار يديهِ
قالــوا تراجعــه فقلــت بديهةً ... قولاً أقيم مع الــرويّ عليهِ
والله لا راجعتــه ولــو آنه ... كالشّــمس أو كالبّــدر أو كبويهِ

مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

والله لا كلَّمتُــه ولــو أنه ... كالشــمس أو كالبــدرِ أو كالمكتفي

* * *

نبذ مما هجي به الصاحب

*ما زالت الأملاك تُهجى وتُمَدحُ *

قال أبو العلاء الأسدي [من البسيط] :

إذا رأيت مسجــىً في مرقّعةٍ ... يأوي المساجــد حرّاً ضرهُ بادي[2]
فاعلمْ بأن الفتــى المســكين قد قذفتْ ... به الخطــوب إلــى لؤم ابــن عبادِ

وقال أبو الحسن الغويري [من السريع] :

إنْ كــانَ إســماعيل لم يدعني ... لأنّ أكل الخبــز صعــبٌ لديه
فإنّنــي آكل فــي منزلي ... إذا دعانــي ثم أمضــي إليه

---

(١) فترتي عينيه : ذبول أطرافهما .
(٢) مسجّى : ممدّد .

وقال السّلامي [من مجزوء الرمل] :

يا ابن عبّادَ بن عبا سَ بن عبد الله حرها[1]
تنكر الخير وأخرجت إلى العالم كرها

وقال أبو بكر الخوارزمي [من السريع] :

صاحبنا أحواله عاليه لكنّما غرفته خاليهْ
وإنْ عرفت السرّ من دائِه لم تسأل الله سوى العافيهْ

* * *

ذكر آخر أمره

لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وانتابته أمراض الكبر ، جعل ينشد قوله [من الوافر] :

أناخ الشيب ضيفاً لم أردهُ ولكن لا أطيق له مردًّا
رداءٌ للردى فيه دليلٌ تردّى من به يوماً تردّى[2]

ولما كنى المنجمون عما يعرض له في سنة موته قال [من الرجز] :

يا مالك الأرواح والأجسامِ وخالق النجوم والأحكامِ
مدبّر الضياء والظلام لا المشتري أرجوه للإنعام
ولا أخاف الضرَّ من بهرام وإنّما النجوم كالأعلام
والعلم عند الملك العلاّم يا رب فاحفظني من الأسقام
ووقّني حوادث الأيّام وهجنة الأوزار والآثام

---

(١) حرها : أحراه الزمان أنقصه ،وتحرّاه : تعمّده وطلبه .

(٢) الردى : الموت ، وتردّى الأولى بمعنى مات وتردّى الثانية بمعنى ارتدى أي لبس .

هبني لحبٍّ المصطفى المعتام وصنوه وآله الكرام[1]

وكتب بخطه على تحويل السنة التي دلت على انقضاء عمره [من الطويل] :

أرى سنتي قد ضمِّنت بعجائب وربِّيَ يكفيني جميع النوائب
ويدفع عنّي ما أخاف بمنّهِ ويؤمن ما قد خوّفوا من عواقبِ
إذا كان من أجرى الكواب أمرُهُ معيني فما أخشى صروف الكواكب
عليك أيا ربّ السماء توكّلي فحطنيَ من شرِّ الخطوب الحوارب
وكم سنةٍ حذّرتها فتزحزحتْ بخيرٍ وإقبالٍ وجدٍّ مصاحب
ومَنْ أضمرَ اللهم سوءاً لمهجتي فردّ عليه الكيد أخيب خائب
فلست أريد السوء بالناس إنّما أريد بهم خيراً مريع الجوانب[2]
وأدفع عن أموالهم ونفوسهمْ بجدّي وجهدي باذلاً للمواهب
ومن لم يسعه ذاك منّي فإنّني سأكفاه إنّ الله أغلبُ غالب

وبلغته عن بعض أصحابه شماتة فقال [من الطويل] :

وكم شامتٍ بي بعد موتي جاهلاً بظلمي يسلُّ السّيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا يناله من الظُّلم بعدي مات قبل مماتي

ووجد في بعض أيام مرضته التي توفي فيها خفة ، فأذن للناس ، وحل وعقد وأمر ونهى ، وأملى كتباً تعجب الحاضرون من حسنها ، وفرط بلاغتها ، وقال [من مجزوء الرجز] :

كلامنا من غررٍ وعيشنا من غررِ
إنّي وحقٍّ خالقي على جناح السفرِ

---

(١) المعتام : أفضل الخلق .
(٢) المريع : الهنيء الناعم الخصب .

ثم لما كانت ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة انتقل إلى جوار ربه ومحل عفوه وكرامته ، ومضى من الدنيا بمضيه رونق حسنها وتاريخ فضلها ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه بمنه وكرمه !! .

* * *

أنموذج من مراثيه

من قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء الإصبهاني تغمّده الله برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ! [من البسيط] :

يا كافيَ الملك ما وفّيتُ حظّك مِنْ ... وصفٍ وإن طال تمجيدٌ وتأبينُ
فتّ الصفات فما يرثيك من أحدٍ ... إلاّ وتزيينه إيّاك تهجينُ
ما متّ وحدك لكنْ مات من ولدتْ ... حواءُ طرّاً، بل الدنيا ، بل الدّينُ
هذي نواعي العلا مذْ متّ نادبةً ... من بعد ما ندبتك الخرَّد العين[1]
تبكي عليك العطايا والصّلات كما ... تبكي عليك الرعايا والسّلاطين
قام السعاة وكان الخوف أقعدهم ... فاستيقظوا بعد ما متّ الملاعين
لا يعجب الناس منهم إن همُ انتشروا ... مضى سليمان وانحلَّ الشياطين

ما أحسن هذا المثل ، وأمكن موقعه !!

ومن قصيدة أبي الفرج بن ميسرة [من الوافر] :

ولو قُبلَ الفداءُ لكان يفدى ... وإن جلّ المصاب على التّفادي
ولكنَّ المنون لها عيونٌ ... تكدُّ لحاظها في الانتقاد
فقلْ للدّهر أنت أصبت فالبسْ ... برغمك دوننا ثوبيْ حِداد
إذا قدّمتَ خاتمة الرزايا ... فقد عرّضتَ سوقك للكساد

---

(١) الخرّد : العذراوات .

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

أبعد ابن عباسٍ يهِشُّ إلى السّرى أخو أملٍ أو يستماح جوادُ[1]
أبى الله إلاّ أن يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معادُ

ومن قصيدة أبي الفياض سعيد بن أحمد الطبري [من الوافر] :

خليليْ كيف يقبلك المقيل ودهرك لا يُقيل ولا يَقيل[2]
ينادي كلّ يومٍ في بنيه ألا هبّوا فقد جدَّ الرحيلُ
وهم رجلان منتظرٌ غفولٌ ومبتدرٌ إذا يدعى عجول
كأنّ مثال من يفنى ويبقى رعيلٌ سوف يتلوه رعيل
فهمْ ركبٌ وليس لهم ركابٌ وهمْ سفرٌ وليس لهمْ قفول
تدور عليهمُ كأس المنايا كما دارت على الشَّرب الشمول[3]
ويحدوهم إلى الميعاد حادٍ ولكن ليس يقدمهم دليل
ألم تر من مضى من أوّلينا وغالتهم من الأيام غول
قد احتالوا فما دفع الحويلُ وأعولنا فما نفع العويل
كذاك الدهر أعمارٌ تزول وأحوالٌ تحول ولا تؤول
لنا منه وإن عفنا وخفنا رسولٌ لا يصاب لديه سول
وقد وضح السبيل فما لخلقٍ إلى تبديله أبداً سبيل
لعمرك إنّه أمدٌ قصيرٌ ولكنْ دونه أمدٌ طويل
أرى الإسلام أسلمه بنوه وأسلمهم إلى ولهٍ يهول
أرى شمس النهار تكاد تخبو كأنّ شعاعها طرْفٌ كليل

---

(١) السُّرى: المسير ليلاً ، ويستماح : يطلب جوده وسماحه .

(٢) يقيل : يريح ، ويَقيل : يُقيل ويميل .

(٣) المنايا : الموت ، والشمول : الخمرة .

أرى القمـر المنير بدا ضئيلاً ... بلا نورٍ فأضناه النّحول

أرى زهـر النجـوم محدّقاتٍ ... كأنّ سراتهـا عورٌ وحول[1]

أرى وجـه الزمـان وكلّ وجهٍ ... بـه ممّـا يكابـده فلول

أرى شمَّ الجبـال لهـا وجيبٌ ... تكاد تذوب منـه أو تزول[2]

وهـذا الجـوُّ أكلفُ مقشعرٌ ... كأنّ الجـوَّ من كمـدٍ عليل[3]

وهـذي الـريح أطيبهـا سمومٌ ... إذا هبّـت وأعذبهـا بليل

وللسحـب الغـزار بكلٍّ فجٍ ... دمـوعٌ لا يذاد بهـا المحول

نعـى الناعـي إلـى الـدنيا فتاها ... أميـن الله فالـدنيا ثكـول

نعـى كافـي الكفـاة فكلُّ حرٍّ ... عزيزٌ بعـد مصرعـه ذليلُ

نعـي كهف العفـاة فكلُّ عينٍ ... بمـا تقـذى العيون به كحيل[4]

كأنّ نسيم تربتـه سحيـراً ... نسيم الـروض تقبلـه القبول

إذا وافـى أنـوف الـركب قالوا ... سحيق المسـك أم تربٌ مهيل

أيا قمـر المـكارم والمعالي ... أَبِـنْ لي كيف عاجلك الأفول

أَبِـنْ لي كيف هالك ما يهول ... وغـالك بعـد عزّك ما يغول

ويا من ساسَ أشتـات البرايا ... وألجـم من يقـول ومـن يصولُ

أدلـتَ علـى اللّيالـي من شكاها ... وقد جارت عليك فمن يـديـل[5]

بكاك الـدّين والـدّنيـا جميعاً ... وأهلهمـا كمـا يُبـكى الحمول[6]

بكتـك البيض والسمـر المواضي ... وكنـت تعولهـا فيمـن تعول

---

(١) زهر النجوم : بيضهنّ ، ومحدّقات : ناظرات .

(٢) الوجيب : الخفقان والاضطراب .

(٣) أكلفُ : تغيَّر لونه وتكدّر .

(٤) القذى : ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .

(٥) أدلت : أظفرت ، ويديل يعين .

(٦) الحمول : الميت الذي يحمل .

بكتــك الخيل معولــةً ولكنْ بكاهــا حين تندبــك الصهيل
قلــوب العــالمين عليك قلبٌ وحظّــك مــن بكائهــم قليل
ولــي قلــبٌ لصاحبــه وفيٌّ يسيل وتحتــه روحٌ تسيل
إذا نظمــت يدي في الطّــرس بيتاً مجــاه منــه منتظــمٌ هطول
فإن يك ركٌّ شعــري من ذهولي فذلك بعض ما يجنــي الذهول[1]
كتبــت بمــا بكيت لأن دمعي عليك الدهــر فياضٌ همول[2]
وكنــت أعــدّ من روحــي فداءً لروحــك إن أريد لهــا بديل
أأحيا بعــده وأقــرُّ عيناً حياتــي بعــده هدرٌ غلول
حياتــي بعــده موتٌ وحيٌّ وعيشــي بعــده سمٌّ قتول[3]
عليك صلاة ربّــك كلَّ حينٍ تهــبُّ بهــا من الخلــد القبول

ومن قصيدة الشريف أبي الحسن الرضي الموسوي النقيب [من الكامل] :

أكذا المنــون يقطــر الأبطالا أكذا الزمــان يضعضــع الأجبالا
أكذا تصــاب الأســد وهــي مدلّةٌ تحمــي الشّبــول وتمنع الأغيالا
أكذا تقــام عن الفــرائس بعدما ملأت هماهمهــا الــورى أوجالا[4]
أكذا تحــطّ الزاهــرات عن العلا من بعــد ما شاق العيون منالا
أكذا تكبّ البــزل وهــي مصاعبٌ تطــوي البعيد وتحمــل الأثقالا
أكذا تغاض الزاخــرات وقــد طغتْ لججــاً وأوردت الظمــاءَ زلالا[5]
يا طالــب المعــروف حلّــقَ نجمه حــطَّ الحمــول وعطِّــلَ الأجمالا

---

(١) ركّ : من الركاكة أي ضعف .
(٢) همول : ممطر .
(٣) موت وحيٌّ : بفتح الواو وتشديد الياء أي سريع .
(٤) هماهما : زئيرها وأصواتها ، وأوجالاً : خوفاً .
(٥) الزلال : الماء البارد المنعش .

وأقم على يأسٍ فقد ذهب الذي كان الأنام على نداه عيالا
من كان يقري الجهل علماً ثاقباً والنقص فضلاً والرجاء نوالا
ويجبِّنُ الشجعان دون لقائه يوم الوغى ويشجّع السؤآلا
خلع الردى ذاك الرداء نفاسةً عنّا وقلّص ذلك السربالا
خبرٌ تمخّض بالأجنة ذكره قبل اليقين وأسلف البلبالا
حتى إذا جلّى الظنون يقينه صدع القلوب وأسقط الأحمالا
الشكُّ أبرد للحشى في مثله يا ليت شكّي فيه دام وطالا
جبلٌ تسنَّمتِ البلاد هضابه حتّى إذا ملأ الأقالم زالا
يا طودُ كيف وأنت عاديّ الذّرى ألقى بجانبك الرّدى زلزالا[1]
ما كنت أوّل كوكبٍ ترك الدّنا وسما إلى نظرائه فتعالى[2]
أنفاً من الدنيا تبتُّ حبالها ونزعت عنك قميصها الأسمالا[3]
لا رزء أعظم من مصابك إنّه وَصَلَ الدّموع وقطّع الأوصالا
إنْ قطّع الآمال منك فإنّهُ من بعد يومك قطّع الآمالا
يا آمر الأقدار كيف أطعتها أو ما وقاك جلالك الآجالا
هلاّ أقالتك الليالي عثرةً يا منْ إذا عثر الزّمان أقالا[4]
وأرى الليالي طارحاتُ حبالها تستوهقُ الأعيان والأرذالا[5]
يبرين عود النّبع غير فوارقٍ بين النّبات كما برين الضالا[6]
لا تأمن الدنيا عليك فإنّها ذات البعول تبدّل الأبدالا

---

(١) الطود: الجبل: وعاديّ الذرى: قديمها ومنيعها.
(٢) نظرائه: أشباهه.
(٣) تبتّ: تقطع، والأسمال: الثياب البالية.
(٤) أقال: حمى ومنع.
(٥) الوهق: محركة وبسكن: الحبل يرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والانسان، واستوهق: صنع الوهق، وأراد هنا معنى اصطاد.
(٦) النبع شجر، والضالا: الضّلل: الماء الجاري تحت الشجر.

كم حجةٍ في الدين خضت غمارها   هدر الفنيق تخمّطا وصيالا[1]

بسنان رمحك أو لسانك موسعاً   طعناً يشقّ على العدى وجدالا

إن نكّس الإسلام بعدك رأسه   فلقد رزى بك موئلاً ومآلا

واهاً على الأقلام بعدك إنّها   لم ترضَ بعد بنان كفّك آلا

أفقدن منك شجاع كلّ بلاغةٍ   إنْ قال جلّى في المقال وجالا

من لو يشا طعن العدى برءوسها   وأثار من جريانها قسطالا[2]

سلطان ملكٍ كنت أنت تعزّهُ   ولربَّ سلطانٍ أعزُّ رجالا

إنّ المشمِّر ذيله لك خيفةً   أرخى وجرّر بعدك الأذيالا[3]

طلبوا التراث فلم يروا من بعده   إلاّ علاً وفضائلاً وجلالا

هيهاتَ فاتهُمُ تراثُ مخاطرٍ   جمع الثّناء وضيّع الأموالا

قد كان أعرف بالزمان وصرفِهِ   من أن يثمِّرَ أو يجمِّع مالا

مفتاحُ كلِّ ندىً ، وربّ معاشرٍ   كانوا على أموالهمْ أقفالا

كان الغريبة في الزّمان فأصبحوا   من بعد غارب نجمه أمثالا

من فاعلٌ من بعده كفعاله   أو قائلٌ من بعده ما قالا

سمِعٌ يرفّع للسؤال سجوفَهُ   ويحجّب الأهزاج والأرمالا[4]

يا طالباً من ذا الزمان شبيهه   هيهات كلّفت الزّمان محالا

إنّ الزمان أضنُّ بعد وفاته   من أن يعيد لمثله أشكالا

وأرى الكمال جنى عليه لأنّه   غرضُ النوائب من أُعيرَ كمالا

صلى الإلّه عليك من متوسدٍ   بعد المهاد جنادلاً ورمالا

كسف البلى ذاك الهلال المجتلى   وأجرّ ، ذاك المقول الجوالا

---

(١) التخمّط : الهدير، والصيال : المصاولة .

(٢) القسطل : غبار الجيش الكثيف .

(٣) جرّر الأذيال : تاه زهواً وعجباً .

(٤) السجوف : الستائر ، والأهزاج والأرمال من الهزج والرمل ـ وهما وزنان من أوزان الشعر .

ورأيت كلَّ مطيةٍ قد بُدِّلتْ ... من بعد يومك بالزّمام عقالا
لمن الضوامر عرّيت أمطاؤها ... حول الخيام تنازع الأطوالا[1]
بدِّلن من لبس الشكيم مقاوداً ... مربوطةً ومن السروج جلالا[2]
فجعت بمنصلتٍ يعرِّض للقنا ... أعناقها ويحصن الأكفالا
طرح الرجال لك العمائم حسرةً ... لما رأوك تسير أو إجلالا
قالوا وقد فجئوا بنعشك سائراً ... من ميِّل الجبل العظيم فمالا
وتبادروا عطَّ الجيوب وعاجلوا ... عضَّ الأنامل يمنة وشمالا[3]
ما شقّقوا إلاَّ كساك وآلموا ... إلاّ أنامل نلن منك سجالا[4]
من ذا يكون معوّضاً ما مزقوا ... ومعوّلاً لمؤمّلٍ وثمالا
فرغت أكفٌّ من نوالك بعدها ... وأطال عظمُ مصابك الأشغالا
أعزز عليَّ بأنْ يبدّل زائرٌ ... بعد التهلّل عندك استهلالا
أو أن يناديك الصريخ لكربةٍ ... حشدت عليه فلا تحير مقالا[5]
قد كنت آمل أن أراك فأجتني ... فضلاً إذا غيري جنى أفضالا
وأفيد سمعك منطقي وفضائلي ... وتفيدني أيّامُك الإقبالا
وأعدُّ منك لريب دهري جنَّةً ... تثني جنود خطوبه فلاّلا[6]
فطواك دهرك طيٌّ غير صيانةٍ ... وأعاد أعلام العلا أغفالا
قبرٌ بأعلى الريِّ شُقَّ ضريحه ... لأغرَّ حفّزه الردّى إعجالا
فرعاه من أرعى البرية سيبه ... وسقاه من أسقى به الآمالا
إنْ يمسِ موعظة الأنام فطالما ... أمسى مهاباً للورى ومهالا

---

(١) الأطوال : أي الحبال المربوطة بها .
(٢) الشكيم : جمع شكيمة ، وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .
(٣) عطّ الثوب : شقّه .
(٤) سجالا : عطاءً وكرماً .
(٥) الصريخ : المستغيث .
(٦) الجنّة : الدرع ، وفلاّلا : منهزمين ، وفلّ السيف : تصدع وتشقق .

لنسلّي الدنيا عليه فإنّها   نزعت به الإحسان والإجمالا

ولأبي العباس الضبي وقد مر بباب الصاحب [من الخفيف] :

أيها الباب لم علاك اكتئابُ   أين ذاك الحجابُ والحجّابُ ؟
أين من كان يفزع الدهر منه   فهو اليوم في التراب تراب ؟!

ولبعض بني المنجم لما استوزر أبو العباس الضبيّ ولقب بالرئيس وضم إليه أبو علي ولقب بالجليل بعد موت الصاحب تغمده الله برحمته آمين [من البسيط] :

والله والله لا أفلحتُمُ أبداً   بعد الوزير ابن عباد بن عباس
إن جاء منكُمْ جليلٌ فاجلبوا أجلي   أو جاء منكم رئيسٌ فاقطعوا راسي

وأنشدني أبو العباس العلوي الهمذاني الوصي لنفسه في مرثية الصاحب [من مجزوء الكامل] :

مات الموالي والمحبّ لأهل بيت أبي ترابِ
قد كان كالجبل المنيع لهم فصار مع الترابِ

وأنشدني أيضاً فيه لنفسه [من الكامل] :

نومُ العيون على الجفون حرام   ودموعهنَّ مع الدماء سجام[1]
تبكي الوزير سليل عبّاد العُلا   والدّين والقرآن والإسلام[2]
تبكيه مكّة والمشاعرُ كلّها   وحجيجها والنُّسك والإحرام
تبكيه طيبة والرسول ومن بها   وعقيقها والسهل والأعلام[3]
كافي الكفاة قضى حميداً نحبه   ذاك الإمام السيد الضرغام

---

(١) سجام : من سجم الدمع أي ذرفه .
(٢) العلا : فاعل تبكي ، وحذف التنوين من « عباد » لإقامة الوزن .
(٣) طيبة : المدينة المنورة .

مات المعالــي والعلــوم بموته فعلى المعالــي والعلــوم سلام

ولبعض أهل نيسابور من قصيدة [من الهزج] :

ألا يــا غــرّة العليــا ألا يـــا نكبــة الدّنيــا

وشـــمـــس الأرض فـــرد الـــدهـــر عيـــن الســؤدد اليمنـــى

أمـــا اســتحيا أبـــو يحيى لفضّ المهجــة الكبرى

لئِـــنْ ختمـــتْ بك الدنيا لقــد فتحـــت بك الأخرى

* * *



الباب الرابع

١٧ - في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبّي
وملح من نثره ونظمه

هو جذوة من نار الصاحب أبي القاسم ، ونهر من بحره ، وخليفته النائب منابه في حياته ، القائم مقامه بعد وفاته ، وكان الصاحب استصحبه منذ الصبا ، واجتمع له الرأي والهوى ، فاصطنعه لنفسه ، وأدّبه بآدابه ، وقدمه بفضل الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه ، وخرج به صدراً يملأ الصدور كمالا ، ويجري في طريقه ترسّماً وترسلاً ، وفي ذرى المعالي توقلا ، وتحقق قول أبي محمد الخازن فيه من قصيدة [من المنسرح] :

تزهى بأترابها كما زهيتْ ... ضبّة بالماجدين ماجدها
سماؤها شمسها غمامتها ... هلالها بدرها عطاردها
يروى كتاب الفخار أجمع عن ... كافي كفاة الورى وواحدها

وقوله فيه من أخرى [من البسيط] :

نماه ضبّة في أزكى مناصبه ... فخراً وأوطاه الشعرى وأمطاه[1]
يعطي ويخفي ولا يبغي الثناء به ... حتى كأنَّ الذي أعطاه غطّاه
يسير يوم الوغى والدّهر يقدمه ... كأنّما الدّهر أيضاً من سراياه

---

(١) نماه : أي أنّه ينتمي إلى أعرق بيت في ضبّة، وأوطأه :أي جعله يطأ ، وأمطاه جعله يمتطي صهوة الشرف فيها .

وإن بدا أحيت الآمال طلعته حتَّى تقدَّر محياها محيَّاه
ومنْ يوالي ابن عبَّادٍ مخالصةً يحزْ سعادة دنياه وأخراه
فما الصّنائع إلاّ ما تخيَّره وما الودائع إلاّ ما تولاّه
فاسلمْ ودمْ أيّها الأستاذ مبتهجاً وخذْ من العيش أصفاه وأضفاه
فقد تقيّلت في الجدوى معالمه كما توخّيت في الجلّى قضاياه[1]

وقد كانت بلاغة العصر بعد الصاحب والصابي ، بقيت متماسكة بأبي العباس وأشرفت على التهافت بموته ، وكادت تشيب بعده لمم الأقلام ، وتجف غدر محاسن الكلام[2] ، لولا أن الله تعالى سد ببقاء الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد ثلم الأدب والكتابة[3] ، وداوى بالدفاع عن نفسه كلم البلاغة والبراعة . وجعله فرد الزمان ، ولسان خراسان، وكافل يتم الفضل ، ومنفق سوق النثر والنظم . وسيمر بك في القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله من نثره الذي هو نثر الورد ، ونظمه الذي هو نظم العقد ، ما ينير به الليل المظلم ، وينصف به الدهر الظالم .

* * *

لمع من نثر أبي العباس

فصل من كتاب له في الصاحب في ذكر أحمد بن عضد الدولة

وكنت أستحضر كاتبه ، بل كاذبه ، وأحذره سراً ، وأبصره جهراً ، وهو يروغ روغان الثعالب ، ويتفادى تفادي الموارب ، وقد كنت منعت المستأمنة

---

(١) تقيّلت :تتبّعت،والجلّى : العظيم من الأمور .
(٢) غُدُر : جمع غدير حيث يجتمع الماء .
(٣) الثلم : النقص والعيب .

والمنهزمة أول مورده ، من تكثير عدده ، علماً بأنهم مؤن بلا منن ، وعناء بلا غنى .

فصل له من كتاب إلى أبي سعيد الشيبي

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن ، بل جنة عدن ، في شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

وبعد ، فإنّ المنازعين للأمير حسام الدولة نسور ، قد اقتنصتها العصور ودولته حرسها الله في إبان شبابها واعتدالها ، وريعان إقبالها واقتبالها . قد أسست على صلاح وسداد ، وعمارة دنيا ومعاد . فهي مؤذنة بالدوام ، في ظلّ أساورة الإسلام .

(ومنها) فبينا نحن في تجهيز الخيول ليوصل إلى إيثاره ، ويؤخذ له بثاره إذ جنّ . فقلب لنا المجنّ[1] ، ثم لم يقنعه العصيان والكفران حتى أراد الاستيلاء على البلد ، والجناية على النفوس والأهل والولد ، ونظر إليّ فقال : كاتب ، لا منازع ومحارب ، نعم وقال من يشجع من الديلم لهز الزانة في صدري[2] وتجريد السيف في وجهي ، ولم يدر أن دولة مولانا لو أنكرت الفلك لكفته عن مجراه ، وأن تدبير الصاحب لو رصد النجم لصده عن مسراه ، وأنه مصطنعي ، فلم يعتمدني لأعظم الأمور ، وأهم الثغور ، إلا وقد زرع في أرض تريع ، ووكل السرح إلى من لا يضيع .

---

(١) المجن : الترس .

(٢) لهز الزانة : اللهز : الطعن، والزانة : من الزان وهو شجر طويل مستقيم الجذع ، ويقصد بها « الرمح » .

فصل من كتاب له إلى أبي علي وأبي القاسم العلويين
في التعزية عن أبيهما أبي الحسين بن أبي محمد رضي الله تعالى عنهم !

كتابي - أطال الله بقاء الشريفين - والدهر ينعي مهجته ، والمجد يندب بهجته ، والشرف محصور في قبضة حينه ، والفضل مفجوع بناظر عينه ، والذكر الجميل مجدّل لمصرعه ، والخلق الوسيع موسّد في مضجعه ، ورسم المحاسن داثر عاف ، وشخص المكارم حاسر حاف . ومهابط الوحي والرسالة تحني ظهرها أسفاً ، ومعادن الوصية والإمامة تذري دمعها لهفا ؛ وبقاع الحرمين متسلية على نجمها الآفل ، ولابسة ثوب الحداد لركنها المائل ، ويد المواساة مقبوضة عن معونة العاني الذليل[1] ، ولسان الجود معتذر إلى ابن السبيل ، وطوائف العفاة تبكي العيش الرطيب والربع الرحيب . والمشارع المعصومة من درن الضنٍّ ، والموارد المحروسة من كدر المنٍّ ، وذوو الحاجات في حسرات مجددة ، وزفرات مرددة ، قد أقامت منهم حانية الضلوع ، وأطارت عنهم قلوباً دامية الصدوع . وبنو الآمال عابسة وجوههم ، منكسة رءوسهم « يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم » ذلك لأن حادث قضاء الله - جل وجهه - استأثر بفرع النبوة ، وعنصر الدين والمروة ، وعصرة العدد الجم[2] ، ونجدة أهل العلم والفهم ، فالدموع واكفة[3] ، والصدور راجفة ، والهم وارد ، والأنس شارد ، والناس مأتمهم عليه واحد ، ومعاقد الصبر الجميل بعده منقوضة ، وقواعد البر والخير مخفوضة . فلولا أن الدهر مشحون بطوارق الغِيَرْ ، مشوب صفو أيامه بالكدر ، ممزوج صابها بالعسل[4] ، موصول

---

(١) العاني : المحتاج والمعدم .

(٢) وعصرة العدد الجمّ : أي الزّبد المستخرج من الكثير بعد مخاض واعتمال كناية عن الشرف وعدم المماثلة والشبه .

(٣) واكفة : هاطلة .

(٤) الصاب : المرّ .

حبال الأمل فيها بأسباب الأجل يفطم أمام تكامل الرضاع ، ويفرق قبل الإمتاع بحسن الاجتماع . فمن اعتصم بتوفيق الله عز اسمه ، ورضي بما نفذ به حكمه . لبس في وجوه الحوادث جنة ، لا تنضوها الشدائد ، وأكد في مصابرة النوائب منة ، لا تنقضها الخطوب الأوابد . وأخذ في الصدمة الأولى بالحزم ، وذخيرة العزم ، ففاز بالغنم الأكبر ، والحظ الأشرف الأوفر ، ومن اتبع هواه ، وأرتع دينه لدنياه ، فتهالك في القلق المذموم ، وتقاعس عن الرضى بالقدر المحتوم ، ظهر في شعار المستكبرين على الله ، والمنكرين التأدب بأدب الله فعظم مصابه ، وعدم ثوابه ، وكان إلى الصبر بعد اقتران الوزر مآله ومآبه ، لأريت المحققين برعاية المعهود ، وتأبين الحبيب المفقود ، كيف تتحمل الأرزاء ، ويحرم العزاء ، ويطاع داعي الوله ، ويراع جانب القلب المرفه .

(ومنها) وعرف كل من ورد وصدر ، وبدأ وحضر ، أن من قبض فاستوحش الأنس بمفارقته ، واستبشرت الملائكة لمرافقته ، وكان مثل الشريفين ريحانة روضه ، والبارد العذب من فيضه ، والثمر الحلو من دوحته ، والورق النضر من نبعته ، والشاهد العدل لمآثره ، والمشيد الندب لمناقبه ومفاخره ، فهو في حكم الخالد وإن أصبح فانياً، والمقيم في أهله وإن أضحى بالعراء ناوياً ، عزيت الشريفين أدام الله تعالى عزهما ، عما ألم بساحتهما من الخطب ، ولسان جزعي أنطق ، وعرضت لهما بواجب السلو ، وحاجتي إلى من يصرح لي به أصدق ، ولكني جريت على سنة للدين محمودة ، وعادة بين الأحباب معهودة ، تركت أفراد كل من الأشراف سادتي إخوة الشريفين ، حرس الله عليهم ما خولهم من كرم محض ، وخلق غضّ ، وأحسن متاع بعضهم ببعض ، بالمخاطبة فيما اقتضاه حكم الحادثة ، إذ كانت فروعهم بإذن الله متشابكة ، ونفوسهم في السرّاء والضراء متشاركة ، وقلوبهم على الصفاء متعاقدة ، ومهجاتهم ـ لا زالت مصونة ـ مهجة واحدة .

* * *

ملح من نظمه

قال [من الوافر] :

ترفَّـق أيُّهـا المولـى بعبدٍ   فقـد فتنـت لواحظـك النّفوسا
وأسـكرت العقـول فليس ندري   أسحـراً ما تسقّـي أم كؤوساً

وقال وهو مما يتغنى به [من الوافر] :

ألا يا ليت شعـري ما مرادكْ   فقلبـي قد أضـرّ به بعادكْ
وأيٌّ محاسـنٍ لك قد سباني   جمـالك أم كمـالك أم ودادكْ
وأيٌّ ثلاثـة أوفـى سواداً   أخـالك أم عذارك أم فؤادكْ

وقال [من مجزوء الكامل] :

لا تركنـنَّ إلـى الفـرا   ق فإنّـه مـرُّ المـذاق
الشـمس عنـد غروبهـا   تصـفـرُّ من فرق الفراق[1]

وكتب إلى الصاحب [من الطويل] :

أكافـي كفـاة الأرض ملـكك خالدٌ   وعـزُّك موصـولٌ فأعظِـمْ بهـا نُعمى
نثـرت علـى القرطـاس درّاً مبدّداً   وآخـر نظمـاً قد فرعـت به النجما[2]
جواهـر لو كانـت جواهـر نظّمت   ولكنّهـا الأعـراض لا تقبـل النظما

وقال في وصف الدجاج وهو المسمى بالفارسية سنكين سر [من المتقارب] :

وطيرين قد ألفـا مرقدي   نديمين لي فيـه حتّـى الصباح

---

(١) الفرق : الخوف .

(٢) فرعت : ثقبت وسلكت النجوم في سلكه .

أرى من وشائع متنهيما نجوماً مرصّعة في وشاح[1]
وسرّي عندهما لا يذيع ولا خوف واشٍ ولا خوف لاح
يسرّانني بصفيريهما خفيفين عند انتشار الجناح
صفيرٌ يعيد شريد الرّقاد وشجو يحثُّ على شرب راح
سقى بلد الهند مغناهما سماءً من المزن غمر السماح
ولا زال وكراهما عامرين بنسلٍ مباحٍ وخيرٍ متاح

ومما قرأته بخطه في الأوصاف والتشبيهات من شعره ، وكان أنفذه إلى أبي سعيد نصر بن يعقوب ، ليضمنه كتابه كتاب « روائع التوجيهات ، في بدائع التشبيهات » ، قوله في الثريا ، وهو مسبوق إليه قديما [من مجزوء الرجز] :

خِلْتُ الثريّا إذ بدتْ طالعةً في الحندس[2]
سنبلةً من لؤلؤ أو باقةً من نرجس

وقوله فيها [من مجزوء الرجز] :

إذا الثريّا اعترضتْ عند طلوع الفجر
حسبتها لامعةً سنبلةً من درٍّ

وقوله في قصر الليل [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ أقصر منْ فكريَ في مقدارها
بدت لعيني وانجلتْ عذراء من قرارها

وقوله في طول الليل [من مجزوء الخفيف] :

ربَّ ليلٍ سهرته مفكّراً في امتداده

---

(١) الوشائع : جمع وشيعة ، وهي الأعلام والنقوش .
(٢) الحندس : الظلام .

كلّما زدت رعيه زادني من سواده
فتبيّنت أنّه تائهٌ في رقاده
أو تفانت نجومه فبدا في حداده

وقوله في الأترج [من الكامل] :

أو ما ترى الأترج منضوداً لنا سطراً كأشخاصٍ جثون على الركبْ
وكأنّما أجسادها وجسادها صور السلاحف قد صنعن من الذهبْ

وقوله في النمام [من السريع] :

قلت لمن أحضرني زهرةً ومجلسي بالأنس بسَّامُ
وقرّة العينين نيل المنى عندي ولا سامٌ ولا حام
تجنّب النمام لا تجنه فإنما النّمام نمَّامُ[1]
أخشى علينا العين من أعينٍ يبعثها بالسوء أقوام

وقوله في الشيب [من مجزوء الكامل] :

قالوا اكتهلت فقلت ليلُ لابسٌ برديّ نهار
هل حسن كافورٍ كمسكٍ في حكومة ذي اعتبار
وشهوبةٌ في عنبرٍ كشبيبة في لون قار[2]
وفضيلةٌ للشّيب أخرى وهي أبَّهة الوقار

أين هذا من قول البحتري [من الخفيف] :

وبياض البازيِّ أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

---

(١) النمّام : نوع من الزّهر، والنمّام : الواشي .
(٢) الشهوبة : البياض الذي غلب عليه ، والقار : الأسود السواد .

وكتب إلى أبي مسلم محمد بن الحسن [من الخفيف] :

يــا أبــا مســلــمٍ سلمت علــى الــدهــر خديــن العــلا أميــن الجليــس[1]
بعـض إخوانـنـا تشهّــى علينا كرمــاً منــه مستطــاب الهريس
وقــديد السكبــاج بالأكبــر العذ ب ومغمــومــةٌ منّــي للجليس
واتخذنـا الجميع وهــي كمــا تذ كر نعـم الفــراش للخندريس[2]
وإذا شئــت أن تساعــد فيها كنــت فينـا الــرئيس وابــن الرئيس

* * *

---

(١) الخدين : الصديق .

(٢) الخندريس : الخمر مشتقٌ من الخدرسة ، وحنطةٌ خندريس : أي قديمة .



الباب الخامس

في محاسن أشعار أهل العصر من إصبهان

لم تزل إصبهان مخصوصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء ، وفحولة الكتاب والشعراء ، فلما أخرجت الصاحب أبا القاسم وكثيراً من أصحابه وصنائعه . وصارت مركز عزه ، ومجمع ندمائه ، ومطرح زواره ، استحقت أن تدعى مثابة الفضل ، وموسم الأدب ، وإذا تصفحت كتاب إصبهان لأبي عبد الله حمزة بن الحسين الإصبهاني وانتهيت إلى ما أورد فيه من ذكر شعرائها وشعراء الكرخ المقطعة عنها ، وسياقة عيون أشعارهم ، وملح أخبارهم ، كمنصور بن باذان ، وأبي دلف العجلي ، وأخيه معقل بن عيسى ، وبكر بن عبد العزيز ، وأحمد بن علويه ، والنضر بن مالك ، وعلي بن المهلب ، وأبي نجدة ، وأحمد ابن القاسم الديمرتي ، وأبي عبد الله تاج الكاتب ، وسهلان بن كوفي ، وصالح ابن أبي صالح ، وأحمد بن واضح ، ومحمد بن عبد الله بن كثير ، وعبد الرحمن ابن مندويه ، وأبي بكر بن بشرويه ، وابن زرويه ، وأبي الهدهد ، وأبي قتيبة ، ومحمد بن غالب ، والحسن بن إسحاق بن محارب ، وأبي بكر الزبيري ، وأبي علي بن رستم ، وأبي مسلم بن بحر ، وأبي الحسين بن طباطبا ، وابن كره ، والنوشجان بن عبد المسيح ، وعلي بن حمزة بن عمارة، وإبراهيم بن سيارة الكادوسي ، وأبي جعفر بن أبي الأسود ، وأبي سعد بن نوفة ، وأبي العباس بن أحمد بن معمر ، وأبي عمرو همام ، وأبي سوادة ، وأبي القاسم بن أبي سعد ،

وغيرهم ، ثم تأملت هذا الباب من كتابي هذا ، وقرأت ما ينطق به من ذكر شعرائها العصريين وغرر كلامهم، كعبدان الإصبهاني المعروف بالخوزي ، وأبي سعيد الرستمي ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن ، وأبي العلاء الأسدي ، وأبي الحسن الغويري ـ حكمت لها بوفور الحظ من أعيان الفضل ، وأفراد الدهر ، وساعدتني على ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها ، وصحة ترتبها ، وعذوبة مائها ، في طباع أهلها ، وعقول أنشائها ، وأرجع إلى المتن فقد طال الإسناد ، ولا يكاد الكلام ينتهي حتى ينتهي عنه .

* * *

١٨ ـ عبدان الإصبهاني ، المعروف بالخوزي

هو على سياقة المولدين(١) ، وفي مقدمة العصريين ، خفيف روح الشعر ، ظريف الجملة والتفصيل ، كثير الملح والظرف ، يقول في الخضاب ما لم أسمع أحسن منه ، ولا أظرف، ولا أعذب منه ، ولا أخف [من الخفيف] :

في مشيبي شماتةٌ لعداتي ... وهو ناعٍ منغِّصٌ لحياتي
ويعيب الخضاب قومٌ وفيه ... لي أنسٌ إلى حضور وفاتي
لا ومن يعلم السرائر منّي ... ما به رمت خلَّة الغانيات
إنّما رمت أن أُغيِّبُ عنّي ... ما ترينيه كلَّ يومٍ مراتي(٢)
فهو ناعٍ إليَّ نفسي ومن ذا ... سرَّه أن يرى وجوه النعاة

وكان خفيف الحال ، متخلف المعيشة ، قاعداً تحت قول أبي الشيص [من الكامل] :

---

(١) المولّدين : مبتكري المعاني من الشعراء .
(٢) يريد مرآتي .

لا تنكري صدّي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزّمان براضي

وهو القائل [من الخفيف] :

قلت للدهر من فضولي قولاً وَحَدَاني عليه طيبُ الأماني
أتراني بخلعةٍ أنا أحيا ذات يومٍ وفاخر الحملان
قال هيهات أنت والنحس تربا ن وقد كنتما رضيعيْ لبان[1]
لا تؤمل ركوب متنٍ سوى النعـ ـش ولا خلعةٍ سوى الأكفان

وله من أبيات [من الوافر] :

تكلّفني التصبُّر والتسلّي وهل يسطاع إلاّ المستطاع
وقالوا قسمةٌ نزلت بعدلٍ فقلنا ليته جورٌ مشاع

وقال أيضاً [من الوافر] :

تعيبُ الغانيات عليَّ شيبي وتخفي شيبها عنّي المقانعْ
وقال لي العذول تعزّ عنها وإلاًّ فانظرنْ ما أنت صانعْ
فقلت له متى قدّمت خيراً وأيراً بعده ليست تمانعْ

وله من كلمة [من السريع] :

هيهات نجمي آفلٌ شاردُ ولّى فما يخرق أبراجه
أظلّ أخفي حججاً أدبرت والسبع والسبعون محتاجه
وشرُّ أيّام الفتى آخرٌ فيه يسمّى للشقاء خواجه[2]

وله :

---

(١) الترب : الرفيق من عمرٍ واحد ، واللبان أي الصدر أو لبن الصدر .
(٢) كذا ، وعجزه غير مستقيم الوزن مع باقي الأبيات .

أللشيب تخشى من ملال خرائدٍ وهن لعلاّت الفؤاد مراهمُ[1]
إذا كنت ذا مالٍ فأنت محبَّبٌ إليهنّ ، صيدُ الغانيات الدّراهمُ

وله في كلمة وصف هنه [من الطويل] :

ولي صاحبٌ ما حال عن حسن عهده ولم تر عيني منه أوفى وأكرما
يساعدني دون الأخلاّء في الدّجا إذا نام من قد كان شوقاً تنجّما[2]
فأهدا ولا يهدي وإن نمت لم ينم ويغري بذكراكم إذا الليل أظلما
ينادي على لحفي وصحبيَ نوَّمٌ وإن هو لم يفضض بنطقٍ له فما
أشبّهه والقطر بادٍ ولم يبنْ بمنقار فرخٍ قد تلقّط قرطما[3]

وله [من الطويل] :

تركنا لخوف الخيل والترك دورنا فللّه صرف الدّهر كيف تردّدا
دهاليزنا ضاقتْ لخوف نزولهم كأنّا يهودٌ ندخل الباب سجَّدا

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لعبدان [من الكامل] :

إن كنت تنشط للغبوق فليلنا خلف النهار بغرّةٍ غرّاءِ[4]
وإذا صفا لك مثلنا في دهرنا فاذكر عواقب ليلةٍ كدراءِ

وكان أبو العلاء الأسدي عرضة لأهاجي عبدان ، فمن ملح قوله فيه [من السريع] :

أبا العلاء آسكت ولا تؤذنا بشين هذا النسب الباردِ[5]

---

(١) الخرائد : الفتيات العذراوات ، والعلاّت : الأمراض .
(٢) تنجّما : أي حدّق في النجوم متأمّلاً لها علّه يغفو ويرقد .
(٣) القرطم : نبات يتخذ منه صبغ أحمر وحبّه غذاءٌ للطائر .
(٤) الغبوق : شرب الخمرة مساءً .
(٥) الشين : العيب والنقص .

وتدّعـي في أسدٍ نسبةً لا تثبُتُ الدّعـوى بلا شاهدِ
أقمْ لنا والـدةً أولاً وأنـت في حلٍّ من الوالد

وقوله [من الكامل] :

قابـل هديت أبـا العـلاء نصيحتي بقبولهـا وبواجـب الشُكر
لا تهجـونَّ أسـنَّ منـك فربَّما تهجـو أبـاك وأنـت لا تدري

وقوله [من مجزوء الرجز] :

أبـو العـلاء زاعـمٌ بأنّـه مـن العربْ
ويدّعـي في أسدٍ أبـوّةٌ بـلا سببْ
أقسـم أنّـي مُفْترٍ عليه في هذا النسب
فـآثـمٌ لكنّنـي ألصقـه خـوف الغضب

وقوله [من الكامل] :

أضحى الملـوم أبـو العـلاء يسبّني وأنـا أبـوه يعقّنـي ويعادي
والمنتمـون إليه مـن أولاده والله يعلـم أنّهـم أولادي
ولـو آنـه يسخـو علـيّ بواحدٍ عنـد التكاثـر زينـةً للنّادي
ألصقتـه بيَ واقتـديت بمـنْ رأى بأبيه إلصـاق الدعـيِّ زياد[1]

وقوله [من السريع] :

حمـقٌ بهـذا الأسـديِّ الّذي قد كان منّـي آمـنُ السرّبِ[2]
وإنّمـا جرّبـتُ هجـوي بهِ تجربـة السّيف علـى الكلب

---

(١) يريد اقتدى بمعاوية الذي ألحق زياد ابن أبيه ، بأبي سفيان .
(٢) أمن السرب : أمن الطريق أو الفريق أو القلب .

وقوله في غيره [من المتقارب] :

رغيفك في الأمن يا سيدي يحلّ محلّاً حمام الحرم
فلله درُّك من سيدٍ حرام الرغيف حلال الحرم

وقال من أبيات [من البسيط] :

يعلو ويُعلى وكلٌّ من سجيتُهُ يعلو الكنيف ويُعلى بالغراميل[1]

وقال في رجل ارتفع قدره وكان أبوه حلّاجاً [من الطويل] :

أقول وقد قالوا ابن مأسدةٍ غدا على مركبٍ لا من حمير أبيهِ
ولا الصوت محلاجٌ ولا السّرج لوحُهُ ولا حبٌّ قطنٍ كالشّعير بفيهِ
مقال الوليد البحتريِّ فإنّه قد أنبأنا عن مثله وذويه[2]
متى أرت الدنيا نباهة خاملٍ فلا ترتقب إلاّ خمول نبيه

وقال في قينة [من الطويل] :

لنا قينةٌ تحمي من الشّرب شربنا فقد أمِنوا سكراً وخوف خمار[3]
تكشّر عن أنيابها في غنائها فتحكي حماراً شمَّ بول حمار

وقال في شاعر [من مجزوء الرجز] :

ما قال بيتاً مرّةً ولا يقول ما بقي
وكلُّ شعرٍ قالهُ فإثمه في عنقي

---

(١) الغراميل : جمع غرمول وهو الذّكر ، أو الضخم الرخو قبل أن تقطع غرلته .
(٢) عجز هذا البيت غير مستقيم الوزن .
(٣) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .

وقال في علوي [من المنسرح] :

كم غاصبٍ حقّكم ليهزلكمْ وقد تفقّا من شدة السّمن[1]
واحربا إن قضيت لم أر ما آمله فيكم وواحزني[2]

وقال [من البسيط] :

أقسمت حقاً بما أوتيت من كرمٍ فإنّه بعد ربّي غاية القسمِ
أنْ لو وليت أمور الناس مقتدراً ما خاف راعٍ على شاءٍ ولا نعم
وظلّت العصم للآساد آلفةً واستأنست طلس الذؤبان بالغنم[3]
مواهبٌ خصّك الله العزيز بها وليس يرضى لك الحسّاد بالقسم
هذا الثناء وهذاك الدعاء وما لي غير ذينِ وما ديني بمتّهم

وقال [من الطويل] :

سقيت وفي كفٍّ الحبيبة وردةٌ وأترجةٌ تغري النفوس بصونها
مداماً فلمّا قابلتني بوجهها شربت فحيّتني بلوني ولونها

* * *

١٩ ـ أبو سعيد الرستمي

محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم

من أبناء إصبهان وأهل بيوتاتها ، ومن يقول الشعر في الرتبة العليا ، ومن شعراء العصر في الطبقة الكبرى ، وهو القائل [من الطويل] :

---

(١) تفقّا : تشقّق .

(٢) الحَرَب : الأسف والحزن .

(٣) العصم : من الغزلان أو نحوها ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . والطلس: أي أنّ لونها أغبر يميل إلى السواد .

إذا نسبوني كنتُ من آل رستمٍ ولكنَّ شعري من لؤيِّ بنِ غالب

ومن نظر في شعره المستوفي أقسام الحسن والبراعة ، المستكمل فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، أقبلت عليه الملح تتزاحم ، والفقر تتراكم ، والدرر تتناثر ، والغرر تتكاثر [من الكامل] :

كلمٌ هي الأمثال بين الناس إلاّ أنّها أضحتْ بلا أمثال

وكان الصاحب يقول مرة : هو أشعر أهل عصره ، وتارة : هو أشعر أهل عصره ، ويقدمه على أكثر ندمائه وصنائعه ، وينظمه في عقد المختصين به ، وفيه يقول مداعباً [من مخلع البسيط] :

أبو سعيدٍ فتىً ظريفٌ يبذل في الظّرف فوق وسعه
ينبيك بالشعر كلَّ ظبيٍ فأيره في عيال طبعه

وكان يسد ثلمة حاله ، ويدره حلوبة ماله[1] ، ويسوغه خراج ضياعه ، ولا يخليه من مواد إنعامه وإفضاله ، وبلغني أن أبا سعيد لما أسفر له صبح المشيب وعلته أبهة الكبر ، أقلّ من قول الشعر : إما لترفع نفسه ، وإما لتراجع طبعه .

فقرأت فصلاً للصاحب أظنه إلى أبي العباس الضبي في ذكره ، واستزادة شعره ، وهذه نسخته :

كان يعد في جمع أصدقائنا بإصبهان رجل ليس بشديد الاعتدال في خلقه ، ولا ببارع الجمال في وجهه ، بل كان يروع بمحاسن شعره ، وسلامة وده ، أما الشعر فقد غاض حتى غاظ ، وأما الود ففاض أو فاظ[2] ، فإن تذكره مولاي بوصفه وإلا فليسأل عن خاله وعمه ، أما العمومة ففي آل رستم ، وثم الذروة والغارب[3] ،

---

(١) يدره : يدفع .

(٢) فاظ : مات .

(٣) الغارب : السنام وأعلا كلِّ شيء .

ولواء العجم وغالب ، وأما الخؤولة ففي آل جنيد ، كما قال شاعرهم في سعد وسعيد ، وقد سألت عن خبره وفد نجران ،والركب بجبلى نعمان،فلم يذكروا إلا أنه مشغول بخطبة سبطه أبي القاسم بن بحر رحمه الله تعالى لفتاه أعزه الله ، وليس في ذلك ما يوجب أن يطوينا طي الرداء ، ويلقى عهدنا إلقاء الحذاء ، وقد يعود الصلاح فساداً ، ويرجع النفاق كساداً [من الكامل] :

فلعلَّ تيماً أن تلاقي خطةً فتروم نصراً من بني العوام

* * *

وهذا ما أخرجته من محاسن شعره

وما محاسن شيء كله حسن !!

من قصيدة له فريدة في مؤيد الدولة [من الطويل] :

بدتْ يوم حزوى من كواها المحاجرُ فعاد عذولي في الهوى وهو عاذرُ
فكيف وقد أبدين ما في قناعها وأبرزن ما التفَّت عليه المعاجرُ[1]
مررنَ بحزوى والجآذر ترتعي فلم تدرِ حزوى أيُّهنَّ الجآذر
ومالتْ على الأنقاء فاشتبهت بها أهنّ النقا أم ما تضمُّ المآزر[2]
وأرستْ على الأعجاز سود فروعها فأزرت بحيّات الغدير الغدائر[3]
بدورٌ زهتهنَّ الملاحة أن يرى لهنَّ نقابٌ فالوجوه سوافرُ

سرقه من قول القائل [من الطويل] :

ولما تنازعنا الحديث وأسفرت وجوهٌ زهاها الحسن أن تتقنّعا

(١) المعاجر : جمع معجر وهو ثوب تشدّه المرأة على رأسها .
(٢) النقا : الكثيب من الرمل، والمآزر : جمع مئزر وهو ما تضعه المرأة في وسطها مؤتزرة به .
(٣) الفروع : جمع فرع وهو الشعر الأسود .

رجع :

ووَدّعنــي من نرجسٍ بجفونها — على ورد خدٍّ لؤلـؤٌ متناثر

وسائلــةٍ عبــري متــى أنــت آيبٌ — إلينــا وهــل يقضــي الإِياب المسافر

حططـت لهـا رحلـي وسيّبــت ناقتي — وأمّنتهــا والعيس ممّــا تحاذر[1]

نصيبـي من الــدنيا رضـى أمّ معمرٍ — وسائــرُ ما تحــويه في الــرّيح سائر

وقلــت اربطــي جأشــاً عليك فإنّه — سيغنيك عن سيري القوافـي السوائر

سيكفيك سيري في الدّجـى إن كرهته — صباحٌ كضـوء البـدر والنجـم باهر

أميرٌ كأنَّ الغيث من نفحاته — يصـوب ومـن أخلاقـه الـروض زاهر

إذا ما علا صدر الســرير جرى لنا — به فلكٌ بالخير والشرُّ دائر

يدٌ لأمير المـؤمنين طويلةٌ — ونــابٌ إذا ما نابــه الخطـب كاشر

ينافـي الـكرى من حزمـه وهــو دارعٌ — ويغشى الوغى من بأسه وهـو حاسر[2]

إلـى أيّ أرضٍ أرحــل العيس صادياً — وبحــرك مورودٌ وروضـك ناضر

ومنها :

فأقسمــت ما في الأرض غيرك ماجدٌ — يُزارُ ولا في الأرض غيريَ شاعرُ

بقيت مدى الــدّنيا وملــكك راسخٌ — وظلُّك ممــدودٌ وبابــك عامر

يردّ سنــاك البــدر والبــدر زاهرٌ — ويقفــو نداك البحـر والبحـر زاخر

وهنِّئــتَ أعياداً توالــت سعودها — كمــا يتوالـى فـي العقـود جواهر

وله من أخرى فيه أيضاً [من الطويل] :

مررنــا بأكنــاف العقيق فأعشبت — أباطــحُ من أجفاننــا ومسايلُ

---

(١) سيّبت : تركتها تمشي حيث شاءت ، أطلقها .

(٢) دارع : أي يلبس درعه ، وحاسر : أي كاشف الرأس .

وكادت تناجينا الديار صبابةً وتبكي كما نبكي عليها المنازلُ
فمن واقفٍ في جفنه الدمع واقفٌ ومن سائلٍ في خدّه الدمع سائل
تأسَّ بيأسٍ أو تعزَّ بسلوةٍ فمالك في أطلال عزّةَ طائل
ألم تر أيام الربيع تبسَّمتْ أجارع من أنوارها وخمائل[1]
كأنَّ غصون النرجس الغضِّ بينها نشاوى كرىً أعناقهنّ موائل
كأنّ شقيق الأبرين كواعبٌ عليهنَّ من صبغ الجساد غلائل[2]
وقد حملت سوسانها في حجورها رواضع إلاّ أنَّهنَّ حوامل
وضمَّر خيل الضيمران كأنّها مرازب فوق الهام منها أكالل[3]
ونوَّرَ قضبان الخلاف فأبرزتْ أصابع لم تخلق لهنَّ أنامل
تخال أزاهير الرياض خلالها مصابيح ليلٍ ما لهنَّ فتائل
وقد شربت ماء الغمامة فانثنتْ كما يتثنّى الشّارب المتمايل
فمن أقحوانٍ ثغره متبسِّمٌ وورد على أكنافه الطلُّ جائل
وقد ماج وادي الزندروز بفيضه كما ماج للريح النقا المتهايل
كأنَّ نعاج الرمل في جنباته يناطح بعضٌ بعضها ويقاتل
كأنَّ هدير الموج فوق متونه هدير قرومٍ هاجهنّ الشوائل[4]
سرى بين أحشاء السّرى فتشابهتْ أحيّاته تسري بها أم جداول
إذا ماج فوق الأرض أوهاج خلته خيولك في الهيجا وهنّ صواهل
أيا ملكاً فاق الملوك وبذّهم فراح سناناً والملوك عوامل[5]

---

(١) الأجارع : رمل يرتفع وسطه وترقُّ نواحيه .

(٢) الأبرقين : نوعٌ من الورد ، وكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة في أول صباها .

(٣) المرازب : جمع مرزبة وهي عصاً صغيرة من حديد .

(٤) الهدير : صوت البعير ، والقروم : جمع قرم وهو الفحل من النوق : والشوائل : النوق التي آن وقت لقاحها .

(٥) بذّهم : تجاوزهم ، والعوامل : جمع عامل : وهو من الرمح أعلاه الذي يلي السنان .

إذا نحــن أثنينــا عليـه تبادرت — فأثنــت كمــا نثنــي القنــا والقنابل

ينير الدجـى من وجهــه وهــو حالكٌ — وينـدى الثـرى من كفّــه وهــو ماحل

وذو لحظــات كلُّهــنَّ فواضلٌ — وذو حركاتٍ كلُّهــنَّ فضائـل

دهــاءٌ لديه رأيُ أكثـم فائلٌ — وجــودٌ لديه حاتــم الجــود باخل[1]

وحلــمٌ لديه ركن يذبــل ذابلٌ — وعــزمٌ لديه فارس الخطــب راجل[2]

ومنها في مسألة إخراج ضيعة له من الإقطاع [من الطويل] :

ضياعــيَ نهبـي قد تفـرّق شملها — فمــا في يدي منهــنَّ إلاّ الأنامل

فكم ضيعــةٍ مالــت لأبــواب مالها — قناتــي وغيري منــه نشــوان مائل

فحظّــي من الحــظين همٌّ وحسرةٌ — وحاصلهــا أنّي علــى الهــمِّ حاصل

ألا ليت شعــري هل أرى لي جماعةً — تمــدّ بهــا فوق الشطــور الحواصل

تقاربهــا الأنمـوذجات كأنّهـا — إذا هي صرّوهــا الشــديُّ الحوافل[3]

وهــل أرنــي يومــاً وكيلــي حاضري — أناقشــه طوراً وطــوراً أساهل

ويخــرج باسمــي في الأدراج كاتبٌ — حسابــاً ويستــأدي خراجــيَ عامل

علــى عدل مولانــا الأمير توكّلي — فإحسانه في الشـرق والغــرب شامل

ومن أخرى فيه أيضاً ، أولها [من الطويل] :

عذيري لدى الــواشين حســن عذاره — وعذري لدى اللاحين حســن اعتذاره

بنفســي حبيبٌ زار بعــد ازوراره — وعاودنــي بالأنــس بعــد نفاره

وأشنــبُ معشــوقُ الــدلال منعّمٌ — معقــرب صدغٍ كالهــلال مداره

إذا ما استعــار الجلّنـار بخدِّه — أعــار الحشــى من خدِّه جلّ ناره

سل البيض عن عاداتــه في عداته — وسمــر القنــا عن نهبــه ومُغَاره

---

(١) فائل : ضعيف .

(٢) يذبل : إسم جبل ، وراجل : أي الفارس يمشي على رجليه .

(٣) الأنموذجات ، وصرّوها : حلبوها واستخرجوا لبنها، والحوافل : الملأى .

وقائع نال النسر غاية سؤله بهنٍّ ونال النصر غاية ثاره

ومن قصيدة في الصاحب ، أولها [من الخفيف] :

عقّني بالعقيق ذاك الحبيبُ فالحشى حشوه الجوى والنحيبُ
وإذا جفّت الشؤون وخفّتْ ندبتها من الضلوع الندوب
لست أدري أأدمعي أم جمان الـ ـعقد ينسلّ أم عقيقٌ يذوب
حبَّذا حبّذا ونعمٌ وسعدي ونصيبي من وصلهنّ نصيب
إذْ زماني غرٌّ وغصني رطيبٌ وشبابي غضٌّ وبردي قشيب[1]
إذ بوادي العقيق عيشي أنيقٌ وبوادي الجنوب ريحي جنوب
كم شجاني ببطن رامة ريمٌ وبظبي الكثيب ظبيٌ ربيب
أيّها الرمل كم مضى فيك عيشٌ لي مهاةٌ ومرتعٌ لي خصيب[2]
وأليفاي فيك ريًّا وأروي وحليفاي فيك زقٌّ وكوب
وبقلب الحسود منّا ندوبٌ وبطرف العذول عنّا نكوب[3]
وعفا الله عن ذنوبٍ تقضَّت لي بها حين تستتاب الذنوب
حيث لا لوم أن يزور محبٌّ هاجه الشوق ، أو يزار حبيب
حيث لا ينكر الغرام ولا يخشى ملامٌ ، ولا يخاف رقيب
ما يُذَمُّ الشباب عندي بشيءٍ غير أنّ المشيب منه قريب
غلب الصاحب الجواد بني الجو د كما يغلب الشباب المشيب
بذّهم في الندى وغطّى علاهم بعلاه فالمكرمات ذنوب
وإذا ما سعى لإحداث مجدٍ فمساعيهمُ عليهم ذنوب

---

(١) زماني غرٌّ : أي ضاحك مبتسم ، ورطيب منعّم وغضٌّ : في أوج حيويته ونشاطه، وقشيب: ملوّن مفوّف .

(٢) المهاه : طراوة العيش وحسنه .

(٣) الندوب : الجراح أو آثارها ، والنكوب : الإنحسار والابتعاد . واجدٌ : هائمٌ وعاشق .

واجــدٌ بالعــلا وبالمجــد وجداً لــم يجــده بيوسفٍ يعقوبُ[1]
وإذا ما أتــاه طالــب جدوى راحتيهِ فالطّــالـب المطلـوبُ
قـل لبـاغي النـدى خف الله لا تســـــألـه عــمــراً فــإنَّــه مــوهــوب

من قول أبي تمام [من الطويل] :

ولــو لم يكن في كفِّــه غير روحه لجــاد بهـا فليتــق الله سائلُهْ

رجع :

إنّمــا حاتــمٌ وأوسٌ وكعبٌ مثــلٌ في النّــدى له مضروبُ
يا حسامــاً مهنــداً وغماماً ديمتــاه التــرغيـب والترهيب
فيـك ما يكمـد الحسود ومـا فيـــــك سوى الجود والنّدى ما يعيب
راحــةٌ ثرَّةٌ ، ووجــهٌ طليقٌ ولسـانٌ عضـبٌ ، وصــدرٌ رحيب
وبيانٌ غضٌّ تلــدّد فيـه حين خاطبتــه الألــدُّ الخطيب[2]
وإذا مــا وخــدت فــي طلــب المجــد فـذو المجــد وخــده تقريــب[3]
عزمــاتٌ يرضّ منهــنَّ رضوي ويكادُ الــوليد منهــا يشيب
فلشــمس النهــار منهــا وجوبٌ ولقلــب الزمــان منهــا وجيب[4]

ومنها :

وإذا ما دعــوت شعــريَ فيه طرب المــدح واستهــلَّ النسيب
مِــدَحٌ كالنّسيب رقّــة ألفا ظٍ ومــا للنسيب منــه نصيب
محكمــاتٌ محــكمــاتٌ إذا أنشــدن نــال المنــى بهــنّ الأديــب

---

(١) واجدٌ : هائمٌ وعاشق .
(٢) تلدّد : احتار .
(٣) وخدت : سرت في طلب المجد ، والوخد ضرب من السير ، والتقريب ضرب من السير ، أو أن يرفع رجليه معاً ويضعهما معاً .
(٤) الوجوب : الاختفاء والمغيب، ووجبت الشمس : أي غابت .

رفعت من أعنّةِ الرفع حتى ذلّ منها المخفوض والمنصوب

ومنها :

أنا من قد عرفت سرّاً وجهراً أعجميٌّ نما به التعريب
ليت شعري إذا دعيت ، شعاري نسبي واضحٌ وعودي صليب
لست من أمدح الملوك ولا أنـ ـضي المطايا ولا الفلاة أجوب[1]
أنا للصاحب الجليل أبي القا سم مولىً وخادمٌ وربيبُ

ومن أخرى أيضاً [من الكامل] :

غيَّضن عبرتهنَّ يوم الوادي فأرحن عازب أنس ذاك النادي[2]
فجنين بالأسماع نور حديثنا وكرعن في الشّكوى كروع الصادي
ووصفن سقم قلوبنا بعيونها فشفين منّا غلَّة الأكباد
لا غرو أن يجنين من ثمر الهوى لي في مراقدهنَّ شوك قتاد
فلطالما أسهرنني جنح الدجا وأطلن ليلي وانتهبن رقادي
لا والذي جعل الجفون عليلةً وأعار حبّ البيض حبّ فؤادي
إنّي لأرحم من أسرن فؤاده سرّاً فما لفؤاده من فادي
وأذمُّ أيام الفراق فإنّها عللٌ وإن خفيت على العوّاد
قلْ للزمان إذا تنمّر ساخطاً وعدا عليّ بوجه ليثٍ عادي
أبرقْ وأرعدْ ليس يرتعد الحشى ليَ منك بالإبراق والإرعاد
الصاحب العالي الصنائع صاحبي في النائبات وعدّتي وعتادي
ورث الوزارة كابراً عن كابرٍ موصولةَ الإسناد بالإسناد
يروي عن العبّاس عبّادٍ وزا رته وإسماعيل عن عبّاد

(١) غيّضن : كففن وحبسن ، والعازب : البعيد الغائب ، والأرض التي ليس بها أحد .

شرفٌ كعقد الدرّ واصل بعضه	بعضاً كأنبوب القنا المنآد[1]
وعلاً كأيام السنين ترادفت	آياتها بمكرّرٍ ومعاد
لا كالذين إذا سموا لكريمةٍ	ضحكت جدودهم من الأجداد
أعلى المكارم ما تقادم عهده	والمجد موروثٌ عن الأمجاد
لا والذي جعل المكارم كلّها	لك والعلا في مبدأٍ ومعاد
ورآك أهلاً للرشاد وللهدى	وكساك آيات الإمام الهادي
لو كان غير الله يعبد ما انثنت	إلاّ إليك أعنّةُ العبّاد

هذا معنى قد أكثر الناس فيه ، وأظن السابق إليه ابن أبي البغل ، حيث قال في الرشيد [من السريع] :

لو عبد الناس سوى ربّهم	أصبحت دون الله معبودا

رجع :

هذا الربيع وأنت أكرم مجتنى	منه وأعجبه إلى المرتادِ
زارتك في حلل الرياض وفوده	وكأنّهنّ يمسن في الأبراد
ورأت صنائعك التي أزرتْ بها	فغدتْ تذمّ إليك صوب الغادي
وحكاك وادي الزندروز فأقبلت	أمواجه يقذفن بالأزباد
مثل الرمال تناطحتْ أوعالها	فأعانهنّ العين بالإمداد
يرمي السواحل مدّه فكأنّه	ملكٌ يهزُّ الأفق بالإيعاد
يهدي المدينة واديان تجاورا	وكأنّما وردا على ميعاد
مَدّان هذا ليس ينفد فيضه	أبداً وهذا فيضه لنفاد
روضٌ يرفُّ ، ومزنةٌ تهمي عزا	ليها ، وطيرٌ في الغصون ينادي
فكأنَّ ذا يثني ، وذا يدعو ، وذا	يبدي الرضا ويبوح بالإحماد

(١) المنآد : المعوج .

فاسعد بدنياً قد نظمت أمورها ... وسددتها بالرفق أيَّ سداد
ورعيةٍ أصلحتها بتألُّفٍ ... وتعطّفٍ من بعد طول فساد
داويتَ من سقم النفاق قلوبها ... وشفيتَ مرضاها من الأحقاد
فنصبتَ للإسلام أكرم رايةً ... وقسمت أهل الجبر والإلحاد[1]
وأفضت عدلك في البلاد وأهلها ... وضربت دون الظلم بالأسداد

ومنها في الإذكار والاستعانة والاستزادة وشكوى الخراج، ومسألة التسويغ، وما منها إلا ما لا غبار عليه، ولا شوب فيه، ولا مزيد على حسنه:

يا خيرَ من يُدعى لخطبٍ فادح ... ويحلّ عقد الحادث المنآد[2]
عمَّت فواضلك البرية واغتدت ... طوع العنان لحاضرٍ أو بادي
ووسائلي ما قد علمت ولايةٌ ... مذ كنت أعهدها وصفو وداد
ومنقّباتٍ في البلاد غريبةٍ ... وصلت سرى الإتهام بالإنجاد
تروى ولم يسمع لهنّ بقائلٍ ... تعزى إليه سوى حداء الحادي
من كلِّ رائقةِ المحاسن حلوةٍ ... ريّا الرواية غضّةِ الإنشاد
لم يكسها الإكفاء في أكفائها ... عيباً ولا أزرى بها لسناد[3]
هذا وحرمة خدمةٍ مرعيةٍ ... للأبعدين قديمةِ الميلاد
ما زلت من أبرادها متوحّشاً ... بمفوّفٍ يزهى على الأبراد
يا حلية الوزراء حلّ قصائدي ... بمحاسن الإرفاد والإصفاد
ما لي ظمئت وبحر جودك زاخرٌ ... سهلٌ مشارعه على الورّاد
وريتْ زناد السائلين بسيله ... وبفيضه وخصصت بالإصلاد[4]

---

(١) الجبر: الكفر.
(٢) الحادث: المصاب، والمنآد: المعقد.
(٣) الاكفاء والسناد: من عيوب القوافي في الشعر.
(٤) وريت: اشتعلت من قبسه، والإصلاد: يقال: أصلد الزند: أي صوّت ولم يورِه يعني أنّه منع العطاء أو أنّ عطاءه أمسك.

ما كان أجمل في التجمّل ملبسي   وأعفَّ في ظلٍّ القناعة زادي
لولا زمانٌ أزمنت حالي له   نوبٌ تراوح تارةً وتغادي
وأذى فراخٍ ضاق بي أوكارها   وكذا البغاث كثيرة الأولاد[1]
وأذى خراجٍ لو سرى لأدائه   غرر الليالي عدن وهي دآدي[2]
أبدت نجوم الليل سود نجومه   في مفرقي فأنار بعد سواد
حَصَةٌ حَصَتْ مني جوانب هامتي   صفعاً أوافقه من المستادي[3]
ووفود سوءٍ يألفون زيارتي   من صادرٍ أو رائحٍ أو غادي
ورجالةٌ مترادفون كأنّما   غصّت مدارجهم برجل جراد
من كل منتفش الشّوارب مسمعٍ   عبدٍ لآل ربيعةٍ أو عاد
صهب اللحى سود الوجوه كأنّما   خضبوا الرؤوس بيانع الفرصاد[4]
ما غاب عنّي واحدٌ إلّا ويقفو إثره ثانٍ وآخر بادي
هذا يواجه شاربي متهدّداً   ويقوم هذا من وراء العادي
ففرائصي من خوفهم مملوءةٌ   أبداً من الإخفاق والإرعاد
وإذا أصادر غدوةً لم يرتفع   عند المساء سواي في الأوراد
ما في يد النقّاد من ضربي سوى   ضربي ودقّ الجيد دون جياد[5]
يا حلية الوزراء حقّي واجبٌ   ونداك صوبا أنعمٍ وأيادي
وقِّعْ بتسويغي خراجي كلّه   أو لا فعاودني على الإيراد[6]

---

(١) البغاث : طائرٌ أغبر ، وشرار الطير .

(٢) دآدي : شديدة الظلمة .

(٣) الحص : حلق الشعر ، والحصة :من الحصى ، والمستادي :طالب الأداء ، وأصله المستأدي بالهمز .

(٤) الفرصاد : التوت ، واليانع : الأحمر من كلّ شيء ، والصهب : جمع أصهب ، وهو الذي لونه الصهبة وهي حمرة أو شقرة في الشعر .

(٥) الجيد : العنق ، أو موضع القلادة ، والجياد: جمع جواد .

(٦) التسويغ : تجويز من السلطان بمنحةٍ أو عطاء وهي مولّدة .

وامنــنْ علــيّ بفضــل جودك واكفني دار الخــراج وجهمــة الحدّاد[١]

وله من أخرى [من المنسرح] :

قولــوا لو سنــانَ نام عن أرقي فيه وحاشــا جفونــه الأرقُ
ارثِ لـمن قــد رثى لمقلتـه الــــــدّمـع ورقّت لقـلبـه الحــرقُ
لم يبـق من جسمـه سوى رمقٍ ينتظـر المــوت ذلـك الرمقُ
يا بأبــي منـه طرّةٌ سبجٌ إذا تبـدّت وغـرةٌ يقق[٢]
ولـؤلــؤٌ مـن لسانـه بـردٌ ولؤلــؤٌ فــي لبـاتـه نسق
وجـهٌ بـه الجلّنــار مبتسمٌ يفتــرٌ والأقحــوان متّســق
شعلــة نارٍ ملاحــةً وسناً يكـاد منــه الجليس يأتلق
غنّــى فجلّـى الظــلام غرّته عنّــا وغصّــت بشــدوه الأفق
فودَّتِ العين أنّهــا أذنٌ تسمــع والأذن أنّهــا حدق

زاد على من قال [من المنسرح] :

غنَّــتْ فلــم يبــقِ فيَ جارحةً إلاّ تمنَّــتْ بأنّهــا أذن

رجع :

والله لو كانــت الأزاهــر والـ أوتــار ناســاً وأبصــروا عشقوا
شانــىء أيّامــه يـذوب شجىً من كمــدٍ والحســود يزدهق[٣]
كذلك النّــار حيــن أعوزهــا مــا أحرقتــه تبيــت تحترق

سرقه من قول ابن المعتز حيث قال [من مجزوء الكامل] :

كالنّــار تأكـل نفسهــا إن لــم تجـدْ مـا تأكُلُهْ

---

(١) الجهمة : التقطيب والعبوس .
(٢) السَّبج : الأسود ، واليقق : الشديد البياض .
(٣) الشانىء : المبغض ، وزهق وازدهق سواء : ومعناه : اضمحلاله وخروج روحه .

رجع :

وإن ذكرنا اسمه لطيبته يبقى بأفواهنا له عبقُ
والناس لولا سناه ما رمقوا والناس لولا نداه ما رزقوا
إسعدْ بشهرٍ وافتك مقبلةً أعياده بالسعود تستبق
ثلاثةٌ قد قُرِنَ في قرنٍ خوّة روزٍ والنضحُ والسذق[1]
مقدّماتٌ من الربيع غدتْ وفودها من صبابةٍ سبقوا
أما ترى المزن حلَّ حبوته في الروض فالروض زاهرٌ أنق[2]
فنوره من سناك مقتبسٌ ونوءه من نداك مسترق
فاعمرْ لدنياً لولاك ما خلِقَتْ وأهل دنياً لولاك ما خلقوا
وعدْ جديداً على الزمان كما عاد جديداً في عوده الورق
ما صحبتك الأيّام دمتَ لها فليس في صفو عيشنا رنق[3]

وله من قصيدة في نهاية الحسن وكثرة الملح والنكت ، أولها [من الطويل] :

عزيزٌ علينا أن تشطّ منازله سقته الغوادي من عزيزٍ تزايله
ولا زال حاديه دميثاً فجاجه وقمراً لياليه وصفواً مناهله[4]
يحلّ عزالي الغيث حيث يحلّه ويغشى كما يغشى الربيع منازله[5]
ومهجورةٍ خافت عليها يد النّوى فلم تبق في حافاتها ما أسائله
سوى كحلِ عينٍ ما اكتحلت بنظرةٍ إلى جفنه إلاّ شجتني مكاحله
وقفتُ فأمّا دمع عيني فسائلٌ عليه ، وأما وجد قلبي فسائله

---

(١) السذق : ليلة الوقود الشديدة البرد، وقرف: أمسكن وغدون، وقرن : شرك أو عقد أو سِلك ، والنضح : رشاش الماء ونحوه .

(٢) الحبوة : الحظوة والعطية ، أو ما يشتمل عليه .

(٣) الرنق : المتكدر .

(٤) الدمث : السهل اللّين .

(٥) العزالي : جمع عزلاء ، وهي مصبّ الماء .

أقلّب قلباً ما يخفُّ غرامه — عليه، وطرفاً ما تجفُّ هوامله[1]

لعلّيَ أرى من أهل ريّا وإن نأتْ — بأرجائه شبهاً لريّا أواصله

فأصبحتُ قد ودعت ريّا ووصلها — كما ودّعت شمس النهار أصائله

بكُرهي زال الحيُّ من بطن عازبٍ — وغودر منّي عازب اللبِّ زائله[2]

وقلبٍ إذا ما قلت خفَّ غرامه — وأبصر غاويه وأقصر عاذله

دعاه الهوى فاهتزّ يهوي كما دعا — صبا الريح غصن البان فاهتزّ مائله

وهاجرةٍ من نار قلبي شببتها — وقد جاش من حرّ الفراق مراجله

صليت بها والآل يجري كما جرى — من الدمع في جفنيّ للبين جائله[3]

ومنها :

وبعض مذاق العرف مرٌّ وإن حلا — إذا لم يكن أحلى من العرف باذلُهْ

وما الجود إلاّ ما تطوَّع أهله — ولا السّمح إلا ما تبرّع نائله

وأروع أنواء الربيع صنائعٌ — لديه، وأنوار الربيع فضائله

أهان مصونات الذخائر كفُّه — وهان عليه ما يقول عواذله

وفاح كما فاح الرّياض فعاله — ولاح كما لاح البروق شمائله

يسيل على العافين عفو نواله — فيلقى ابتذال الوجه للبذل سائله

شفيع الذي يرجوه حسن صنيعه — وسائله عند الرجاء وسائله[4]

ولم يجتمعْ كفّاه والمال ساعةً — كأنّي وريّا ماله وأنامله

---

(١) الطرف: العين، والهوامل: الدموع.

(٢) عازب الأول: اسم جبل والثانية إسم فاعل من عزب بمعنى غاب.

(٣) صليت بها: احترقت، والآل: السراب أو ما أشرف عليه البعير، وقيل إنّه خاص بما يكون أول النهار.

(٤) وسائله الأولى: مؤلّفه من واو العطف وسائل بمعنى الطالب المستجدي، وأما الثانية فهي جمع وسيلة والواو فاء الكلمة.

هذا البيت من إحسانه المشهور السائر ، ومنها :

أيصبح مثلي في جنابك صادياً ... وأنت الحيا تحيا وتروي هواطله
ولولا فراخٌ زعزع الدهر وكرُها ... عليَّ وقد غال الجناح غوائله
أعرت ظلال الحرّ نفس ابن حرةٍ ... تقاصره الأيام حين تطاوله
فخذني من أنياب دهري بعاجلٍ ... من النصر دانٍ ، أكرم النصر عاجله
بقيت مدى الدنيا لمجدٍ تشيده ... وقرمٍ تساميه وخصمٍ تجادله
وهاتيك أمثال النجوم جلوتها ... عليك كما تجلو الحسام صياقله
قريضٌ كساه المزن أثواب روضةٍ ... فرقّتْ أعاليه ورقّتْ أسافله[1]
تطيب على الأيام ريّا نشيده ... وأطيب من ريّاه ما أنت فاعله

وله من أخرى [من الطويل] :

وحسناء لم تأخذْ من الشمس شيمةً ... سوى قربِ مسراها وبعدِ منالها
وإنّي لأهوى الشيب من أجل لونه ... وإن نفرتْ عنّي الدّمى من فعالها
وأروع يستحيي الحيا من يمينه ... فيرتدّ فوق الأفق حيران والها
أقام قنا الأيام بعد اعوجاجها ... وحاط ذرى الإسلام بعد ابتذالها[2]
عزائم لو ألقى على الأرض ثقلها ... شكتْ منه ما لم تشكه من جبالها
وجود بنانٍ سبّح الغيث عندها ... وهلّل صوب البحر عند انهلالها
يدٌ كلّ ما تحوي يدٌ من نوالها ... وبيضٌ أياديها وغزرٌ سجالها
تأمّلْ فما لاحظته من هباتها ... لدينا وما لاحظته من عيالها
من النفر العالين في السِّلم والوغى ... وأهل العوالي والمعالي وآلها[3]
إذا نزلوا اخضرّ الثرى من نزولها ... وإنْ نازلوا احمرَّ الثرى من نزالها

---

(١) القريض : الشعر .

(٢) أقام : أصلح وسوّى ، وحاط : حمى وحرس .

(٣) العوالي : الرماح .

ببيضٍ كأنَّ الملح فوق متونها ودهمٍ كأن الزّنج تحت جلالها

انظر الى حسن هذا التصرف وشرف هذا الكلام :

مساميح كلّ الغيث بعض نوالها وكلّ المعالي خلّةٌ من خلالها
سمتْ فوق آفاق السماء فأصبحتْ ثراها الثريّا والسُّهى من نعالها
إليك ابن عباد بن عباس إنثنتْ أعنَّةُ شكر الدهر بعد انفتالها[1]
بك افترَّ ثغر الملك واهتزَّ عِطفه وجرَّتْ بك الدنيا ذيول اختيالها
تشكّى الثرى إظلامها ومحولها فأغنيتها عن مزنها وهلالها

وله من قصيدة كأنه جمع محاسنه ولطائفه فيها ، أولها [من الطويل] :

سلامٌ على رمل الحمى عدد الرّمل وقل له التسليم من عاشقٍ مثلي
وقفت وقوف الغيث بين طلوله بمنسكبٍ سحٍّ ومنسجمٍ وبل[2]
وما رِمْت حتى خالني الرّيم رِمّةً وأذرف آجال الحمى الدمع من أجلي[3]
خليليَّ قد عذبتماني ملامةً كأن لم يقفْ في دمنةٍ أحدٌ قبلي[4]
وممّا شجاني والعواذل وقَّفٌ ولي أذنٌ صمَّت هناك عن العذل
ظباءٌ سرت بالأبطحين عواطلاً وكنْتُ أراها في الرعاث وفي الحجل[5]
تبدّلن أسماءً سوى ما عرفتها لهنّ ، فلا تدعي بسعدي ولا جمل
تشابهن أحداقاً وطول سوالفٍ وخصّ الغواني بالملاحة والدلّ
ومكحولة الأجفان مخضوبة الشّوى ولم تدر ما لون الخضاب من الكحل
ذكرت بها من لست أنسى ذنوبها وإنْ بعدتْ والشّيء يذكرُ بالمثل

(١) انفتالها : اجتماعها ، والأعنّة : الأزمّة .
(٢) الوبل : المطر الشديد ، والسحّ : الصبّ السائل ، والمنسجم : القطر المتوالي .
(٣) رمت : انصرفت ، والرّمة : البالي من العظم وغيره ، والآجال : قطعان النعام والإبل .
(٤) الدمنة : الموضع القريب من الدار .
(٥) الرعاث : جمع رعثة بضمّ الراء ، القرط .

سقى الدمع مغنى الوابلية بالحمى ... سواجمُ تغني جانبيه عن الوبل
ولا برحت عيني تنوب عن الحيا ... بدمعٍ على تلك المناهل منهلّ
مغاني الغواني والشبيبة والصبّا ... ومأوى الموالي والعشيرة والأهل
ليالِيَ لا رِوض الكثيب بلا ندى ... ولا شجرات الأبرقين بلا ظلّ
وما كان يخلو أبرق الحزن من هوى ... ولكنّني أمسي بغير الهوى شغلي
فراخٌ نباني وكرهنّ وهاجني ... كما هاج ليث الغاب وعوعة الشبّل[1]
وكم قد رحلت العيس في طلب العلا ... فلما بكت سعدي حططت لها رحلي
نزلت على الأيّام ضيفاً فلم أجدْ ... قرى عندها غير النزول بلا نزل
وقد سامني أهلي المقام بذلّةٍ ... ولست بأهلٍ للّذي سامني أهلي
سبيل الغنى رحبٌ على كلِّ سالكٍ ... فما لِيَ أسعى منه في مدرج النمل
أينكر نصٌّ العيس والبيد والدجا ... لمن عزمه عزمي ومن فضله فضلي
دعوني أصل إرقالها بذميلها ... وأطوي الدّجا حتى أرى صبحها المجلي[2]
حياً لم يفت منّا ولياً وليّه ... ولم يخلْ من أفضاله كفٌّ ذي فضل
ومبتدهِ الجدوى إذا ما سألته ... فأعطاك لم يعتدَّ ذاك من البذل
فتىً حاز رقّ المجد من كلِّ جانبٍ ... إليه وخلّى كاهل الشكر ذا ثقل
بعفوٍ بلا كدٍّ وصفوٍ بلا قذى ... ونقدٍ بلا وعدٍ ووعدٍ بلا مطل[3]
من النفر الأعلين في حومة الوغى ... يميلون زهواً غير ميلٍ ولا عزلِ[4]
همُ راضة الدنيا وساسة أهلها ... إذا افتخروا لاراضة الشاء والإبل
محلّهم عالٍ على السبعة العلا ... وعالمهم موفٍ على العالم الكلّي

---

(١) نباني : ابتعد عنّي ، ووعوعة الشبل : تصويته .
(٢) الإرقال : ضرب من المشي السريع ، والذميل سير آخر في لينٍ وتؤدة .
(٣) المطل : من المماطلة ، وهو التسويف وعدم الوفاء بالوعد في حينه .
(٤) غير ميلٍ ولا عزل : أي أنهم مكتملون خلقةً وقوة فالميل : من كان في خلقته ميل ، والعزل : الضعف .

إذا أنت رتّبت الملوك وجدتهمْ ... همُ الاسم والباقون من حيِّز الفعل
مساميح عند العسر واليسر ، لاتني ... مراجلهم في كلِّ أحوالهم تغلي
ولم يغلقوا أبوابهم دون ضيفهم ... ولا شتموا خدّامهم ساعة الأكل
ولا شدّدوا دون العفاة حجابهم ... وقالوا لباغي الخير نحن على شغل
لتهن ابن عبادٍ قوافٍ كأنّها ... جنى لؤلؤٍ رطبٍ من العقد منسلٍ
أبى ليَ حسناً أن أباليَ بعدَهُ ... بشعرٍ ولو أنشدت للنّمّر العكلي[1]
وقلْ له ما قال في هرم الندى ... زهيرٌ وأعشى قيس في هوذة الذهلي
وما كنت لولا طيب ذكرك شاعراً ... ولا منشداً بين السماطين في حفل
ولكنّني أقضي به حقَّ نعمةٍ ... سرت مثلاً لما وَسَمْتَ به عقلي
إذا لم تكنْ لي أنت عوناً ومعدياً ... على الزمن العادي عليَّ فقل من لي[2]
من الناس من يعطي المزيد على الغنى ... ويحرم ما دون الغنى شاعرٌ مثلي
كما ألحقت واوٌ بعمروٍ زيادةً ... وضويق بسم الله في ألف الوصل
أعر من ورائي من عبيدك لحظةً ... بعين العلا واجمعْ على شكرها شملي
فما لي رجاءٌ في سواك ولا يرى ... يَمَرُّ قريضي عند غيرك أو يحلي
وهل بارقٌ يشتام إلاّ من الحيا ... وهل عسلٌ يشتار إلا من النحل[3]
وقاك بنو الدنيا جميعاً صروفها ... جميعاً فإنَّ الجفن من خدم النّصل[4]

وله من أخرى [من الكامل] :

كفتك عن عذلي الدموع الوكَّفُ ... ونهتك عن عتبي الضلوع الرجَّفُ
لله عيشٌ بالمدينة فاتني ... أيام لي قصر المغيرة مألفُ

(١) النّمر العكلي : هو النّمر بن ثولب بن زهير بن أقيش العكلي شاعر مخضرم ، من المعمّر بن الأجواد .
(٢) العادي : الجائر .
(٣) يشتام ، يرى، ويشتار : يستخرج ويجنى .
(٤) الجفن : الغمد .

حجّي إلى الباب الجديد وكعبتي الـــــــباب العتيق وبـالمصلّى الموقـفُ

والله لو عرف الحجيج مكاننا من زنـدروز وجسره ما عرّفوا
أو شاهـدوا زمـن الـربيع طوافنا بالخنـدقيـن عيشـةً ما طوّفـوا
زار الحجيج منـىً وزار ذوو الهوى جسـر الحسين وشعبـه واستشرفوا
ورأوا ظبـاء الخيف في جنباته فرمـوا هنـالك بالجمـار وخيّفوا[1]
أرضٌ حصاهـا جوهـرٌ وترابها مسكٌ ومـاء المـدّ فيهـا قرقف
ما لـي وللواشيـن لا يهنيهـمُ ما نمنمـوه من النّميم وزخرفوا
أعياهـم سبب التهاجـر بيننـا فتفاءلـوا لـي بالفـراق وأرجفوا
لا واعتلاقـي بالـوزيـر وحبلـه ما أحسنـوا ما أجملـوا ما أنصفوا
ما للـوزير عن المعالـي مصرفٌ أبـداً ولا لي عن هواه مصرف
يا من نعـوذ من المـكارم باسمه ونعـزّه وهـو الأعـزُّ الأشرف
ونجـلّ عن خطـر اليمين حياته فبفضـل نعمتـه علينـا نحلف
وعـظيم ما أوليتنـي من نعمةٍ ما للسّمـاح سواك ربٌّ يعرف
يا ابـن الـذين إذا بنـوا شادوا وإن أسـدوا يداً عادوا وإن يعـدوا وفوا
إن حاربـوا لم يحجمـوا ، أو قاربوا لم يندمـوا ، أو عاقبـوا لم يشتفوا
ومتـى استجيـروا أسعفوا ومتى استنيلـوا أسرفوا ومتـى استعيـدوا أضعفـوا
إن عاهـدوا لم يخفـروا، أو عاقدوا لم يغـدروا ، أو ملـكوا لم يعسفوا[2]

ومنها التهنئة بالخلعة :

تهنّـى ابن عبـاد بن عبـاس بن عبـــــد الله نعمى بـالكـرامـة تـردفُ
يهنيه زائـدُ نعمـةٍ متجدّدٌ أبـداً وحـادثُ نعمـةٍ يستطرف

---

(١) خيّف : نزل منزلاً ، والمراد به ههنا مسجد الخيف . ، والجمار : الرّجم .
(٢) لم يخفروا : أي لم يخلّوا بما عاهدوا عليه ، ولم يعسفوا : أي لم يظلموا أحداً .

خلعٌ كأنوار الربيع مدبجٌ ... وموشّمٌ ومنمنمٌ ومفوَّف[1]
بهرتْ عيون الناظرين وأبرزتْ ... حسناً يكاد البرق منه يخطف
لو نالت الشمس المنيرة حسنها ... ما كانت الشمس المنيرة تكسف
ولئن كبرت عن الملابس والحلى ... وبك الملابس والحلى تتشرّف
فالبيت يكسى وهو أشرف بقعةٍ ... في كلّ عامٍ مرَّةً ويسجّف[2]

ألمَّ فيه بقول من قال [من الكامل] :

تزهى بك الخلعة الميمون طائرها ... كزهو خلعة بيت الله بالبيت

رجع :

كالشّمس حفَّت بالسعود وحوله ... خدمٌ كأمثال الكواكب وقَّفُ
وكأنّ مجلسه عروسٌ تجتلى ... والمادحون به قيانٌ تعزف
ما تشتهي الآذان تسمعه وما ... تهوى العيون من المناظر تطرف
أو ما ترى حسن الزمان وطيبه ... والجوّ صافٍ والجنان تزخرف
عاد الربيع إليك في كانونه ... فشتاؤه للحسن صيفٌ صيِّفُ
شمسٌ محجّبةٌ وظلٌّ سجسجٍ ... وغمامةٌ سحٍّ وروضٌ رفرف[3]
وعلى الجبال من الثلوج أكاللٌ ... وعلى السماء من السحائب مطرّف[4]
نبأٌ تباشرت القلوب لذكره ... أذكى من المسك الذكيّ وأعرف
فلكلِّ عينٍ قرّةٌ ومسرَّةٌ ... ولكلِّ نفسٍ عزَّةٌ وتغطرف[5]

---

(١) خلع : عطاء ، وثوبٌ ، ومفوّف : موشّى ومزيّن .

(٢) يسجّف : من سجف البيت : أي أرسل عليه السجف ، وهو الستر ، أو الستران المقرونان بينهما فرجة ، والمراد بالبيت : الكعبة الشريفة .

(٣) السجسج : الذي لا حرّ فيه ولا برد .

(٤) المطرّف : الرداء من الحرير ذي الأعلام .

(٥) التغطرف : العجب والخيلاء .

وله من قصيدة في علي بن أبي القاسم [من المتقارب] :

معانٍ نظمت بهنّ الصبّا ... كما نظم الغانيات العقودا
بباب الجديد لنا موقفٌ ... لبسنا به العيش غضّاً جديدا
وكم بالمحصب من ليلةٍ ... شفعنا إلى الصبح أن لا يعودا
ويومٍ قصيرٍ بتلك القصو ... ر تحسبه الغيد للحسن عيدا
تراه عبيراً وحصباءه ... عقيقاً وأشجار واديه عودا
عليّ بن أبي القاسم آرفق بنا ... فقد عاقنا الشكر أن نستزيدا
لئنْ لم تملَّ ندىً أن تفيد ... لقد ملَّ راجيك أن يستفيدا
وقالوا انتجعت حياً نازحاً ... وهل عاق بعد الحيا أن يجودا[1]
سنا البدر يغشى الثرى والورى ... جميعاً وإن كان منهم بعيدا
قوافٍ إذا ما رآها المشو ... ق هزّت لها الغانيات القدودا
كسون عبيداً ثياب العبيد ... وأمسى لبيد لديها بليدا[2]
ولو لم أكن محسناً نظمهنْ ... لحسن قصدي إليك القصيدا
عرفنا بعرفك كيف الطريق ... وجودك علَّمنا أن نجيدا

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي من نتفه [من الرمل] :

ثُقَلاءُ الأرض عندي خمسةٌ ... صالح والابن منهم أربعة

ومن نتفه [من الوافر] :

تركت الشّعر للشعراء، إنّي ... رأيت الشعر من سقط المتاع

وأنشدني له في أبي الحسن الغويري [من مجزوء الرمل] :

في حرِّ امِّ الشّعر أيري ... لست أعني أير غيري

---

(١) انتجعت : قصدت ، والحيا : المطر .

(٢) عبيد : يريد عبيد بن الأبرص ، ولبيد : يريد : لبيد بن ربيعة ، وبليدا : مستثقلا .

إنّما يرفع قول الشعر أمثال الغويري

* * *

٢٠ ـ أبو القاسم غانم بن أبي العلاء الإِصبهاني

شاعر ملء ثوبه ، محسن ملء فمه ، مرغوب في ديباجة كلامه ، متنافس في سحر شعره ، ولم يقع إلى ديوانه بعد ، وإنما حصلت من أفواه الرواة على قطرة من سيح غرره ، وغيض من فيض ملحه ، ولا يأس من وجدان ضالتي المنشودة من مجموع شعره ، وقد مرت في الصاحبيات أبيات له قلائل إلا أنها قلائد ، وهذا مكان ما أحاضر به من أخواتها الرائقة الفائقة الشائقة .

أنشدني المعروف بالقاضي الإمام الأصبهاني قال : أنشدني أبو القاسم بن أبي العلاء لنفسه [من مجزوء الرجز] :

أصبحت صبّاً دنفاً بين عناءٍ وكمد
أعوذ من شرّ الهوى بقلْ هو الله أحد

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو القاسم لنفسه [من الكامل] :

المستغاثُ من الهوى بالله من شادنٍ فتن الورى تيّاهِ
ما كنت أعلم قبله حرّ الهوى والوجد ما هو والصّبابة ماهي
حتى بليت أغنّ مدللاً كالريم يعصي في هواه الناهي
فمدامعي عبري وقلبي والهٌ وجوانحي حرّى وصبريَ واهي

وله [من الخفيف] :

أيها الخشف كم أودُّ وأجفى وأسام الهوان صنفاً فصنفا
لو كشفت الغطاء عن سرّ قلبي لقرأت الأحزان حرفاً فحرفا

إنّ نفسي موقوفةٌ بين شيئيـ ـن رجائي عليهما بات وقفا
بين أن ينصف الزمان وأعطى أملي فيك أو أموت فأكفى

ومن قصيدة [من الكامل] :

الطِفْ بطرفك ما أردت ودارهِ لا يفضحنّك إنْ مررت بداره

وأنشدني له في نفسه [من المجتث] :

رجلي وأيري وبيضي في إست أم القويضي
لما أراد هجائي وفيضه دون غيضي[1]
ورام تدنيس عرضي فصار خرقة حيض[2]

وأنشدني أبو القاسم علي بن الكرخي له فقال [من الطويل] :

وقائلةٍ قالت فلانة طلِّقتْ فقلت ونفسي أطلقت بانطلاقها
تزوَّج قلبي الهمَّ يوم تزوّجت وطلّق قلبي الهمّ يوم طلاقها

وأنشدني الأمير أبو الفضل له من قصيدة يعاتب فيها الصاحب ويستبطئه [من الطويل] :

فإن قيل لي صبراً فلا صبر للذي غدا بيد الأيام تقتله صبرا
وإن قيل لي عذراً فوالله ما أرى لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذرا

وأنشدني أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي له من قصيدة [من الكامل] :

وَرَدَ البشير بما أقرّ الأعينا وشفى النفوس فنلن غايات المنى
وتقاسم الناس المسرّة بينهُمْ قسماً فكان أجلُّهم حظّاً أنا

* * *

(١) دون غيضي : أي أقل ممّا يحبسه وغاض الماء : ذهب في الأرض وغاب .
(٢) خرقة حيض : أي خرقة تستعملها المرأة أوان الحيض أي العادة الشهرية .

٢١ ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن

من حسنات أصبهان وأعيان أهلها في الفضل ، ونجوم أرضها وأفرادها في الشعر. ومن خراص الصاحب ومشاهير صنائعه ، وذوي السابقة في مداخلته وخدمته. وكان في اقتبال شبابه وريعان عمره ، يتولى خزانة كتبه وينخرط في سلك ندمائه ، ويقتبس من نور آدابه ، ويستضيء بشعاع سعادته فتصرف من الخدمة فيما قصر أثره فيه ، عن الحد الذي يحمده الصاحب ويرتضيه كالعادة في هفوات الشبيبة وسقطات الحداثة . فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله ، ذهب مغاضباً أو هارباً ! وترامت به بلدان العراق والشام والحجاز في بضع سنين ، ثم أفضت حاله في معاودة حضرة الصاحب بجرجان إلى ما يقتضيه ويحكيه في كتاب كتبه إلى أبي بكر الخوارزمي ، وذكر فيه عجزه وبجره[١] ، وقد كتبته تنبيهاً على بلاغته وبراعة كلامه ، واختصاراً للطريق إلى معرفة قصته ، وهذه نسخته :

كتابي أطال الله بقاء الأستاذ سيدي ومولاي من الحضرة التي نرحل عنها اختياراً ، ونرجع إليها اضطراراً ، ونسير عن أفيائها إذا أبطرتنا النعمة[٢] ، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة ، ومن لم تهذبه الإقالة هذبه العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار . وما الشأن في هذا ، ولكن الشأن في عشر سنين فاتت بين علم ينسى وغمّ لا يحصى ، وإنفاق بلا ارتفاق ، وأسفار لم تسفر عن طائل ، ولم تغن عنّي ريش طائر ، وبعد عن الوطن، على غير بلوغ الوطر . ورجعت يشهد الله صفر اليدين من البيض والصفر[٣] ، أتلو « والعصر إن الإنسان لفي خسر » ، وأنا بين الرجاء في أن أقال العثار ، والخوف من أن يقال زأر الليث فلا قرار ، إلا أني كنت قدمت تطهير نفسي فلججت حتى حججت ، وعدت بغبار

---

(١) عجره وبجره : ما يبديه ويخفيه من أحواله .
(٢) أبطرتنا : من البطر .
(٣) البيض والصفر : الدراهم والدنانير أو الفضة والذهب .

الإحرام ، وبركة الشهر الحرام ، وحين خيّمت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس أدام الله تمكينه خبري إلى الحضرة العالية ، حرس الله بهاءها وسناءها ، والناس ينظرون هل أقبل فيتلقوني بأكبر الرتب ، أم أسخط فيتحاموني كالبعير الأجرب ، فورد توقيع مولانا الصاحب الجليل ، كافي الكفاة أدام الله مدته ، وكبت أعداءه وحسدته ، بعالي خطّه ، وقد نسخته على لفظه ، ليعلم مولانا الأستاذ أدام الله عزه أن الكرم صاحبي لا برمكي ، وعبّادي لا حاتمي ، وأنّا نتجرّم ثم نتندّم ، ونميل على جانب الإدلال ، ثم لا نروى من الماء الزلال ، والتوقيع .

ذكر مولاي أدام الله عزه عود أبي محمد الخازن أيده الله للفناء الذي فيه درج ، والوكر الذي منه خرج . وقد علم الله أن إشفاقي عليه في اغترابه ، لم يكن بأقل منه عند إيابه ، فإن أحب أن يقيم مديدة يقضي فيها وطر الغائب ، ويضع معها أوزار الآيب . فليكن في ظلّ من مولانا ظليل . ورأي منه جميل ، وبرّ من ديواننا جزيل . وإن حفزه الشوق فمرحباً بمن قرّبته التربية لدينا ، فأفسدته الغرّة علينا[1] ، وردته التجربة إلينا . وسبيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعنيه على كل ارتحاله ، إن شاء الله تعالى .

هذه نسخة التوقيع الوارد على سيدنا الأستاذ أبي العباس ، أدام الله عزه في معناي ، فلا جرم أني أخذت مالاً ، وأغنيت عيالاً ، وقلت ليس إلاّ الجمازة والمفازة[2] ، فصبحت جرجان مسى عاشرة أهدى من القطا الكدرى، كأني دعميص الرمل أستاف أخلاف الطرق[3] ، وأنا مع ذلك أحسب العفو عنّي حلماً ، ولا أقدر ما جنيت يعقب حلماً ، فكأنّي ما خطوت إلاّ في التماس قربه ، وما أخطأت إلاّ لتأثيل حرمه[4] ، وكأني لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ فيّ بقول الله

(١) الغرّة : الجهل .

(٢) الجمازة : الإسراع في الأرض ، والمفازة : الأرض الكثيرة الهلكة .

(٣) الدعميص : التلّ والكثيب الصغير،|وأستاف : أضرب بعضها ببعض .

(٤) تأثيل : تمجيد، والأثيل : الأصيل .

تعالى فاصفح الصفح الجميل ، فقد روى في التفسير أنه عفـو من غير عتـب ، وعدنا للقرب في المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراجعت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر[1]. وركبنا صهـوات الخيل ، وسبحنـا الـى دورنـا بفضـلات الخير . وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم . وراجع الطبع شيئـاً كان يدعي الشعر ، كذلك آدم أسكن الجنة بمنّ الله وفضله ، ثم خرج عنها بما كان من جرمه . وهو عائد إليها بفضل الله وطوله ، هذا خبري، وأما كتاب سيدي الأستاذ أدام الله عزه فورد وذكرت قول سلم الخاسر * طيفٌ ألمَّ بذي سلم * لأنه حل محل الخيال ، وورد بأخصر المقال ، وما تركت السؤال عن خبره ساعة وردت . فعرفت من سلامته ما بشرت به فاستبشرت . وعلمت كيف كانت النكبة ، وكيف انحسرت المحنة ، وكيف اتفق الخروج إلى بخار المزن من المزني صاب ، بعد أن أصابه الدهر بما أصاب ، وشوقي إلى سيدي الأستاذ الشوق الذي كنت أصلى بنـاره ، وداري إزاء داره . ولم أستطع في التقريب أكثر من أن خرجت عن الموصل إلى جرجان ، وشارفت أدنى خراسان ، ولله اللطائف التي تخلصتني من الموصـل ، فإني كنت في وقعة باد أباده الله وعراني ممّا ملكت ، وهتكني فتهتّكت ، وخرجت على مذهب مشايخنا في ضرب الحراب ، على صفحة المحراب . وهذا حديث طويل ، والكثير منه قليل . ذكر الأستاذ سيدي أن الشيخ أبا الفتح الحسن بن إبراهيم أخّر عنه نسخة الرسائل مع خروج الأمر الناجز ، وقد عجبت من ذلك ، فإن أوامر الحضرة أقدار جارية ، وسيوف ماضية . وأنا أجري حديثاً ، وأنتجز كتاباً جديداً . فأما شعري فليس يروى إلا في ديوان باد ، منذ فارقت آل عباد ، وفجعت بكتبي جملة ، وضرب عليها أولئك اللصوص ضربة . بل عملت في تهنئة مولانا أدام الله سلطانه ، وحرس مكانه ، حين رزق سبطا نبوياً علوياً فأشرقت الأرض ، ودعت السماء ، وأمنت الكواكب ، وقال الشعراء . وذلك أنه لما سمع الخبر قال [من البسيط] :

---

(١) الحبر : جمع حبرة وهي الثوب الناعم الجديد الموشّى .

الحمـد لله حمـداً دائمـاً أبـدا إذ صار سبـط رسـول الله لي ولدا

فعملت على ذلك ما قد أثبته ، فإن يكن ليس بالمسخوط فمن بركة الحضرة والخدمة ، وإن يكن ممقوتاً فمن بقايا الغربة . ومن خبري أن لي ضيعة بأصبهان مقطعة ، وقد برقت لي في حلّها بارقة مطمعة[1] ، لأن مولانا أدام الله مدته أمرني أن أعمـل في السلطـان العـظيم ، أطـال الله بقـاءه مدحـاً نيروزياً أشـقّ بسموطـه السماطين[2] ، هذا ولو كنت عاملاً لكنت اليوم في مرموق الدرجات ، فقد وردت ورأيت جماعة لم أكن يومئذ دونها ، وقـد صارت في منـازل أحتـاج إلـى خافية العقاب حتى ألحق بها ، زادهم الله ولا نقصني ، وهناهم ولا نغّصنـي . ومنهـم شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله ، وما أقول إنه ليس بأهل لأضعاف ما خوّل وتخوّل به وموّل . إذ قد تفضل الله عليه بما أعلم أنه لو حكم بما تحكم فيه وقد قرنت بالقصيدة في المولود المسعود أخرى عيدية أبقـى الله مولانـا ما عاد عيد ، وطلع نجم جديد ، وسقى الله سيدي الأستاذ العهاد ، والرذاذ ، والطل ، والوبل ، والديمة ، والتهتان[3] ، وجميع ما في كتاب المطر للنضر بن شميل ، فما رأيت أتمّ منه ، وحسبي الله ، وصلواته على محمد وآله الطاهرين .

فهذا كلام كما تراه يجمع بين الجزالـة والحـلاوة ، وحسـن التصـرف في لطائف الصنعة ، ويملك رق الإتقان ، والإبداع والإحسان ، ويعرب عما وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة . فأما شعـره فجار مجرى عقد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف ، وما أصدق قولـه [مـن البسيط] :

لا يحسـن الشعـر ما لم يستـرقّ له حرُّ الـكلام وتستخـدمْ له الفكرُ

---

(١) برقت : ظهرت وخطرت .

(٢) السماطين : السماط : الصفّ ، وسماط الطريق جانبه .

(٣) العهاد والرذاذ والطلّ والوبل والديمة والتهتان جميعها من صفات هطول المطر .

انظـرْ تجـد صور الأشعـار واحدةً ... وإنّمـا لمعـانٌ تعشـق الصّـور
والمقدمـون من الإبـداع قد كثروا ... وهـم قليلـون إنْ عدّوا وإنْ حصروا
قومٌ لو آنّهـم آرتاضـوا لمـا قرضوا ... أو أنهـم شعـروا بالنقص ما شعروا

وكان أبو بكر الخوارزمي أنشدني لمعاً يسيرة من شعر أبي محمد ، كقوله في وصف غبار الركب ، وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه . وأجمع لأقسام الحسن والظرف ، وهو [من الخفيف] :

إنّ هـذا الغبـار ألبـس عطفـيَّ سـواداً ودينـيَ التّوحيـد
وكسـا عارضـيَّ ثوب مشيبٍ ورداءُ الشّبـاب غضٌّ جديد

وقال في الغزل [من الكامل] :

حـثَّ المطـيّ فهـذه نجدُ ... بلـغ المـدى وتـزايد الوجد
يا حبّـذا نجـدُ وساكنُها ... لو كان ينفـع حبّـذا نجد
وبمنحنـى الـوادي لنـا رشأٌ ... قد ضلّ حيث الضـال والرند[1]
هنـدٌ ترى بسيوفِ مقلتها ... ما لا ترى بسيوفهـا الهند

وأعطاني نسختي القصيدتين اللتين ذكرهما في الكتاب الصادر ، فشوقني إلى سائر شعره ، وبقيت أسأل الرياح عنه ، إلى أن أتحفني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي في جملة ما لا يزال يهديه إليّ من ثمرات أرضه ، ولطائف بلده بالعقيلة الكريمة ، والدرة اليتيمة ، من مجموع شعر أبي محمد ، وقد كانت حضرة الصاحب جمعتهما ، ومناسبة الأدب ألفت بينهما ، فأوجب من الاعتداد ، وفر الأعداد ، وجمعت يدي منه على العلق النفيس ، فرتعت في روضته الأنيقة فبينا أنا أباهي به ، وأهتز لحصوله ، إذ أصابه بعض آفات الكتب ، وامتدت إليه يد بعض الخونة [من الطويل] :

---

(١) الرشأ : الغزال ، والضال،والرند : من الأشجار الطيبة الرائحة .

وسهم الرزايا بالذخائر مولعٌ وأيُّ نعيمٍ لا يكدِّره الدَّهرُ

فصنع الله تعالى في القوارع من إخراج ما يصلح لكتابي هذا منه ، فمن ذلك قوله من قصيدة في الاستعطاف والاعتذار عند تغير الصاحب عليه واستمرار الأسفار بأبي محمد [من الوافر] :

أيا من عفوه داني السّحابِ صدوق البرق ثقَّاب الشهابِ
مديدُ الظلّ معقود الأواخي على الجانين مضروب القباب
فكيف حجبت عنك وأنت شمسٌ تجلُّ عن التستر بالحجاب
أيرتج باب عفوك دون ذنبي وعفوك لم يشنْ برتاج باب[1]
وإعراض الوزير أشدُّ مسّاً على الأحرار من ضرب الرقاب
ثنى غربي وفلّ شبا شبابي وصبّ عليَّ أسواط العذابِ[2]
ولم تبق الليالي في بُقيًّا لعتبٍ منك فضلاً عن عقابي
فهب لزيارتي خطئي ، وعمدي لقصدي ، واغتراري لاغترابي
فما في الأرض إلاّ من يراني بعين المحنق الضرم الضباب[3]
كأنّي قد أثرتُ بهمْ ذئاباً أو استنفرت منهم أسد غاب
حصلت وكنت ضيفك في الثّريَّا وصرت ولست ضيفك في التراب
أعدني للقرى واجعل جوابي وإيجابي جفاناً كالجوابي[4]
وجُدْ برضاك فهو العيش غضّاً وكلاّ فهو ريعان الشباب
ولو زعت الحسام العضب سخطاً لذاب ذبابه بين القراب[5]

---

(١) يرتج : يقفل ، ويشن : يعاب .

(٢) الغرب : الحدّة والنشاط ، وفلّ : قطّع .

(٣) الضرم : الغضب ، والضباب : العابس .

(٤) الجفان : القصع ، أو ما يسكب فيه الطعام من الآنية ، والجوابي الجران : الواسعة التي تسقى منها الحيوانات .

(٥) الذباب من السيف: طرفه الذي يضرب به .

أعيذك أن تصيخ إلـى عدوي | وسمعك عن هنـات القـول نابي[1]
علـى أنّـي أتـوب إليك ممّا | كرهـت فرقٌ لي واقبـلْ متابي
وإن لم تعفُ عن ذنبـي سريعاً | فهـا إنـي وحـقٍّ أبـي لمابي
سألثـم من ثراك الـروض غضّاً | ومـن يمنـاك منهـلٌ السحاب
أصبـت بخاطـري فأتـى بشعرٍ | عليلٍ مسَّهُ ألـم المصاب
وما لـي غير مدحٍ أم ثناءٍ | مشيدٍ أمْ دعـاءٍ مستجاب

وقوله من قصيدة في معناها هي أحسن عندي من اعتذارات النابغة إلى النعمان وإبراهيم بن المهدي إلى المأمون وعلي بن الجهم إلى المتوكل [من الوافر] :

لنـار الهـمٍّ في قلبـي لهيبٌ | فعفـواً أيهـا الملك المهيبُ
فقـد جاز العقـاب عقـاب ذنبي | وضجٌ الشعـر واستعـدى النسيب
وفاضـت عبـرةً مهـجُ القوافي | وغصَّصـهـا التذلُّل والنحيب
وقـد قصمـتْ عراهـا واعتراها | بسخطك بعـد نضرتهـا شحوب
وقالـت ما لعفـوك ليس يندى | لنـا وسمـاء مجـدك لا تصوبُ
ومـن يكُ شوط همتـه بعيداً | فمثنـى عطفـه سهـلٌ قريبُ
تجـاوزتِ العقـوبة منتهـاها | فهبْ ذنبـي لعفـوك يا وهوب
وأحسـنْ إنّنـي أحسنـتُ ظنّي | وأرجـو أنّ ظنّـي لا يخيب
أترضـى أن أكون لقـى مقيماً | علـى خسفٍ أذوب ولا تثوب[2]
أبيت ومقلتـي أبِـقٌ كراها | وفـي ألحاظهـا صابٌ صبيب[3]
وقيذاً لا يلائمنـي طعامي | ولا ينسـاغ لي المـاء الشروب[4]

---

(١) تصيخ : تستمع ، وهنات القول : أي القول المعيب .
(٢) اللقى ـ كفتى ـ المطروح ، وجمعه ألقاء .
(٣) أبقٌ : هارب ، والصاب : عصارة شجر الصاب الشديد المرارة .
(٤) الوقيذ : المريض .

صببتَ عليَّ سوطاً من عذابٍ يذلّ لبأسه الدّهر الغلوب
وأرهقني نكيرك لي صعوداً من الأشجان ليس له صبوب
وما عوني على بلوايَ إلاّ رجائي فيك والدَّمع السكوب
فإنْ تعطفْ على رجلٍ غريبٍ فإنّي ذلك الرّجل الغريب
عليك أنيخ آمالي فرحِّبْ بها، وإليك من ذنبي أتوب
وأخطر ما يريب إذا دهتني غوامضه إلى ما لا يريب
فأيَّةُ طربةٍ للعفوّ إنّ الـ ـكريم وأنت معناه طروب
فإنّي نشءُ دارك والمغذّى بسيبك والصنيعةُ والربيبُ
وأُبْتُ إليك من عفوٍ مدلاً بما يقضي علاك لمن يؤوب[1]
ولذت ببابك المعمور علماً بأنّ ذراك لي مرعى خصيب
وأنّ شعابه أندى شعابٍ إليها يلجأ الرجل الأديب
وسقت بناتِ آمالي إليها وقد حفيَتْ وأنضاها الدءوب[2]
فبوئني اختصاصك حيث تجني ثمار العزّ والعيش الرطيب
ولكنْ كادني خبٌّ حقودٌ لعقرب كيده نحوي دبيب[3]
وما لجموحٍ أُلفته جنيبٌ وما لشمال فرقته جنوب[4]
ولا يشفيه منّي لو رآني وقد أخذت بحلقومي شعوب[5]
بلوت الناس من ناءٍ ودانٍ وخالطني القبائل والشعوب
فكلٌّ عند مغمزه ركيكٌ وكلٌّ عند مشربه مشوب[6]
فجدْ لي بالرضا واقبل متابي وعذري، إنّني أسِفٌ كئيب

(١) أبت : عدت .
(٢) أنضاها : عرّاها.
(٣) الخبّ : المخادع .
(٤) جنيب : مرافق وجنوب : الريح التي تهبُّ جنوباً .
(٥) الشَعوب : الموت والهلكة .
(٦) المغمز : التجربة والاختبار ، ومشوب : ممزوج .

طــريحٌ في فنائــك مستضامٌ غريبٌ لا يكلِّمنــي غريب
أأمنــعُ من بوادي العلــم منعاً كأنّــي ليس لي فيهــا نصيب
وأحــرمُ من كلامــك كلّ بدعٍ تناهبــه النــواظر والقلـوب
فلــم لا ينتهــي ويكفُّ عنّي عقابك بعــد ما انتهــتِ الذنوب
وغــاية ما يصير إليه شعرٌ إذا استعطفــت أو مدحٌ مصيبُ
ومــن سقيا سحابــك جاد طبعي ولــولا الغيث لم ينبــع قليب[1]

وكتب إلى أبي العلاء بن سهلويه وقد ورد بغداد رسولاً وأبو محمد بها قصيدة منها [من الكامل] :

أأبــا العــلاء وردت أكرم موردٍ أرض العــراق وأنــت أنجــح آيبِ
وحــويت في الحــالين شأوَ مبرِّزٍ متحــرِّزٍ لم يأت غير الواجبِ
وخدمــت شاهنشــاه أحســن خدمةٍ رضيت وأوثقهــا لرأي الصّاحب
أبلــغ رسالتــيَ الــوزير وقــلْ له قولاً يسهِّــل لي سبيل مطالبي
ويضــيءُ آفاقــي ويمــرع مرتعي ويحــقُّ آمالــي ويخصــب جانبي
بحياتــه قســم الــكرام وعهدهمْ لا تلونــي عنــه بظــنٍّ خائب
واذكر موالاتــي الصريحــة إنّها أبهــى وأنضــرُ من عهــود حبائب
وكفــاك علمــك بي وودّي شاهداً فاذكرْ خلــوص عقائــدي ومذاهبي
خذهــا إليك شذور طبــعٍ لاعبٍ بالشّعــر مرتــاحٍ له لا لاعبِ
وكأنّــه فــي حسنــه وروائه نظـم العقــود علــى نحــور كواعب
أهــديت من حلــواء باب الطلــق ما يزري علــى حلــواء ذاك الجانب
وأشــدّ منــه حلاوةً شعــري الذي سحــر القلــوب بسحــره المتناسب

وله من أبيات عملها بديهة لينشد الصاحب [من المتقارب] :

---

(١) القليب : البئر .

أبيتُ قديتك إلاّ الغضبْ على أخويك النّدى والأدبْ
وأمرضت شعري وأحرضته وشبّبت تشبيبةَ المقتضب[١]
بلِ اشتكت الغرر السائراتُ وصاحت دواوين شعر العرب
وحال الجريض دوين القريض وضرب اليعاسيب دون الضرب[٢]
وقد كان شعري قضى نحبه فامسكه عفوك المرتقب
وأنك تحنو على سرحه وتغزر من مائه ما نضبْ
وتوقد من ناره ما خبا وتطلع من نجمه ما غرب
بكى غزلي حسن ورد الخدود وضرّب بين اللّمى والشنب[٣]
وأعرض منخزلاً بعد ما تألّق من حسنه والتهب
فلا توحش المهرجان الذي بنظمي يرى السامعين العجب
وأنظم باسمك عقد العلا وأنشر عنك نضار الحسب
فهبْ ليَ ذنبي فأنت الشفيع لا غير والمرء مع من أحبّ
وردَّ إليَّ نعيم الرّضا ولا تصلنّي بجحيم الغضب
وما ليَ ذنبٌ فإن كان لي فذنب حقيرٍ قصير الذنب
متى يرض عنّيَ كافي الكفاة بلغت المراد ونلت الأرب

وله من صاحبية ذكر فيها برءه من مرض عرض له [من الكامل] :

كذبت سعود المشتري فلو آنها حرمتْ سعادة جدّه لم تنجحِ[٤]
ما مسّه ألمٌ ولكن هزَّهُ ما هزَّ إفرند الحسام المصفح

---

(١) الحرض : الهلاك .

(٢) الجريض : الغصة ، من الجرض وهو الريق يغصّ به ،والقريض :الشعر ، و « حال الجريض دون القريض » مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً حين لا ينفع ، وأوّل من قاله : عبيد بن الأبرص قاله للنعمان . وقد ورد عليه في يوم بؤسه .

(٣) اللّمى : سمرة في الشفة، والشنب : عذوبة الأسنان .

(٤) الجدّ : الحظ .

نفض الأذى عن جسمه والروض قدْ ... ينفي الهشائم وهو غير مصوّح[1]
ما بحت عنه سوى قذىً والعين لا ... تصفو من الأقذاء ما لم تضرح[2]
عادت سلامته وأظهر دهره ... ندم المنيب وتوبة المستصفحِ

ومن أخرى [من الكامل] :

ما زلت أعتسفُ المهامه والفلا ... وأواصل الأغوار بالأنجادِ[3]
حتّى نأيت عن الحواضر ملقياً ... رحلي بوادٍ في تخوم بوادي
فإذا بسعدي وهي بدرٌ طالع ... من فوق غصنٍ في نقاً منهاد[4]
وطرقتها وعداتها رقباؤها ... في صورة المرتاب لا المرتاد
فحللت منها حيث كان وشاحها ... درعي وساعدها الوثير وسادي
وجناؤها حصني وساحر طرفها ... سيفي وفاحمها الأثيث نجادي[5]
وعقاصها الموصول زهرة روّضتي ... ورضابها المعسول صوب عهادي[6]
حيث الصّبا عبق الحواشي مونقٌ ... تزهى بناعم غصنها المياد
والروض أحوى والحمائم هتّفٌ ... والظلُّ ألمى والقيان شوادي[7]
ولها ديارٌ غير شرقيِّ الحمى ... شحطت وشطَّت عن لقاء أعادي
دارٌ بذي الأرطى ودارٌ بالغضا ... أخرى ودارٌ باللوى المنقاد
لو فاخرت ذات العماد بيوتها ... عادتْ مقوَّضةً بغير عماد
لا تكذبنَّ فما لها دارٌ إذا ... أنصفتني إلاّ صميم فؤادي

(١) مصوّح : محطّم .
(٢) تضرح : تنحّى وتبعد .
(٣) المهامه : الصحاري ، والأغوار والأنجاد : أي المنخفضات والأعالي .
(٤) منهاد : أي ناهد وهي المرأة التي ارتفع ثديها .
(٥) الفاحم : الشعر الأسود ، والأثيث : المتداخل والنجاد : ما يعلّق به السيف .
(٦) العقاص : خصلات الشعر المضفورة .
(٧) أحوى : من كانت به حوّة وهي لون صدأ الحديد سمرة إلى حمرة . وألمى : من كان في شفته سمرة مائلة إلى السواد .

فلذاك لا تسقي السحائب أرضها إلاّ بردن حرارة الأكباد

ما أبدع هذا المعنى وأبرع هذا اللفظ!! وقد سبق إلى معنى البيتين ولكنه أبدع في الجمع بينهما وأحسن ما شاء .

ومنها :

ولرب ليلٍ لم أنمْهُ، ومقلتي مطروفةٌ مطروقةٌ بسهاد
شوقاً إلى نادٍ جنى ريحانه لمع القريض ونغمةُ الإنشاد
نادٍ تجلّى عن مقرٍّ سريره قمرٌ أناف على البسيطة بادي
كافي الكفاة المستجار بظلّه والمستضاء بعزمه الوقّاد
ملكٌ محبّته سلافة مزنةٍ ملكت مع الأرواح في الأجسادِ
ملكٌ يقال له حماد إذا التقت قحم السنين ولا يقال جماد

وهي طويلة ، وما من أبياتها إلا غرة أو درة .

ومن أخرى [من الطويل] :

ولما تنسّمنا صبا صاحبيةٍ تعيد عجاج الجوّ وهو عبيرُ
تركنا لظى الرمضاء وهي حديقةٌ ندىً وحصى المعزاء وهي شذور[1]
ونلنا هشيم النبت وهو منوّرٌ وردنا قتاد الأيك وهو حرير[2]

ومنها :

وزيرٌ وممّا يعجب المجد أنّه وزيرٌ عليه للسّماح أمير
ويخطب من فوق الثريّا بفخره فلا تعجبوا إنّ الخطيب خطير

---

(١) الرمضاء: شدّة الحرّ ، والمعزاء : الأرض الكثيرة الحصى . وشذور : القطع من الذهب تلتقط من معدنه .

(٢) القتاد : الشوك .

لوى الراسيات الشمَّ أيسر سخطه ... ويكفي من السمِّ النقيع نقير[1]
وذلَّل أعناق الليالي بهمّةٍ ... لها مرقبٌ فوق الأثير وثيرُ
وخمَّرَ رأياً لم يشطَّ ثباتُهُ ... فطورٌ ورأي الأكثرين فطير[2]
له القاضيات الماضيات مهنّدٌ ... مبيرٌ وعزمٌ كالشهاب منير[3]
وما كان للجوزاء لولا جوازه ... مجازٌ وللشعرى العبور عبور
تساعده الأقدار فيما يريده ... وتسعده الأفلاك كيف تدورُ
أواري بكرّ أبّاد صفٌ صعداته ... وقد عقدت منها عليك حبور
وصفٌ بأسه إذ ظلّ يصدم وحده ... ثلاثين ألفاً والجسور جسور

سبحان الله ! ما أشرف هذا الكلام وأعلاه وأجله !!

ومنها :

وألويةُ النصر المبين خوافقٌ ... تطيح بأشتات العدا وتطير
وقد كشّرت عن نابها أمُّ قشعمٍ ... وللموت في وجه الكمِّي هرير[4]
وفي يده اليمنى ثوابٌ وجنّةٌ ... وفي يده اليسرى ردىً وسعيرُ
ولي مِدَحٌ فيه غوادٍ روائحٍ ... أشيد مدى عمري بها وأشير
ووصف نسيبٍ لو أعير كثيراً ... لوفّيَ تعظيماً وقيل كثير

وله من قصيدة في فخر الدولة [من الطويل] :

سقى الله أياماً بشرقيٍّ منبجٍ ... إلى العلم الأقصى بغربي منعَّجِ
إلى الحيرة الغنّاء مطمح ناظري ... ومسرح آمالي ومسرى تفرُّجي

---

(١) النقير : القليل .
(٢) يشطّ : يتوه ويفارق ، فطورٌ : خالقٌ .
(٣) مبير : مهلك .
(٤) أم قشعم : الضبع ، والهرير : صوت القوس والكلب دون النباح .

منازل لو لم تخطُ سعدي بأرضها ... لما اهتزَّ غصنٌ في نقا مترجرج[1]

ولا راق درٌّ فوق أشنب واضحٍ ... ولا راع سحرٌ تحت أكحل أدعج

ولم يتحدَّرْ طلّ نرجسِ مقلةٍ ... على صفحتيْ تفّاح خدٍّ مضرَّج

عشية هزّت للوداع فأودعتْ ... محاسنها أعطاف جذعٍ مدبَّج

فكم غَرِدٍ لمّا استقلَّ ركابها ... حدا طرباً والليل غضبان مدَّجي

وكم ثملٍ من نشوة الحبِّ يرتعي ... هوى عامرٍ ما بين حجلٍ ودملج[2]

أقول وقد لاحت عوالي خيامها ... وفاحت غوالي روضها المتأرّج

أيا طارقي أحججْ ويا رائدي ابتهجْ ... ويا سابقي عرّج ويا صاحبي عجِ

ويا عبرتي كفّي ويا ناقتي قفي ... ويا شيبتي احتجي ويا صبوتي ادرجي

فقد كتبت أيدي المشيب مواعظاً ... بخطٍّ على فوديَّ غير مسبّج[3]

لئن كنت في بردٍ من العيش مبهجٍ ... لقد صرت في طمرٍ من الشيب منهج[4]

ولذت من الدهر العسوف بحضرةٍ ... تحاط بأطراف الوشيج المزجَّج[5]

هي الحضرة الغناء تهتزُّ نضرةً ... وتزري بأنواع الربيع المثجَّج[6]

هنالك لا زند الرجاء لمرتجٍ ... بكابٍ ولا باب العطاء بمرتجِ

هكذا فلتمدح الملوك ، وأبيات هذه القصيدة فرائد كلها ، وقد كتبت أنموذجاً منها .

وله من أخرى في وصف الربيع [من الكامل] :

---

(١) النقا المترجرج : الكثيب المتموّج .

(٢) الحجل والدملج : أي الخلاخيل والأساور .

(٣) غير مسبّج : أي بخطٍّ أبيض لأن السّبج هو السواد .

(٤) الطمر : الثوب البالي ، والمنهج : الرث .

(٥) الوشيج المزجج : أي الرماح .

(٦) المثجّج : الذي تسقيه الأمطار الغزيرة .

طلع الـربيع فقـال للأرض آشكري نعـم السمـاء وأبدئـي وأعيـدي

فغـدتْ حدائقهـا تواصـل شكرها بلسـان كلّ مطوّقٍ غرِّيد

روضٌ إذا نشـرت طرائف وشيهِ طويتْ لهـا أبـراد آل يزيد

ريّان لم يعثـر نسيم صبابتي في ظلّهـا إلاّ بورد خدود

واعتـلّ نرجسـه فعادتـه الصّبا أحسِـنْ بنظـرة عائـدٍ ومَعُود

وببـلٍّ مسـكيٍّ الصّـعيد معنبرٍ من مزنـةٍ حثّـت بجيش رعود

وزففـت حرَّة مدحـةٍ فخريةٍ تركت عبيداً وهـو بعض عبيدي

وأنـا الـذي أجلـو معانـي مدحه زهـراً طوالـع في سمـاء قصيدي

يتنـافس السحـر الحـلال ، وتارةً يتناثـر العقيان حول نشيدي

فليفتـرعْ أبـكار لذّاتِ المنى وليضـرع الـراقود للناجـود[1]

راحـاً إذا كمنـت جلـتْ من حجبها فوق الخـدود طلائـع التوريد

ولتجـلُ دولتـه عروسـاً كلّلتْ علياه مفرِقَهـا بتـاج خـلود

وله من أخرى [من الكامل] :

سمـراءُ تخطـر في الوشـاح المذهب وتميس بين ربائـبٍ أو ربربِ

هيفـاء تعـذل كلّ يومٍ مرّةً شمس الضحـى وتردُّهـا في مغرِبِ

عقـدت لواء الحسـن ليلـة أقبلتْ في موكب الفتيان أعجـبَ موكبِ

في ليلـةٍ لو لم تجـدْ بتبسّمٍ لم ينتطـق خصـرُ السمـاء بكوكب

خجلـت وقـد وجلـت فهـاك شقائقاً مغـروسـةً في أرض عاجٍ مذهب

وأرى الشبـاب إذا تطامـن شرخه لتغيُّرٍ فقـدِ انثنـى لتغيُّب[2]

ولئـن أطلـت فقـد أطبـت وإنّني رجـلٌ متى أصفُ المعالـي أطنِب[3]

---

(١) يفترع : يفتض ، والراقود : إناء كبير عميق والناجود : الإناء الذي يجعل فيه الشراب .

(٢) شطا من شرخه : انخفضت قوته وحدّته .

(٣) أطنب : أطيل .

أطـري وأُطـرب منشـداً فليستمعْ　　شاهانشـاه نشيدَ مُطْـرٍ مطرب[1]

* * *

٢٢ ـ أبـو العلاء الأسـدي

قديم الصحبة للصاحب ، شديد الاختصاص به . ممتد الغرة والتحجيل في شعرائه وصنائعه وندمائه . وكان يحبه ويأنس به . ويكاتبه نثراً ونظماً كقوله له [من السريع] :

قلبي على الجمـرة يا أبـا العلا　　فهـل فتحـت الموضـع المقفلا

وإياه يعني بقوله [من البسيط] :

أبـا العـلاء هلال الهـزل والجدّ　　كم النجـوم التـي يطلعـن للجدّ

وإليه كتب « أبا العلاء شيخي ، أين ذلك الميعاد ؟ وأين تلك العهود سقتها العهاد ؟ وأين ليالينا بحزوى ، وتصابينا على أروى ؟ بل أين الصبا ومـا ملك ؟ وأين الشبـاب وأية سلك ؟ وإذ قد غاب جميع ذلك مغيب الخيال الطـارق ، والضيف المفارق ، فأين كتبك التي هي ألذ من انتهاء النفس إلى رجائها ، وابتداء العين في إغفائها » من كتاب غير قصير .

فأما شعر أبي العلاء فليس بالمحل العالي ، لا سيما في المدح ، وقلة عيونه تمنع من إيراده بعد قلائد ولديه أبي سعيد وأبي محمد ، ولما كان بعيد الصيت في أصحاب الصاحب لم أجد بداً من ذكره وكتابة ملح من أملح شعره .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو العلاء لنفسه ، قال : وأراه عرّض بالصاحب [من الطويل] :

---

(١) مطرٍ : أي مادحٍ .

وربَّ كريمٍ تعتريه كزازةٌ كما قد رأيت الشوك في أكرم الشجرْ
وربَّ جوادٍ يمسك الله جوده كما يمسك الله السّحاب عن المطرْ

وأنشدني غيره له [من الوافر] :

سيسألني صديقي عنك فيما يدور من المسائل والحكايه
فأطرقُ إن سئلت لغير شكوى وإطراقي أشدّ من الشكايه

وله أيضاً ، وهو ما يتغنى به [من الخفيف] :

لا لعمري ما أنصفوا حين بانوا حلفوا لي أنْ لا يخونوا فخانوا
شتّتوا بالفراق شملي ولكنْ جمعَ الله شملهم أين كانوا

وله في المجون [من الخفيف] :

أنا والله أشتهيك فكن عنتراً آن شئت أو كعمرو بن معدي
وتفارسْ إن شئت أو فتراجلْ ليس هذا مما يضرّك عندي

* * *

٢٣ - أبو الحسين الغويري

هو في الاختصاص بالصاحب، والاشتهار في أصحابه ، كأبي العلاء ، وكان كثير الشعر ، قليل الملح ، وكانت في خزانة الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد مجلدة ضخمة الحجم من شعر الغويري بخطه ، فاستعرتها واجتمعت أنا وأبو نصر سهل بن المرزبان على إخراج ما هو شرط كتابي هذا منها ، فما أقل ما حصلنا عليه من ذلك . ولم نجد له خيراً من الأبيات الدارية التي مرت في أخواتها ، ومن أشف ما وقعت العلامة عليه من ذلك قوله في الاعتذار من هفوة السكر[من المجتث]

بـالله ربٍّ السمـاء بخـاتـم الأنبيـاء
بـسيّـد الأوصيـاء بزوجـه الـزهـراء
بـالبيـت والبطـحـاء بالقبـر فـي كـربلاء
حـلفـت مـا لـيَ ذنبٌ الـذّنـب للـصهبـاء
وليس لي من شفيعٍ إليـك غيـر رجائـي
فـكـنْ محقّـق ظنّـي يـا غـرّة الوزراء
فجـرح سكري جبارٌ كالجـرح مـن عجمـاء[1]

وقوله في الصاحب والبيت الأخير مضمن [من الكامل] :

قل للـوزير مقالـةً عن واجدٍ يا من نداه كالفـرات الزائد
ما لي حرمـت من الأمير نواله وسـواي يكرع في الـزُّلال البارد
ما ضاقـت الـدنيا علـيَّ بأسرها حتـى تراني راغبـاً في زاهد

وقوله من قصيدة ربيعية [من الخفيف] :

أيُّهـا الصاحـب الـربيع تجلّى في رياضٍ تحـارُ فيهـا العقول
نـرجسٌ ناضـرٌ وأحمـر وردٍ وشـقيقٌ يزينـه التكحيـل
وغصـونٌ تجـرُّ أذيال نورٍ في حواشـي جداولٍ وتميل
للـزرازيـر فـي خـلال الأزاهيـر صفيـرٌ وللحمام هديـل
فأقِـمْ رسمنـا صبيحـة نيرو زٍ بهِ ربـع أنسنـا مأهول
بـكؤوسٍ مملـوءةٍ مـن مدامٍ أنـت فيهـا لمـن حساهـا عذول
واجتنـبْ جلسـة الثقيل إليها فعلـى الشّـرب لا يخفُّ الثقيل

وله من مهرجانية [من مجزوء الرمل] :

---

(١) الجِبار : سدّ الحاجة ، وإصلاحها ، والعجماء : البهيمة أو الرّملة التي لا شجر فيها .

أسيوفُ الهند سلَّتْ أمْ ظبا أجفان هند[1]
يا لأيام الصّبا والعيش في أكناف نجد
ربّ حسناء رداحٍ ألصقت خدًا بخدٍّ[2]
أطبقتْ صفرة دينا رٍ على حمرة ورد
أيُّها الصاحب عليا ك على الأيام تعدي
وعلى جدواك قد عوّ لت في حَلِّي وعقدي
مهرجانٌ ثغره يفترُّ عن يمنٍ وسعد
ورده وردُ جسادٍ فاح عن مسكٍ وندٍّ
فابقَ ما شئت كما شئت لتنويلٍ ورفد

وله [من مجزوء الكامل] :

يا أيُّها الشيخ الذي هو مشتكاي من البشرْ
أصبحت أختار العمى في ناظريً على البصر
أسفاً على عمرٍ يكدِّره لقاء أبي عمرْ

* * *

(١) سلّت : شهرت ، والظُّبا : الحدّ من السيف والرمح والسهم .
(٢) رداحٍ : الضخمة الثقيلة الأوراك .



الباب السادس

في ذكر الشعراء الطارئين على حضرة الصاحب من الآفاق

سوى من يقع ذكره منهم في أهل خراسان وطبرستان فإن لهم باباً مفرداً في هذا الربع الثالث ، وسوى أبي طالب المأموني ، وأبي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان أبي الفضل الهمذاني ، فإن لذكر كل منهم مكاناً في الربع الرابع .

٢٤ ـ أبو الحسن علي بن محمد البديهي

من شهرزور كثير الشعر ، نابه الذكر ، خليفة الخضر[١] . سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : وقد جرى ذكره بين يديه ، إنه كان لا يرجع من البديهة التي انتسب إليها وتلقب بها إلا الى لفظة الدعوى ، دون حقيقة المعنى ، وفي ذلك يقول له الصاحب [من الوافر] :

تقول البيت في خمسين عاماً فلم لقَّبتَ نفسك بالبديهي

ثم أقبل عليّ وقال : أنا أقول في البديهي ما قاله الجاحظ في عمرو القصافي زعم أنه قال الشعر ستين سنة فلم يسر له إلا هذا البيت الواحد [من البسيط] :

---

(١) خليفة الخضر : أي كثير الترحال والمعمّر طويلاً .

خوصٌ نواجٍ إذا جدّ الحـداة بها رأيت أرجلهـا قدّام أيديها[1]

وكذلك البديهي قال شعراً كثير العدة ، في زمان طويل المدة ، فلم يستملح له إلا هذا البيت [من الخفيف] :

أتمنّـى علـى الزمـان محالاً أن ترى مقلتـاي طلعـة حرِّ

وهذا الحكم منه فيه حيف شديد على البديهي ، فليس شعره في سلامـة المتون وقلة العيون على ما ذكره ، والبيت الذي أشار إليه من أبيات بديعة أولها [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ قطعتـه باجتماعٍ مَعَ بيضٍ من الأخـلاّء غرِّ
وكأنّ الـكؤوس زهـرُ نجومٍ والثـريّا كأنّهـا عقـد درِّ
مـرَّ مـن كنـت أصـطفيـه وللـدّهـر صـروفٌ تشـوب حلـواً بمـرِّ[2]

ومن سائر شعر البديهي قوله [من البسيط] :

يا شهـرزور سقيت الغيث من بلدٍ نودُّ ـ وجـداً به ـ أنّـا نقابلُهُ
طال الفـراق فلا وافٍ يراسلنا علـى العبـاد ولا آتٍ نسائلُهُ

وله من قصيدة صاحبية وكان الصاحب أخذه معه من بغداد إلى أصبهان أولها [من الخفيف] :

قد أطعـتُ الغـرام فاعصِ العذولا ما عسـى عائـبُ الهـوى أنْ يقولا
وصحبنـاه في فيافٍ قفارٍ كاد فيهـا الخليل يجفـو الخليلا[3]
فبلونـا منـه دماثـة أخلا قٍ أعـادت تلك الحـزون سهولا[4]

---

(١) الخوص : النوق ، والنواجي : السراع .

(٢) الصروف : الأحداث والغيـر، وتشوب : تمزج .

(٣) الفيافي : الفلوات ، والخليل : الصاحب .

(٤) بلونا : وجدنا واختبرنا ، والدماثة : اللين والسهولة ، والحـزون: الأرض الصعبة المسالك .

وأوينــا إلـى رحــابِ رحابٍ لــم نجــد للعفــاة عنهــا عدولا

وله من تشبيب قصيدة [من الطويل] :

ولــم أرَ لي يومَ الــرحيل مساعداً على الوجد حتّى أقبل الدّمع مسعِدا
وكان دمــاً فابيضّ منــه احمراره بنــار التّصابــي حين فاض مصعِّــدا

أخذه من قول من قال [من الطويل] :

أرابــك دمعــي إذ جرى فحملتني من الضرّ والبلوى على مركبٍ صعب
فلا تنــكرنّ تلك الدمــوع فإنّما يبيّضهــا تصعيدهــا من دم القلب

وللمعروفي بالفارسية في معناه .

خون سيبــد بارم بردورخــان زردم آرى سبيذ باشــد خودل معد

وله من قصيدة أخرى ذكر فيها حسن أيامه [من الخفيف] :

كيف تقضــي ليَ الليالــي قضاءً يشبــه العــدل والليالي خصومي
ربَّ ليــلٍ قطعتــه فــي هــوى الشــعــر كـأنّ الشــعــرى العبور نديمــي
فتــأمّــل فلســت فــي الخلــق والخلــق المــراديــن بالــذميــم الذميــم
أنــا مــن آلــة الندى فلــو أحضــرتنــي لــم يعب نداماك خيمــي[1]
يُرتضــى مشهــدي ويؤمــن غيبي وأرى فــي الملــمِّ غير مليم

ومن نوادر شعره قوله [من الكامل] :

لمّــا أتيتــك زائــراً ومسلِّمــاً خرج الغــلام وقــال إنّــك نائمُ
فأجبتــه أبِــلا لحــافٍ نائمٌ هذا المحــال وأنــت عنــدي ظالم

---

(١) الخيم بكسر الخاء : السجية والطبع .

أنت اللّحاف فكيف تطعم عينه طعم الرّقاد وأنت عنه قائم
فتضاحك الرشأ الغرير وقال لي أو أنت أيضاً بالفضيحة عالم
والله ما أفلتّ منه ساعة حتى حلفت له بأنّي صائم

وما يتغنى به من شعره قوله [من الطويل] :

ذريني أواصل لذّتي قبل فوتها وشيكاً لتوديع الشباب المفارق[1]
فما العيش إلاّ صحةٌ وشبيبةٌ وكأسٌ وقربٌ من حبيبٍ موافق
ومن عرف الأيام لم يغترِرْ بها وبادرَ باللّذات قبل العوائق[2]

* * *

٢٥ ـ أبو القاسم الزعفراني عمر بن إبراهيم

من أهل العراق ، شيخ شعراء العصر ، وبقية ممن تقدمهم ، وواسطة عقد ندماء الصاحب ، وما هم إلا نجوم الفضل وهذا منهم كالبدر ، وكانت له في صحبته وخدمته هجرة قديمة ، وله حرمة وكيدة ، وحاله عنده كما قرأت في كتاب له وأما شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله فصورته لدى صورة الأخ ، أو وده أرسخ . ومحله محل العم ، أو اشتراكه أعم .

وكان ـ مع حسن ديباجة شعره ، وكثرة رونق كلامه ، واختلاط ما ينظمه بأجزاء النفس لنفاسته ـ لين قشرة العشرة ، ممتع المؤانسة ، حلو المذاكرة ، جامعاً آداب المنادمة . عارفاً بشروط المعاقرة ، حاذقاً بلعب الشطرنج ، متقدم القدم فيه ، وحين سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب ، وساعد الصاحب على رفض الشراب ، ونفض تلك الأسباب ، أراده فخر الدولة على مجالسته وأخذه بفضّ

---

(١) الوشيك : السريع العاجل .
(٢) بادر : بدأ وباشر ، والعوائق : الموانع .

ختام توبته ، ودرّت عليه بحسن رأي الصاحب سحائب إنعامه ، وأجنت له ثمرات إكرامه ، ففي ذلك يقول من قصيدة [من الخفيف] :

هاتها لا عدمت مثلي نديما قهوةٌ تنتجُ السرور العقيما
قد أطعتُ الأمير إذ سامني الشرّ ب ولم أعصِ أمره المحتوما
وتخطّيت توبتي في هواه فوصلتُ التي هجرتُ قديما
قرقفاً تنتمي إلى الشمس لا تعرف في جنسها الكرى والكروما
خالفت دنَّها الغليظ فرقّتْ واستفادت من السّموم نسيما[1]
كُرمتْ عنصراً فلو مُتّ فيها أبخل الناس غادرته كريما[2]
وكأنّي لمّا رجعت إليها كنت من كلِّ لذّةٍ محروما
كم عقارٍ صليت منها بنارٍ فحكيت الخليل إبراهيما
وكؤوسٍ شربت منها سروراً كاد يهوي والجلد ينمي هموما
قد وجدت الروض الأريض حميماً ووجدت الخسيف عاد حموما[3]
شافهت بي مناي بالقرم فخر الـ ـدولة اليوم جنّةً ونعيما[4]
وبلغت الذي تمنيت واستخدمت فاخترت مجلساً مخدوما
ورآني الأمير أيّده اللـ ـه لبيباً فقال كنْ لي نديما
جهل الرزق موضعي ورأى آ ثار شاهنشاه فصار عليما
أرشدته إليَّ كفٌّ كريمٍ ألزمته أنْ لا يكون لئيما

وكان قد نادم أخاه عضد الدولة ، وله فيه القصيدة الشطرنجية التي لم يسبق إلى مثلها ، وهي نهاية في الحسن والظرف ، فمنها [من الخفيف] :

---

(١) السّموم : الريح التي تهبّ صيفاً وهي شديدة الحرّ .
(٢) متّ : مُدّ ووصِل بها .
(٣) الحميم : الماء الحار : والخسيف : البئر التي تحفر في مكان متحجّر فتنبع بماء كثير .
(٤) شافهت : أوجدت وحصّلت، والقرم : السيد .

لي فؤادٌ لو أنّه لي غريمٌ كان عذري لديه أنّي عديم
وأنا مبتلىً بقلبيَ الذي أقعـد فيما يسومني وأقوم
ليس يدري لجهله وهو يقضي أنَّ كلّي بما جناه زعيم
غصبتني عليه خودٌ وقالت أنا من قد عرفت واسمي ظلومُ
هو ثأرٌ نالته يمناي فاطلبه بحربٍ يشيب فيها الفطيم[1]
وانثنَتْ بي إلى مجالٍ فسيحٍ تدمنُ الرّكض فيه زنجٌ وروم
فأقمنا صدور فرسان حربٍ خلف رجّالة لها لا تريم[2]
وإذا استقدمتْ تقدَّمت الخيل وطاب الطّراد والتصميم
فالتقى العسكران في حومة النقـع أسودٌ على أسودٍ تحوم
كلُّ فيلٍ نُجَّت من الصّلم أذنا ه وأودى ناباه والخرطوم[3]
وطمرٍّ إذا علته العوالي غاب فيها وعاد وهو سليم
فاختلطنا وجال في الحرب فرزا ني وقال الكميُّ من لا يخيم[4]
ثم نادى شاهي برخيه كرّا ليس بعد الوقوف إلاّ الهجوم
فأحاطا بشاهنا في مضيقٍ ضاق ذرعاً بمثله المكظوم
ثم أزعجته بفيلي فولّى مستكيناً كما يولّي اللئيم
وكشفت العراء عن وجه رخيٍ فعراه الحمام وهو مليم
فتخفّتْ من الحياء وغطَّت ورد خدٍّ كأنّه ملطوم
ثم قالت خذِ الفؤاد سليماً إن حبس المرهون عارٌ ولوم
ولشتّان بين خيلي في الغيِّ وخيل صراطها مستقيم
قارع الدهر فوقها عضد الدو لة حتى انتهى إلى ما يروم

---

(١) الفطيم : الطفل الذي فصل عن الرضاع .
(٢) لا تريم : لا تفارق ولا تبتعد أي تثبت في المواجهة .
(٣) نجّت : نزعت وسلخت، والصّلم : القطع .
(٤) الفرزان : من حجارة الشطرنج ، ويخيم : يتراجع .

فأباد العدا وقام به الدّين وركن الخلافة المهدوم
وستقرّت به زلازل بغدا د وعاد الخليفة المظلوم

ومن غرر قصائده في فخر الدولة [من الكامل] :

لو عاينتْ عيناك بركةَ زلزلِ ونزلت من عرصاتها في منزلِ[1]
عمرْتَ دور قيانها بك جامعاً بين الغزالة والغزال الأكحلِ
وبسطتَ كفيًّ باذلٍ متخرِّقٍ فأقمت غير محلّيءٍ عن منهلِ[2]
وسمعتَ ما يدعو النفوس إلى الهوى طرباً ويفتح كلَّ قلبٍ مقفلِ
وشربتَ صافيةً كأنَّ شعاعها لهبُ الحريق من الرحيق السلسلِ
وغدوتَ مخموراً جنيب هوىً إلى حِجْرِ الجواري غدوة المتغزِّلِ[3]
فسرحْتَ بين قدودها وخدودها ونهودِها طرف الشّجي المتأملِ
وملكت منهنّ التي لو أنّها طيفٌ لفزت بقربه المتخيِّلِ
وثويتَ في قفرٍ بشاطىء دجلةٍ ما بين مزمارٍ وعودٍ معملِ[4]
متنقّلاً من روضةٍ مهضوبةٍ حلّت إلى الروض الذي لم يحللِ
ورقدتَ بالنّجميِّ رقدة شاربٍ تحت الغصون وحملها المتهدِّلِ[5]
وسباكَ صوت خرير ماءٍ سائحٍ وشجاك تغريدُ الحمام المهدِلِ
وسعيتَ سعياً في البطالة والصبا لم يدر دمعك في محلٍ محولِ
ولقلتَ واأسفاً على القصف الذي لم أجنه بالقفص أو قطربُّلِ[6]
لا أتبعُ الأعراب إنْ هم قوّضوا من مجهلٍ حتى أحطَّ بمجهلِ

---

(١) العرصات : الساحات .

(٢) المتخرّق : المتلف ، ومحلىء : حابس ومانع .

(٣) المتغزّل : المشبّب والمتودّد .

(٤) معمل : أي يضرب عليه .

(٥) المتهدّل : اليانع المتدلي .

(٦) القفص وقطربّل : إسمان لمكانين .

وصـــرير أرجـــاء السّـــرير بمسمعي ... أحلـــى بقلبـــي من صريرِ المحمل[1]
فالـــكرخ دارُ اللهـــو أعـــذبُ مشرعاً ... من مشـــرعٍ يختصُّ دارة جلجل[2]
لا درَّ درُّ العيش في متربّعٍ ... بمخيَّمٍ بين الدخـــول فحومـــل
خفضٌ عليك وكلُّ خفضٍ إنّما ... أوقاتـــه فرصٌ تعـــنُّ لمعجـــل
والعيش عنـــدي ما حبيت بدرّه ... في ظلِّ مغشـــيِّ الجنـــاب مؤمَّل
قد ألقـــت الـــدنيا أزمّتهـــا إلى ... ملكِ الملـــوك علـــيِّ بنِ أبـــي علي
فاطـــربْ سروراً بالزمـــان وحسنه ... واشـــرب علـــى إقبـــال دولـــة مقبـــل

وقوله من نيروزية [من الخفيف] :

بـي سكرٌ ما ولَّدتْـــهُ العقار ... ليَ جســـمٌ للعين عنـــه ازورارُ
أنـــا من غادرتـــه أيدي المطايا ... والـــرزايا شعـــاره والدثـــار
أيُّـهـا الـليـل عـقَّـهـمْ بـديـاجـيــــــك وهـيـهـات ذاك فـيـهـم نـوار
غـادةٌ ما دجـا عليهـــا ظلامٌ ... قطُّ إلاَّ ليلٌ عـــلاه خمارُ
يـــا ربيـع الـــربيـــع للعيش من بعـــــــد اصفـــرارٍ بـــراحتيـــك اخضـــرارُ
لا يحـــول الـــذي بكفِّك يسقي ... بل يحـــول الـــذي سقـــاه القطار[3]
فهنيئـــاً بطيب فصـــلٍ ويومٍ ... زار فيه نيروزك الزوّارُ
يخصب المجـــد فـي ذراك وتخضَـــــــرُّ الأيـــادي وتـــورق الأخـــبـــار
وتغنِّيكَ فـــي النّـــديِّ طيورٌ ... أنـــا وحـــدي من بينهـــن الهزار[4]

ومن غرر قصائده الصاحبية قوله من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) الصرير : الصوت .

(٢) دارة جلجل : أي تلك التي ذكرها امرؤ القيس في شعره .

(٣) حال : تغيّر وزال ، والقطار : جمع قطر ، وهو المطر .

(٤) النّديّ : مجتمع القوم ، والهزار : وهو طائر العندليب ، وفارسيته : هزاردستان ، وله أسماء أخرى بالفارسية .

وليلٍ دعـاني فجـره فلقيته بمجلسٍ طلـق الوجـه سهـل التخلُّق
إذا شئـت خضنـا في حديث منمنمٍ وإن شئـت عِمْنـا في رحيقٍ معتَّق[1]
يردّ شبابـي وهـو عنّـيَ شاسعٌ ويدني التصابـي بعـد ما شاب مفرقي

ومنها في المدح [من الطويل] :

لقـد أعتقتنـي نعمـةٌ لك أَطلقتْ يمينـيَ بعـد اليأس من قدٍّ موثق[2]
فإنْ أنتسـب كان انتسابـي إلـى أبي وكان ولائـي بعـد ذاك لمعتقي[3]

ومن أخرى [من الطويل] :

وصـرت إلـى البـاب الـذي ليس دونه حجـابٌ ولا كفٌّ تردُّ من آجتنى
فمـا شمـت إلاّ بارقـاً كان صادقاً ولا رحت حتّى عِمْتُ في أبحـر الغنا

وقوله من أخرى [من البسيط] :

مُسَـدَّدٌ ضربـت أيام دولته علـى عيون أعـاديه بأسداد
هدى إلـى الحـقِّ وانهلـت يداه ندىً فهـو الـدّليل يعين السَّفْـرَ بالزّاد
لي عنـد جرجـان ثأرٌ سوف أطلبه بكلِّ رحبِ القـرى أو مشـرفِ الهادي
حتـى أراه فأستغنـي برؤيته عمّـا رويناه عـن قومٍ بإسناد

وقوله فيه ، وقد أزمع الورود عليه والطريق مخيفة [من مجزوء الكامل] :

يا شوقُ قد قَرُبَ السفر ودنـا الـرحيـل المنتظـر
وغـداً بإذن الله أو تاليـه يظهـرُ مـا استترْ
ويسير بـي التيسير في زمرٍ بأيديهـم زبـر[4]

---

(١) عِمنا : تنعّمنا وشربنا،إوالرحيق : الخمر،والمعتّق : القديم .
(٢) القد : أصله الجلد الذي تخصف به النعال ، وأراد هنا ما تغلُّ به اليد .
(٣) المعتق : المحرّر .
(٤) الزبر : جمع زبرة وهي القطعة العظيمة من الحديد .

سيراً يبشِّر بالسعا دة والسّلامة والظّفر
سينيف بي الفرس الأغرُّ غداً على الملك الأغرّ[1]
يا حاديَّ تيقّنا أنّي أفارق من فتر[2]
وينال رفدي منكما ماضٍ يقهقه إنْ عثر
لا يقشعر إذا دنا منه الغضنفرُ أو زأر
ورْدي وَوِردكما سرى ينسيكما ذكر الصدر[3]
إن جال في عيني الكرى رفقاً فأعقبها العور[4]
لا زلت أبدع في السّرى فعلاً تعاظمه القدر[5]
وأشقُّ قلب اللّيل عن ولدٍ يقال له السّحر
حتى يقول الحزن لي والسّهل لست من البشر
وتقول خوص تجائبي لا خاب سعيك يا عمر
إن الجليل من الثوا ب لمن يدقِّق في النّظر
سأغضُّ عن زهر الكوا كب أو يعنُّ ليَ القمر
إنّي أخفُّ إلى البحو ر ولا أسفُّ إلى المطر[6]
وإذا لقيت الصاحب الـ ـمأمون أدركت الوطر
وإذا جلست علوت ديـ ـباجاً وسائده بدر[7]
وإذا ركبت مشى عبيـ ـدي في المناطق والحبر[8]

(١) ينيف : يشرف .
(٢) فتر : ضعف وسكن .
(٣) الورد : الاشراف على الماء ، والصدر : الرجوع عنه .
(٤) رفقاً: أي من أجل رفقي بنفسي .
(٥) السُّرى : المسير ليلاً .
(٦) أسفّ : أطلب وأقصد ، وأسف الرجل : أي طلب الأمور الدنيئة .
(٧) بدر : أكياسٌ من المال .
(٨) المناطق : جمع منطقة وهو ما يشدّ به الوسط من الثياب ، والحبر : الأثوب الناعمة الجديدة المفوّفة .

وأقيم مبتسماً إقا مة من يزاد إذا شكرْ
في نعمةٍ تصفو عليّ به وأخرى تنتظرْ
ذكروا فسادَ طريقنا واستشعروا منه الحذر
قلتُ اركبوه على الذي فيه وإن عظُم الخطر
فالله خيرُ حافظاً واسمُ الوزير لنا وزر[1]
إن كان غاب فخوفه في كلّ قلبٍ قد حضر
ملكٌ تخرُّ له الملو ك الصّيد من مدٍّ البصر
فالطيب فوق لحاهُمُ وجباههم تحت العفر[2]
وأجلّهم من جدَّ منـ ـه إليه في وقت النّظر
جرجان ما نصبي ولا دأبي إليك على غرر[3]
فيك الذي من ماله لحمي وجلديَّ الشّعر
لولا ابنُ عبادٍ رأيـ ـت الصّبر أفضل مدّخر
وسلكت في زهدٍ عن الـ ـدُّنيا سبيلُ من انزجرْ

واعتل قبل ورده فقال ووصله بهذه القصيدة [من مجزوء الكامل] :

قد كنت أحسب أن عيني سوفُ تظفر بالنظرْ
وفمي سيلثم أخمصيـ ـك وما وطئت من العفر[4]
وإذا بلغتك سالماً في النفس أدركت الوطر
حتّى منيت بعائقٍ ينهى العليل عن السّفر
حمّى يعاضدها السّعا ل وما برجلي من خدر
ولعلَّ سيدنا إذا عرف المعوِّق لي عذر

(١) وزر : عونٌ وحمىً .
(٢) العفر : ظاهر التراب .
(٣) النصب : التعب والجهد .
(٤) الأخمص : ما لم يصب الأرض من باطن القدم .

وقوله من أخرى في فخر الدولة [من الطويل] :

حبيبٌ عليه من سناه رقيبُ ... يصدُّ الدُّجى عن وجهه فيغيبُ
تيمَّمني والليل في طرقاته ... فلمَّا تبدَّى حال عنه مريبُ[1]
تحمَّل لوم الشمس فيه وجاءني ... هلالٌ عن البدر المنير ينوب
فكان لراحي وارتياحي ومجلسي ... وكلّي بطيبِ الوقت منه نصيب
وساعدني ليلي وأرخى سدوله ... وهبَّ نسيمٌ للحياة نسيب
وأنعمتَ حتى ليس يشتاق عاشقٌ ... حبيباً ولا ينوي الإياب غريب

ومنها في المدح [من الطويل] :

ومزمعٍ حجّ ينثني عنك ماضياً ... ويذكر ما أوليته فيؤوب[2]
عممتَ الورى بالبرّ حتّى كأنّما ... يردُّ عليهم من لهاك غصوب[3]
وعرَّفتهمْ طرق الثناء فكلُّهم ... على طبقاتٍ شاعرٌ وخطيب
رأى المزن ما تعطي فضمَّ على الأسى ... فؤاداً كأنَّ البرق فيه طبيب
وكم لاح برقٌ وابتسمت لشائمٍ ... فكنت صدوق الوبل وهو كذوب

وقوله من أخرى فيه [من المنسرح] :

يا سامع الزُّور فيَّ لي ذِمَمُ ... منها الضّنى في هواك والسَّقمُ
أنت الذي دِنْت بالسّجود له ... حتّى لقد قيل ربُّه صنمُ[4]
ولي فؤادٌ غدوت مالكه ... بلا شريكٍ فليس ينقسم
حتّى إذا صرت في ذرى فلك الـ ... أمّة حيت التقتْ به الأمم

---

(١) تيمّم : قصد نحوي ، وتبدّى : ظهر .
(٢) المزمع : إسم الفاعل من أزمع ، وهو المجمع على الأمر الثابت عليه .
(٣) اللهى : العطايا أو أفضلها وأجزلها .
(٤) دنت : خضعت واعتقدت .

خيَّمتُ في دولةٍ مجدّدةٍ خيّم فيها الوفاء والكرمُ
وقلت للسّفر قد وصلتْ إلى مناي ، رحلي ، وناقتي لكُمُ
أكرم بحظّي لقد أتى فمحا ما خطّه في جبينيَ العدمُ

وله من قصيدة في الصاحب يصف فيها علته بجرجان وتأذيه بهوائها وبراغيثها وبقها ويستأذنه للعود إلى أصفهان [من الوافر] :

ألا يا حيُّ جادتك الغوادي مجلّلةَ العزالى والمزادِ(١)
ولا زالت رباك تفوح مسكاً يضوع نسيمه في كلِّ نادي
فإنّك جنّةُ الدنيا لثاوٍ أقام بخير أمصار البلاد
وأمٌّ للغريب فكلٌّ آتٍ نظيرُ بنيك عندك في الولاد
فواأسفي على زمنٍ جنى لي ودادك واجتنى لك من ودادي
كذا الملك ابن عبادٍ عماد الهدى وردى العدا وحيا العباد
ومن برقاه دون ظباه أسرى فأصلح بين غيِّك والرّشاد
وجاد فكان أجرى من سحابٍ سقى زهر الرّوابي والوهاد
وقد أصبحتُ بعدك في بليدٍ دريَّة كلّ داهيةٍ نآدي(٢)
ولولا أن سيّدنا به لمْ تكن جرجان تثنى من قيادي
أقمت بها أعالج كلَّ بؤسٍ من الأعلال لا العيش المهاد
تحدِّثني بحمّى لو تبدّت بخيبَر ألحقتها بالبوادي
ملازمةٌ إذا لسعت شقياً فكلٌّ زمانها وقت العداد(٣)
تعاونها عليَّ سموم صيفٍ بلفحٍ من لظاهُ واتّقاد
وذبّانٌ أُشرِّدها فتأبى وترجع كالمراغم ذي الكياد

---

(١) جادتك : حلّت بديارك ، والغوادي : السحاب الممطر ، والعزالى : جمع عزلاء وهي مصب الماء .
(٢) الدريَّة : على زنة فعيلة ـ ما يتعلم عليه الطعن ، والنآدي : النازلة .
(٣) وقت العداد : وقت الموت ، أو وقت اهتياج الألم .

كأنّـي حيـن أطردهـا وتأبـى أفـرِّق بين ذي سغـبٍ وزاد[١]
ويا ويلـي من الليل الموافي فإنّـي حين يطـرق في جهاد
له جيشـاً براغيثٍ وبقٌ يطـلُّ علـيَّ إطـلال الجراد
ولـي فرشٌ هي الميدان فيه براغثـه وخمشـي في طراد
وبـقٌّ فعلـه في كلِّ عضوٍ فعـالُ النـار في يبس القتاد[٢]
عصائـبُ ينتحين على عروقي بعـوجٍ كالمباضـع فـي الفصاد
فتـروى ثـم ترجـع عاطفاتٍ علـيَّ وهـنَّ كالهيم الصوادي[٣]
وأنقف بعضهـنَّ وفـي حشاها دمـىً فأنـال ثاراً من أعادي[٤]
تفـرّق بيـن جنبـي والحشايا وتجمـع بيـن جفنـي والسّهاد
ولـو أنّـي ثملـت وملت سكراً لحالـت بيـن طرفـي والرّقاد
وأستـر دونهـا وجهـي بكفّي وعـطف الـردن وهـو لهـنَّ بادي
وأظهـر في صباحـي كلَّ يومٍ بوجـهٍ مجـدرٍ قلـقِ الوساد
وأدمـن حكَّ ما تركت بجسمي فيحسبنـي جربـت ذوو عنادي
وقـد وقف الـوزير وزير علـى بلائي بمـا ضاقـت به حيلـي وآدي[٥]
وإنّـي لا نهـار أقـرُّ فيه ولا ليلٌ يقينـي منـه فادي
صديقـي في دجـا ليلـي عدوي وعبـدي لا يجيب إذا أنادي
وأُتـرك في ظلام دجـاه وحدي فأذكر ضيق لحـدي وانفرادي
وفـي يمنـايَ مروحـةٌ فطَوْراً أذود بهـا ومـا يغنـي ذيـادي[٦]

---

(١) السغب : الجوع .
(٢) القتاد : شجر صلب شوكهُ كالإبر .
(٣) الهيم : الابل العطاش .
(٤) النقف : كسر الهامة عن الدماغ ، والمراد : أخذها وإماتتها .
(٥) الآد : الصلب والقوة .
(٦) الذياد : الدفع والطرد ، كالذود .

وطــوراً أستــريح إلــى انتصابي وطــوراً أنثنــي ويدي اعتمادي
وعلّمنــي البعــوض بلطــم خدّي خلائــق لسْــنَ من شيمــي وعادي[1]
فهــل للصاحــب المأمــول عطفٌ علــى عجــزي عن الــكرب الشّداد
بإذنٍ لست أسـألـه اختباراً ولــكــنَّ اضطــراري في ازدياد
شقـاءٌ لا يعــاقبه رخـاءٌ وبلــوى تســتنيـم إلـى التّمادي
وسيّدنــا أدقُّ النــاس حدساً وأعرفهــم بدخلــةِ مــن يصادي[2]
وحسبــي ما بلاه في اختياري وشاهــد من ولائــي واعتقادي

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني الزعفراني لنفسه [من الخفيف] :

لي لســانٌ كأنّــه لي مُعادي ليس ينبــي عن كنــه ما في فؤادي[3]
حكــم الله لــي عليــه فلــو أنصــف قلبــي عرفــت قــدر ودِادي

وأنشدني له من قصيدة فصلية هذين البيتين ، وأظهر إعجاباً شديداً بهما ، [من الوافر] :

وفصــلٍ فيـه للأرض اختيالٌ لأنَّ جميع ما لبســت حرير
وللأغصــان من طربٍ تثنٍّ إذا جعلــت تغنّيهــا الطّيور

* * *

٢٦ ـ أبو دلف الخزرجي الينبوعي

مسعر بن مهلهل

شاعر كثير الملح والظرف ، مشحوذ المدية في الجدية ، خنق التسعين في

---

(١) الخلائق : أي أخلاق ، وشيمي : صفاتي .
(٢) الحدس : قوّة التوقع ، والدخلة : الإضمار والطويّة، يصادي : يداري .
(٣) ينبي : يخبر ، وكنه : معنى ونيّة .

الإطراب والاغتراب ، وركوب الأسفار الصعاب ، وضرب صفحة المحراب بالجراب . في خدمة العلوم والآداب . وفي تدويخه البلاد يقول من أبيات أنشدنيها أبو الفضل الهمذاني [من الهزج] :

وقد صارت بلاد الله في ظعني وفي حلّي
تغاير ن بلبثي و تحاسدن على رحلي[1]
فما أنزلها إلاّ على أنسٍ من الأهل

وكان ينتاب حضرة الصاحب ، ويكثر المقام عنده ، ويكثر سواد غاشيته وحاشيته ، ويرتفق بخدمته ، ويرتزق في جملته ، ويتزود كتبه في أسفاره ، فتجري مجرى السفاتج في قضاء أوطاره[2] ، وكان الصاحب يحفظ مناكاة[3] بني ساسان حفظاً عجيباً ، ويعجبه من أبي دلف وفور حظه منها ، وكانا يتجاذبان أهدابها ويجريان فيما لا يفطن له حاضرهما ، ولما أتحفه أبو دلف بقصيدته التي عارض بها دالية الأحنف العكبري في المناكاة وذكر المكدين والتنبيه على فنون حرفهم وأنواع رسومهم وتنادر بإدخال الخليفة المطيع لله في جملتهم وقد فسرها تفسيراً شافياً كافياً اهتز ونشط لها وتبجّح بها وتحفظ كلها وأجزل صلته عليها ، وقد كتبت معظمها بأخرة ، وكان السلامي هجاه بالأبيات التي أولها [من الخفيف] :

قال يوماً لنا أبو دلفٍ أبـ ـرَدُ من تطرقُ الهموم فؤادَهْ
لي شعرٌ كالماء قلت أصاب الـ ـشيخ لكن لفظه برّاده
أنت شيخ المنجمين ولكنْ لست في حكمهم تنال السّعاده
وطبيبٍ مجربٍ ما له بالحـ ـذق في كلٍّ من يجرِّب عاده

---

(١) اللبث : الإقامة ، والتغاير : التحاسد من الغيرة .

(٢) السفاتج : من السفتجة ، وهي أن تعطي مالاً لشخصٍ ما على أن تسترده من عميلٍ له في بلدٍ أنت تقصده .

(٣) يحفظ مناكاة : أي القصيدة التي تجمع حيلهم وألاعيبهم .

مــرَّ يومــاً إلــى مريضٍ فقلنا   قرَّ عينــاً فقــد رزقــت الشّهاده

فقال له أبو دلف [من البسيط] :

ظلَّ السلامــيُّ يهجونــي فقلــت له   حييت قلبــي ومعشوقــي وأستاذي
إن لم تكن ذاكراً بالــريِّ صحبتنا   فاذكر ضراطــك من تحتــي ببغداذ

وأنشدني عون بن الحسين الهمذاني ، قال : أنشدني أبو دلف الخزرجي الينبوعي لنفسه في أبي عبد الله العلوي [من مجزوء الكامل] :

لــولا النبــيُّ محمَّــدٌ   ووصيُّــهُ ثــمَّ البتــولُ[1]
لعلمــت أنّــي شاعــرٌ   أسِــمُ الرِّجـال بمــا أقولُ[2]
لكنّنــي أعرضــت عــن   ذاك الحــديث وفيه طولُ
وتــركت للخمــر الخمــا   ر ، وحبَّــذا تلك الشمول

وأنشدني أبــو علــي محمــد بن عمــر البلخــي ، قال : أنشدنــي أبــو دلف الخزرجي لنفسه في إنسان كاتب بالدينور يقال له المشقاع [من الكامل] :

يا من يسائلنــي عــن المشقاعِ   قد ضاق شعــري عنــده ورقاعي
كاتبتــه في حاجــةٍ عرضــتْ لنا   فكأنّنــي كاتبــتُ وحش القاع
نعــم الفتــى لو لم تكن أخلاقهُ   ممزوجــةً بتـوابـل الفقّــاع[3]
أنــا مثلــه في جنســه من طرزه   إنْ لم أضرِّطــه علــى الإيقــاع

وأنشدني بديع الزمان لأبي دلف ، ونسبه في بعض المقامات إلى أبي الفتح الإسكندري [من مخلع البسيط] :

ويحــك هذا الزمــان زورُ   فــلا يغــرّنَّــك الغــرورُ

---

(١) البتول : أي فاطمة الزهراء عليها السلام .
(٢) أسم : أصف وأنعت .
(٣) الفقّاع : التوابل الفاسدة الخبيثة .

زوِّقْ ومخـرِقْ وكلْ وأطبقْ واسـرقْ وطلبـقْ لمـن يزورُ[1]
لا تلتـزم حالـةً ولكـنْ درْ بالليالـي كمـا تدورُ

* * *

وهذا ما اخترته من قصيدته الساسانية[2] التي أولها [من الهزج] :

جفـونٌ دمعهـا يجـري لطـول الصـدِّ والهجـرِ
وقلـبٌ تـرك الوجـد بـه جمـراً علـى جمرِ
لقـد ذقـت الهـوى طعميـن مـن حلـوٍّ ومـن مرِّ
ومـن كان مِنَ الأحرا ر يسلـو سلـوة الحرِّ
ولا سيمـا وفـي الغـربـة أودى أكثـر العمـر
تعـرّيت كغصـن البـا ن بيـن الـورق والخضر
وشـاهـدت أعاجيبـاً وألـوانـاً مـن الدّهـر
فطابـت بالنّـوى نفسي علـى الإمسـاك والفطر
علـى أنّي مـن القـوم الـبهـاليـل بنـى الغـرّ[3]
بنى سـاسان والحـامي الـحمى في سالف العصـر
تغـرّبنـا إلـى أنّـا تنـاءينـا إلـى شهـر
فـظـلَّ البيـنُ يرمينـا نـوى بطنـاً إلـى ظهر
كمـا قـد تفعـل الريح بكُثْـبِ الرمـل في البر[4]

---

(١) طلبق : كذّب واختلق .

(٢) نو ساسان قومٌ من العيّارين والشطار لهم حيلٌ ونوادر ، وقد وضعوا لهم اصطلاحات وألفاظاً اخترعوها تجدها منثورة في هذه القصيدة ، ولصفيّ الدين الحلّي قصيدة أخرى اسمها القصيدة الساسانية في خمسة وأربعين ومائة بيت ، وفي مقامات بديع الزمان الهمذاني مقامة اسمها « المقامة الساسانية » فيها كثير من حيلهم .

(٣) البهاليل : السادة الكرام .

(٤) الكثب : جمع كثيب ، وهو التلّ من الرمل .

فطبنا نأخذ الأوقا ت في العسر وفي اليسر
فما ننفكُّ من صمّي وما نفترُّ من متر
فأحلى ما وجدنا العيش بين الكمد والخمر

الصمى : الشرب ، والمتر ، والكمد : هو النيك .

فنحن الناس كلّ النا س في البرِّ وفي البحر
أخذنا جزية الخلق من الصّين إلى مصر
إلى طنجة بل في كلِّ أرضٍ خيلُنا تسري
إذا ضاق بنا قطرٌ نزلْ عنهُ إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الإسلام والكفر
فنصطاف على الثّلج ونشتو بلد التمر
فنحن الميزقانيو ن لا ندفع عن كبر[1]
همُ شتّى فسلني عنهمُ ينبيك ذو خبر
فمنّا كل كمَّاذٍ اللبوسات مع الهرّ
ومنا كل صلّاجٍ بكيذٍ وافرٍ نكر

الكماذ : النياك ، واللبوسات : الأحراح ، والهر : الدبر ، والصلاج : الذي يصلج أي يجلد عميرة ، والكيذ : الأير .

قد استكفى بكفّيه عن الثيِّب والبكر
فلا يخشى من الإثم ولا يؤخذ بالمهر
ولا يحذر من حيضٍ ولا حملٍ على طُهر
ومنا الكاغ والكاغة والشيشق في النحر[2]

الكاغ والكاغة : المتجانن والمتجاننة ، والشيشق : الحدائد والتعاويذ

---

(1) الميزقانيون : هم أصحاب الكدية ، وميزق : كدى .

(2) قال الجاحظ : الكاغ الذي يتجنن ويزيد حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له ، لشدّة ما ينزل بنفسه ، وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل حالته .

التي يلقونها على أنفسهم .

وأشكالٌ وأغلالٌ من الجلد أو الصُّفر
ومن دروز أو حر زأو كوز بالدغر

دروز : إذا دار على السكك والدروب وسخر بالنساء ، حرز : إذا كتب التعاويذ والأحراز ، كوز : إذا أقام في المجلس ، والمكوز : هو الذي يقوم في مجالس القصاص فيأمر القاص أصحابه بإعطائه ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه . والدغر : المقاسمة .

ومن درّع أو قشّع أو دمّع في القرّ

درع : إذا جاء الهراس وطلب قصعة من الهريسة فإذا أعطاه إياها لحسها ، قشع : إذا مشى وعينه إلى الأرض لطلب القطع ، دمع : إذا بكى في الأسواق عند البرد حتى يعطى .

ومن رعّس أو كبّس أو غلّس في الفجر

رعس : إذا طاف على حوانيت الباعة فأخذ من هنا جوزة ومن هنا تمرة وتينة ، كبس : إذا دار فإذا نظر إلى رجل قد حل سفتجته كبسه وأخذ منه قطعة ، غلس : إذا خرج إلى الكدية بغلس .

وحاجورٌ وكذّابا تُ أهل الأوجه الصفر

الحاجور : الذي يثقب بيضة ويجعلها في حجره وهي تسيل ماء أصفر ، الكذابات : العصابات يشدونها على جباههم فيوهمون أنهم مرضى .

ومن شطّب أو ركّب للضربات والعقر

شطب : إذا عقر نفسه بالموسى وجعل يكذب على الأعراب والأكراد واللصوص ، ركب : إذا طلى جسمه بالشيرج حتى يسود جلده وأوهم أنه جلد أو لطمته الجن ليلاً .

ومن مَيْسَر أو مَخْطَر واستنغَرَ للثغر

ميسر : إذا كدى على أنه من الثغر، ويقال له : الميسراني . مخطر : إذا بلع لسانه وأوهم أن الروم قطعوه .

ومن ناكذ في القينو ن من جوفِ أبي شمر

المناكذة : أن يتقاسموا ما يأخذونه من الثياب والسلاح بعلة الغزو. والقينون : موضع القسمة . أبو شمر : أول من كدى بعلة الغزاة .

ومن رشّ وذو المكوى ومن درمَكَ بالعطر

رش : إذا كدى بعلة ماء الورد يرشه على الناس . ذو المكوى : الذي يبخر الناس . درمك : إذا باع العطر على الطريق .

ومن دكّك أو فكّك أو بلّغك بالحر

المدكك : الذي يخرج اللوى من العصيان ويحتال على من به وجع الضرس حتى يجعل دود الجبن فيما بين أسنانه ثم يخرجه ويوهم أنه أخرجه بالرقية ، فكك : إذا فك السلاسل على الطرق . بلغك : إذا جر الخواتيم بالإبريسم الرقيق .

ومن قصّ لإسرائيل أو شبراً على شبر

من قص : هو الذي يروي الحديث عن الأنبياء والحكايات القصار ويقال لها الشبريات .

ومن بشْرَك أو نوْ ذك أو أشرَك بالهبر

بشرك : تزيا بزي الرهبان تزهداً . نوذك : إذا كدي على أنه من الحجاج ، أشرك بالهبر : إذا قاسم شركاءه ما يأخذه .

ومن قدّس أو نمّس أو شولس بالشَّعر

قدس : إذا أكل الكبد المطحونة المجففة في شهر رمضان خاصة وأوهم أنه يطوي ولا يفطر في الشهر إلا مرة أو مرتين . نمس : من الناموس . شولس : من الشالوسة ، وهم الزهاد يكدون بلباس الشعر .

ومنا العشيريون بنو الحملة والكرّ

العشيريون : الذين يتثاقفون على دوابهم كالغزاة يكدون .

ومنا المصطبانيون من ميزَقَ بالأسر

المصطبانيون : قوم يزعمون أنهم خرجوا من الروم وتركوا أهاليهم رهائن عندهم فطافوا البلاد ليجمعوا ما يفكونهم به ، وتكون معهم شعورهم ويقال لذلك الشعر : المصطبان ، ميزق : كدى .

ومنّا كلّ زمكدان غدا محدودب الظّهر
ومنّا كلُّ مطراش من المكلوذة البتر

المطراش : الذي معه يده يكدى عليها ، ويقال اليد المقطوعة : المكلوذة .

وفي المدرجة الغبراء منّا سادة الغبر

المدرجة : هؤلاء قوم يقعدون وينامون في السكك والأسواق على طريق المارة ومدرجة الرياح فتعلوهم غبرة التراب حتى يرحموا ويعطوا .

ومنّا كلُّ قنَّاءٍ على الإنجيل والذكر

القناء : الذي يقرأ التوراة والإنجيل ويوهم أنه كان يهودياً أو نصرانياً فأسلم .

ومن ساق الولا بالما ء أو قوْسٍ أبي حجر

ومن ساق : هؤلاء قوم يسقون الناس الماء ، والولا : أن يقف فيقول : أنا المولى الأبطحي ، ومنهم من يكون معه قوس عربية ، وأول من فعل ذلك في الحضر أبو حجر .

ومن طفْشَلَ أو زنْكَلَ أو سطَّل في السر

طفشل : إذا علق لسانه وتشبه بالأعراب ، زنكل : إذا احتال في سلبهم ، سطل : إذا تعامى وهو بصير ، يقال للأعمى : الإسطيل .

ومن زقّى الشغاثات غداءاتٍ وبالعصر

زقى : صلى . والشغاثات : المساجد ، واحدها شغاثة ، يكدون فيها إذا صلى الناس .

ومن دشَّش أو رشَّش أو قشَّش يستدري

دشش : إذا جعل في استه شبه حشو كحقنة وينام على الطريق ويخرج من استه كالدشيشة ، رشش : إذا كانت معه مبولة مع خصاه فإذا جاءه البول رششه على الناس ، ويقال له : المرشش ، قشش : إذا فسا في المساجد فيتأذى به المصلون فيعطونه حتى يخرج .

ومن يزنقُ أو يخنقُ أو يذلقُ بالدّبر

يزنق : يثقب في بدنه ثقبة وينفخ فيها حتى يتورم بدنه ، يخنق : يصنع المنديل في رقبة نفسه ويفتله حتى ينتفخ رأسه ووجهه ، يذلق : يمشي عريان الاست .

ومنّا كلٌّ مستعشٍ من النّعارة الكدر

مستعش : قوم يدورون على أبواب الدور فيما بين العشاءين ويقولون :

رحم الله من عشى الغريب الجائع ، وينعرون بذلك حتى يأخذوا من كل دار كسرة ويرجعوا بها .

ومـن شدّد في القول ومـن رمّـد في القصرِ

ومن شدد : قوم يكون معهم دفاتر حديث يروونها ويشددون على الناس في اللواط وشرب الخمر ، القصر : هو الأتون يدخله الواحد من القوم فيطرح نفسه في الرماد ثم يخرج وعليه غبرة الرمـاد ، ويوهـم أنـه أوى إليه من شدة البـرد وعـدم الملبوس .

ومـن يزرع في الهادو ر تكسيحـاً مـن البذر

ومن يزرع في الهادور : قوم ينظرون في الفال والزجر والنجوم ويعطون قوماً دارهم حتى يأتوهم ويسألوهم عن نجمهم وعما هم فيه فينظـروا لهـم ثم يردون الدراهم عليهم وربما أخذوها وقالوا لا نأخذها لأن نجمك ما خرج كما تريده . الهادور : كلام الحلقة التي يجتمع الناس عليها ، والتكسيح : الممانعة .

إلـى أن يـقـع الـتـنـبـل في محـصـدة الجـزر

التنبل : هو الأبله الذي يقبل المخاريق على نفسه ، ويغتر بما يورد المنجم عليه ، فيخرج هو أيضاً دراهمه طمعاً في ردها فيأخذها منه ويسخر به .

ومـن قنْـوَنَ أو بنْو نَ أو طيَّـنَ بالشعـر

وقنون : من المقنون ، وهو الذي يقول : كان أبي نصرانياً وأمي يهودية وإن النبي ﷺ جاءني في النوم وقال : لا تغتر بدين أبويك واتبع ملتـي، فأسلمـت . بنون : إذا انتسب إلى البانوانية وهم الشطار وقال : كنت محبوساً فاحتلت بكذا حتى خرجت ، طين : إذا طين وجهه وساعديه بطين الحمرة وروى الأشعار على رءوس الأشهاد في الأسواق .

ومنّا منفذ الطين وأصحاب اللّحى الحمر

منفذ الطين : قوم يخضبون لحاهم بالحناء ، ويدعون أنهم شيعة ويحملون السبح والألواح من الطين ويزعمون أنها من قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما فيتحفون بها الشيعة .

ومَنْ شقّف بالماء ومن شقّف بالجمر

والمشقف : هو الذي يأخذ ماء النوشادر فيكتب بها الرقاع ويتركها بين يديه فإذا مر به الأبله قال له جرب بختك وخذ رقعة من هذه فيأخذها ثم يعطيه إياها فيقذفها في النار فيظهر المكتوب أسود ، وقد يعمل هذا الجنس بماء العفص فإذا غمس في ماء الزاج خرج أسود ، ويقال للرقعة : الشقيفة .

ومَنْ كدى على كيسان في السرّ وفي الجهر

كيسان : قوم عرفوا قوماً من الكيسانية والغلاة فيجيبونهم ، ويكدون عليهم بالمذهب .

ومنّا النائح المبكي ومنّا المنشد المطري

والنائح المبكي : قوم ينوحون على الحسين بن علي ، ويروون الأشعار في فضائله ومراثيه ، رضي الله عنه ! .

ومن ضرّب في حبٍّ عليٍّ وأبي بكر

ومن ضرب في حب : قوم يحضرون الأسواق فيقف واحد جانباً ويروي فضائل أبي بكر رضي الله عنه ، ويقف الآخر جانباً ويروي فضائل علي رضي الله عنه ، فلا يفوتهما درهم الناصبي والشيعي ، ثم يتقاسمان الدراهم .

ومن يروي الأسانيد وحشو كلٍّ قمطرّ

ومن يروي الأسانيد : هؤلاء قوم يروون الأحاديث على قوارع الطرق .

ومنّا كلّ ممرورٍ غدا غيظ بني البظر

كل ممرور : قوم يلبسون الثياب المخرقة ويحلقون لحاهم ويوهمون أنهم موسوسون وأن المرار غلب عليهم فيروون ما يريدون من فضائل أهل البيت وينسبهم العامة إلى الجنون فلا يؤاخذونهم بما يقولون ويأخذون من الشيعة ما يريدون .

ومن يكحل من مستعرضٍ دمعته تجري

ومن يكحل : هو الذي معه قطنة مغموسة في الزيت يمرها على عينيه لتدمع ويأخذ في شكاية حاله واستعراض الناس في مسألته وذكر قصته ، وأنه قطع عليه الطريق أو غصب على ماله ، والمستعرضون أمهر القوم .

وفي الموقف منّا كلُّ جبارٍ أخى الصبر

كل جبار : هو الذي يقف في المقام قائماً أو قاعداً ولا يبرح أو يأخذ ما يريد .

متى يحفُ [يقل] بشبا شة الخشنى في خصر

البشباشة : اللحية ، والخشنى : الذي لا يكدي ، وهو عندهم عيب كبير .

وقرّاع أبي موسى لديه دبّة البزر

وقراع رأس أبي موسى : هو الخشنى ، يقول : إن رأس هذه السفلة عنده أهون من دبة البزر استخفافاً به وبجفائه .

ولا ينطسُ أو يلحن ما يطلب بالقسر
وجرّار عيالاتٍ عليهم أثر الضرُّ

ولا ينطس : لا يذهب ، أو يلحن : يعطي . وجرار عيالات : هو الذي يكتري الصبيان والنساء ويكدي عليهم .

ومن ينفذ سبحاتٍ وحلوى وأبا شكر

ومن ينفذ سبحات : هو الذي يطرح على أبواب الحوانيت السبحات وأقراص الحلوى ، فمنهم من يعطي ويرد عليه ، ومنهم من يلقي الملح ، ويقال للملح : أبو شكر .

ومنّا حافر الطرس بلا خرطٍ ولا جهر

حافر الطرس : هو الذي يحفر القوالب للتعاويذ فيشتريها منه قوم أميون لا يكتبون وقد يحفظ البائع النقش الذي عليه فينفذ التعاويذ إلى الناس ويوهم أنه كتبها ، ويقال للقالب : الطرس .

وبركوشٌ وبركك ومعطى هالك الجزر

بركوش : هو الذي يتصامم ويقول للإنسان تكلم على هذا الخاتم باسمك واسم أبيك فيسمع ما يقول وينبئه به ، وبركك : هو الذي يقلع الأضراس ويداوي منها، والهالك : الدواء ، والجزر : البصر، ويقال للعين : الجزارة .

ومن قرْمَطَ أو سرْمَط أو خطَّط في سفر

قرمط : هو الذي يكتب التعاويذ بالدقيق والجليل من الخط ، وسرمط : كتب ، والسرماط : الكتاب .

وحرّاقٍ وبزّاقٍ بني الشّخّير والنشر
ومن ذكّر والقوم الزكوريون في الصدر

الحراق : الذي تكون معه مرآة تشعل منها النار وتسمى حراقة . والبزاق : الذي يرقي المجانين وأصحاب العاهات ويتفل عليهم ، ذكر : كدى على الأبواب ، وهو من أجلائهم .

ومن دهشم بالكرش ويستبرد في النهر

ومن دهشم : مخرق ومره بأنه صائم . والكرش الصوم والجوع أيضاً ويكون قد أكل في منزله فإذا عطش نزل في النهر بعلة الاستبراد وشرب ما أراد .

ومن يعطي الضمانات من الزنكلة العفر

الزنكلة والعفر : واحد ، وهم المعافرون يأخذون الحجيج ويضمنون الجنة .

ويشرى عشّ رضوانٍ بنذر الثمن النزر

ويشري عش رضوان : يعني أنه يقول : إن لم أحج عنك فحظي من الجنة وقف عليك اللهم اشهد بشراء البيع ، والعش : البيت ، يريد به الجنة .

ومن حنّن كفّيه وحفّ الطّست كالحرّ

حنن : هو الذي يخضب كفيه بالحناء ، وحف شاربه فيتركه كالطست المجلوة وكالحر المنتوف ، فيدعى أنه من الصوفية العلماء الزهاد فيتشبث به لذلك .

ومنّا الشيخ هفصويه ويحيى وأبو زكر

هفصويه : هؤلاء الذين سماهم قوم نبط وعجم ، يكدون ولا يتكلمون العربية .

ومن كان على رأي ابن سيرين من العبر

ومن كان على رأي ابن سيرين : هؤلاء من البصراء يعبرون الرؤيا ويكدون من هذه الجهة .

وشكّاكٍ وحكّاكٍ ومعطى بلح الأجر

الشكاك : الذي يبيع دواء الفار واسمه الشك ، والحكاك : الذي يكون معه

حجارة محمولة من دربند يظهر فيها الحديد من الدراهم والدنانير ، يقال للواحد منها المحك ، بلح الأجر : هو السبح التي تحمل من الجبل يقال لها دموع داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وسمقون عليه السر مل الكحل وذو الغزر

سمقون : الصبي الذي يأخذ بيد الضرير يوهم أنه ابنه ، والسرمل : القميص المخرق .

ومن ربّى ومن فتّى وأجرى عقد الزرّ

ومن ربى : هؤلاء قوم شطار يقولون بالصاحب والغلام فيربون الصبيان .

ومنّا قافة الرزق وأهل الفال والزجر

وقافة الرزق : قوم يتعاطون التنجيم .

ومن يعمل بالزيج وبالتنور والجفر

الجفر : الذي يكون بين أيديهم على هيئة الفلك يدور .

ومنا البشتداريون تحت الرّحل كالحمر

والبشتداريون : قوم يستأجرهم المكدون الذين يخرجون إلى القرى فيحملون رحالاتهم وما يجمعون بها من الحب والصوف وغيره .

ومن مرّق في مصطبة الفتيان في قدر

ومن مرق : يطبخون المرق في دار القوم فيبيعونها من المرضى والضعفاء منهم .

ومنا كلّ مراسٍ جسورٍ جاهلٍ هزر

المراس : الحواء معه سلال فيها حيات .

يــرى الخشّ فيأتيـه بـلا خـوفٍ ولا ذعـر

الخش : الأفعى .

فيســتـل الـذي يخشا ه مـن شصــوصـة الخـزر

الشوص : الأنياب بقلعها ويترك واحدة .

ويـبـقـى مـنـه مـا يـصــــلح لـلمـحـنـة والـسّبـر
فقـد أنــزل فيـه ملـك المـوت علــى قبـر
فهــذا هالـكٌ لسعـاً وهــذا كفُّــه يبـري
وقـد يلتمس الخبز بمــكـروهٍ مــن الأمـر
ومنّــا كـلُّ نطّــاسٍ علـى البـزرك مستجـري

النطاس : القوي القلب من الدستكاريين تراهـم على الـدواب ومعهـم الكلاليب والمباضع يداوون الرمدى وغيرهم من الأعلال ، والبزرك : المواضع .

ومنّـا كـلُّ مــن شـرشــر بالهـلاَّب والكســر

الشرشرة : القمار ، والهـلاب : الثياب ، والكسـر : الدرهـم والمرجـان والدينار .

إذا حــاف عليــه بختــه سقّــف بـالنّحــر

وحاف عليه : يعني أنه إذا قمر فانقلب الفص عليه رفع طرفه إلى السقف ونحر نحو السماء وتكلم بالكفر .

ومنّـا كـلُّ إسطيـلٍ نقـيٍّ الـذهـن والفكـر

الإسطيل : الأعمى .

ومنــا كـلُّ سبّـاعٍ عظيم اللّيـث والببــر
ومــن قــرَّد أو دبَّـــــــب من كـلِّ فتىً غمـر

ومن قرد أو دبب : هم الذين يكدون على الدببة والسباع والقردة :

وسمّانٍ ووسنانٍ ومن قتَّت كالكبر

والسمان : الذي يعطي النساء دواء السمن ، والسنان : الذي يعطي دواء الأسنان ، وقتت : أكل القت بين أيدي الناس كالجمل .

ودكّاكِ السفوفات لريح الجوف والخصر

الدكاك : الذي يرقى من القولنج ، ويكون معه حب مصنوع يحتال حتى يبلعه العليل فيزعم أنه انحل بالرقية .

ومنّا ذو الوفا الحرّ المدلِّج ذو الكرّ

والمدلج : الذي يأخذ حاجته من البقال والجبان ويحصل عليه أجرة الشهر لبيته فيهرب ليلاً ويفوز بما يلزمه أداؤه .

ومنّا شعراء الأرض أهل البدو والحضر
ومنّا سائر الأنصار والأشراف من فهر
ومنّا قيِّم الدين المطيع الشائع الذكر
يكدى من معزّ الدولة الخبز على قدر
ومن يطحن ما يطحن بالشّدة والكسر

ومن يطحن : هم الذين يطحنون النوى والحديد والزجاج بأيديهم وأضراسهم .

ومطليٌّ دم الأخّ مع المصموغ كالبثر

ومطلي دم الأخ : هم الذين يضربون دم الأخوين والكثيراء والصموغ وينفخونها على أجسادهم فتخرج بهم بثور يمرضون منها فيكدون .

ومنّا كلُّ مشقاعٍ من الفتيان كاللغر

المشقاع : الأرعن الذي يكتري الثياب البيض ويلبسها . واللغر : هم السفل من الناس .

يلذ الشورز الوجدا ن بالخبّ وبالمكر

الشورز : الأمرد . ويلذ : يدور به العرب من المكدين فيؤدبه، ويقول : هذه الفتوة، ولا يجوز أن تكون وحدك ، فإما أن تصير غلاماً لأحدنا وإما أن تخرج من دار الفتيان ، فإذا صار مع أحدهم طبخ له قدر الدسكرة ، ويقال للقدر بما فيها : الخشبوب .

إلى أن يأكل الخشبو ب كرساً أكلّ مضطر
وما في البيت غير البـ ـتّ أو بارية القفر
وما للشوزر السوء سوى الغيلة والغدر
وأن يصميه حتّى تراه طافح السكر

يصميه : يسقيه الصمى ، وهو الخمر .

فتجري فيه كيذات البهاليل ولا يدري

الكيذات : الأيور : البهاليل : رؤساء المكدين .

ومنّا سعفة الريح لضرب الكلب والهرّ

وسعفة الريح : قوم يرعدون رعدة شديدة تهتز لها مفاصلهم وتصطك أسنانهم ، ويقول أحدهم : إنه قتل سنوراً أو كلباً فلطمته الجن .

وذو القصعة والمسرا د والمكناس والعشر

وذو القصعة والمسراد : هؤلاء قوم ينخلون التراب في الطرق ويعلقون على أنفسهم القصاع ويغسلون الأسواق بالماء ويخرجون إلى البيادر فليقطون القصرى وهو ما بقي في السنبل من الحب [بعد أن يداس] .

وفي الأسواق والأنها ر والبيدر والقصر
ومن يقرأ بالسبع وإدغامُ أبي عمر [و]
وأصحاب المقالات من الفاجر والبرِّ
ومن علّافةٍ ركّبت الباز مع الصقر

ومن علافة : هذه امرأة تتزوج بمن يحسن أن يكدي فيشد يدها مجموعة الأصابع ويدعى أنها مقطوعة ويسمى الباز ، وربما عوجها كأنها مفلوجة ، والصقر : هو أن يشد عينيها ويقول : إنها رمدى أو عوراء ويقال لها أيضاً النعلة .

ومنّا الكابليون ومن يلعب بالجرّ
ومن يمشي على الحبل ومن يصعد بالبكر
ومنّا الزنج والزُّط سوى الكبّاجة السُّمر

والكباجة : اللصوص ، كبج إذا سرق .

ومنّا من صما يوماً فقد هرّب في المصر

ومنا من صما : يقول إن من شرب منا الخمر وعرف به فقد أفسد على نفسه البلد ، والشيء الرديء الفاسد يقال له الهريب ، والشيء الجيد يقال له الكسيح .

ومنّا كل ذي سمتٍ خشوع القنّ كالحبر
يرقّي وتراه با كياً دمعته تجري
فإن كبّن في السرِّ فبالمذقان يستذري

كبن : خري ، والكبن الاسم منه ، يقول : إنه يظهر الورع والزهد فإذا خلا المسجد وأخذه البطن يخرى تحت السارية أو خلف المنارة ويمسح استه بالمذقان وهو المحراب .

وإن كرّس لا واللّه لا تمَّ إلى الظهر
ومن صاح بآمين من المزلق والذّعر

من المزلق : يريد هؤلاء العراة ، الواحد مزلق ، يصيحون بآمين من الأسواق .

سخام القصّ قد نقّعهم مثل بني النّمر

سخام القصي : سواد الأتون .

فذا بقّالنا سطلٌ وذا استأذنا خرّي

فذا بقالنا سطل : يقول إذا صاحوا بآمين دعوا على أصحاب الحوانيت ذا بقالنا أعمه يا رب .

وذا فصابنا عسمٌ وذا البزاز لا تبري

وعسم : من العسوم وهو المفلوج .

ومن ردّهمُ غُلّفٌ من غالبة الحجر
ومنّا كل من يمرح في الإسطيل كالمهر
ومن كدّة بهلولٍ تخطّى ثمّ كالحجر

الإسطيل : الجامع ، والكدة : المرأة التي تسأل الناس ومعها زوجها في الجامع .

ومن يخرج باليابس يوم الفطر والنحر

من يخرج باليابس : قوم يخرجون في أيام الأعياد إلى المصلى عراة حفاة يكدون .

ومنّا من تمشّى يمسح البلدان كالنّسر
ومن يأوي المصاطيب مع المذلقة الضُّمر
ومن يأوي الشغاثات مع العقّة في الستر
وأصحاب التجافيف من الثامولة الصبر

أصحاب التجافيف : قوم يأوون المساجد عليهم مرقعات كالتجافيف بعضها مركبة فوق بعض ، يقال لهم الثامولة الصبر لصبرهم على شدة فقرهم .

وأصحاب الشقاعات من المشّاطح العكر

الشقاعات : جمع شقاع ، وهو الوطاء إذا كان من ألوان أو لون واحد يكون مع جنس منهم ، فيدورون في المواضع ويبسطون الشقاع ويصلون عليها ولا يأوون إلى موضع فلهذا يقال لهم : المشاطح ، لأن المشطح هو الذي يطوف دائباً لا يفتر .

بنو التّضريبِ والتّدريبِ والتّفتيق والأطر

بنو التضريب والتدريب : قوم ليس لهم عمل إلا جمع الخرق معهم فهم أبداً في رتق أو فتق .

ترى للقمل في كلٍّ شقاعٍ مائتي وكرِ
ومن دمَّج في الثّلج وفي الوحل بلا طمر

دمج : إذا قام في البرد .

ولا ينظر إلاّ كا لحاً ذا نظرٍ شزر
فلا يبرح أو يأخذ ما يأخذ بالصّقر
وفي الغمّيز منّا فتيةٌ من رغلٍ قذر
همُ بيتُ المشاميل مع القنّابر الحفر

المشاميل : الرغفان ، واحدها مشمول ، والقنابر : جمع قنبرة ، وهو الكسرة من الخبز .

غدوا مثل الشياطين عليهم أثرُ الفقر
فيأتون ببربازا ر كالقفيا من المجري

بربازار : لأنه ذو ألوان ، والقفيا : هو خبز السبيل الذي يجريه الأعلاء على

الفقراء والضعفاء فيكون لهم رجل مجرى .

وعبّوه أنابيرٌ من الزغبل والبرٍّ

وعبوه أنابير : يعني أنهم إذا جمعوا الخبز جعلوه كالأنبارات بين أيديهم من ألوان وكل ما خالف الحنطة فهو الزغبل ، ثم يتقاسمون ما يجتمع لهم منها .

كما يقتسم البيد ر بالقفزان والكسر
وظلّوا يفتنون على مالك بالعسر
وخصوه بجوازات ونصف فجلة تمري

وخصوه بجوازات : يعني أن ما يبقى من المأكول يجعلونه لصاحب الموضع ، وإن كانوا في أتون جعلوه للوقاد .

سقى الله بني ساسا ن غيثاً دائم القطر
ترى العريان منهم ظا هر السُّمرة والخطر
كنمرود بن كنعان قويّ الصدر والأزر
رجالٌ فطنوا للثقل والأغلال والإصر
خلنجيون ما حاضوا ولا باتوا على طهر

الخلنجي : الذي يخرى ولا يغسل استه ، ما حاضوا : أي ما تطهروا .

رأوا من حكمةٍ خرط الـقلاداتِ مع العذر
يقولون لمن رقّى تحوّل فينا تزري
وراحوا خارج الدار بواريةٍ مع الحصر
فحيثما آكتروا قالوا من الخشنيٍّ لا نكري
إذا ما سمّروا القشقا ش ذا العثنون والزجر

سمروا القشقاش : أي رأوه وهو الشيخ الطويل اللحية ، ذو الزجر : العالم المتقشف الورع .

لقــوه بنـثــاراتٍ مـن البنـدق والبسـر
وحــيّــوه بـــآلافٍ مـن القنّـادر الفطـر

يعني أنهم إذا رأوا شيخاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ضرطوا عليه ، والقنادر : الضراط ، والفطر : الذي لم ينضج بعد ، من الفطير ، ويصيح الواحد إلى الآخر بندقة بسرة ويضرط .

وكـم بيـن الغرابيـب وبيـن البـغ والقمـر
ألا إنـي حـلـبـت الـدهـــــر مـن شــطرٍ إلـى شــطر
وجبـت الأرض حتـى صر ت فـي التطـواف كالخضر
وللغــربــة فـي الحـرِّ فعــالُ النــار في التّبر
ومـا عيش الفتـى إلاّ كحـال المدِّ والجـزر
فبعـضٌ منـه للخير وبعـضٌ منــه للشـرّ
فـإن لمـت على الـغـربـــــة مثلي فـاسمعـنْ عـذري
أمــالي أسـوةٌ فـي غر بتـي بـالسّـادة الطُّهـر
هـمُ آل الحواميـم هـم الموفـون بالنـذر[1]
هـم آل رسـول الـلــــه أهـل الفضـل والفخـر
بـكـوفـان وطـيٍّ كـر بلاكـمْ ثمَّ مـن قبر
وبـغــداد وســامـرا وبـاخمـرى على السّكـر
وفـي طـوس مناخ الـرّكـب فـي شعبـان فـي العشـر
وسـلـمـانُ وعـمّـارٌ غريـبٌ وأبـو ذرّ
قبـورٌ فـي الأقاليـم كمثـل الأنجـم الزهـر
فـإن أظفـر بآمـالـي شفيـتُ غُلَّـة الصّـدر

---

(١) آل الحواميم : آل الكساء الخمسة .

وألممت بأوطانٍ قويّ النّهي والأمر
وقد تخفق فوقي عزّةً ألوية النّصر
وإما تكن الأخرى وعزٌّ جائز الكسر
فلا أُبْتُ مع السّفر غداة أوبة السَّفر[1]
ولا عدْتُ متى عدت بلا عزٍّ ولا وفر
وحسبي القصب المطحو ن فيه ورقُ السّدر
وأثوابٌ تواريني من الإيذاء والأزر

* * *

٢٧ ـ أبو القاسم عبد الصمد بن بابك

شاعر شعاره إحسان السبك ، وإحكام الرصف ، وإبداع الوصف ، يشبه كلامه مرة في الجزالة والفصاحة كلام المفلقين ، من الشعراء المتقدمين ، ويناسب تارة في الرشاقة والملاحة قول المجيدين ، من المحدثين والمولدين ، وهو القائل في وصف شعره [من الوافر] :

أزرْتك يا ابن عبادٍ ثناءً كأنَّ نسيمه شرقٌ براح
ولفظاً ناهَبَ الحلْيَ الغواني وأهدى السّحر للحدق الملاح

وله في استعطاف الصاحب [من الخفيف] :

أي جرمٍ لواثقٍ بك راجي خبطته غوارب الأمواجَ
وطني أنت والمكارم زادي فلمن أزجر القلاص النّواجي[2]
فارعَ يا كافيَ الكفاة ثناءً نفث السّحر في العيون السّواجي[3]

---

(١) أبت : عدت .

(٢) القلاص النواجي : النوق السريعة .

(٣) السّواجي : الساكنة .

لو أزرتَ الحراب ملعب طوقي لارتشفن الثناء من أوداجي[1]
أنا مذْ حرَّقت سمومك ظلّي جمرةٌ في شواظك الوهّاج
لا تقابل زيارتي بازورارٍ ومجاجاً عسّلته بأجاج
ليس في الشرط جنس حظّي فوقّع في عيون الحساد بالإخراج

وكان أيام الصاحب يشتي بحضرته ويصيف بوطنه ، كما قال من قصيدة جرجانية يتسحب فيها على كرم الصاحب ويقرع باب استبطائه ويستأذنه للعود إلى بلده [من الوافر] :

ألا يا أيها الملك الرءوف إلى كم يعصي بالنّفس اللهيفُ(؟)
أأسحب في ذراك فضول ذيلي ويسحب ذيل نعمتك الضيوف
فإنْ يملك سواي عنانَ حظّي ولي من دونه اللّفظ الشريف
فكلٌّ مطرَّقٍ مالٌ، ولكنْ تعود بها إلى القيم الصروف
لواني عن طريق اليأس أنّي على ثقةٍ بأنّك لا تحيفُ
فحِزْ إرث الزمان وعشْ حميداً يُناخ ببابك الهمُّ العكوف[2]
وحادثْ بالسّراح أخا اشتياقٍ يلاعب ظلّه جسدٌ نحيف
له بالريف من جرجان مشتى وبالنّخلات من غمّي مصيف

وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره واستملحته ، وهو : وأما ابن بابك ، وكثرة غشيانه بابك . فإنما تغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام .

قال مؤلف الكتاب : وقد كانت تبلغني لمع يسيرة من شعره فتروقني وتشوقني إلى أخواتها ، حتى استدعى أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد مجموع شعره كعادته في استنساخ الظرف واستجلاب الغرر ، وبذل النفائس في استحداث

---

(١) الأوداج : عروق في العنق .

(٢) العكوف : المقبل الملازم ، وعكف في المكان : أقام فيه .

الملح ، فأهدى إليه ابن بابك مجلدة من شعره بخطه يسحب ذيلها على الروض المطور . والوشي المنشور . واللؤلؤ المنثور ، فلم أدر الدفتر أملح أم الخط أحسن أم الشكل أصبح أم اللفظ أبرع أم المعنى أبدع ، وجمعت يدي منها على الضالة المنشودة ، والغريبة الموجودة ، فأخرجت منها غرراً ما هي إلا أنس المقيم وزاد المسافر ومنية الكاتب وتحفة الشاعر ، كقوله في وصف الشراب من قصيدة [من الطويل] :

عقارٌ عليها من دم الصبِّ نفضةٌ ومن عبرات المستهام فواقعُ
معوّدةٌ غصب العقول كأنمّا لها عند أرباب الرجال ودائعُ
تحيرً دمع المزن في كأسها كما تحيَّر في ورد الخدود المدامع

وقوله من أخرى في وصف إضرام النار في بعض غياض طريقه إلى الصاحب [من البسيط] :

ومقلةٍ في مجرًّ الشمس مسحبها أرعيتها في شباب السذقة الشهبا[1]
حتّى أرتني وعين النجم فاترةٌ وجه الصباح بذيل الليل منتقبا
وليلةٍ بت أشكو الهمّ أولها وعدت آخرها أستنجد الطربا
في غيضةٍ من غياض الحزن دانيةٍ مدّ الظلام على أرواقها طنبا
يهدى إليها مجاج الخمر ساكنها فكلّما دبَّ فيها أثمرت لهبا
حتى إذا النار طاشت في ذوائبها عاد الزمرُّذ من عيدانها ذهبا

ومنها :

مرَقْتُ منها وثغر الصبح مبتسمٌ إلى أغرًّ يرى المذخور ما وهبا
ذو غرّةٍ كجبين الشمس لو برقتْ في صفحة الليل للحرباء لانتصبا
يا أغزر الناس أنواءً ومحتلباً وأشرف الناس أعراقاً ومنتسبا

(١) شباب السّذقة : أي أوان النشاط والفتوّة .

أصبحت ذائقةً بالوفر منك وإنْ قال العواذل ظنٌّ ربّما كذبا
إنّ المنى ضمنت عنك الغنى فأجبْ فالبحر يمنح فضل الريِّ من شربا
فحسن ظنّي قد استوفى مدى أملي وحسن رأيك لي لم يبق لي أربا

ومن أخرى [من الوافر] :

حجبت وما حجبت عن الصَّباح وليلُ الصَّبِّ ممطول البراح[1]
وبات السقم يكمن في عظامي كمون الموت في حدِّ الصفاح[2]

ومنها [من الوافر] :

كسوت الحمد ذا عرضٍ مصونٍ يمتّعُ في حمى مالٍ مباح
مزوحُ اللفظ مجذوعَ العطايا جموحُ العزم مجنونَ السّماح
إذا اشتجرت على الملك العوالي هززت أصمَّ موشَّى الجناح[3]
يُريق على الظُّبا ريق المنايا ويكحل بالردى مقل الرماح

وقوله من أخرى يمدح ويعاتب ويستبطىء [من الوافر] :

أرى الأيام تسرف في عقابي ودون رياضتي شيب الغراب
ألا يا عامر الآمال مالي أسير الطرف في أملٍ خراب
أفوت مطارح الأمل انتظاراً وأسرح بين سقمٍ واغترابِ
أراعُ ولا أراعي والأماني لقىً بين اكتئابٍ وارتيابِ
وكم كسرٍ جبرْتَ فكان طوقاً على نحرِ الدّعاء المستجابِ

---

(١) البراح : الزوال والانتهاء والمفارقة .
(٢) حدّ الصفاح : أي حدّ السيوف .
(٣) اشتجرت : كثرت وتشابكت وتخاصمت .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

لقد نشر النيروز وشياً على الرّبا | من النَّور لم تظفر به كفٌّ راقم
كأن ابن عبادٍ سقى المزن نشره | فجاد برشّاشٍ من الوبل ساجم[1]

ومن أخرى يهنئه بالأضحى [من الطويل] :

ليهنك عيدٌ لو تناجت سعوده | لما اقترحت إلاَّ سماءك مطلعاً
فضحٍ بمنْ ماطلتُه عدةَّ الرّدى | فما اكتنَّ صدر السيف إلاّ ليقطعا[2]

وله من قصيدة يذكر خلعة أمر له الصاحب بها [من المنسرح] :

وخلعةٍ فاجأت بلا عِدَةٍ | من منعمٍ في عطائه سرفُ
غلَّت لساني عن الثناء فما | يجري ولكنْ لشأنها يصفُ

ومن أخرى [من الكامل] :

أقبلت في شرف اللباس فأبلسوا | نظر البغاث إلى انقضاض الجارحِ[3]
إشتقّ من خلع الفخار عمامةً | ورفاء تهزأ بالكئيب البارح
ومزنر الأردان ناقلني الضنّا | وافترَّ عن سمطيّ شتيتٍ واضح
كالزبرقان تهافتت أنواره | ليلاً بمضطرب الخليج السّابح
ومهلهلِ النهدين نازع عِطفهُ | علمٌ كمنعطف العذار الجامح
لأنلتني شرف المقام، ورعت بي | قلب الزمان ، وصنت وجه مدائحي
لله منزلنا التي من شأنها | جرّ الرماح على السّماك الرامح[4]

(١) النشر : العبق والطيب ، والوبل :المطر، والساجم : الهاطل .

(٢) اكتنّ : ستر ، أو ابيضّ من الصقل .

(٣) أبلسوا : احتاروا ولم يستطيعوا جواباً أو قراراً .

(٤) السِّماك : نجم في السماء .

ومن قصيدة في فخر الدولة [من السريع] :

خلقت يقظان مروح العنانِ موقّر الجأش جموح الجنانِ
لا أظلم الدهر فقد سرّني وعشت من أحداثه في أمانِ
فإن تكن أيام دهري خلتْ فشأن أيامي البواقي وشاني
لقد تفيّأتُ ظلال الصّبا وصمّ عن طاعتي العاذلان
واستوقفت طرفي في خصور الدّمى وانتهبت عقلي حضور الدنان
أفتِّق جلد الليل عن ضوئها والصبح كالنار خلال الدخان
يسعى بها في سقطات النّدى أغنُّ معقودُ حواشي اللّسانِ
مروّعُ المقلة طاوي الحشى مؤنّث الدلِّ مريضُ البنان
مقرطقٌ تنفر أذياله عن موجةٍ يجذبها غصن بان[1]
مزنَّرٌ يقلق سرباله كأنّما زرّ على خيزران
في يده شمطاء مقتولةً ترفل في ملحفتي أرجوان
إذا استدارت فرقاً صرّحت عن شررٍ وابتسمت عن جمان
إذا طغا لؤلؤه خلته طلاً على أرضٍ من الزعفران
تذكّرني أنفاسها سحرةً والليل والصبح طليقا رهان
نشوةَ أنفاس الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزّمان

لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب بنفس الممدوح وهو ملك معظم لأنه إنما يشبه بنفس المعشوق ، وقد مر مثل هذا النقد في شعر المتنبي ، وكان ينبغي أن يقول :

نسيمُ أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

رجع :

---

(١) مقرطق : يلبس الأقراط أي الحليّ ، ويجذبها : يحرّكها ويمسكها ، والموجة : يقصد بها حركة الرّدف .

يا فلك الأمة درْ بالذي تهـوى فقـد دان لك المشرفان
مقبـل الـراحـة ما صُوِّرت كفّـاه إلاّ للنـدى والطِّعـان
فالحـزم والعـزم له عدّةٌ والمـال والسيـف له جنّتـان
قد رقـم النيروز وشْـي الرُّبا فارقم حواشـي جامك الخسرواني[1]
واقتبـل اللّـذات واستدعهـا باللهـو والقصف وعـزف القيان
واجتـلِ وجـه الـرّاح في روضةٍ تبسّـم عن مثـل وجـوه الغواني
وارع رياض العـزّ في غبطةٍ واسـكن مدى الأيام ظلّ التهاني

ومن أخرى في مهرجانية [من الوافر] :

أيا شاهانشــاه صلِ الأماني بتجـديـد البشـائـر والتهانـي
فقـد جرت السعـود وجـاء يحدو سبـوت الـدهـر سبـت المهرجان[2]
وإنْ طغـتِ المثالـبُ والمثاني فعـاتبهـا بقهقهـة القنانـي
فقـد برد النسيم وجـاء يسعى بهـا خِصِر المـراشف والبنـان[3]
فلا عدمـت يداك سقيط مزنٍ يصفّـق بالـرحيـق الخسـرواني

ومن أخرى يصف مجلس إملاك نثرت فيه الدنانير[من الوافر] :

وهـزَّ العقـدُ متـن الأرض حتَّى كأنْ قد أشربـت حلـب العصير
وأرسلـت السمـاء رشـاش تبرٍ شتيت الـورق كالـورق النّثير
لقـد أمطرتهـا ذهبـاً ولكنْ جلـوت الشـمس في يومٍ مطير
كواكب زرن وجـه الأرض حتّى لقـد أذكرتنـا عام الهرير[4]

---

(١) رقم : خططوسطّر ، والجام : الإناء من فضة .
(٢) سبوت الدهر : سكونه وإقباله .
(٣) الخصر : البارد .
(٤) الهرير : البرد القارص .

ومن أخرى [من البسيط] :

يا ساقِيَّ قضيبُ الرَّند ريَّانُ والبدر ملتحفٌ والصبح عريانُ
وللصبا عثراتٌ لا تقال، وفي سجع الحمائم ترجيعٌ وإرنان
فغالباً نفثتي بالراح واختلسا عقلي فقد نفح النسرين والبان
واسترجعا لِمَّتي واستنفدا طربي قبل الشروق فللأطراب أوطان
وعرِّضا بهوى لبني فلي ولها وللزجاجة إن عرَّضتما شان
اليأس وردي إذا سحبُ المنى هطلتْ والصبر زادي إذا أهلُ الحمى بانوا
ها إنَّ حلبة أرض الله شوط فتىً في بسطتي يده بطشٌ وإحسانُ
لله ثم لشاهنشاه خلفتها ما طلَّ في رملات القاع حوذان[1]
إنْ كان للفلك العلويِّ مرتكضٌ فيها فللفلك الأرضيِّ سلطانُ

ومن أخرى في أبي علي الحسن بن أحمد لما تقلد الوزارة هو وأبو العباس الضبي على سبيل المشاركة والمشاطرة [من الكامل] :

بَرَقَ الثَّناء وشقَّ ذاك القسطل وجرى عنانك والسِّماك الأعزلُ
ورآك للتشريف أهلاً فاجتبى بوفائه ملكٌ يقول ويفعلُ
فأعرت شطر الملك ثوب كمالِهِ والبدرُ في شطر المسافة يكملُ

أنظر إلى حسن وصفه لوزارته المشتركة، وتدبيره نصف المملكة لفخر الدولة .

ومن أخرى [من البسيط] :

ذنبي إلى الدَّهر أنِّي ما خضعت له ولا طويت له ثوبي على درَنِ
قد كنت أوقَفُ من عنسٍ على طللٍ فصرت أسرع من عذلٍ على أذن[2]

---

(١) الحوذان : نبات عشبيٌّ له زهرٌ أحمر في أصله صفرة .
(٢) العنس : النوق ، والعذل : اللوم .

هذي بقيَّةُ نفسٍ فارقــت وطناً وفرقــة النفس تتلــو فرقــة الوطن
نقَّلــت عن عقــر دارٍ كنــت آلفها إلف القرارة صوب العــارض الهتن[1]
حتّــى ترنَّحــتُ في أفياء دولتها ترنُّــح الــظلِّ بين المــاء والغصن
فالآن قصّــر باعــي وانتهــى طربي وشمَّــرتْ في عقابــي سطــوة الزمن

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ مرقــتُ من فحمتيــهِ أنــا والعيس والقنــا والبروقُ
ورقــادٍ كخفقــة النبض يغشى مقلــةً راعهــا الخيال الطروق
واستهلَّــت لمصــرع اللّيل وِرْقٌ ثاكــلاتٌ حــدادهــا التطويــق[2]
فتضــاحكْـتُ شــامتــاً وكــأنَّ الــــصّبح جيبٌ على الــدُّجـا مشقــوق
سبــك الشــرق منــه تبــراً مذاباً لفــرنــد الشّعــاع فيــه بريق
وتمشَّــت علــى الــرياض النعامى وثنــى قدَّه القضيــب الرشيــقُ
فكأنَّ التــراب مســكٌ فريكٌ وكأنَّ الأصيــل صبــحٌ فتيق
ليس إلاّ تطــرُّف العيش حتّى يتوشّــى لــك المــراد الأنيـق
إنّمــا العيش رنَّــةٌ من حمامٍ وســلافٌ يشجّــه معشــوق[3]
ومهــبٌّ مــن الشّمــال عليلٌ ووشــاحٌ مــن الــرياض أنيـق
ومــلاءٌ مــن الشّبــاب جديــدٌ ورداءٌ مــن النسيــم رقيــق
وجمــالٌ مــن الــرّذاذ نثيــرٌ فــي مروجٍ ترابهــنّ خلوق
لا ترد مشــرَعَ الصّبــابــة فالياً س رفيق إذا استقــلَّ الفريقُ
شافــه الهــمَّ إنْ طغــى بحريقٍ سلَّــهُ مــن زنــاده الراووق[4]

---

(١) القــرارة : القاع المستدير الذي يجتمع فيه ماء المطر ، والعارض الهتن : السحاب الممطر .
(٢) الورق : الحمائم ، والتطويق : أي إلباسها الطوق .
(٣) يشجّه : يفضّ ختمه .
(٤) الراووق : المصفاة ، الكأس او الإناء يروّق فيه الشراب .

صفقته يدٌ كأنَّ عليها صدفاً فيه لؤلؤٌ وعقيق

وله أيضاً [من السريع] :

لم أرض باليأس ولكنَّني أسوِّف الخسران بالرِّبح
تألّفتني خطراتُ المنى تألُّف المسبار في الجرح[1]

ومن أبيات في غلام يشتكي من قروح به [من البسيط] :

يا أيها الرشأ الموفي على شرفٍ ماذا دعاك ولم أذنبْ إلى تلفي
لا تشكونَّ قروحاً آلمتك فقدْ سرّقتها من فؤادي الهائم الدَّنِفِ
أحبُّ منك وإنْ لجَّ العواذل في لومي دلال الرضا في نخوة الصّلف

ومن أبيات في الاعتذار من ترك التوديع [من السريع] :

إنْ لم أودِّعك فعن عذرةٍ فاثنِ إليها أذناً واعيه
قرّتْ بك العين فنزّهتها عن نظرةٍ ليس لها ثانيه

* * *

٢٨ - أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي العامري

قد كان يقع التعجب من إخراج الشاش مثل أبي محمد المطراني في حسن شعره وبراعة كلامه ، فلما أخرجت من إسماعيل من ألقى إليه القول الفصل زمامه ، وملكه المعنى البديع عنانه ، كان كما قيل : « جرى الوادي فطمَّ على القرى »[2] وهو أحد الأفراد بحضرة الصاحب ، وممن رفعتهم سدته ، وشرفتهم خدمته . ولولا أن الفالج أبطله الآن ، لكان قد بلغ من التبريز أعلى مكان . ولكنه بالري لقى ، وفي طريق المنية لقى . وعنده بقية مما استفاده في أيام الصاحب تتماسك

(١) المسبار : ما يسبر به الجرح ، أي يمتحن عمقه .
(٢) طم : غمر .

معها حال معيشته . وتنزاح بها علل نفسه . وهذا أنموذج من شعره قال في الصاحب من قصيدة شبب فيها بشكاية الإخوان وذكر مرضا عرض للصاحب [من الطويل] :

سرينا إلى العليا فقيل كواكبٌ ... وثرنا إلى الجلّى فقيل قواضبُ[1]
وفاضت لنا فوق السنين نوافلٌ ... فما شكَّ محلٌ أنَّهنَّ سحائب
خلقنا أشدّاء القلوب على الهوى ... فما تزدهينا الآنساتُ الرَّبائب
فمن دأبه منّا نحولٌ ودِقّةٌ ... فممّا جنى أحبابنا لا الحبائب
أبيت أنادي الدهر جدلي بصاحبٍ ... وجلٌّ طلاب الدّهر ما أنا طالب
فما جاد لي منه بغير مجانبٍ ... وآخرُ خيرٌ منه ذاك المجانب
خليلٌ تحامته الأباعد والتوتْ ... على مهج الأدنين منه العقارب
عقارب لا يجرحن غير مودّةٍ ... فهنّ لحبات القلوب لواسب[2]
وما كان ظنّي أن تبين شبيبتي ... وإن بان جيرانٌ وشطّت أقارب
فمذْ راعني شرخ الشباب بفرقةٍ ... تيقّنتُ أنْ لا يستدام مصاحب
أخلاي أمثال الكواكب كثرةً ... وما كلٌّ ما يرمي به الأفق ثاقبُ[3]
بلى كلُّهمْ مثلُ الزّمان تلوُّناً ... إذا سرَّ منهم جانبٌ ساء جانب
مضى الودّ والإنصاف والعهد منهمُ ... فما بقيت إلاَّ الظنون الكواذب
وكنت أرى أنَّ التجارب عِدّةً ... فخانت ثقات الناس حتَّى التجارب
تدرَّعْ لإخوان الزمان مفاضةً ... ولا تلقهمْ إلاَّ وأنت محارب[4]
إذا لم تكن مندوحةٌ من مصاحبٍ ... فسيفٌ ورمحٌ والفلا والركائب

---

(١) الجلى : العظيم من الأمور ، القواضب : السيوف القواطع .

(٢) اللواسب : جمع لاسبة من اللسب وهو اللدغ إلاّ أنّه عام في الحيّة وغيرها .

(٣) الثاقب : المرتفع على النجوم ، أو اسم زحل .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة .

فهـــنَّ إلـــى وفـــد الخطـــوب كتائبُ وهـــنَّ إلـــى كافـــي الكفـــاة صواحب

إلـــى ملكٍ مذ أشرقـــت شمس جوده تبسَّـــم في وجـــه الرجـــاء المطالبُ

إلـى من حمـى عود العـلا فهـو ناضرٌ وردَّ إليه ماءه وهـو ناضب

إلـى من رعـى بالجـود سرب نعيمه فلا تتمطّـى في ذراه النوائب[١]

وكلُّ نعيمٍ لم يعـوَّذْ بشاكرٍ تفنَّـــنَ فيه للذهـــاب مذاهب

لعمـــري بنـــي عبـــادٍ المجـــدُ راسياً ولـــكن لإسمـــاعيل منه المناكب[٢]

زرارة لم يحللْ بواديه مفخرٌ ولـــكن حوى غرَّ المفاخـــر جانب

وحلّـــت قريشٌ في اليفـــاع بهاشم وإن كان سبَّاقاً إلـى المجـد غالب[٣]

فدينـــاك يا كهف البـــريّة ما الذي أعـــار المعالـــي سقمـــك المتناوب

عليهـــا من الإشفـــاق ثوبُ كآبةٍ وخطـــبٌ يدانيه الضّنـــى متقاربُ

وفـــي كلِّ دارٍ للأرامـــل ضجَّةٌ بأدعيةٍ ضـــوضـــاؤهـــا متجـاوب

ولـــو شئـــت تأديب الليالـــي فعلته فلـــم ير منهـــا في جنابـــك خارب[٤]

ولم تقرب الحمّى حماك ، ولـم يكنْ لسورتهـا في سورة المجـــد سارب[٥]

وحـــوشيت أن تضـــري بجسمـــك علّةٌ ألا إنَّهـــا تلك الغـــروم الثواقبُ[٦]

ولاعـــج تدبيرٍ وجـــائش همّةٍ سرى منهمـــا بين الجوانـــح لاهبُ

فلا تعذروهـــا أن رأت أشـــرف الورى وحلّت به فالحرّ في الشمس ناشبُ[٧]

لقـــد كانـــت الأيام حجَّـــبَ شمسها دياجـــي همـــومٍ دجنهـــا متراكب[٨]

---

(١) السرب : الطريق .

(٢) المناكب : كبار الريش في مقدّمة الجناح أو المكان الأرفع .

(٣) اليفاع : المرتفع والذروة .

(٤) الخارب : اللص .

(٥) السورة : غضبها ، وسارب : ممرّ .

(٦) تضري : تغرى وأضراه : أغراه وبثه عليه . والغروم : الأثقال ، والمغرم : المولع بالشيء والدَّين .

(٧) ناشب : مقيم وحالّ .

(٨) الدجن : ظلامها .

فلمـا انتضـاك البـرء عادت كأنّها ... غياهـب بأسٍ قشّعتهـا مواهب

نظـرت إلـى دنياك نظـرة قادرٍ ... فلـم يبـق فيهـا سائـلٌ ومغالب

سواي فإنِّـي سائـلٌ أن تغـبَّ لي ... سحائـب نعمـى كلهـن رغائب[1]

فما في لسانـي شكر ما أنـت منعمٌ ... ولا في بنانـي حصـرُ ما أنـت واهب

أنلنـي بقـدري لا بقـدرك ، إنّما ... تجـود علـى قدر الأتـيِّ المذانب[2]

وقال من أخرى [من البسيط] :

مستوقفـي بين ذلِّ الصـدِّ والملل ... لاحـظ لي منـك إلاَّ لذَّةُ الأملِ

أرضـي بطيفـك بل أرضـى بذكرك أن ... يتلـى وذاكـراي مقـرونين في الغزل

لا ترحلنَّ فمـا أبقيت من جلدي ... ما أستـطيع به توديع مرتحلِ

ولا من الغمض ما أقـري الخيال به ... ولا من الدمع ما أبـكي علـى طلل

نعـم لي العزمـة الغـرَّاء إن وخدت ... لم تحتفـل بوجيف الخيل والإبل[3]

تحوي مرادي على رغـم العـواذل منْ ... ربّ الأكاليل لا من ربَّـة الكلل

قد زدت يا ليلـة التـوديع في حزني ... ولم تزل يا صباح الوصل في جذل[4]

وأنـت يا جسـداً لجَّ القضـاء به ... حتـى برتـه يدُ الأوجـاع والعلل

كيف احتملت الضنّا في الظاعنين ضحىً ... وكنـت للشـوق فيهـم غير محتمل

عجبت أنَّـى يحـلُّ السّقـم في بدنٍ ... لو شاء جاز الـردى سراً من الأجل

لم يبـق منـه سوى قلـبٍ يقلِّبُه ... في مطلـب العـزِّ بين البيض والأسل

مقسّـمٌ قلبـه في كلِّ مرحلةٍ ... شوقـاً إلـى العـزِّ لا شوقـاً إلـى الغزل

---

(١) تغبّ : تمطر تعقب .

(٢) الأتيّ : السّيل .

(٣) الوجيف : الخفقان والاضطراب .

(٤) وفي نسخة « ولم تزد يا صباح الوصل في جذل » .

نفسي الفداء إذا ما الروّع صبّحني ... للأعين الخزر لا للأعين النجل[1]
لله جسمي فما أبقى حشاشته ... على الحوادث والأسقام والوجل[2]
يعدو سقامي على مثل الخيال ضنىً ... ويقرع الخطب مني صفحة الجبل
ولا يرى في فراشي عائدي شبحاً ... ويحمل الدرع مسلوباً عن البطل
أنا المقيم وأشعاري على سفرٍ ... كادت تؤلّف أعلاماً على السُّبل
سارت شوارد أوصاف الوزير بها ... سير الجنوب بصوب العارض الهطل
يروي القريض ولمّا يسم قائله ... فيشهد المجد أنَّ المدح فيه ولي
إذا سهرت لتحبير المديح له ... راسلت طبعي ومن إحسانه رسلي
ما بعده لشذور القول مدَّخرٌ ... في مقلة الريم أعلى بغية الكحل
وما به حاجةٌ في المدح تنظمه ... الشمس تكبر عن حِلْيٍ وعن حللِ
لكنّه ملكٌ هامتْ عزائمه ... بالجود فهو يروم البذل بالحيل[3]
ما قال «لا» قطُّ مذ حلّت تمائمه ... بخلاً به فوجدنا الجود في البخل
أولى الملوك بتدبير الممالك مَنْ ... يغني ويقني ولم يورثْ ولم يسلِ
ومن يبيت من الأيام في خجلٍ ... إن لم يبتْ والليالي منه في وجلِ
ومن يطبِّقُ وجه الأرض عسكره ... يوم القراع ويلقى القرن في الفضل[4]
ومن يقود الأسود السود بالوعل ... ومن يصيد البزاة الشّهب بالحجل
ومن يهمّ فلا يغزو سوى ملكٍ ... ولا يفرِّق غير الملك في النّفل
يا راحلاً عنه إنّ البحر معترضٌ ... فما ورودك ظمآناً على وشل[5]

---

(١) الخزر : ضيق العين وصغرها أو حول إحدى العينين ، والنجل : سعة العين .
(٢) الحشاشة : الروح والنفس ، والوجل : الخوف .
(٣) يروم البذل : يبغيه ، وبالحيل : أي يحتال لبذله بكثيرٍ من الأسباب .
(٤) الفضل : البقية من الشيء ، أو الثوب الذي يتخذ في العمل أو يلبس أثناء النوم وهذا دليل على شجاعته وثقته بنفسه .
(٥) الوشل : الماء القليل .

لا تترك السيف مشحوذاً مضاربه ... وتطلب النصر عند الجفن والخلل[1]
قد وقَّر الدّهر بالتدبير هيبته ... وأرجف الأرض بالغارات والغِيَلِ
تجري الجياد من القتلى على جبلٍ ... ومن دمائهم يرحضن في وحل[2]
ومن جماجمهم يصعدن في نشزٍ ... ومن ذوائبهم يقمصن في شكل[3]
تحمَّلت صهوةٌ أخرى شواكلها ... من طول ما حمّلت سبياً على الكفل[4]
قومٌ إذا ابتدروا يوم الوغى فرقاً ... تكاد تعثر أخراهم على الأول
قومٌ أعفّاء عن غير العدو فلو ... غزون بالبحر لم يعلقن بالبلل
إنَّ التحكُّم في الدنيا بأجمعها ... لمفرد الرأي أمرٌ ليس بالجلل
يا من دعته ملوك الأرض راعيَها ... حاشا لما أنت راعيه من الخلل
إنَّ الملوك على أيّامنا مقلٌ ... فاخلق برأيك أجفاناً على المقل

ومن أخرى [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ ... يرى كلَّ ما يبقى من المال مغْرَما[5]
ندوِّم أسيافاً ، ونعلو عوالياً ... وننقضُّ عقباناً ، ونطلع أنجما
إلى من يسير الدهر تحت لوائه ... وتركز أعلام العلا حيث خيَّما

ومن أخرى في فخر الدولة [من البسيط] :

أمَّا شبا السّيف مسلولاً على القمم ... فقد حمدنا ولم نذمم شبا القلم
لا أشتكي الدهر والأيام من حولي ... أسوسها والخطوب الربد من خدمي[6]

---

(١) الجفن : الغمد .
(٢) الرحض : الغسل .
(٣) النشز : المرتفع من الأرض ، ويقمصن في شكل : يقفزن ويثبن في قيودهن .
(٤) الكفل : الردف .
(٥) مغرما : غرامةً أو ديناً .
(٦) الربد : جمع ربداء وهي هنا المنكرة .

فلو رمّانيَ بعد النوم ناظرُها بريبةٍ أطبقتْ أجفانها قدمي

فالآن أورد ذودي غير محتشمٍ وأنزع الغرب ريانا إلى الوذم[1]

ولا أؤاخذ أيامي بما صنعت في نعمة البرء ما يعفو عن السقم

فإن برتني غواديها فلا عجبٌ على النفوس جنايات من الهمم

ما زلت منغمسَ الآمال في عدمٍ أو في وجودٍ يداني رتبة العدم

حتى طلعت وعين السعد ترمقني كالصُّبح منبلجاً عن حالك الظلم

آوي إلى ظلٍّ شاهنشاه من زمني كما أوى الصيد مذعوراً إلى الحرم

زرت الملوك لتدنيني إليه كما يبغي إلى الله زلفى عابدُ الصَّنَم[2]

خلَّفتهُمْ وهُمُ خُطَّاب خدمتِهِ ومثل ما بي من وجدٍ بها بهم

يرونَ بي حسراتٍ في قلوبهمِ لكنّما ثمراتُ السعي بالقسم

وكمْ نصحتُ لمنْ بغداد موطنهُ والنُّصح من أجلب الأشياء للتهم[3]

فكان ذا رمدٌ لجَّ الأساة به وما آهتدوا أن يداووا عينه فعمي

هي القرابة من لم يرعَ حرمتها فالسيف أولى به وصلاً من الرّحم

له تطاع ملوك الأرض قاطبةً وللشّباب تراعي حرمة الكتم

حاشا له أن أسمّي غيره ملكاً وأن أقرّ بفضلِ الباز للرخم[4]

كلٌّ يدلُّ بأشباحٍ يسوسهُمُ وما سواه رعاة البهم لا البهم

ما قام من سوق أهل الفضل لم يقمِ لو أن ما دام من نعماه لم يدم

أعطى فأحيا موات الجود نائلُهُ فالخصب من فعله والاسم للدِّيم

ومنها في ذكر تطهير ابنيه [من البسيط] :

---

(١) الذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، أو خمس عشرة أو عشرين إلى ثلاثين، والغرب : الدلو العظيمة ، والوذم : آذانها .

(٢) زلفى : قربى .

(٣) في نسخة « للبهم » ولعلّ ما ذكر أصح .

(٤) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر كثير الريش ، أبيض اللون مبقّع بسواد .

أمسست شبليك في حقّ الهدى ألماً لولا الهدى لسفكنا فيه ألفَ دمِ
جلوت سيفاً ليرتاح الشّجاع له شذبت غصناً لتنمي قامة النسم

وله من أخرى [من المتقارب] :

بلوت الليالي فلم يتّزنْ بأدنى الإساءة إحسانُها
فلا تحمدنها على وصلها ففي نفس الوصل هجرانها

وأنشدت له [من مجزوء الوافر] :

تنكّبْ حدَّة الأحد ولا تركنْ إلى أحدِ[1]
فما بالريٍّ من أحدٍ يؤهل لاسم لا أحد

* * *

٢٩ ـ أبو حفص الشهرزوري

من ظرفاء الأدباء والشعراء ، ولشعره وحلاوة ، وعليه طلاوة ، ولا عيب فيه إلا قلة ما وقع لي منه ، وكان في بصره سوء فلما ورد حضرة الصاحب قدمه إليه بعض كتابه فجاراه الصاحب في مسائل لم يحمد أثره فيه . فقال له مداعباً [من مخلع البسيط] :

وكاتبٍ جاءنا بأعمى لم يحوِ علماً ولا نفاذا
فقلت للحاضرين كفّوا فقلب هذا كعين هذا

ثم استنشده من ملحه ، فأنشده أبياتاً أعجب بها ، فلما أنشده [من المتقارب] :

دعوت على ثغرهِ بالقلحْ وفي شعر طرّته بالجلح[2]

---

(١) تنكّب : إعدل وملْ .

(٢) القلح : صفرة الأسنان ، والجلح : الصلع .

لعلَّ غرامي به أن يقل   فقد برّحتْ بي تلك الملح

قال : نسجت على منوال جميل في قوله [من الطويل] :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى   وفي الغرِّ نم أنيابها بالقوادح[1]

وما أحسنت بعض إحسان ابن المعتز في قوله [من البسيط] :

يا ربُّ إن لم يكن في وصله طمعٌ   وليس لي فرجٌ من طول هجرته
فاشفِ السّقام الذي في جفن مقلته   واسترْ ملاحة خدَّيه بلحيته

ثم أنشده قوله [من الرجز] :

يستوجب العفوَ الفتى إذا اعترفْ   بما جناه وانتهى عمّا اقترف
لقوله قلْ للّذين كفروا   ﴿إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾

فأمر أن يكتبا في سفينة الملح مع ما أنشده إياه .

ومن قوله في غلام مختط[من البسيط] :

الآن أحسن ممّا كان بستانُهُ   طابت فواكه فيه وريحانهُ
فيه من الورد محمرٌّ جوانبه   ونرجسٌ كحِّلت بالغنج أجفانهُ
غطَّتْ عناقيدَ أصداغٍ مهدلةٍ   تفّاح حسنٍ به قد زين بستانهُ
خاف القطاف على بستان وجنته   فشوِّكتْ حذر السُّراق حيطانُهُ

وقوله [من مجزوء الكامل] :

حكت السماء ندى يديـــك فلم أطق سعياً إليكْ[2]
وحكيتُها يا سيدي   بالدمع من أسفي عليك

* * *

---

(١) بالقوادح : جمع قدْح ، وهو مرضٌ يأكل الأسنان .

(٢) حكت السماء : ماثلت وشابهت، وندى يديك : كرمك .

٣٠ ـ بنو المنجم

قد تقدم ذكر بعضهم في أهل العراق ، وهذا مكان من يحضرني شعره منهم ، وما منهم إلا أغر نجيب ، ولهم وراثة قديمة في منادمة الملوك والرؤساء ، واختصاص شديد بالصاحب ، وفيهم يقول [من الكامل] :

لبني المنجِّم فطنةٌ لهبيهْ ومحاسنٌ عجميَّةٌ عربيه
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهمْ حتّى اتهمت بشدَّةِ العصبيه

وضرب السلامي المثل في السماع بأحدهم في قوله لعضد الدولة [من الكامل] :

عبدٌ رمى يفعاً إليك مقشَّعاً فالآن قد وخط المشيب عذاره
ولطالما أثني عليك فظنَّ أنَّ بني المنجّم منطقٌ أوتاره

* * *

أنشدت لهبة الله بن المنجم [من مجزوء الرجز] :

شكى إليك ما وجدْ من خانه فيك الجلَدْ[1]
حيران لو شئت اهتدى ظمآن لو شئت وَرَدْ
يا أيها الظَّبيُ الذي ألحاظه تُردي الأسدْ
أما لأسراك فدىً أما لقتلاك قود
الراح في إبريقها أحسن روحٍ في جسد
فهاتها نصلِحْ بها من الزّمان ما فسد

* * *

ولأبي عيسى بن المنجم [من الخفيف] :

---

(١) الجلد : الصبر .

آخِ من شئت ثمَّ رِمْ منه شيئاً تلفَ من دون ما تروم الثُّريَّا[1]

وسمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي ، يقول : أنشدت لأبي عيسى [من الوافر] :

رغيف أبي عليٍّ حلَّ خوفاً من الأسنان ميدان السِّماك
إذا كسروا رغيف أبي عليٍّ بكى يبكي فهو باكي

فبنيت عليه قولي لبعض من أطايبه [من الوافر] :

لنا شيخٌ بفقحته يواسي ويحلق شاربيه بالمواسي[2]
إذا بايَّتهُ في جوف بيتٍ فسا يفسو فساءً فهو فاسي

ولأبي عيسى [من مجزوء الكامل] :

لوم النّديم منغِّصٌ طيب المجالس والنّدامِ
وسماحة الحرّ الكريم تزيد في طيب المدامِ
فإذا شربت الراح فاشربها مع النّفرِ الكرامِ
وتنكبنْ ما اسطعت أخلاق اللئام بني اللئامِ

* * *

ولأبي الفتح بن المنجم [من الخفيف] :

كنت أدعو عليه بالشّعر حتَّى زاده الشعر في الأنام جمالا
وإذا كان هكذا كان خذلا ني دقيقاً وكان شؤمي جلالا
وأضرّ الأشياء أنَّ عذولي في هواه أشدّ منّي خبالا[3]

* * *

(١) رِم : ابتعِ واطلب ، تلْفَ : تجد .

(٢) الفقحة : حلقة الدّبر .

(٣) عذولي : لائمي ، وخبالاً : أي فساداً وعناءً .

ولأبي محمد بن المنجم [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين وسعيهُمْ وادعاً فاغتربْ
فكم دعةٍ أتعبت أهلها وكم راحةٍ نتجت من تعَبْ

* * *

ولأبي الحسن بن المنجم [من الطويل] :

هو الدهر لم تبدعْ عليَّ صروفه ولم يأتِ شيئاً لم أكُنْ أتخيّلُهْ
وما راعني المكروه إذ هو عادتي لديه ، ولكن راع قلبي تعجُّلُهْ
تعجّل حتّى كاد آخر فعله يجيء ولمّا ينقطعْ بعد أوّلُهْ

وعمى ابن بابك على أبي الحسن بن المنجم بيتاً ، هو [من مجزوء الكامل] :

بكرُ العواذل في الصبا ح يلمن من فرط اصطباحي

فأخرجه أبو الحسن وكتب إليه [من مجزوء الكامل] :

بأبي وأمي أنت مِنْ خلٍّ أعزٍّ أخي سماحِ
عمَّيتَ لي بيتاً وجدْ تُك فيه عِفْتَ بكور لاحي[1]
فنقرتُه نقراً فطنَّ ولاح من كلِّ النّواحي
ووجدته من قول مغرىً بالخلاعة والمزاح
بكرُ العواذل في الصبا ح يلمن من فرط اصطباحي
فانشطْ وأبهِمْ غيره ليجوب ظلمته صباحي
ويصحَّ عندك في الحجى أنّ المعلّى من قداحي[2]

فأجابه ابن بابك [من مجزوء الكامل] :

---

(١) اللاحي : اللائم .
(٢) المعلى : سابع سهام القمار .

بأبــي محــاسـنَ زرتنـي وبديعــةٍ سـلّـتْ مزاحـي
وخــلائـقٍ كالنّـور با ح بسـرِهِ نفس الصباح
وخــلائـقٍ لـو صـوِّرتْ سكنـتْ أنــابيـبُ الرِّمـاح
كشفــت ضبـاب حديقتي وأجــابهـا مزن اقتراحـي
فأتــت تخــايـل في نظا مٍ هزّ أعطــاف ارتياحـي

* * *

٣١ ـ أبو طاهر بن أبي الربيع

هو عمرو بن ثابت بن سعد بن علي الذي ذكره الصاحب في كتاب له وقال « وأما قصيدة أبي طاهر بن أبي الربيع ، فأحسن من الربيع ، ومن قطيعة الربيع ، وإنها لوثيقة الجزالة ، أنيقة الأصالة . تنطق عن أدب مهيد الأسر . شديد الأزر . وله عندنا أسلاف بر أرجو أن لا تبقى في ذمتنا حتى نقضيها ، فوعد الكريم ألزم من دين الغريم » . وأول قصيدته التي وصفها الصاحب [من الطويل] :

أمــا لصحابــي بالعــذيب معرّجُ علــى دمــنٍ أكنافهــا تتأرَّجُ
وصهبــاء بكرٍ يرســب الــدرُّ قعرها ومطفــاه أعلــى كأسهــا حين تمزجُ
سلامٌ علــى عهــد التصابــي فإنّني إلــى الرتبــة العليا بظلّك أحوجُ
إليك ابــن عبــادٍ شددنــا غروضها وضــوء النهــار في دجــا الليل يولج
وعبَّــر عن مكنــون ما في ضمائري خلــوص ولائــي والثنــاء المدبَّج

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

سحبــتْ دلادلهــا علــى الغبراء سحــبٌ تثــجُّ ودائــعَ الأنواء

والشـمس تلحـظ من خروق حجابها | مرضـى الجفـون سقيمـة الأضواء
وكأنَّمـا هتـك الحجـاب متيَّمٌ | عن غرٍّ وجـه الغـادة الحسناء
وكأنَّ مولـيَّ الـرياض ضرائرٌ | تزهـى بخضرتهـا علـى الخضراء [1]
قد أبـرزتْ زهراتهـا وازّيّنتْ | وتعطّـرتْ وتبـرَّجـتْ للرائي
والنـور منحسـر القنـاع كمـا بدتْ | للناظـريـن محـاسـنُ العـذراء
والنبـت ريّـان المهـزَّة مائلٌ | شرِقٌ محـاجِـرُ زهـره بالماء
مسحـت بأجنحـة الصّبـا أعرافه | وجلـت مداوسهـا متـون إضاء
فتـرى الظّبـاء إذا وردن حيالها | ككواعـبٍ قابلتهـنَّ مـرائي

أخذه من قول ابن المعتز [من الكامل] :

وتـرى الـرياح إذا مسحـن غديره | صفّينـه ونقين كـلَّ قذاةِ
ما إنْ يزال عليه ظبـيٌ كارعٌ | كتطلّـع الحسـنـاء فـي المرآة

* * *

٣٢ ـ أبو الفرج الساوي

أشهر كتاب الصاحب بحسن الخط ، مع أخذه من البلاغة بأوفـر الحـظ ، وكان الصاحب يقول : خط أبي الفرج يبهر الطرف . ويفوت الوصف ، ويجمع صحة الأقسام ، ويزيد في نخوة الأقلام . وأما شعـره فمـن أمثـل شعـر الكتـاب كقوله ، في مرثية فخر الدولة [من الوافر] :

هـي الـدنيا تقـول بمـلء فيها | حذار حذار من بطشـي وفتكي
فـلا يغـرركُمُ حسـن ابتسامي | فقولـي مضحـكٌ والفعـل مبكي
بفخـر الدولـة اعتبـروا فإنّي | أخـذت الملك منـه بسيف هلكِ

وقــد كان استطــال علــى البرايا ونظَّم جمعهــم في سلك ملكِ[1]
فلـو شمس الضحــى جاءتــه يوماً لقــال لهــا عتــواً أُفٍّ منك
ولــو زهــر النجــوم أبــت رضاه تأبّــى أن يقــول رضيت عنك
فأمســى بعــد ما قرع البرايا أسيرَ القبــر في ضيق ٍ وضنك
أقــدّر أنّــه لو عاد يوماً إلـى الـدّنيا تسربــل ثوب نسكِ[2]
دعــي يا نفس فكرك في ملوكٍ مضـوا بل لانقراضـك ويكِ فابكي
فــلا يغنــي هلاكُ الليث شيئاً عن الظّبـي السـليب قميصَ مِسك
هــي الــدنيا أشبِّههــا بشهدٍ يســمّ ، وجيفــةٍ طليت بمسكِ
هي الــدنيا كمثــل الطفــل ، بينا يقهقــه إذ بكى من بعــد ضحك
ألا يا قومنــا انتبهــوا فإنّا نحاســب في القيامــة غير شكٍّ

وأنشدت له في وصف البرغوث [من السريع] :

وأصهــبَ في قدٍّ شونيزةٍ أقفــز من فهــدٍ علــى خشف[3]
يسهــرنــي تخمشــه دائباً وعبثه يعمــل فــي حتفــي

* * *

٣٣ ـ أبو الفرج بن هندو

وهو الحسين بن محمد بن هندو ، من أصحاب الصاحب ، وممن تخرجوا بمجاورته وصحبته ، فظهر عليهم حسن أثر الدخول في خدمته ، أنشدني أبو حفص عمرو بن علي المطوعي ، قال : أنشدني أبو الفرج لنفسه بالري [من البسيط] :

---

(١) السلك : العقد .

(٢) تسربل : لبس .

(٣) الأصهب ، من كان في شعره حمرة أو شقرة ، والشونيـزة : الحبَّة السوداء ، والخشف : ولد الغزال .

لا يوحشنّك من مجدٍ تباعده فإنّ للمجد تدريجاً وتدريبا
إن القناة التي شاهدت رفعتها تنمي فتصعد أنبوباً فأنبوبا

وأنشدني أيضاً له [من الطويل] :

يسرّ زماني أن أُناط بأهله وآنف أن أعزى إليه لجهلِهِ[1]
ويعجبني أن أخرتني صروفه فتأخيرها الإنسان برهان فضلهِ
فإنّا رأينا قائم السيف كلّما تقلّده الأبطال قدّام نصله

وله أيضاً في الغزل [من المنسرح] :

تقول لو كان عاشقاً دنفاً إذا بدت صفرةٌ بخديه
لا تنكريه فإنّ صفرته غطّت عليها دماء عينيه

وله [من مخلع البسيط] :

عابوه لما التحى فقلنا عبتم وغبتم عن الجمالِ
هذا غزالٌ وما عجيبٌ تولّد المسك في الغزال

وقال [من مخلع البسيط] :

كم من ملحٍّ على أذاه يسلُّ من فكّه حساما
صبٍّ قذى القول في صماخي فصار حلمي له فداما[2]

قال مؤلف الكتاب : قد كان اتفق لي في أيام صباي معنى بديع لم أقدر أني سبقت إليه ، ولا ظننت أني شوركت فيه ، وهو قولي في آخر هذه الأبيات الأربعة [من مجزوء الرجز] :

---

(١) أناط : أقرن .
(٢) الصماخ : خرق الأذن الباطن الذي يؤدّي إلى الرأس ، والقدام : المصفاة التي تجعل على فم الابريق ليصفّى بها ما فيه .

قلبي وجداً مشتعل ... على الهموم مشتمِلْ
وقد كستني في الهوى ... ملابس الصبِّ الغزل
إنسانةٌ فتّانةٌ ... بدر الدّجى منها حجل[1]
إذا زنت عيني بها ... فبالدموع تغتسل

وأنشدني أبو حفص من قصيدة لأبي الفرج [من الطويل] :

يقولون لي ما بال عينك مذْ رأت ... محاسن هذا الظبي أدمعها مطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه ... فكان لها من صوب أدمعها غسل

فصح عندي تشارك الخواطر وتواردها في المعاني ، إذ لم يكن مجال للظن في سرقة أحدنا من الآخر ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ومن غرر صاحبياته قصيدته التي أولها [من الطويل] :

لها من ضلوعي أن يشب وقودها ... ومن عبراتي أن تفضَّ عقودها
بذلت لها الدّمع المصون وإن غدتْ ... تمانعني في نظرةٍ أستفيدها
سلامٌ عليها حيث حلَّت فإنّني ... عدمت فؤادي منذ عزَّ وجودها
وكم ليلةٍ زارت وقد لان أهلها ... وسامح واشيها ، وغاب حسودها
فحلَّتْ بتضييق العناق عقودها ... وحُلِّيَ من درٍّ المدامع جيدها
وركبٍ أطار النوم عنهم وأجَّجوا ... من العزم ناراً مستنيراً وقودها
على كل هوجاء النّجاة كأنّها ... تطير فما يؤذي الصخور وخودها[2]
تؤم بهم بحر الفضائل والعلا ... ولا سفنُ إلاّ رحلها وقتودها
يجوزون أجواز السباسب باسمه ... فيصفرّ داجيها ويدرج بيدها[3]

---

(١) حجل : غار واختفى .
(٢) الوخد : ضرب من السير .
(٣) السباسب : الفلوات والقفار ، ويدرج : يقطع .

فقد ملكوا العلياء إذ عبدوا السُّرى ... ولن يملك العلياء إلاّ عبيدها

إليك تحملنا أمانيٌّ أجدبتْ ... على ثقةٍ أنَّ النجاح يجودها

ومنها في وصف الجيش والحرب :

وشهباء يثني الشّهب كمتاً نجيعها ... إذا قارعت والكمت شهباً كديدها[1]

تبدّت لنا في روضةٍ تنبت القنا ... بماء الطلى أغوارها ونجودها

أدارت سقاة البيض والسّمر بيننا ... كؤوس المنايا حين غنَّى حديدها

شفيت غليل الطير منها موسّعاً ... قراها وهامات الكماة سهودها

غمائم إيماض السيوف بروقها ... لديها وإرزام الخيول رعودها[2]

ولا غيث إلاّ أن يصب على العدا ... بنوء الظّبا حمر المنايا وسودها

يبشرك النيروز باليمن مطلعاً ... عليك نجوماً ما تغيب سعودها

فدمْ تدفع الجلّى وتفترع العلا ... وتبدأ أفعال الندى وتعيدها

كسونا بك الأشعار فخراً وزينةً ... فخيَّم بين الشعريين قصيدها

وسار بها الرُكبان في كلٍّ بلدة ... ولولاك ما جاز اللّهاة نشيدها

وملح أبي الفرج كثيرة ، ولا يسع هذا الباب إلا هذا الأنموذج منها :

* * *

---

(١) الكمت : الخيل ، لونها أحمر إلى اسود، والكديد : الأرض الغليظة .

(٢) إرزام : صهيلها وقد شبّهه بصوت الرعد .

الباب السابع
في ذكر سائر شعراء الجبل والطارئين عليه من العراق وغيرها وملح أخبارهم وأشعارهم

٣٤ ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم

كان بهمذان من أعيان العلم وأفراد الدهر ، يجمع إتقان العلماء ، وظرف الكتاب والشعراء ،وهو بالجبل كابن لنكك بالعراق وابن خالويه بالشام وابن العلاف بفارس وأبي بكر الخوارزمي بخراسان ، وله كتب بديعة ، ورسائل مفيدة ، وأشعار مليحة ، وتلامذة كثيرة ، منهم بديع الزمان ، وأنا أكتب من رسالة لأبي الحسين كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب فصلاً في نهاية الملاحة يناسب كتابي هذا في محاسن أهل العصر ، ويتضمن أنموذجاً من ملح شعراء الجبل وغيرها من العصريين وظرف أخبارهم ، كأبي محمد القزويني وابن الرياشي والهمذاني المقيم بشيراز وابن المناوي ، وأبي عبد الله المغلسي المراغي وغيرهم ، ثم أورد ما وقع إلي من ملح أبي الحسين ، إن شاء الله تعالى .

الفصل من الرسالة المذكورة

ألهمك الله الرشاد ، وأصحبك السداد ، وجنّبك الخلاف ، وحبّب إليك الإنصاف . وسبب دعائي بهذا لك إنكارك على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتاباً في الحماسة وإعظامك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه ، لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ومختاره ورضيه كثيراً مما فات المؤلف الأول ، فماذا الإنكار ؟ ولمه هذا

الاعتراض ؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ؟ وهل الدنيا إلا أزمان ولكل زمان منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أو ما علمت أن لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره ولم يجز أن يؤلف مثل تأليفه ؟ ولمه حجرت واسعاً ، وحظرت مباحاً ، وحرمت حلالاً ، وسددت طريقاً مسلوكاً ؟ وهل حبيب إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولم جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم ، وأهل النحو في مصنفاتهم ، والنظار في موضوعاتهم ، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ، ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يدرك ولا يدري قدره ؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب غزير ، ولضلت أفهام ثاقبة ، ولكلّت ألسن لسنة ، ولما توشى أحد الخطابة ، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة[1] ، ولمجَّت الأسماع كل مردّد مكرر[2] ، وللفظت مقلوب كلٍّ مرجع ممضّغ ، وحتام لا يسأم .

* لو كنت من زمان لم تستبح إبلي[3] *

وإلى متى

* صفحنا عن بنـي ذهل[4] *

---

(١) الشعب : الطريق .

(٢) مجَت : استثقلت وكرهت .

(٣) تتمّة البيت « بنو اللقيطة من ذهل بن شيبـانا» .

(٤) تتمة هذا قوله : « وقلنا القوم إخوان » .

ولمه أنكرت على العجلي معروفاً ، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيفاً وإيطاء وإقواء ونقلا لأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة ، وأمور عليلة ، ولمه رضيت لنا بغير الرضى ؟ وهلا حسبت على إثارة ما غيبته الدهور ، وتجديد ما أخلقته الأيام ، وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر ، وأفكار هذا العصر ، على أن ذلك لو رامه رائم لأتعبه ، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة من قبله ، من جد يروعك ، وهزل يروقك ، واستنباط يعجبك ، ومزاح يلهيك !

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاماً وإلى جنبه رجل أكول فأحس أبو حامد بجودة أكله ، فقال [من الرجز] :

وصاحبٍ لي بطنه كالهاويه ... كأنَّ في أمعائه معاويه

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وقوع الأمعاء الى جنب معاوية ، وهل ضر ذلك أن لم يقله حماد عجرد وأبو الشمقمق ؟ وهل في إثبات ذلك عار على مثبته ؟ أو في تدوينه وصمة على مدونيه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني ، نظر إلى حاكم من حكامها من أهل طبرستان مقبلاً عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض وخفّه أحمر ، وهو مع ذلك كله قصير ، على برذون أبلق[1] هزيل الخلق طويل الحلق ، فقال حين نظر إليه [من السريع] :

وحاكمٍ جاء على أبلقٍ ... كعقعقٍ جاء على لقلق[2]

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة

---

(١) أبلق : الذي في لونه بياض وسواد .

(٢) العقعق : طائر يشبه الغراب ، واللقلق : طائر بحجم الإوزة طويل العنق والساقين « البجع » .

التمثيل ، ولعلمت أنه لم يقصر عن قول بشار [من الطويل] :

كأنّ مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

فما تقول لهذا ؟ وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه وجحود تجويده ؟

وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني ، وهو اليوم حيّ يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه [من المتقارب] :

وفيت الرّدى وصروف العلل ولا عرفت قدماك الزّللْ

شكا المرض المجد لما مرضت فلما نهضت سليماً أبل[1]

لك الذنب لا عتب إلاّ عليك لماذا أكلت طعام السفل

طعامٌ يسوي ببتع النبيذ ويصلح من حذر ذاك العمل[2]

وأنشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدي ، وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف [من المنسرح] :

وأصفر اللّيون أزرق الحدقه في كلٍّ ما يدّعيه غير ثقه

كأنّه مالك الحزين إذا همَّ برزق وقد لوى عنقه

إن قمت في هجوه بقافيةٍ فكلّ شعرٍ أقوله صدقه

وأنشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه من أهل قزوين ويعرف بابن المنادى [من الوافر] :

إذا ما جئت أحمد مستميحاً فلا يغررك منظره الأنيقُ

له لطفٌ وليس لديه عرفٌ كبارقةٍ تروق ولا تريقُ

---

(١) أبل : شفي وتعافى .

(٢) البتع : صنع العسل من النبيذ .

فمـا يخشـى العـدو له وعيداً كمـا بالوعـد لا يثـق الصديقُ

وليوسف محاسن كثيرة ، وهو القائل ، ولعلك سمعت به [من الخفيف] :

حـجٌ مثلي زيارة الخمَّار واقتنائـي العقـار شرب العقار
ووقـاري إذا تـوقّـر ذو الـشـيـبـة وسط الندى تـرك الـوقـار
مـا أبالـي إذا المدامـة دامتْ عذل ناهٍ ولا شناعـة جاري
ربَّ ليل كأنّـه فرع ليلي ما به كوكبٌ يلـوح لساري
قـد طوينـاه فوق خشف كحيلٍ أحـور الطـرف فاتـرٍ سحَّار
وعكفنـا علـى المدامـة فيه فرأينـا النهـار في الظهـر جاري

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل ، والإِيجاز أمثل ، ومـا أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأساً .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقـد رأى توانيا في أمره قصيدة يقول فيها كأنه يجيب سائلاً [من مجزوء الكامل] :

جـوَّدتَ شـعـرك فـي الأمـيـر فكيف أمرك قلت فـاتـرْ

فكيف تقول لهذا ؟ ومن أي وجه تأتي فتظلمه ؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه عن الإِيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ؟ وأنت الـذي أنشدتنـي [من مجزوء الكامل] :

سـدّ الطـريق علـى الزما ن وقـام فـي وجـه القطوبِ

كما أنشدتني لبعض شعراء الموصل [من المتقارب] :

فديتـك ما شبـت عن كبرةٍ وهـذي سنـيٌ وهـذا الحساب[1]
ولـكن هُجِـرتُ فحـلّ المشيب ولـو قد وُصلـت لعـاد الشبابْ

(١) كبرة : تقدّم في السن .

فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتهما فحولة الشعراء وشياطين الإنس ومردة العالم في الشعر ؟

وأنشدني عبد الله المغلسي المراغي لنفسه [من الطويل] :

غداة تولَّت عيسهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميتُ
فلا مقلتي أدّت حقوق ودادهم ولا أنا عن عيني بذاك رضيت

وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حتى يرزق [من الخفيف] :

زارني في الدُّجى فنمَّ عليه طيب أردانه لدى الرُّقباءِ[1]
والثّريّا كأنّها كفٌّ خودٍ أبرِزَتْ من غلالةٍ زرقاء

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي [من الطويل] :

أقول لنعمان وقد ساق طبّهُ نفوساً إلى باطن الأرضِ
أبا منذرٍ أفنيت فاستبقِ بعضنا حنانيك بعض الشرّ أهون من بعضِ

* * *

وهذه ملح من شعر أبي الحسين بن فارس ، منها قوله في الشكوى [من الطويل] :

سقى همذان الغيث لست بقائلٍ سوى ذا ، وفي الأحشاء نارٌ تضرمُ
وما ليَ لا أصفي الدعاء لبلدةٍ أفدت بها نسيان ما كنت أعلمُ
نسيت الذي أحسنته غير أنّني مدينٌ ، وما في جوف بيتي درهم

---

(١) نمّ عليه : دلّ وأشار .

وله [من الوافر] :

وقالــوا كيف حالك قلــت خيرٌ تُقضّــى حاجــةٌ وتفــوت حاجُ
إذا ازدحمــت همــوم الصــدر قلنا عســى يومــاً يكون لهــا انفراج
نديمــي هرّتــي وأنيــس نفسي دفاتــر لي ومعشــوقي الشراب

وقوله [من مجزوء الرمل] :

كــلُّ يــومٍ لــيَ مــن ســلــــــمى عــتــابٌ وســبــابُ
وبــأدنــى مــا ألاقــي منهمــا يــودي الشبــابُ

وقوله [من البسيط] :

يا ليت لي ألف دينــارٍ موجّهةٍ وأنَّ حظّــيَ منهــا فلس إفلاسِ
قالوا : فما لك منها؟ قلت: يخدمني لهــا ومــن أجلهــا الحمقى من الناس

وقوله [من السريع] :

مــرّت بنــا هيفــاءُ مقدودةً تركيّــةٌ تُنمــي إلــى الترك
ترنــو بطــرفٍ فاتــرٍ فاتنٍ أضــعف من حجّــة نحوي

وقوله [من المنسرح] :

قالــوا ليَ اختــرْ فقلــت ذا هيفٍ بي عن وصــالٍ وصــدّه برحُ
بدرٌ مليح القــوام معتدلٌ قفــاه وجــهٌ ووجهــه ربحُ

وقوله [من مجزوء الكامل] :

اســمع مقــالــة ناصحٍ جمع النصيحة والمِقـه[1]
إيّــاك واحــذر أن تــبــيــــت من الثّقــات على ثقه

---

(١) المقه : المحبّة .

وقوله [من المتقارب] :

إذا كان يؤذيك حرّ المصنفْ   وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيع   فأخذك للعلم قل لي : متى ؟

وقوله [من البسيط] :

وصاحبٍ لي أتاني يستشير وقدْ   أدار في جنبات الأرض مضطربا
قلت اطلب أيّ شيءٍ شئت واسعَ ورِدْ   عند الموارد إلاّ العلم والأدبا

وقوله [من المتقارب] :

إذا كنت في حاجةٍ مرسلاً   وأنت بها كلِفٌ مغرمُ
فأرسل حكيماً ولا توصه   وذاك الحكيم هو الدرهم !

وقوله [من الطويل] :

عتبتُ عليه حين ساء صنيعه   وآليت لا أمسيت طوعَ يديهِ[1]
فلمّا خبرت الناس خبر مجربٍ   ولم أر خيراً منه عدت إليه

أخذه من قول القائل [من الطويل] :

عتبتُ على سلمٍ فلما هجرته   وجرّبت أقواماً رجعت إلى سلم

وقوله [من المتقارب] :

تلبّس لباس الرضا بالقضا   وخلِّ الأمور لمن يملكُ
تقدِّر أنت وجاري القضا   ء ممّا تقدِّره يضحك

* * *

---

(١) آليت : أقسمت .

٣٥ ـ براكويه الزنجاني المعروف بالثلول

كل ما سمعت من شعره ملح وظرف ، ونكت لا يسقط منها بيت ، أنشدني بديع الزمان له [من الوافر] :

مضى العمرُ الذي لا يستعادُ ولمَّا يقض من ليلى مرادُ
بليت وذكرها عندي جديدٌ وشاب الرأس واسودّ الفؤاد
تواصى للرحيل بنو أبيها فقلت لغير رأيكم السّداد

وأنشدني أبو نصر المغلسي قال : أنشدني براكويه لنفسه في غلامه يوسف [من الطويل] :

مضى يوسف عنا بتسعين درهماً وعاد وثلث المال في كفّ يوسف
وكيف يرجّى بعد هذا صلاحه وقد ضاع ثلثا ماله في التصرّف ؟

وأنشدني غيره له [من الوافر] :

وأهيفَ نالت الأيّام منهُ غداة أظلَّ عارضه السواد
تعرّض لي ومرَّض مقلتيه فما وَرِيتْ له عندي زناد
وقلت ارجع وراءك وابغِ نوراً أجئت الآن إذ ظهر الفساد
فغيرك من يصيد بمقلتيه وغنجهما وغيري من يصاد

وقوله [من البسيط] :

آقسم زمانك بين الورد والآس واطلب سرورك بين الكيس والكاس
واجعل طبيبك ذا ، واجعل أنيسك ذا واخطب إلى الناس ودَّ الناس بالياس
وقد مضى الناس فانظر ما الذي صنعوا ولا تكن لرسوم الناس بالناسي[1]

---

(١) رسوم الناس : آثارهم .

وقوله [من الوافر] :

خرجت مباركاً من باب داري أحاول حاجةً فإذا زهيرُ
فلم أثن العنان وقلت أمضي فوجهك يا زهير خراً وخيرُ

وقوله [من الطويل] :

هلمَّ إلينا يا أخا الفضل والحِجى فإنَّ لدينا من صنوف الأطايبِ
أطايب لهوٍ من سرورٍ ولذّةٍ ومن طيِّبات الرزق قدرٌ لطالبِ
مطيّبةٌ بكرٌ بخاتم نارها وخطّابها يأتون من كلٍّ جانب
وأنت لها أولاهم بافتضاضها فحيٍّ عليها الآن يا خير صاحب

* * *

٣٦ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن مأمون الأبهري

أنشدني عون بن الحسين الهمذاني ، قال : أنشدني ابن مأمون الأبهري لنفسه [من المتقارب] :

ألا يعجب الناس ممّا دعو ت ، يا للأنام لفقد الكرمْ
تيمّمت أحمد في حاجةٍ فقابلني بحجّابٍ أصمْ
وإنّ الفتى لحقيقٌ بأن يهان إذا خفَّ منه القدم
ومستخبرٍ كنه ما بيننا من الحال قلت أخٌ وابن عم
كلانا إلى منصبٍ نعتزي وتجمعنا آصرات الرحم[1]
ولكنْ له الفضل في أنّه يصول بقرنٍ وأنّي أجمّ[2]

وأنشدني أيضاً له [من الطويل] :

(١) آصرات الرحم : روابط القربى .
(٢) أجمّ : الذي لا قرن له والرجل بلا رمح في الحرب .

خليلـيَّ ماذا أرتجـي من غدٍ امرىءٍ طوى الكشح عنّي اليوم وهـو مكين[1]
وإن امـرءاً قد ضنَّ عنـك بمنطقٍ يسـدّ به فقـرُ امـرىءٍ لضنينُ

وله [من المنسرح] :

ما كلّ من جدّد الزمـان له إلفـاً تناسـى حبيبه الأوّلُ
إن كنـت يا سيدي ويا أملي شغلـت عنّـي فعنـك لم أشغلُ
حسبـك أنّـي من طول هجـرك لا أدري نهـاريَ أم ليلتـي أطولُ

وله [من الهزج] :

متـى ترغـب إلـى النّاس تكـنْ للنّـاس مملوكـا
وإن أنـت تخفّفـت علـى النـاس أحبوكـا
وإن ثقّلـت عافـوك ومـلُّـوك وسبّـوكـا
إذا ما شئـت أن تعصي فمـرْ من ليس يرجوكا
وسـلْ من ليس يخشاك فيدمـي عنـدهـا فوكـا

* * *

٣٧ - أبو علي الحسن بن محمد الضبيعي

من بعض كور الجبل ، يقول في وصف مجمرة ومدخنة [من الطويل] :

ومنحوتـةٍ من جنس قلبـك قسوةً برزت بهـا في مثـل قدِّك لينا
حوت جمـرةً في لون خدِّك حمرةً وفـي حرّ أحشائـي هوىً وحنينا
يذكرنـي ما فاح من عرف ندّها شهـوراً مضـت في وصلنـا وسنينا

وله في وصف المجمرة [من الطويل] :

---

(١) طوى الكشح عن الأمر : أي أخفاه ، والكشح : ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظهر من الجسم .

ومبرقـةٍ والبـرُّ تنـوي ومـا نوَتْ جفـاي ولا إبراقهـا بعقوقِ[1]
لهـا قسطـلٌ في كلّ نادٍ تثيره علـى كلّ خلٍّ مخلصٍ وصديقِ
أتـت حامـلاً شمسـاً توقّـد في دجاً وأبنـاء حامٍ في برود عقيقِ[2]
كأنّ دخـان النـدّ من فوق جمرها بقـايا ضبـابٍ في رياض شقيق

وله [من الطويل] :

ولمـا عدتنـي عنـه بادرة النّوى أبـى القلـب منّي أن يسير مع الركب
فسـرت وقـد خلّفـت قلبـيَ عنده فيا من رأى شخصـاً يسير بلا قلب

وله في غلام تركي [من البسيط] :

أضيغـمٌ أمْ غزالٌ ذاك أم بشرُ شمسٌ تزيّت بزيِّ التّـرك أم قمرُ
لقـد تحيّر وصفـي في حقيقته كمـا تحيّر في أجفانـه الحور[3]

وله [من مجزوء الرمل] :

أنـا مملـوكٌ لمملـو ك وللـدّهـر صـروفُ
أيُّهـا السائـل عـن مو لاي مـولاي وصيـفُ
يا غزالاً لحـظ عيـنيـه منـايـاً وحـتـوفُ
مـا الـذي ورّدَ خـدّيـك ربيـعٌ أمْ خريـفُ

* * *

٣٨ ـ أبو الحسين علي بن الحسين الحسني الهمذاني

من علية العلوية ، ومحاسن الحسنية ، وكان الصاحب صاهره بكريمته التي

---

(١) البرّ : المعروف والخير ، والعقوق : نكران الجميل .
(٢) ابناء حام : الزنوج شبّه به الفحم ، لسواده .
(٣) الحور : شدّة بياض العين وشدّة سوادها .

هي واحدته ، فرزق منها عباد بن علي الـذي تقـدم ذكره ، ولمـا قال الصاحـب قصيدته المعراة من الألف التي هي أكثر الحروف دخولاً في المنظوم والمنثور وأولها [من المجتث] :

قـد ظـلَّ يجـرح صـدري مـن ليس يعـدوه فكري

وهي في مدح أهل البيت ، تبلغ سبعين بيتاً ـ تعجب الناس منها ، وتداولتها الرواة [من الطويل] :

فسـارت مسيرَ الشّـمس في كلِّ بلدةٍ وهبَّت هبـوب الـريح في البرِّ والبحر

فاستمر الصاحب على تلك المطية ، وعمل قصائد كل واحدة خالية من حرف من حروف الهجاء ، وبقيت عليه واحدة تكون معراة من الواو، فانبرى أبـو الحسين لعملها ، وقال قصيدة فريدة ليس فيها واو ، ومدح الصاحب في عرضها ، أولها [من مجزوء الكامل] :

بـرقٌ ذكرت به الحبائب لمـا بدا فالدّمـع ساكبْ
أمـدامِعـي منهلَّـةٌ هاتيك أم غزر السحائبْ
نثـرت لآلـي أدمعٍ لم يفترعهـا كـفٌّ ثاقب
يـا ليلـةً قـد بتُّها بمضاجـعٍ فيهـا عقارب
لـمـا سرت لـيـلى تـخـب لنآيها عنّـا الركـائب[1]
جعلـتْ قسيّ سهامهـا إنْ ناضـلتـه عقـد حاجـب
لـم يـخط سـهـمٌ أرسلتـه ، إنّ سهم اللحظ صائب
تسـقيـك ريقـاً سكـره إنْ قسـتـه للخمـر غالب
كم قد تشـكّى خصرها من ضعفـه ثقـل الحقائـب
كم أخجلت بضفائـرٍ أبـدت لنـا ظلـم الغياهب

---

(١) الخبب : ضرب من العدو .

إخجال كفّ الصاحب الـ ـقرم المرجّى للسحائب
ملكٌ تلألأ من معا قد عزّه شرف المناصب
نشأت سحائب رفده في الخلق تمطر بالرغائب
خذها إليك فإنّني نقّحتها من كلّ عائب
ألفيت ما لاقيت من إلقائه إحدى المصاعب
حرفاً يعلل كلّ حر فٍ حلّ من لفظ المخاطب
هاذاك ترب الهاء إنّ لم أبده فالنّهج لاحب[1]
لكنْ له تمثال قا فٍ خطّه في السطر كاتب
أنّي اغترفت خليجها من بحرك العذب المشارب
فانعم بملكٍ دائباً ما حجَّ بيت الله راكب

وله في دار بعض الملوك [من الكامل] :

دار علت دار الملوك بهمّةٍ كعلوّ صاحبها على الأملاك
فكأنّها من حسنها وبهائها بنيت قواعدها على الأفلاك

* * *

٣٩ ـ أبو سعد علي بن محمد بن خلف الهمذاني

أحد أفراد الزمان الذين ملكوا القلوب بفضلهم ، وعمروا الصدور بودهم يرجع إلى أدب غزير ، وفضل كثير ، ويقول شعراً بارعاً كأنما أوحى بالتوفيق إلى صدره ، وحبس الصواب بين طبعه وفكره ، وكان الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي جاز به عند منصرفه من الحج ، فخدمه أبو سعد بنفسه ونظمه ونثره . وانعقدت بينهما معاقدة المشالكة ، وصدافة المناسبة . ولما أنشده الأمير

(١) اللاحب : الطريق الواضح .

أبياتاً لأبي الفتح علي بن محمد البستي مشابهة القوافي ، قال أبو سعد أبياتاً فيه ، على سبيل أبي الفتح فيها نهج ، وعلى منواله نسج ، فمنها قوله [من السريع] :

ما سرَّ مولاي نبيُّ الهدى ... بوحي جبريلٍ وميكال
إلاّ قريباً من سروري بما ... رزقت من ودّ ابن ميكال
لكن نواه قد أطاشت دمي ... فالله فيه لدمي كالي[1]

وقوله [من الطويل] :

أبي الفضل أن يحظى به غير أهله ... من الناس فاختصّ الأمير أبا الفضل
وإنّي وإن أصبحت حرّاً فإنّني ... عبيد عبيد الله ذي المنِّ والفضل
هل الفضل إلاّ ما حوته خلاله ... وما بعده فضلٌ يعدُّ من الفضل

ومما وقع إلي بعد ذلك من غرر شعره التي رضي فيها عن طبعه قوله [من الطويل] :

أصرِّح بالشكوى ولا أتأوَّلُ ... إذا أنت لم تجمل فلِمْ أتجمَّلُ ؟
أفي كلِّ يومٍ من هواك تحاملٌ ... عليَّ ومنّي كلُّ يومٍ تحمُّل ؟
وإنّي على ما كان منك لصابرٌ ... وإن كان من أدناه يذبل يذبل
وما أدّعي أنِّي جليدٌ، وإنّما ... هي النفس ما حملتها تتحمّل

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي له [من مجزوء الرجز] :

زاد غرامي لهبا ... فطر غمامٍ سكبا
فعاقني عن قصدكم ... كما تعوق الرّقبا
وكان عهدي قبل ذا ... بالماء يطفي اللهبا
فكيف قد فارق لي ... طباعه وانقلبا

---

(١) أطاش السّهم : أمال عن الهدف ، أطاش الدم : أخرجه وبدّده ، وكالي : حافظٌ وواقي .

وهكذا الدّهر يُرى في كلّ يومٍ عجبا

* * *

٤٠ ـ أبو علي الحسين بن أبي القاسم القاشاني

شاعر حسن الشعر ، كثير الملح والنكت ، أنشدني غير واحد له [من المنسرح] :

عينيَّ مذْ شطّتِ الدّيار بكمْ تحكي سماءً والدّمع أنجمها
كأنّ في وجنتي أبالسةً تسترق السّمع وهي ترجمها

وأنشدني أبو منصور اللجيمي الدينوري ، قال : أنشدني أبو عليٍّ لنفسه في العنب [من الطويل] :

نهاني عذولي بل لحانيَ إذْ رأى ولوعيَ بالأعناب أُكثِر قضمها[١]
فقلت له الصهباء كانت عشيقتي فقد ألزمتني رقَّةُ الحال صرمها[٢]
فعلّلت بالأعناب نفسي كمنعظٍ نأت عرسه عنه فواقع أمَّها[٣]

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

يا ليلةً جمعتْ(١)ي والمدام ومن أهواه في روضةٍ تحكي الجنان لنا
لأشكرنّك ما ناحت مطوّقةٌ على الغصون كما طوقتني مِنَنَا

وأنشدني غيره لأبي علي [من الطويل] :

أليس عجيباً أنَّ جسمي ناحلٌ نحول خلالٍ بل نحول هلالِ
وأحمل ثقلاً في الهوى لا تقلّه متون جمالٍ بل متون جبال[٤]

---

(١) قضمها : أكلها والتهامها .

(٢) صرمها : جفاءها وقطعها .

(٣) المنعظ : « يريد المواقعة » واقع : جامع، وأنعظ : انتصب وقام .

(٤) المتون : الظهور .

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي ، قال : أنشدت بالري لأبي علي [من المنسرح] :

قل للذي يظهر التبرُّم بي وبالرّقاع التي أسطِّرُها
حاجة مثلي إليك عارفةٌ عندك بالله لست تشكرها

* * *

٤١ ـ أبو القاسم عمر بن عبد الله الهرندي

أنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي له [من مجزوء الكامل] :

الريحُ تحسدني عليـك ولم أخلها في العدا
لمّا هممت بقبلةٍ ردّت على الوجه الرِّدا

وأنشدني له [من الوافر] :

وقالوا أيُّ شيءٍ منه أحلى فقلت المقلتان المقلتان
نعم والطرتان هما اللتان على عمر الهرندي فتنتان

وأنشدني هرون بن جعفر الصيمري، قال : أنشدني عمر الهرندي لنفسه [من الخفيف] :

لا أحبُّ المدام إلاَّ العتيقا ويكون المزاج من فيك ريقا
إنَّ بين الضلوع منّيَ ناراً تتلظَّى فكيف لي أن أطيقا
بحياتي عليك يا من سقاني أرحيقاً سقيتني أمْ حريقا

وعلى ذكر الحريق والرحيق فقد قال بعض أهل نيسابور [من مجزوء الرمل] :

وعقارٍ عيشُ مَنْ عا قرها عيشٌ رشيقْ
فهي للأنس نظامٌ وإلى اللّهو طريق

وهـي لـلأرواح فـي أبـــــدانـنـا نـعـم الـصّـديـق
قـلـتُ لـمـا لاح لـي مـنــــهـا شـعـاعٌ وبـريـق
أشـقـيـقٌ أم عـقـيـقٌ أم رحـيـقٌ أم حريق ؟

وأنشدت له في ذم المتصوفة [من مجزوء الرجز] :

تبًّـاً لقومٍ جعلـوا ديناً لدنيـا مأكلـه
تسـتّـروا بأنَّهـمْ صـوفيـةٌ محنبلـه
ومـا يسـاوي نسكهـم قمامـةٌ مـن مـزبلـه
إتّـخـذوا شـباكهـم إحـفـاءهـم للأسبـلـه[1]

وله من قصيدة في أبي الفتح بشر بن علي [من الكامل] :

رؤياك في أمـري رويّة حازمٍ ذي حنـكةٍ فأقـول قولاً مبرما
إن تقصنـي أمسيت مضغـة ضيغمٍ أو تدنـنـي أصبحـت ذاك الضيغما

وله فيه من قصيدة وقد كبت به دابته في نهر عميق فهلكت وسلم أبـو الفتـح من المتقارب] :

بنحسِ أعـاديكَ دار الفلـك ومـا دار يومـاً بسعـدٍ فَلَكْ[2]
وإن همَّ دهـرٌ بمـا لا أقول فنفسـي الفـدا وعلـيَّ الدّرك[3]
بقيت جواداً فـلا تحزننْ لفقـد الجـواد الـذي قد هلك
فإنْ أذنـب الدهـر في أخذه فخيرٌ من الطّـرف ما قدْ ترك

* * *

(١) إحفاءهم الأسبلة : إزالتهم للشوارب ، والسبال : الشعر الذي ينبت فوق الشفة العليا .
(٢) الفلك : الفضاء ونجومه وفلك : الثانية مؤلّفة من الفاء ولك ، أي أنّ السعد لك .
(٣) الدّرك : أي تبعة العمل .

٤٢ - أبو عبد الله المغلسي المراغي

قد تقدم له ذكر في الفصل من رسالة أبي الحسين بن فارس ، وهو القائل في محك الذهب [من الطويل] :

ومشتملٍ من صبغة اللّيل بردةً يفوّف طوراً بالنّضار ويطلسُ[1]
إذا سألوه عن عويصٍ ومشكلٍ أجاب بما أعيا الورى وهو أخرسُ

وله في اللواء [من الطويل] :

ومرتفعٍ للناظرين محاربٍ ترى رأسه في بسطة الباع مائلا
حكى ثملاً أصغى إلى البين فاغتدى يشقُّ عن الأذيال منه الغلائلا

وأخبرني أبو الحسين النحوي أن له في الأوصاف وما يجري مجرى العويص شيئاً كثيراً ، وإذا وقع إليّ منه ما يصلح للإلحاق بهذا الفصل ألحقته ، إن شاء الله تعالى .

* * *

٤٣ - القاضي أبو بكر الأسي

من أهل الري ، بلغتني له أبيات يسيرة في نهاية خفة الروح ، كقوله [من مجزوء الرمل] :

يا غزالاً هو للحسـ ـن مقرٌّ ومحطّ
لم تكن أنت بهذا الـ ـحسن والبهجة قطّ
مذْ بدا في عاج خدّيـ ـك من العنبر خطّ

وقوله [من المنسرح] :

وزائرٍ زار خائفاً رصداً لم أرجُ منه زيارة أبدا

(١) النُضار : الذهب الخالص : ويطلس : يمحو ، وطلس الكتاب : محاه .

لو جاز أن يعبـد امـرؤٌ أحداً   من دون ربِّ الـورى إذاً عبدا
قمـت لإكرامـه فبـاس يدي   أكرمْ بهـا في الهـوى علـيَّ يدا
يا قبلـةً أصـبحـت لهـا شفتي   تمـوت من غيظٍ راحتـي كمدا

* * *

فصـل
في ذكر نفر من الطارئين على بلاد الجبل

٤٤ ـ أبو عبد الله البطحاوي

قال [من مجزوء الرمل] :

يا حـمـامي وحميمـي   وغـرامـي وغـريمـي
وسـقيـم الـودِّ والـعهـد   لـذي جسـمٍ سقيم
لـم يزل ذكرك مذ فا   رقـت ندمـاني نديمي
وجهـك الزاهـر لـي رو   ضٌ وريَّـاك نسيمـي
غيـر أنّي أشتـكي منـك   إلـى غيـر رحيم
معـرض عن وجـه إقبا   لـي خليٌّ عـن همومي

* * *

٤٥ ـ ابن حماد البصري

قال [من البسيط] :

إن كان لا بدَّ من أهـلٍ ومـن وطنٍ   فحيث آمـنُ من ألقـى ويأمنني
يا ليتنـي منـكرٌ من كنـت أعرفه   فلسـت أخشـى إذاً من ليس يعرفني
لا أشتـكي زمنـي هذا فاظلمـه   وإنّما أشتـكي من أهـل ذا الزمنِ

قد كان لي كنزُ صبرٍ فافتقرتُ إلى إنفاقه في مزاراتي لهمْ وفني
وقد سمعت أفانينَ الحديث فهلْ سمعت قطّ بحرٍّ غير ممتحن

* * *

٤٦ - شمسويه البصري

قال في غلام يبيع الفراني [من الخفيف] :

قلت للقلب ما دهاك : أجبني قال لي : بائع الفراني فراني[1]
ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني أمت بما أو دعاني

* * *

٤٧ - أبو الفضل النهرعاسي

قال [من الكامل] :

لولا تعاليل النفوس وأنّها مخدوعةٌ ما سرَّها محبوبُ
خاب امرؤٌ محض النصيحة نفسه كلٌّ يشوبُ لنفسه ويروب[2]

* * *

٤٨ - أحمد بن بندار

قال [من الطويل] :

وقالوا يعود الماء في النّهر بعد ما عفتْ منه آثارٌ وجفَّت مشارعُهْ

---

(١) الفراني : جمع فرني أو فرينة ، وهو نوع من الحلوى تخبز في الأفران، وفراني الثانية: شقّني أو جرحني .
(٢) يشوب : يمزج ، ويروب : يخلط عقله ورأيه ، وراب اللبن : ثخن واشتد ، والروب : الكذب .

فقلتُ إلى أنْ يرجعَ الماءِ عائداً ويعشب شطّاه تموت ضفادعه

* * *

٤٩ ـ أبو عبد الله الروزباري

قال في وصف الثلج [من البسيط] :

ما لابن همٍّ سوى شرب ابنة العنبِ فهاتها قهوةً فرّاجة الكُرَبِ
أدهقْ كؤوسك منها واسقني طرباً على الغيوم فقد جاءتك بالطّرب[1]
أما ترى الأرض قد شابتْ مفارقها بما نثرن عليها وهي لم تشبِ
نثار غيثٍ حكى لون الجمان لنا فاشرب على منظرٍ مستحسنٍ عجبِ
جاد الغمام بدمعٍ كاللُّجين جرى فجدْ لنا بالتي في اللون كالذّهبِ

* * *

(١) ادهقْ : إملأ ومنه « كأساً دهاقاً » .

البــاب الثامــن

في ذكر من هم شرط الكتاب من أهل فارس والأهواز سوى من تقدم ذكرهم في ساكني العراق

كعبد العزيز بن يوسف وأبي أحمد الشيرازي ، وسوى من يتأخر ذكرهم في الطارئين على خراسان كأبي إسحاق المتصفح كان ببخارى وأبي الحسن محمد بن الحسين النحوي المقيم الآن بإسفرائين من نيسابور وأبي الحسين الأهوازي صاحب كتاب القلائد والفرائد المقيم كان بالصغانيات .

* * *

٥٠ ـ أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازي المعروف بابن العلاّف

كان بفارس للأدب مجمعاً ، وللشعر مفزعاً ، مع التصرف في مدارج الأحكام ، والمعرفة بشعب الحلال والحرام ، والقبول التام ، عند الخاص والعام ، خنق التسعين ولم تبيض له شعرة ، وهو القائل في التبرم بشبابه من قصيدة [من الوافر] :

إلامَ وفيمَ يظلمنّي شبابي ويُلبِس لمّتي حلل الغرابِ
وآملُ شعرةً بيضاء تبدو بدوَّ البدر من خلل السّحاب
وأدعى الشيخ ممتلئاً شباباً كذي ظمأٍ يعلّل بالسَّراب

فيا هلكي هنا لك من مشيبي ويا خجلي هنا لك واكتئابي
ألا يا خاضب الشيب المعنّى أعنّي في الشباب على الخضاب
فكافور المشيب أجلُّ عندي وفي فوديَّ من مسك الشباب
وأين من الصباح ظلامُ ليلٍ وأين من الرّباب دجى ضباب[1]
ألا من يشتري منّي شباباً بشيبٍ واسوداداً باشهباب[2]

ومما يستحسن من شعره في عضد الدولة قوله [من السريع] :

يا عَلَمَ العالم في الجودِ مثلك جوداً غير موجودِ
بيَّضت من وجه النّدى بالنّدى ما اسودَّ في أيامه السّود
كم لك في كسبك للحمد من سعيٍ على الأيام محمود
بين مطيعٍ لك أصفدته وبين عاصٍ لك مصفود[3]
بك استوى الجود على خدمةٍ كما استوى الفُلك على الجودي[4]
كم موردٍ منك ندىً أو ردىً بين الرضا والسّخط مورود
وسؤددٍ منك بعزّ العلا يا عضد الدولة معضود
والدهر طوعٌ لك في كلّ ما تحدّه من كلّ محدود
وكلُّ جارٍ لك من جوره في ظلّ أمنٍ بك ممدود
فعشْ وعيِّد سالماً آمناً ما عاد لطف الماء في العود
واسعِدْ يد الدهر بما شئت من ملكٍ لأبنائك موطود

ومما يستجاد من شعره قوله في الغزل [من البسيط] :

خدّاك للخنّس السّبعِ العلا فلكٌ ومقلتاك لشرّاد الهوى شركٌ[5]

---

(١) الرّباب : السحاب الأبيض « يعني به الشيب » .

(٢) اشهباب : وهو السواد الذي خالطه البياض .

(٣) الاصفاد : العطاء ، وأصفده : أعطاه ، والمصفود : المقيّد المشدود .

(٤) الجودي : جبلٌ في العراق رست عليه سفينة نوحٍ عليه السلام .

(٥) الخنّس : الكواكب ، والشرك : حبال يصطاد من وقع فيها .

وفيك نفعٌ وضرٌّ يَجريان كما يجري بما يحتوي في وسعه الفلكْ
فالضرُّ أجمع مخصوصٌ به بدني والنفع بيني وبين الناس مشترَكْ

وقوله [من الطويل] :

أَبَعْدَ دنو الدّار من داركم أجفى فلا غلَّةٌ تشفي ولا لوعةٌ تُطفى
وكنت إذا سلسلت في كأس ذي هوىً من الرّيقِ السلسال في كأسه أصفى
ففيم يخون العهد من صنت عهده ويمزجني من كان يشربني صرفا[1]

وقوله في الزهد [من المنسرح] :

ما عذر من جرَّ غاوياً رسَنَهْ ما عذره بعد أربعين سنه
أكلّما طالت الحياة به أطال عن أخذِ حذره وسنه
قل لي إذا متُّ كيف تنقص من سيئةٍ أو تزيد في حسنه

* * *

٥١ ـ أبو بكر بن شوذبة الفارسي

وجدت في سفينة بخط الشيخ الرئيس أبي محمد عبد الله بن إسمعيل الميكالي لأبي بكر بن شوذبة الفارسي [من الطويل] :

إذا لم يكنْ ممّن يؤوب هديةً فلا لقيته بالسّعادة دارُهُ
وإن يهدِ أقلاماً ونقساً وكاغداً فلا قرَّ يوماً بالمقام قراره[2]
وإن يهدِ برداً أو رداءً محبَّراً فلا زال عنّا ظلُّه وجواره

وله [من الخفيف] :

---

(١) الصرف : الخالص الصافي .
(٢) النقس : الحبر ، والكاغد : الورق .

يا ضمانـي علـى الـربيع وشرطي طال شوقـي فمـا ترى في التّلاقي
استزرنـي بحرمتـي ، أو فزرني إنّ هذا الـربيع ليس بباق
آفـة البـدر ما علمـت كسوفٌ وكسـوفُ المحـبِّ يوم الفراق

وله [من الكامل] :

أنعِـمْ بيوم المهرجـان فإنَّه يومٌ أتـاك به الزمـان جديدُ
ومضـى المصيف وحـرُّه وعُجاجه وأتـى الخـريف ووقتـه المحمودُ
إن كان هذا اليوم عيداً للورى فبقـاءُ عمـرك كلّ يومٍ عيدُ
والـراحُ طيبـةٌ إذا ما علِّلت بسمـاعِ أهيف في يديه عودُ

وله [من السريع] :

أكلُّ من كان له نعمةٌ أوسـع من نعمـةِ إخوانِهِ
أمْ كلُّ من كانـت له كسرةٌ يبـذلهـا فـي بعض أحيانه
أمْ كلُّ من كان له جوسقٌ مشـرّفُ شيـدَ بأركانـه[1]
يـرى بهـا مستكبـراً تائهاً علـى أدانـيـه وخـلاّنـه

* * *

٥٢ - أحمد بن الفضل الشيرازي

كان يهوى فتى من أولاد الأغنياء المترفين بشيراز ، فقال فيه [من الكامل] :

ومـن البلية والعظائـم أنّني علقـتُ واحـدَ أمِّـه وأبيهِ
فهمـا ذوا حذرٍ عليه تراهما يتلقّطـان كلامـه مـن فيهِ
قـدْ دلّـلاه وأورثـاه رعونةً من نخـوةٍ مشتقـةٍ من تيه

* * *

(١) الجوسق : القصر .

٥٣ ـ المعروف المنبسط الشيرازي

سمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : أضاف المنبسط بعض إخوانه ثم خرج وخلاه في منزله ، فكتب إليه [من البسيط] :

يا خالي الجيب من عقلٍ ومن أدبٍ ... وإنْ تحلّيت من خالٍ ومن نسب
تركتني ومعي في البيت واحدةً ... وأنت تعلم ما يجري به لقبي

* * *

٥٤ ـ أبو رجاء أحمد بن عفو الله الكاتب الشيرازي

قال [من البسيط] :

غضبت من قبلةٍ بالكره جُدْت بها ... فهنا فمي لك فاقتصّيه أضعافا
لم يأمر الله إلاّ بالقصاص فلا ... تستجوري ما يراه الله إنصافا

* * *

٥٥ ـ أبو عبد الله الخوزي

قال [من السريع] :

ويلٌ لمن عدله القاضي ... والله عنه ليس بالراضي
تمضي القضايا بشهاداته ... وهو إلى النّار غداً ماض

* * *

٥٦ ـ أبو الحسن بن أبي سهل الأرجاني

قال [من المتقارب] :

مدحت ابن كلثوم صهر الوصيّ ... فأنزلني بالمحلّ القصيّ

فأطعمه الله سلح الخصيّ وكلّل يافوخه بالعصيّ[1]

* * *

٥٧ ـ أبو علي بن غيلان السيرافي

قال [من مجزوء الكامل] :

قد كنت ألتمس الشرّا ب فقد بدا لي في الشرابِ
وأهمّني خبزُ الشّعير ولم يكن ذا في حسابي

* * *

٥٨ ـ ابن خلاد القاضي الرامهرمزي

هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد .

من أنياب الكلام ، وفرسان الأدب ، وأعيان الفضل ،وأفراد الدهر،وجملة القضاة الموسومين بمداخلة الوزراء والرؤساء ، وكان مختصاً بابن العميد تجمعهما كلمة الأدب ولحمة العلم ، وتجري بينهما مكاتبات بالنثر والنظم ، كما تقدم ذكر صدر منهما ، وهكذا كانت حاله مع المهلبي الوزير ، وهو الكاتب إليه لما استوزر [من البسيط] :

الآنَ حين تعاطى القوس باريها وأبصر السّمتَ في الظلماء ساريها[2]
الآن عاد إلى الدنيا مهلبها سيف الوزارة بل مصباحُ داجيها
تضحي الوزارة تزهى في مواكبها زهو الرياض إذا جادت غواديها[3]

---

(١) السلح : الغائط ، واليافوخ : الرأس .
(٢) السّمت : الطريق .
(٣) جادت غواديها : هطلت أمطارها .

تاهت علينا بميمونٍ نقيبته قلّتْ لمقداره الدنيا وما فيها
معزٌ دولتها هنّتها فلقدْ أيّدتها بوثيقٍ معقن رواسيها

فأجابه المهلبي بهذه الأبيات [من البسيط] :

مواهب الله عندي ما يدانيها سعيٌ ومجهودٌ وسعي لا يوازيها
والله أسأل توفيقاً لطاعتهِ حتّى يوافق فعلي أمره فيها
وقد أتتنيَ أبياتٌ مهذّبةٌ ظريفةٌ جزلةٌ رقّتْ حواشيها
ضمّنتها حسن إبداع وتهنئةٍ أنت المهنّا باديها وتاليها
فثِقْ بنيلِ المنى في كلِّ منزلةٍ أصبحت تعمُرُها منّي وتبنيها
فأنت أوّل موثوقٍ بنيّتِهِ وأقرب الناس من حالٍ ترجّيها

ومن ملح ابن خلاد قوله في نفسه [من السريع] :

قل لابن خلاّدَ إذا جئته مستنداً في المسجد الجامعِ
هذا زمانٌ ليس يحظى به حدّثنا الأعمش عن نافعِ

وقوله وقد طولب بالخراج [من الرجز] :

يا أيُّها المكثر فينا الزّمجره ناموسه دفتره والمحبره[1]
قد أبطل الدّيوان كتب السّحره والجامعين وكتاب الجمهره
هيهات لن يعبر تلك القنطره نحوٌ الكسائيّ وشعر عنتره
ودغفلٍ وابن لسان الحمره ليس سوى المنقوشة المدوره[2]

وقوله [من الطويل] :

غناءٌ قليلٌ مالكٌ ومحمّدٌ إذا اختلفت سمر القنا في المعاركْ

---

(1) ناموسه : شريعته .

(2) ابن لسان الحمرة : خطيب بليغ نسّابة ، إسمه عبد بن حصين ، ويقال : ورقاء بن الأشعر .

تجمّلْ بمالٍ واغدُ غيرَ مذمّمٍ بمشراط حجّام ومنوالِ حائك

وما يتغنى به من شعره قوله في غلام من أبناء الديلم [من مجزوء الرجز] :

يا منْ لصبٍّ قلقٍ بات يراعي الفلكا
جار به مسلّطٌ يجور فيمن ملكا
يهزأ من عاشقه يضحك منه إن بكى
مرّ بنا يخطر في سريحةٍ دلّكا
كشادنٍ ريع من الصيّاد أبدى شركا[1]
فقلت يا أحسن من تبصر عيني من لكا
فقال لي بغنّةٍ إليك لا أجرحكا
تبّاً لقاضٍ يبتغي من المعاصي دركا[2]
فقلت والله الذي صيّرني عبداً لكا
ما إن أردتُ ريبةً ولم أردْ سوءاً بكا
وأنت في قولك ذا آثمُ ممّن أشركا

وقوله من قصيدة في عضد الدولة أبي شجاع رحمه الله تعالى [من الكامل] :

جِيدتْ عِراصَكِ مزنةٌ يا دارُ وكساكِ بعد قطينكِ النوّار[3]
فلكمْ أرقتُ بعقوتيك صبابةً ماء المدامع والجوانح نار[4]
ولقد أُديل من الجهالة والصّبا زمنٌ على زينة العقول عيار[5]

ومنها في المدح :

---

(١) الشادن : الغزال ، وريع : خاف ، والشرك : المصيدة .
(٢) تبّاً : قطعاً وهلاكاً ، دركاً : نيلاً .
(٣) العراص : الساحات ، والقطين : الساكن .
(٤) العقوة : شجر ، أو ما حول الدار والمحلّة .
(٥) أديل : غُلب ، وأدال الشيء : تداوله .

كرّ الفرار بيمنه وسعوده ... فعلت به لذوي الحجى أقدارُ

عمُرتْ من الأدب الفقيد دياره ... ودنا من الكرم البعيد مزارُ

والفقه والنظر المعظّم شأنه ... ظهراً وناضل عنهما أنصار

عادت إلى الدنيا بنوها واغتدتْ ... تبني القوافي يعربٌ ونزار

وسمت إلى فصل الخطاب وأهله ... والقائلين بفضله أبصارُ

آب الحصين وعنترٌ ومهلهلٌ ... والأعشيان وأقبل المرّار

والنابغان وجرولٌ ومرقّشٌ ... وكثيّرٌ ومزرّدٌ وضرار

وسما جريرٌ والفرزدق والذي ... يعزى الصليب إليه والزنّار[1]

وغدا حبيبٌ والوليد ومسلمٌ ... والآخرون يقودهم بشّار

وأتى الخليل وسيبويه ومعمرٌ ... والأصمعي ولم يغبْ عمّار

نشرت بفنا خسرو أربابها ... كالأرض ناشرةً لها الأمطار

أحيا الأمير أبو شجاعٍ ذكرهم ... فنما القريض وعاشت الأشعار

ولما توفي ابن خلاد رثاه صديق له بقصيدة في نهاية الحسن ، أولها [من الكامل] :

همم النفوس قصارهنّ هموم ... وسرور أبناء الزمان غموم

ومصير ذي الأمل الطويل وإن حوى ... أقصى المنى حتفٌ عليه يحوم

وسعادة الإنسان على استحلائها ... مرٌّ وعقد وفائها مذموم

وسنيحها برحٌ، وخصب ربيعها ... جدبٌ، وناصع عيشها مسموم[2]

لا سعدها يبقى، ولا لأواؤها ... يفنى، ولا فيها النعيم مقيم[3]

---

(١) يعزى الصليب إليه : ينسب إليه وضع الصليب في صدره ، وهو الأخطل الكبير ثالث المثلث الأموي الشمهور .

(٢) السنيح والبارح : السنيح : الطائر الذي يمرّ من يسار الرائي إلى يمينه ، والبارح : الطائر الذي يمرّ من اليمين إلى اليسار « رمزان للتشاؤم والتفاؤل » عند العرب .

(٢) اللأواء : الشدّة .

محسودهـا مرحومهـا، ورئيسها مرءوسهـا، ووجودهـا معدوم
وبقاؤهـا سبـب الفنـاء، ووعدها إيعادهـا، ووِدادهـا مصروم
أمّـا الصـحيح فإنّـه من خوف ما يعتـاده من سقمـه لسقيمُ
وسليمُهـا طيّ السلامـة دائباً يرنـو إلـى الآفـات وهـو سليم
وغنيُّهـا حذر الحـوادث والرّدى في ظلّ أكنـاف اليسـار عديمُ
سيَّان في حكمِ الحمـام وريبه عنـد التناهـي جاهـلٌ وعليم
أودي ابـن خلاّدٍ قريعُ زمانه بحرُ العلوم وروضُهـا المرهوم[1]
لو كان يعـرف فضلـه صرف الرّدى لانحـاز عنـه ونـابه مثلوم
عظمـت فوائـد علمـه في دهرِهِ فمصابـه فـي العـالمين عظيم
إقليم بابـل لم يكن إلاّ به فاليوم ليس لبابـلٍ إقليم
أنّـى اهتـدى ريب المنـون لساترٍ فوق النجـوم محلُّـه المرسوم
ظلـم الزمـان فبزَّ عنـه كماله ومـن العجائـب ظالـمٌ مظلوم[2]
لا تعجبـنَّ من الزّمـان وغدره فحـديث غدرات الزّمـان قديم
لـو كان ينجـو ماجـدٌ لتقيَّةٍ نجّـى ابـن خلاّد التُّقـى والخيمُ[3]
لكنّـه أمـرُ الإلـه وحكمه وقضـاؤه فـي خلقـه المحتوم
روضٌ من الآداب غضٌّ زهره ركَد الهجير عليه فهـو هشيم
وحديقـةٌ لمّـا تزل ثمراتها تحفُ الملـوك أصابهـنَّ سموم[4]
شمّامـة الـوزراء حلـو حديثه تحفٌ لهـم دون النّـديم نديم
ريحانـة الكتّـاب من ألفاظه يتعلّـم المنثور والمنظوم
أمّـا العـزاء فمـا يحـلُّ بساحتي والصّبر عنـك كما علمـت ذميمُ

---

(١) المرهوم : الذي يسقيه المطر الدائم .
(٢) بزّ : سلب .
(٣) الخيم : السجايا والصفات .
(٤) السموم : الرياح الحارة التي تهبُّ صيفا .

وإذا أردت تسلّياً فكأنني فيما أدرت من السلوِّ مليم
فعليك ما غنّى الحمامُ تحيّةٌ ومع التّحيّةِ نضرةٌ ونعيم

٥٩ ـ محمد بن عبد العزيز السوسي

أحد شياطين الإنس ، يقول قصيدة تربى على أربعمائة بيت في وصف حاله وتنقله في الأديان والمذاهب والصناعات ، أولها [من المنسرح] :

الحمد لله ليس لي بختُ ولا ثيابٌ يضمّها تختُ
سيان بيتي لمن تأمّله والمهمه الصحصحان والمرت[1]
أمِنتُ في بيتي اللصوص فما للِّص فيه فوقٌ ولا تحت
فمنزلي مطبقٌ بلا حرسٍ صفرٌ من الصفر حيثما درت
إبريقي الكوز إن غسلت يدي والطين سعدي وداري الطست
وعاجل الشيب حين صيَّرني فرزدقي المشيب إذ شبت
سلكت في مسلك التصوف تنميساً فكم للذبول قصّرت
سوّيت سجادةً بيومٍ وأحفيت سبالاً قد كنت طوّلتُ
وفي مقام الخليل قمت كما قام لأني به تبركتُ
وقلت إني أحرمت من بلدي وفي حرامي إن كنت أحرمت
ثم كتبت العطوف حتى بتد بيري بين الرءوس ألّفت
حتى إذا رمت عطف بعلٍ على عرس عكست المنى وطلّقتُ
حرفي منقّى من التراب فكم ذرّيتُهُ مرّةً وغربلتُ
يا ليت شعري مالي حرمت ولا أعطي من إن رأيته اغتظت
بل ليت شعري لمّا بدا يقسم الـ أرزاق في أيِّ مطبقٍ كنتُ

(١) المهمه : القفر ، والصحراء الواسعة التي لا ماء فيها ، والصحصحان : الأرض الجرداء ، والمرت : الأرض بلا نبات .

والحمد لله قاسم الرزق في الـــــــخلق كما اختار لا كما اخترت

٦٠ ـ أبو محمد السوسي

قال [من المجتث] :

باكرْ عليَّ ببكرٍ حمراءَ من كفِّ بِكْرِ
وأحي بالقفص قصفي وأفنِ في العمر عمري[١]
روِّحْ براحك روحي وحِزْ بسكريَ شكري[٢]
فساعةٌ لم أعشها في القصف تقصف ظهري

* * *

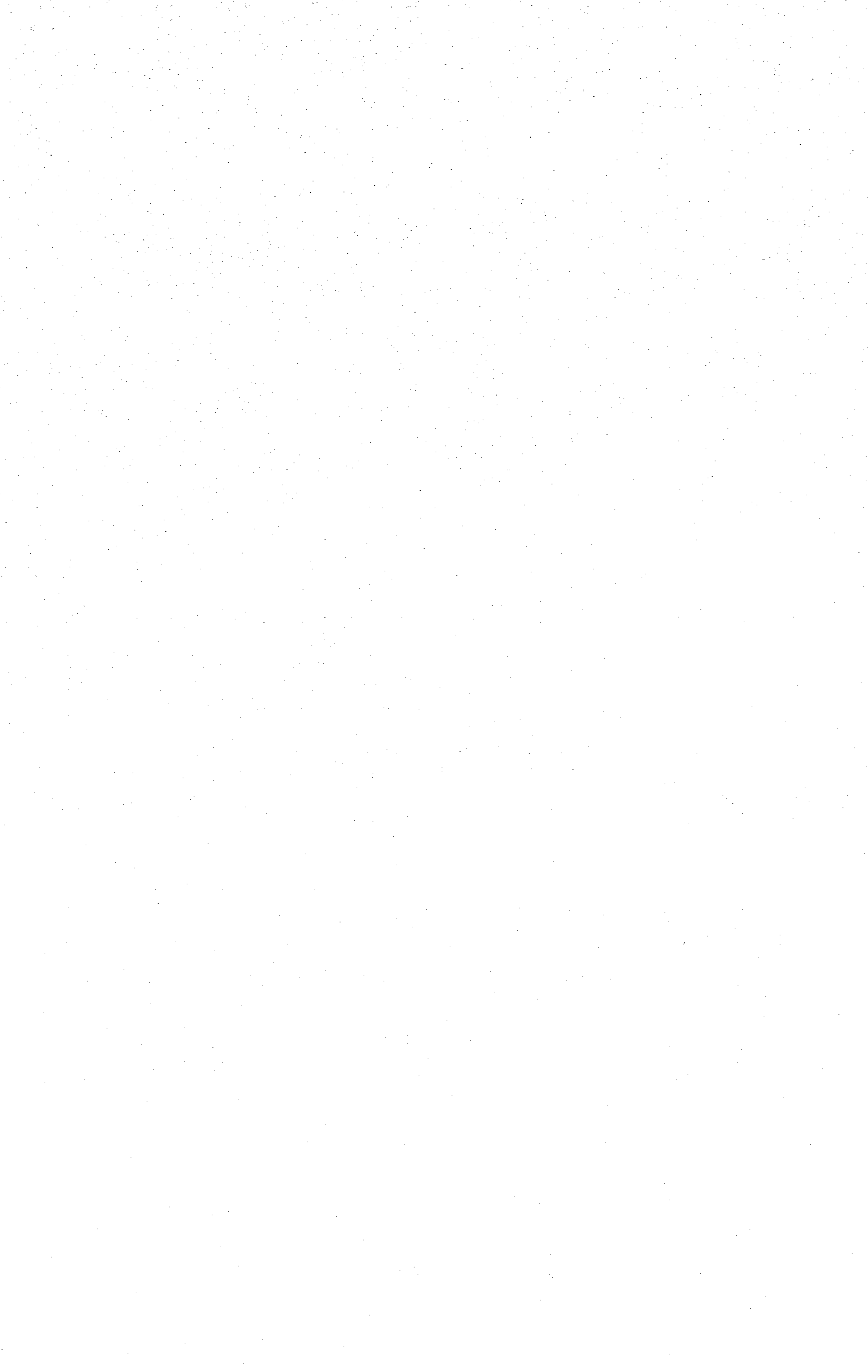
٦١ ـ أبو الحسن بن غسان

سمعت أبا الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي يقول : ورد أبو الحسن بن غسان البصري الشاعر الطبيب على أبي مضر عامل الأهواز في جملة شعراء امتدحوه ، ومرض في أثناء ذلك ، فعالجه أبو الحسن حتى برئ من مرضه ، وكتب للشعراء ولأبي الحسن خطوطاً بصلات ، فأخر ترويجها فكتب إليه [من الوافر] :

هب الشّعراء تعطيهم رقاعاً مزوَّرةً كلاماً من كلامِ
فلم صلة الطبيب تكون زوراً وقد أهدى الشّفاء من السقام ؟

(١) القصف : الشراب والمجون .
(٢) الراح : الخمر ، وحز : من حاز : أي حصل .

قد تمت ـ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ـ مراجعة الجزء الثالث من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر » لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الرابع مفتتحاً بالباب التاسع في ذكر من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان ، نسأل الله ـ جلت قدرته ـ أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .



فهـرس الجــزء الثالـث

من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر »

للإمام أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري
المتوفى سنة ٤٢٩ من الهجرة

فهرس

الموضوع ... ص

الباب السابع

الباب الثامن

في ملح المقلين من أهل بغداد

الموضوع | ص

الباب التاسع

فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

الموضوع | ص

الموضوع	ص
قصيدة أبي العباس الضبي	٢٤١
قصيدة أبي الحسن صاحب البريد	٢٤١
قصيدة أبي الطيب الكاتب	٢٤٢
من قصيدة أبي سعيد الرستمي	٢٤٣
قصيدة أبي الحسن الجرجاني	٢٤٥
قصيدة أبي القاسم الزعفراني	٢٤٦
قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء	٢٤٧
من قصيدة أبي محمد بن المنجم	٢٤٧
من قصيدة أبي عيسى بن المنجم	٢٤٨
قصيدة عبيد الله بن محمد بن المعلي	٢٤٨
قصيدة أبي العلاء الأسدي	٢٤٩
من قصيدة أبي الحسن الغويري	٢٥٠
قصيدة أبي بكر الخوارزمي	٢٥٢
البرذونيات	٢٥٣
قصيدة أبي القاسم الزعفراني	٢٥٣
قصيدة أبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني	٢٥٥
قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء	٢٥٦
قصيدة أبي الحسن السلامي	٢٥٨
قصيدة أبي محمد الخازن	٢٥٩
قصيدة أبي سعيد الرستمي	٢٦٠
قصيدة أبي العباس الضبي	٢٦٢
قصيدة أبي محمد محمود	٢٦٥
قصيدة أبي عيسى بن المنجم	٢٦٧
الفيليات	٢٦٩

الموضوع	ص

الموضوع ص

الباب الرابع

في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي

الباب الخامس

في محاسن أهل العصر من إصبهان

الباب السادس

في ذكر الشعراء الطارئين على الصاحب من الآفاق

الباب السابع

في ذكر سائر شعراء الجبل

الموضوع ص

الباب الثامن

في شعراء فارس والأهواز
سوى من تقدم منهم في ساكني العراق

تمت فهرس الجزء الثالث من « يتيمة الدهر »
والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلواته على سيدنا محمد وآله